الجامعة الدولية بأمريكا اللاتينية

Universidad Internacional de America Latina



الجامعة الدولية بأمريكا اللاتينية

Universidad Internacional de America Latina

الأديان والمذاهب

إعداد

أ.د/ عبد الله بركات

أستاذ الأديان والمذاهب

وعميد كلية الدعوة الإسلامية

سابقا

أ.د/ عبد الله سمك

أستاذ ورئيس قسم الأديان والمذاهب

كلية الدعوة الإسلامية

سابقا

التصميم التعليمي والإعداد

لجنة المناهج





الجامعة الدولية بأمريكا اللاتينية

الأديــــان والمــذاهــب

إعداد

الأستاذ الدكتور

عبـــد الله بـــركـــات

أستاذ الأديان والمذاهب

وعميد كلية الدعوة الإسلامية

سابقـــاً

الأستاذ الدكتور

عبـــد الله ســـمـــك

أستاذ ورئيس قسم الأديان والمذاهب

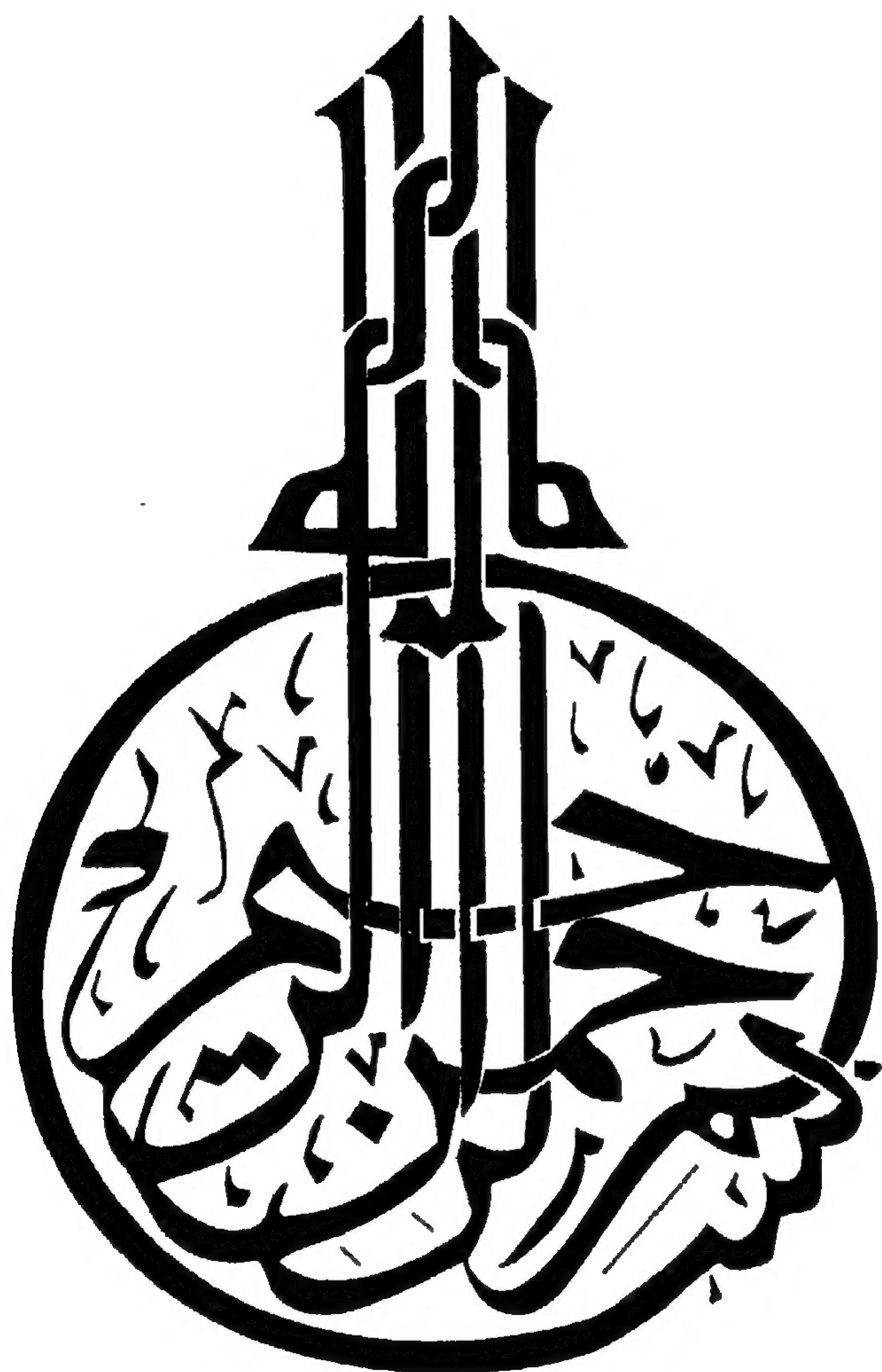
كلية الدعوة الإسلامية

سابقـــاً

التصميم التعلمي والإعداد

لجنة المناهج

الطبعة الأولى
١٤٣١ هـ - ٢٠١٠م
رقم الإيداع
٢٠١٠/١٩٣٨٥


بسم الله الرحمن الرحيم

مرحبًا بطالب العلم

كلمة قالها رسول الله ﷺ[1] منذ أربعة عشر قرنًا من الزمان، ولا تزال منقوشة على صدور ورثته من بعده وفي قلوبهم! يستقبلون بها طلبة العلم من مشرق أو من مغرب، يبشون بها في وجوههم ويفسحون لهم في مجالسهم، ويقدرون توجههم لطلب العلم وانقطاعهم لتحصيله.

وعلوم الشريعة – أيها الدارس الكريم- هي ميراث النبوة، فإن الأنبياء لم يورثوا درهمًا ولا دينارًا وإنما ورثوا هذا العلم، وعلى قدر حظ الناس منه يكون حظهم من وراثة النبي ﷺ.

ولهذا كان طلب العلم أغلى ما أنفقت فيه أعمار البشر وأموالهم، وإن لحظة ينفقها الإنسان في عمره لا يستفيد فيها علمًا، ولا يقصد فيها إلى طاعة، لجديرة بأن تطول عليها حسرته!

...هذا، وإنَّ الجامعة الدولية وهي تدرج أولى خطواتها في نشر العلم والمعرفة في أرض الله الواسعة باسم الله وعلى سنة رسول الله، متخذة من أمريكا اللاتينية نقطة انطلاق لها، مرتادة بذلك آفاق قارة مهجورة منسية، لم يعبأ بها كثير من العاملين

(١) من حديث أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٨/ ٥٤) عن صفوان بن عسال المرادي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رجاله رجال الصحيح (١/ ١٣١).

للإسلام، ولم تتجه إليها همة كثير من مؤسساتهم، فإنها تود أن تكون بذلك على خطى الرعيل الأول من صحابة النبي ﷺ الذين خرجوا من مدينة الرسول ﷺ ينشرون علمه وهديه، ويوطئون لرسالته مهادًا في مشارق الأرض ومغاربها، واختاروا ذلك على البقاء في مدينة الرسول ﷺ ومجاورة مسجده الشريف، حيث الصلاة المضاعفة الأجر، والتي يزيد أجرها ألف مرة على ما سواها من الصلوات في بقية المساجد.

وبعد: فهذه نصيحة لطالب العلم وهو في بداية الطريق:

احرص على تجريد القصد لله ﷻ، ولا تشب هذا الطلب الشريف بشائبة من حظوظ النفس وأغراضها، فإن من تعلم علمًا مما يبتغى به وجه الله -لا يتعلمه إلا ليصيب عرضًا من الدنيا لم يجد عَرْف الجنة يوم القيامة!

وحسبك هذا الحديث الشريف: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى!»[1].

واعلم أن الأصل في طلب علوم الشريعة هو المشافهة والتلقي المباشر، فهو الذي تخرج عليه علماء الأمة عبر القرون، فلا ينبغي أن يعدل عن هذا الأصل ما امتهد سبيل إلى ذلك.

ومن كان شيخه كتابه فاق خطؤه صوابه! فاحرص على المحاضرات التي تقدمها

---

(١) متفق عليه من حديث عمر بن الخطاب ﷺ، البخاري في كتاب بدء الوحي: باب بدء الوحي، ح:١، ومسلم في كتاب الإمارة باب قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنية»، ح: ١٩٠٧

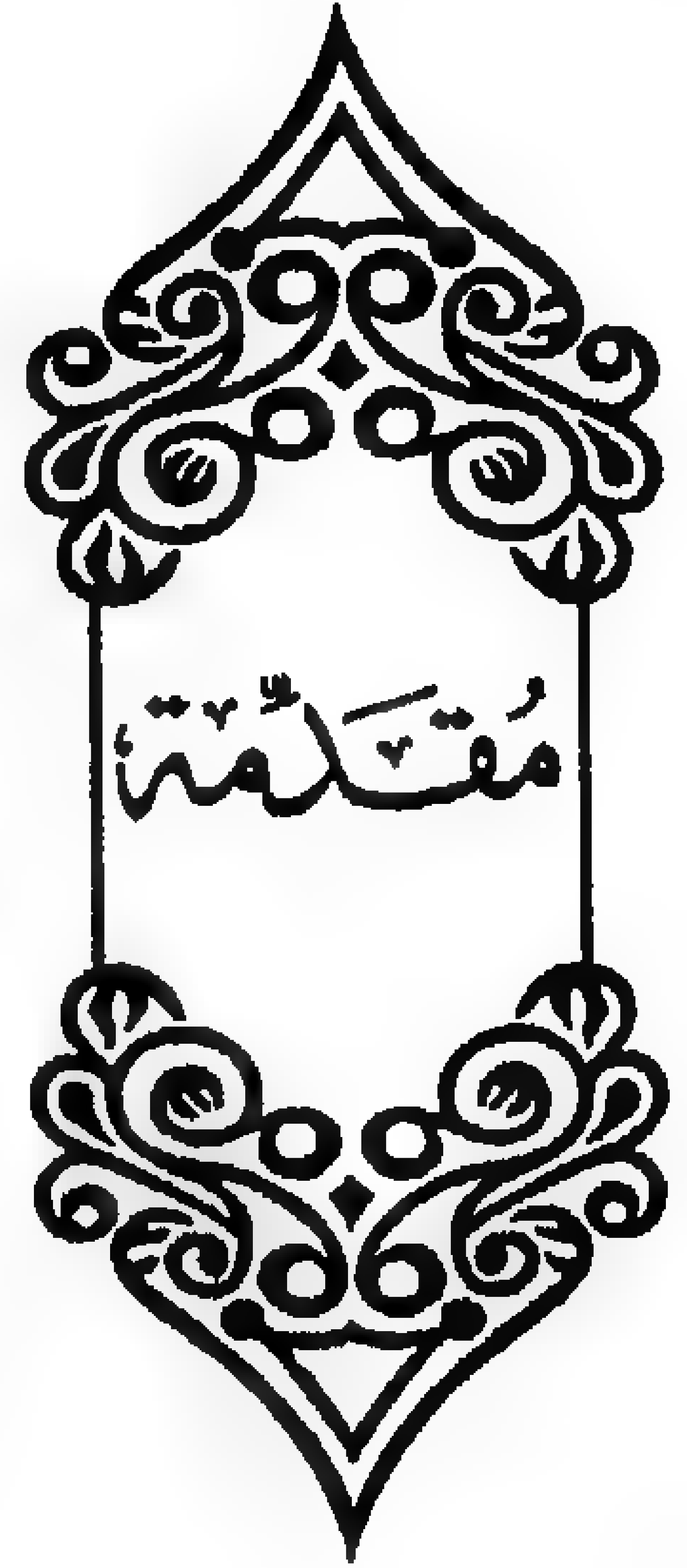
الجامعة سواء من خلال أساتذتها الزائرين، أو من خلال ما تبثه إليك عبر وسائط التقنية التي يتم فيها التواصل صوتًا وصورة بينك وبين المحاضرين أينما كانوا، مهما تناءت الأقطار وتباعدت المسافات.

واحرص على الجد في الاستذكار والتحصيل، واعتن بالأنشطة والاختبارات الملحقة في نهاية كل وحدة دراسية.

مع أطيب تمنيات الجامعة الدولية لك بالتوفيق والسداد، والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

أ.د./ صلاح الصاوي

رئيس الجامعة



الحمد لله أرسل الرسل وأنزل الكتب، وأشهد أن لا إله إلَّا الله ولي المتقين، وأشهد أن محمدًا رسول الله خاتم النبيين وعلى آله وصحبه الطيبين، ومن والاه بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد...

فإن من العلوم المهمة لطالب العلم علم الملل والنحل أو الأديان والمذاهب، وتبدو أهمية العلم من جوانب متعددة أبرزها:

أولاً: الاقتداء بمنهج القرآن والسنة والسير على هديه في عرض آراء ومواقف المخالفين والمؤمنين بدعوات الرسل عليهم السلام، (ولقد كان القرآن الكريم بحق «كتاب النبوات القديمة»، وفي صحائفه المصونة كل ما تنزل به الوحي لهداية البشر وإقامة مصالحهم في المعاش والمعاد، وهو الوثيقة العلمية الباقية لإثبات نبوة موسى وعيسى وغيرهما، فإن الأسانيد الأخرى لا يعول عليها في وجود أولئك الأنبياء، ولذلك أنكر نفر من مفكري الغرب ثبوتها، ولو أن القرآن الكريم أنكر وجود عيسى، لصدقته الآلاف المؤلفة، ولرأت نبأه أقرب إلى الواقع مما يروى عنه، بيد أن القرآن الكريم أعلن في وضوح تصديقه لنبوة عيسى، وقص خبر حياته دون غمط وغلو، وذكر كذلك أسماء عدد كبير من الأنبياء الذين تنزل عليهم الوحي، وكلفهم الله بالبيان عنه)[1].

ولقد استغرقت القصة القرآنية المتعلقة بالملل والنحل أو بعبارة أدق بالرسالات الإلهية والإنحرافات البشرية جانبًا كبيرًا من آيات القرآن الكريم، (وجاءت القصة

(١) نظرات في القرآن: الشيخ محمد الغزالي (القاهرة: دار الكتب الحديثة) ص ٩٠.

القرآنية سجلًا مركزًا لمضمون الرسالات الإلهية، يصور من ناحية أثره في سلوك الإنسان المؤمن بوصفه مجال التطبيق العملي لتعاليم الله، فنرى معالم الخير والاستقامة والانسجام التام مع السنن الكونية، ومن ناحية أخرى يرسم في الإنسان المعرض عن ذلك المضمون نتائج الانحراف عن الصراط السوي فنشاهد مظاهر الضلال والتناقض المؤدي في النهاية، إلى الانهيار فالدمار)[(١)].

كما غطت كتب السنة وفي مقدمتها صحيحا البخاري ومسلم الحديث عن الأنبياء وبيان فضلهم، وبدء الوحي، وبدء الخلق، ومسائل كثيرة في هذا الجانب، فلا ريب أن هذا كله يُبين أهمية هذا العلم الذي لقى اهتمامًا كبيرًا من العلماء والمسلمين، وأفردت له مؤلفات خاصة لعل أشهرها «**الفصل في الملل والأهواء والنحل**» للإمام ابن حزم «أبو محمد: علي بن أحمد» ٣٨٤ هـ ٩٩٤م – ٤٥٦ هـ ١٠٦٤م، وكتاب «**الملل والنحل**» للإمام الشهرستاني «أبو الفتح: محمد بن عبد الكريم» ٤٧٩ هـ ١٠٨٦م – ٥٤٨ هـ ١١٥٣م بالإضافة إلى كتب السيرة والتاريخ العام والموسوعات ودوائر المعارف وكتب اللغة والفقه وغيرها.

ثانيًا: التعرف على تاريخ كل ملة ونحلة؛ لنعرف إلى أي مدى تأثرت أو انحرفت في رحلتها التاريخية عن الحق الذي أرسل الله به الرسل، فمعرفة الملل والنحل معرفة صحيحة من مصادرها مباشرة، والدراسات المتخصصة فيها، يجعلنا نقف على أصولها العقدية، وشعائرها التعبدية، وطقوسها الدينية وظهورها في تاريخ الإنسانية ويُعطينا فرصة عظيمة لتقويمها والحكم عليها بإنصاف وعدل كما

(١) نظرات تحليلية في القصة القرآنية: محمد المجذوب (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٣٩١ هـ – ١٩٧١م) ص١٠.

علمنا كتاب ربنا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[1]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾[2].

إن الحكم العادل على الملل والنحل المختلفة فرع عن تصورها تصورًا صحيحًا، فالحكم على الشيء فرع عن تصوره ودراستنا للملل والنحل سبيلنا لتصورها، ومن ثم الحكم عليها بموضوعية وحيادية، نميز بين الصحيح - الخطأ، وبين الحق - الباطل قال تعالى: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ ...﴾[3].

ثالثًا: إن المسلم المطلع على ملل الناس ونحلهم يقف على جمال الإسلام، وعظمة الدين الذي ينتسب إليه، والقرآن الذي يؤمن به، والتشريع الذي يتحاكم إليه، ويُدرك المكانة العظمى لملة الإسلام بين الملل، فالأشياء بضدها تتميز وتتمايز، والضد يُظهر حسنه الضد ولا ريب أن الباحث في علم الملل والنحل سيكتشف فيه حقيقتين:

أولاهما: أن الإسلام هو الدين الصحيح الذي سلمت نصوصه من التحريف والتبديل، حتى وصل إلينا محفوظًا خالصًا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، أن ما عداه لم يسلم من مظاهر التغيير كالتحريف

---

(١) المائدة: ٨.

(٢) النساء: ١٣٥.

(٣) الأعراف: ٨٥.

والتبديل، والإخفاء والكتمان، وليِّ الألسنة، وإلباس الحق بالباطل، وتعطيل الأحكام، والإيمان ببعض الكتاب دون بعض، والظن والنسيان.

أخراهما: أهل الملل والنحل، افترقوا طوائف متعددة، وفرقًا شتى، لم يسلم من ذلك أهل ملة أو نحلة، والمسلمون – للأسف – حذوا حذو الأمم السابقة، وليس هذا تعبيرًا عن طبيعة الإسلام، وسمو مبادئه وعدالة أحكامه، وجمال أخلاقه، وشمول تشريعاته، وإذا كان غير المسلمين معذورين أو لهم بعض العذر فيما يسلكون وما يعتقدون، لانحراف مللهم ونحلهم، فإنه لا عذر لأي مسلم، يقرأ كتاب ربه ويتلو آياته ويعرف أحكامه، ويعلم سنة نبيه ﷺ أو يتعلم ذلك، ثُم لا نرى منه إلا انحرافًا في السلوك أو اعوجاجًا في الفكر، ويقف حجر عثرة في طريق معرفة الخلق بجمال الإسلام، وكمال هذا الدين، وصلاحيته للإنسان في كل زمان ومكان.

ولعل غير المسلم حين يدرس الملل والنحل يُدرك بما لا يدع مجالًا للشك أن الإسلام في طبيعته يُفارق كثيرًا من المسلمين في سلوكهم وتصرفاتهم، ويكون هذا سبيلًا لقناعته بهذا الدين، وطريقًا للإيمان به، لإدراكه أن الإسلام هو الدين الصحيح الذي يُلبي فطرته ويُصلح معاشه، ويقيم حياته، ويُسعده في دنياه وأخراه.

إن الإسلام هو حجة الله على خلقه، وليس أحد حجة على الإسلام، لذا أودع الله في هذا الدين كل ما يصلح الإنسان في كل زمان ومكان، وبمقدار التزام الإنسان به يكون قربه أو بعده عنه، ولقد كان رسولنا الكريم ﷺ الإنسان الكامل في التمسك بدعوته والالتزام برسالته.

رابعًا: المحافظة على الهوية الإسلامية بعد الوقوف على محاسن الإسلام، واكتشاف جماله، حينذاك، يحس المسلم بنعمة الإسلام، ويدرك فضل الله عليه بالإيمان؛ فلا شك أن النعم إذا عمت هانت، ولأن كثيرًا من المسلمين ولدوا مسلمين، ونشأوا في بيئات إسلامية، فإن كثيرًا منهم ضعف لديهم الإحساس بالإسلام، وفقدوا حلاوة الإيمان، والنعم لا تدرك إلا بالإحساس بفقدها، أو مشاهدة من فقدها، هنا يلتفت الإنسان إلى تلك النعمة التي غفل عن شكرها، وأهمل المحافظة عليها، ويوم أن يدرك المسلمون قيمة تلك النعمة التي لا تداينها نعمة، اجتهدوا في المحافظة عليها، ولا يستطيع أحد محو هويتهم، أو تهديد وجودهم، ومن المؤسف حقًا أن إهمال دراسة الأديان والمذاهب ساعد كثيرًا في اختراق الأمة الإسلامية، وتهديد الهوية الدينية، وتشويه الثقافة الإسلامية. فلا غرابة أن نجد من شباب الأمة وفتياتها تقليدًا أعمى، لا يعرفون أصله، ولا يقفون على فصله، بل تنتشر عملية التقليد انتشار النار في الهشيم بين فئات متعددة معتقدة أن في هذا التقليد مسايرة للمدنية، ومواكبة للحضارة الإنسانية، وما درى هؤلاء جميعًا أنهم يقلدون لمكاثر المخافين، ويسلكون مسالك الكافرين، بل أن البعض وصلت به الهزيمة النفسية إلى تسمية بناته بأسماء متعلقة بتلك الأديان الوضيعة مثل نرفانا وكارما وديانا، وشاعت في الأمة: نايكى **Nike**، وفينوس، واليوجا، وأبولو، وأطلس وغيرها على الملابس والمحلات والرياضة والجمعيات والكتب العلمية، ففي دراسة الملل والنحل مجانية التشبه بالمخالفين ومواجهة الغزو الفكري، والمحافظة على الشخصية والذاتية الإسلامية.

خامسا: القدرة على مجادلة المخالفين بالتي هي أحسن كما علمنا ربنا ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾[1]، ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾[2].

ولا شك أن مناهج الجدل قد أخذت مكانها في كتاب الله تعالى، وفى سنة سيدنا رسول الله ﷺ وسيرته المطهرة، وللجدل أصوله وقواعده، وآدابه، وقاصده وأهدافه وغاياته.

ومما يعين على مجادلة المخالفين الإحاطة بكتبهم، ومعرفة أصولهم وأديانهم، وقد جاء في القرآن الكريم ما يشير إلى إيراد البراهين وإقامة الحجج على المخالفين ﴿قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾[3]، ونهى القرآن الكريم والسنة المطهرة عن اتباع الظن أو الحديث عن عدم علم أو يقين قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ تَسۡمِيَةَ ٱلۡأُنثَىٰ (٢٧) وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا﴾[4]، وعن البخاري من حديث أبي هريرة: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث...»، لذا قال أهل العلم: إن كنت ناقلًا فالصحة، وإن كنت مدعيًا فالدليل فلا يليق أن تجادل المخالف إلا بما صح عنده، وبالدليل الذي يلتزم به، لأن ما عنده حجة عليه وليس ما عندك حجة عليه وصدق الله القائل: ﴿قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾[5].

---

(١) النحل: ١٢٥.

(٢) العنكبوت: ٤٦.

(٣) النمل: ٦٤.

(٤) النجم: ٢٧-٢٨.

(٥) آل عمران: ٩٣.

سادسًا: القيام بواجب الدعوة إلى الله تعالى، ذلك لأن مجالات الدعوة تشمل المسلمين وغيرهم، ولا يتحقق ذلك إلا بالتعرف على عقائد المخالفين، ومعرفة طبيعة المجتمعات والتي لا تدين بالإسلام، وقد جاء في حديث سيدنا معاذ ﷺ ما يشير إلى ذلك حتى تحقق الدعوة ما تصبوا إليه، ويتحلى الداعية بما يُرجى منه، وتُعرف الأولويات، وتزول العقبات تأمل ما رواه البخاري لسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما:

قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: «**إنك ستأتي قومًا أهل كتاب فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب**» وصدق علي- كما ثبت عنه في صحيح البخاري- حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله.

وإذا كان في هذا القول تحذر أن يخاطب العامة بالمشتبه عليهم فهمه، فإن القول في عمومه دعوة إلى مخاطبة الناس بما يفهمون وعلى قدر عقولهم، ولا شك أن دعوة المخالف بلغته وبما يفهم أيسر في الإقناع وأسهل في الإتباع، لذا أثمرت هذه الدعوة حين تأتي من داعية محيط بطبيعة المجتمع الذي يدعو فيه: لغة وعادة ودينًا وثقافة، ويوم أن يقارن هذا الداعية بين الإسلام وبين أي دين آخر، سيجد المدعوين فرقًا بين الثرى والثريا والأرض والسماء.

سابعًا: مواجهة الفرق الضالة المنسوبة إلى الإسلام والقدرة على مواجهتها؛ حيث يتمكن الباحث من رد الأفكار إلى أصولها، والمبادئ إلى منابعها، فلا يقع المسلمون ضحية لأفكار منحرفة، أو مبادئ مستوردة أو ينضمون إلى فرق ترفع راية الإسلام، وهو منها بريئ، والدارس للأديان والمذاهب يجد أن طبيعة الحياة الإنسانية تقوم على التأثر والتأثير، والتفاعل مع الآخرين لكن الخطر الكبير أن تصر الفرق الضالة المنسوبة إلى الإسلام- التي تأثرت بالمعتقدات الباطلة- على تلك النسبة إلى الإسلام، وقد لبست ثياب غيره، وتزيت بزي عدوه وعملت على تحقيق مصالح خصومه؛ كما هو الحال من البابية والبهائية والأحمدية والقاديانية وغلاة الصوفية وكثير من الطوائف الشيعية.

من هنا تظهر أهمية هذا العلم، وتبرز قيمته.

وأخيرًا: فإن دراسة علم الملل والنحل يقرر حقيقة راسخة تفيد أن الإنسان كما هو مدني بطبعه أي لا يستطيع أن يعيش معزولا عن غيره، كما يقرر ذلك علماء الاجتماع، فإن الإنسان- كذلك- متدين بفطرته، لا يستطيع أن يعيش دون دين، أو أن يحيا دون إيمان، بحق أو بباطل، فالدين ضرورة والإيمان فطرة، ولعل في صفحات هذه الدراسة ما يزيد الأمر بيانًا ووضوحًا.

وبعد...

فقد جاء هذا الكتاب في اثنتي عشرة وحدة دراسية، قام المؤلفان بالعمل فيها مناصفة، حيث قام الأستاذ الدكتور/ عبد الله بركات بكتابة الموضوعات التالية: نظرية التطور وبيان بطلانها، ونظرية المعرفة، والكتب المنزلة على الرسل، والفرق بين الدين

السماوي والدين الوضعي، والنصرانية.

وهذا يُغطي من الوحدة الرابعة حتى الوحدة التاسعة.

وقام الأستاذ الدكتور/ عبد الله سمك بكتابة الموضوعات التالية:

تعريف الدين والملة والنحلة، وحاجة البشر إلى الدين، ونشأة الدين وعلم الأديان، واليهودية والأديان الوضعية.

وهذا يُغطي الوحدة الأولى والثانية والثالثة والعاشرة والحادية عشرة والثانية عشرة.

نسأل الله تعالى الهداية والتوفيق، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد .

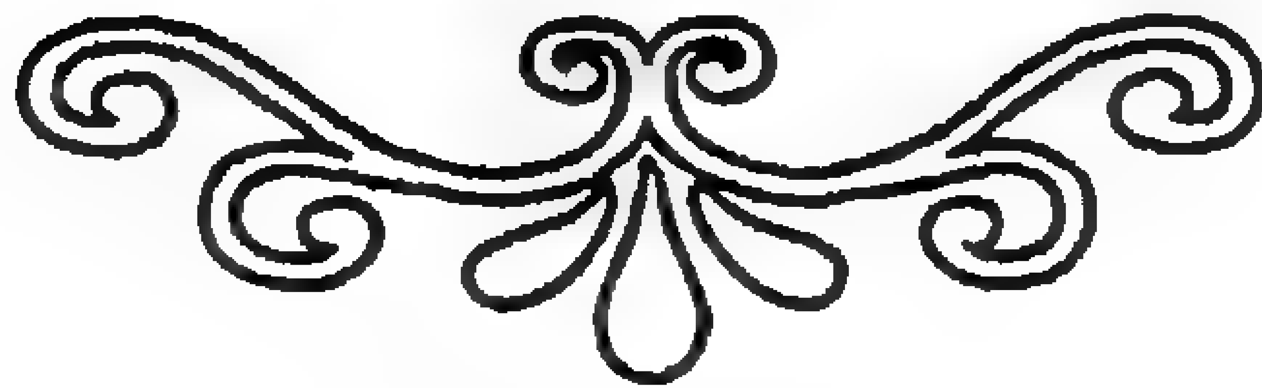
المؤلفان
أ.د./ عبد الله بركات
أ.د./ عبد الله سمك



الأهداف العامة من دراسة المقرر

تتركز الأهداف العامة من دراسة هذا المقرر في النقاط التالية:

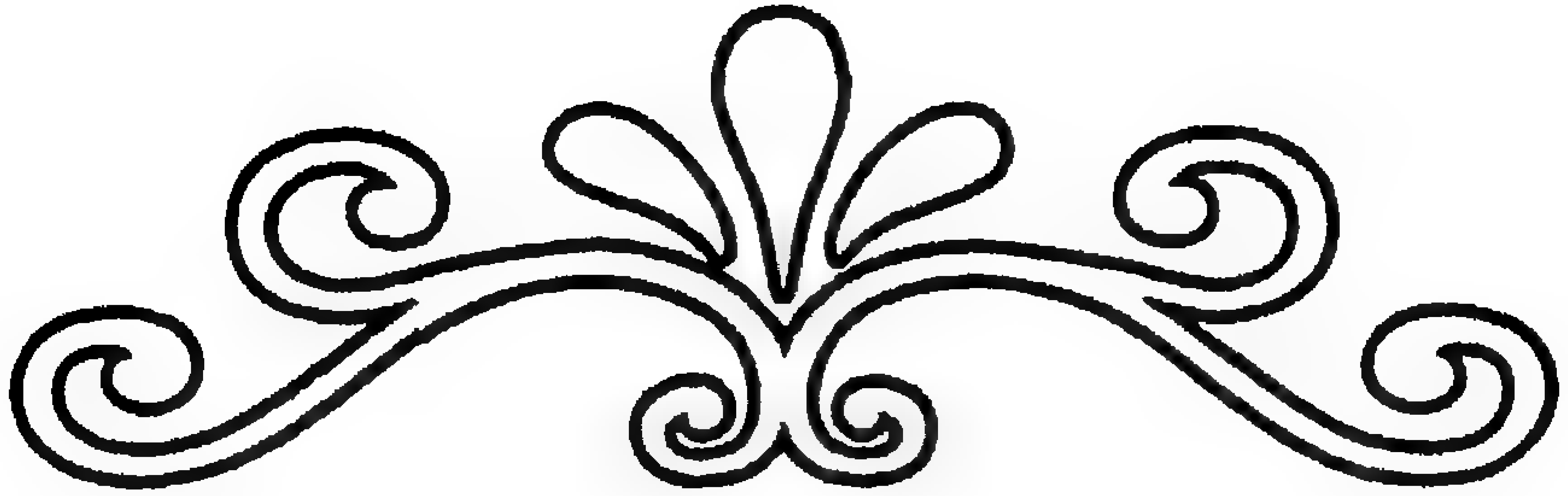
- التعريف بأسس الدين الحق.
- تعليم خصائص الإسلام (الدين الحق).
- الوقوف على حاجة البشر إلى الدين.
- إدراك علم الأديان بميادينه علم إسلامي سبق الدراسات الغربية.
- إثبات بطلان نظرية التطور العضوي علميًا وواقعيًا.
- تمييز النص الموصى به عن غيره من كلام غير الله.
- إدراك دلائل سلامة المتن لهذا النص لحكم ظاهر عام.
- إثبات التحريف بالنقص والزيادة والتناقض والاختلافات والأغاليط في كتب اليهود والنصارى وسلامة القرآن الكريم من كل ذلك.
- الوقوف على صلة العرب باليهودية والنصرانية.
- التعرف على أديان كل من: الفرس – الهند – الصين – القدماء المصريين.
- التعرف على تاريخ اليهودي في أدواره المختلفة.
- الإحاطة علمًا بالتوراة: تعريفًا وتأليفًا وتاريخًا وتعاليمًا.



محتويات الكتاب

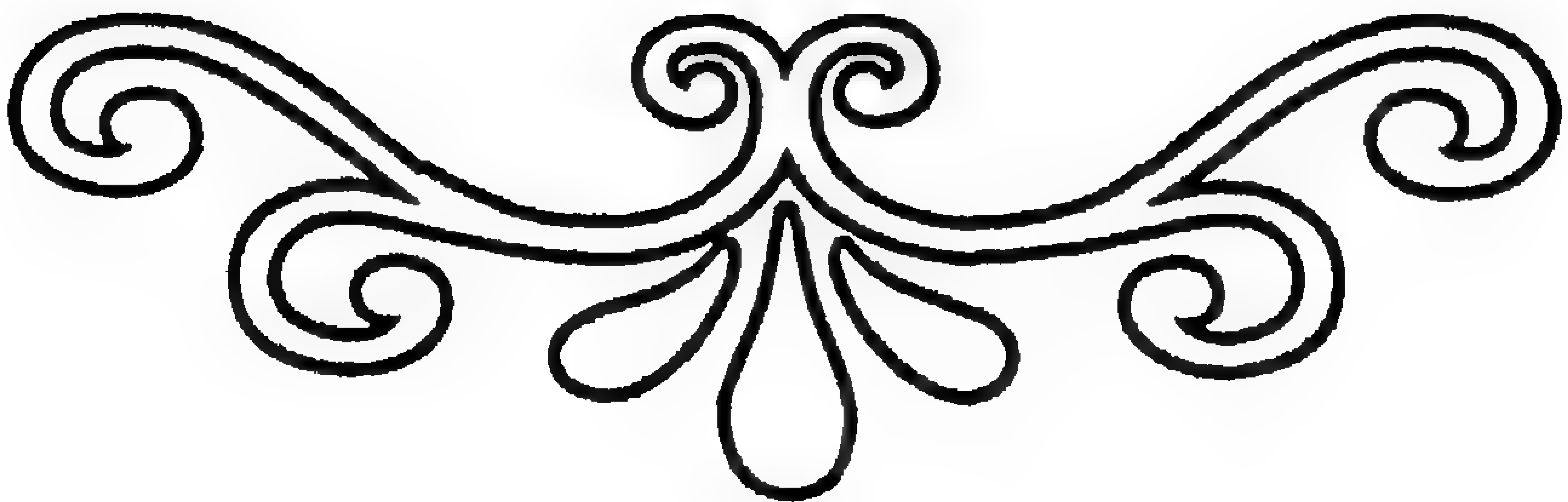
تنقسم الدراسة في موضوعات الكتاب إلى الوحدات الآتية:

الوحدة الأولى	:	تعريف الدين – الملة – النحلة.
الوحدة الثانية	:	حاجة البشر إلى الدين.
الوحدة الثالثة	:	نشأة الدين وعلم الأديان.
الوحدة الرابعة	:	نظرية التطور وأثرها في مجال الأديان.
الوحدة الخامسة	:	نظرية المعرفة.
الوحدة السادسة	:	نظرية المعرفة عند المسلمين.
الوحدة السابعة	:	الكتب المنزلة على الرسل.
الوحدة الثامنة	:	الفرق بين الدين السماوى والدين الوضعى.
الوحدة التاسعة	:	الأديان الوضعية قبل الإسلام.
الوحدة العاشرة	:	أديان العرب قبل الإسلام.
الوحدة الحادية عشرة	:	اليهودية.
الوحدة الثانية عشرة	:	النصرانية.



الوحدة الأولى

تعريف الدين- الملة- النحلة



محتويات الوحدة الأولى

- تعريف الدين.
- تعريف الملة.
- تعريف النحلة.

أهمية دراسة الوحدة:



عزيزي الدارس: لا شك أن أصعب مشكلة تواجه الدارس تكمن في تحديد المصطلحات، وتحرير محل النزاع حيث تتسع مساحة الخلاف بين أطراف المناقشة بسبب غياب معنى المصطلح المتداول بين تلك الأطراف، ومن هنا تبدو أهمية دراسة هذه الوحدة حيث يتمكن الدارس من تحديد المصطلحات المتداولة على كثير من الألسنة دون معرفة لمعناها أو إحاطة بمرماها، وهذه المصطلحات هي: الدين والملة والنحلة، وبمعرفة تلك المصطلحات تنطلق الوحدات الدراسية التالية، في وضوح وسهولة ويسر.



الأهداف التعليمية:

عزيزي الدارس: يُرجى منك بعد دراستك لهذه الوحدة أن تكون قادرًا على أن:

١ـ تُعرّف الدين.

٢ـ تُعرّف الملة.

٣ـ تُعرّف النحلة.

تعريف الدين

البحث في معنى الدين، يختلف بأختلاف الباحثين، وتنوع مجالاتهم وتخصصاتهم على النحو التالي:

أولاً: تعريف الدين في اللغة العربية[1]:

الدال والياء والنون (دين) في اللغة العربية: لفظ له أصل واحد يدل على الانقياد، وإليه يعود كل استعمالاته اللغوية، التي تقوم على وجود علاقة بين طرفين، يعظم أحدهما الآخر، وينقاد له، فإذا استعمل اللفظ في الطرف الأعلى كان أمرًا وسلطانًا، وإذا تعلق بالطرف الأدنى كان خضوعًا وإذعانًا، وإذا أريد به الرباط الجامع بين الطرفين كان عقيدة ومذهبًا ونظامًا.

فاستعمالات لفظ الدين إذن ثلاثة:

الاستعمال الأول: إلزام الانقياد:

تقول العرب: دانه دينًا، بمعنى: ملكه، وحكمه، وقهره، وساسه، وحاسبه، وقضى في شأنه، وجازاه خيرًا أو شرًا.

(١) راجع: معجم مقاييس اللغة: ابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون (دار الفكر) ٢/ ٣١٩، لسان العرب: ابن منظور (دار المعارف) ٢/ ١٤٦٧، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروز آبادى، تحقيق محمد على النجار (القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٣٨٥ هـ) ص ٦١٥، الدين: محمد عبد الله دراز (الكويت: دار القلم، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م) ص٣٠، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، كتاب التفسير، باب ما جاء في فاتحة الكتاب، رقمه: محمد فؤاد عبد الباقي (مكتبة الرياض الحديثة) ٨/ ١٥٥٦. المصطلحات الأربعة في القرآن: أبو عبد الأعلى المودودي، تعريب: محمد كاظم سابق (دمشق: المطبعة الهاشمية) ص: ١١٦.

وأطلق على الحق تبارك وتعالى «الديَّان» بمعنى: القهار الحاكم....

وقيل للرسولﷺ يا سيد الناس وديَّان العرب، باعتبار أنه الحاكم والرئيس وولي أمرهم، ويقال في الأمثال، وجاء موقوفًا ومرفوعًا: «كما تدين تدان» بمعني: أن الجزاء من جنس العمل.

فلفظ الدين في هذا الاستعمال يراد به:

الملك والتصرف بما هو شأن الملوك من السياسة والتدبير، والحكم والقهر، والمحاسبة والجزاء....

الاستعمال الثاني: التزام الانقياد.

تقول العرب: دان له، بمعني: أطاعه، وخضع له، وانقاد، وذَّل، وفي هذا المعنى يقول عمرو بن كلثوم[1]:

وأيامٍ لنا غُرٍ كرامٍ   عصينا الملك فيها أن ندينا[2]

ومن كلام أهل العلم: كل من كدِّ يمينك، ولا تأكل بدينك.

وسميت المدينة بذلك؛ لأنها تقام فيها طاعة ذوي الأمر.

فلفظ الدين في هذا الاستعمال يراد به:

---

(١) عمرو بن كلثوم (ت٥٢ قبل الهجرة/ ٥٧٠م) شاعر جاهلي من زعماء تغلب، من أصحاب المعلقات، وهي أشهر قصائد الشعر الجاهلي، وأصحابها في الطبقة الأولى من جمهرة أشعار العرب، كما كان فارسًا ويضرب له المثل في الفتك، وهو معدود من المعمرين يقال: عاش مائة وخمسين عامًا.

(٢) المعلقات العشر: (لبنان، بيروت، دار الكتب العملية) ص٩٩، وورد: (وأياما لنا غرًا كرامًا)، وأيضًا: (وأيامٍ لنا غرٍ طوالٍ).

الخضوع والطاعة، والعبادة والورع.....

الاستعمال الثالث: ما به الانقياد.

تقول العرب: دان بكذا: اتخذه مذهبًا، أي: اعتقده، أو اعتاده، وتخلق به، سواء أكان حقًّا أم باطلًا، وتقول العرب- كذلك-: مازال ديني وديدني:

أي: عادتي وشأني، وسميت العادة بذلك؛ لأن النفس إذا اعتادت شيئًا انقادت له.

فلفظ الدين في هذا الاستعمال يراد به:

العقيدة والمذهب، الملة أو العادة، أو التقليد، أو جميع ما يتعبد الله به، أو الطريقة التي يسير عليها المرء نظريًّا أو عمليًّا.

وهكذا يظهر لنا جليًّا أن هذا اللفظ عربي أصيل، ليس دخيلًا على لغة العرب كما ظنه بعض المستشرقين(١)

ثانيًا: تعريف الدين في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة:

قبل بيان مفهوم الدين في القرآن والسنة، نشير إلى أن هذين الأصلين استوعبا ما دلَّ عليه لفظ الدين في اللغة، لكنهما اختصا الدين بمفهوم خاص بهما، فقد ورد لفظ الدين في القرآن الكريم في موضوعين ومائة(٢) كما ورد في مواضع كثيرة في كتب

---

(١) راجع: دائرة المعارف الإسلامية: تأليف: نخبة من المستشرقين، ترجمة: محمد ثابت الفندي- أحمد الشنتاوي- إبراهيم زكي خورشيد، عبد الحميد يونس، راجعها: محمد مهدي علام، ٩/ ٣٦٩

(٢) راجع: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت: مؤسسة جمال للنشر) ص٢٦٧، معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية (القاهرة) ص٢١٥، معجم الألفاظ والأعلام القرآنية محمد إسماعيل إبراهيم (دار الفكر العربي) ص١٨١.

السنة[1] على نحو ما جاء في اللغة، من ذلك:

١- قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾[2]. أي: يوم القيامة، وهو من قبيل الاستعمال الأول في اللغة بمعني: المحاسبة والجزاء في هذا اليوم العظيم حيث يكون الأمر على نحو ما جاء في موضع آخر في كتاب الله تعالى: ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾[3]. ومن قبيل هذا الاستعمال في السنة النبوية حديث شداد بن أوس[4] ﷺ عن النبي ﷺ قال: **«الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله»**[5].

٢- ومن قبيل الاستعمال الثاني بمعنى الخضوع: الخضوع، والطاعة.... قوله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾[6]. ومنه حديث ابن عباس ﷺ أن النبي ﷺ قال: «أريد

---

(١) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي نخبة من المستشرقين (ليدن: مطبعة بريل، ١٩٦٢م) ٢/ ١٦٥.

(٢) الفاتحة: ٤.

(٣) غافر: ١٦-١٧.

(٤) شداد بن أوس رضي الله عنه أبو يعلى من بني النجار، الأنصاري ابن أخي حسان بن ثابت شاعر الرسول، جمع شداد بين العلم والعمل والحلم، مات ببيت المقدس بفلسطين سنة ٥٨هـ، وهو ابن خمس وسبعين سنة، وقد روى عن الرسول ﷺ خمسين حديثاً.

(٥) حديث شداد خرجه: الترمزي في كتاب القيامة باب (٢٥ منه)، (٤/ ٥٥)، وقال: هذا حديث حسن، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له (٢/ ١٤٢٣)، أحمد في المسند ٤/ ١٢٤، والنووي في رياض الصالحين باب المراقبة (الحديث السابع).

(٦) الزمر: ٣.

من قريش كلمة تدين لهم بها العرب...»[1]. يريد بذلك ﷺ أن يقولوا لا إله إلا الله.

٣- ومن قبيل الاستعمال الثالث بمعني: العقيدة أو المذهب... قوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[2] ومنه حديث أبي هريرة[3] ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «الرجل على دين خليله فلينظر من يخالل»[4].

٤- لم يكتف القرآن والسنة بذلك بل أضافا تعريفًا خاصًا بالدين واستعمالًا مميزًا مستقلًا له؛ إذ الدين في حقيقته يعني في كلمة مفردة: الإسلام. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[5]. وهو رسالة الأنبياء، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾[6]. وفي حديث أبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الأولي والأخرة»، قالوا: كيف يا رسول الله؟ قال:

---

(١) حديث ابن عباس خرجه: الترمذي في كتاب تفسير القرآن باب ٣٩ منه(٥/ ٣٤١). ابن عباس رضي الله عنه عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ابن عم رسول الله، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، وتوفي رسول الله ولابن عباس ثلاث عشرة سنة، دعا له الرسول، فكان حبر الأمة وترجمان القرآن ورباني الأمة، وفضائله شهيرة، ومناقبه كثيرة، مات بالطائف سنة ٥٨هـ وله إحدى وستون سنة، روى ألف حديث وستمائة وستين.

(٢) الكافرون: ٦.

(٣) أبو هريرة رضي الله عنه: اختلف في أسمه واسم أبيه والراجح أنه عبد الرحمن بن صخر الدوسي أسلم سنة ٧هـ ولزم النبي ملازمة تامة، فكان أكثر الصحابة حفظًا ورواية للحديث: (خمسة آلاف وثلثمائة وأربعة وسبعون حديثًا) ولي إمارة المدينة، واستعمله عمر على البحرين ثم عزله وأقام بالمدينة وبها توفي سنة ٥٩هـ.

(٤) حديث أبي هريرة خرجه: أبو داود في كتاب الأدب من يؤمر أن يجالس، والترمزي في كتاب الزهد باب (٤٥ منه) قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب ٤١/ ٥٠٩.

(٥) آل عمران: ١٩.

(٦) الشورى: ١٣.

«الأنبياء إخوة من علات، وأمهاتهم شتى، ودينهم واحد، فليس بيننا شيء»[(١)].
فالأنبياء كالأخوة لأب من أمهات شتى (أبناء علات) أصل رسالتهم واحد، ولكل منهم شرعة ومنهاج، حتى أكمل الله دينه، وأتم نعمته، ورضي الإسلام اسمًا ورسالة لخاتم الأنبياء محمدﷺ.

وقد نعت الله هذا الدين بنعوت خاصة في كتابه العزيز فأخبر أنه:

١- دين الحق: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾[(٢)].

٢- الدين القيم الدال على العدل والاستقامة والسداد، والنهوض بمصالح العباد: ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[(٣)].

٣- الدين الخالص القائم على التوحيد وإفراد الله تعالى بالطاعة: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ ﴾[(٤)].

٤- دين الله، أضافه إلى نفسه تشريفًا: ﴿أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ ﴾[(٥)]، وأضافه إلى نبيه

---

(١) حديث أبي هريرة أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام (رقم الحديث ٢٣٥٦)، وانظر شرح صحيح مسلم النووي ١٦/ ١١٩.

(٢) التوبة: ٣٣.

(٣) يوسف: ٤٠.

(٤) الزمر: ٣.

(٥) آل عمران: ٨٣.

تبليغًا: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي شَكّٖ مِّن دِينِي﴾[1]، وأضافة إلى عباده تكليفًا: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ .....﴾[2].

٥- دين المؤاخاة: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ﴾[3].

٦- دين الرحمة واليسر: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ﴾[4].

٧- أحسن الأديان: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ﴾[5]، وأخيرًا فهو الدين الذي لا يقبل الله سواه، قال تعالى: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾[6].

فتعريف الدين في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة تعريف واضح لا لبس فيه ولا غموض، إنه الإسلام: تلك الرسالة التي بعث الله تعالى بها سيدنا محمدًا ﷺ رحمة العالمين، ومصدقًا لمن سبقه من الأنبياء، ومتممًا لما أقاموه من بناء، أو كما عبر عنه البعض بقوله[7]: **«وضع إلهي سائق لذوي العقول السليمة باختيارهم إلى الصلاح في الحال، والفلاح في المآل»**، وكذا: **«وضع إلهي يدعو أصحاب العقول إلى قبول ما هو عند الرسول ﷺ»**.

---

(١) يونس: ١٠٤.

(٢) المائدة: ٣.

(٣) التوبة: ١١.

(٤) الحج: ٧٨.

(٥) النساء: ١٢٥.

(٦) آل عمران: ٨٥.

(٧) راجع: الدين ص٣٣، التعريفات: الجرجاني، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٧) ص١٠٥.

ثالثًا: تعريف الدين في العهد القديم والعهد الجديد:

أورد قاموس الكتاب المقدس في كلمات: دان، يدين، دين، دينونة ما نصه:

«تطلق هذه الكلمات علي حكم الله على الناس بحسب أعمالهم، وقد أعطيت الدينونة للرب يسوع المسيح، فهو الديان الذي يقف أمامه جميع البشر لكي يعطوا حسابًا عن أعمالهم في الجسد، خيرًا كان أم شرًا، وهذه الدينونة عامة وشاملة، وحكم هذه الدينونة نهائي، ولا يقبل النقض ولا الاستئناف، وبموجب هذا الحكم يدخل الأبرار إلى أمجاد ملكوت المسيح وأفراحها، ويذهب الأشرار إلى الظلمة الخارجية واليأس الأبدي»(١).

ومن النصوص الدالة على ما سبق:

ما جاء في إنجيل متى ١٠:١٥ «الحق أقول لكم: إن أرض سدوم(٢) وعمورة(٣) ستكونان أخف حالة من تلك المدينة في يوم الدين».

وفي سفر الجامعة ١١:٩ «فافرح أيها الشاب في صبآئك، وليطب قلبك في أيام شبابك، وسر في طرق قلبك، وفي مرأى عينيك، لكن أعلم أن هذه كلها سيحضرك الله

---

(١) قاموس كتاب المقدس تأليف نخبة من ذوى الأختصاص ومن اللاهوتيين، ط٦ (بيروت: منشورات مكتبة المشعل، ١٩٨١م) ص٣٨٢.

(٢) سدوم: الأرض التي سكنها لوط عليه السلام، وكان أهلها يأتون الرجال شهوة دون النساء، فأمطر الله عليها حجارة وجعل عاليها سافلها، وتقع سدوم في جنوب البحر الميت من أرض فلسطين.

(٣) عمورة: اسم كنعاني معناه (غرق) بلدة في غور الأردن، ويذكر الكتاب المقدس تدميرها لفساد أهلها ويتخذها الأنبياء برهانًا على غضب الله، وأداة لتحذير بني إسرائيل من الفساد، ويظن بأن سدوم وعمورة قد غمرتا بمياه البحر الميت.

لتدان عليها».

وفي إنجيل يوحنا ٥: ٢١-٢٢«لإنه كما أن الأب يقيم الموتى ويحيهم كذلك الابن يحيى من يشاء؛ لأن الأب لا يدين أحدًا بل أعطى الحكم كله للابن»، وفي نفس الإنجيل٥: ٢٧-٣٠ «وأعطاه سلطانًا أن يجرى الحكم بما أنه أبن البشر. ولا تعجبوا من هذا لأنها تأتي ساعة يسمع فيها جميع من في القبور صوت ابن الله. فيخرج الذين عملوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة» وقد فسر ذلك متى في ٢٥:٤٦ «فيذهب هؤلاء إلى العذاب الأبدى، والصديقون إلى الحياة الأبدية».

ويظهر مما أورده أصحاب قاموس الكتاب المقدس، ومن خلال نصوص العهد القديم والعهد الجديد ما يلي:

- اقتصر تعريف الدين على معنى الحساب والجزاء بحسب أعمال البشر.
- إن هذا الحساب والحكم علي الناس- عند النصارى- سيكون للمسيح وليس للذي أرسله وذلك يوم القيامة.
- إن اليهود- كما هو معلوم لدى الباحثين في مجال الأديان- لا يعترفون بالنصارى ونبيهم وكتبهم، وهم مختلفون اختلافًا واضحًا في مسألة القيامة، وهل هي واقعة أم لا، وإن وقعت فهل ستكون في الدنيا أم في الآخرة؟[1].

وهم علي كل حال خصوا مسألة محاسبة الناس لله تعالى وحده كما هو واضح في سفر الجامعة، والأقرب عند اليهود أنهم يرون الدين: الشريعة التى جاء بها

(١) راجع: محاضرات في النصرانية: محمد أبو زهرة، ط٤، (دار الفكر العربي، سنة ١٩٦٦م)، ص:١٦ الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه: حسن ظاظا (قسم البحوث والدراسات الفلسطينية سنة ١٩٧٨م)، ص١٠٩ وما بعدها.

موسى عليه السلام.

رابعًا: الدين في الاصطلاح:

من الصعب جدًا أن نجد لعلماء الأديان، والمشتغلين بدراستها اصطلاحًا مقبولًا لديهم، والمتأمل في وجود الصعوبة في ذلك يدرك ما يلي:

أ- أجمع مؤرخو الأديان على أنه لا توجد جماعة إنسانية خالية من التفكير في مبدأ الإنسان ومصيره، وفي تعليل ظواهر الكون وأحداثه ودون أن تتخذ لها في هذه المسائل رأيًا معينًا، واعتقادًا خاصًا.

ب- من الثابت المقطوع به، تباين اعتقادات الجماعات الإنسانية تباينًا عظيمًا، فالمتأمل في كل دين تدين به كل جماعة، يجد أنه يختلف عن الآخر، بل إن الدين الواحد، يفترق أتباعه إلى فرق شتى.

جـ- إن إيجاد عناصر مشتركة تجمع كل المتدينين على اختلاف أديانهم ونحلهم وفرقهم، محاولة لا تخلو من نظر، ومن ثم فإن التعريف الجامع المانع صعب بل مستحيل، فلا يمكن أن يتواطأ العلماء على اصطلاح معين لمعنى الدين، ولاسيما إذا أضفنا إلى اختلاف الأديان، اختلاف المناهج وطرائق التفكير.

لذا فمن المناسب أن نتناول بعض التعريفات الواردة في هذا الشأن من خلال مناهج أصحابها(١).

(١) راجع: الدين: محمد عبد الله دراز، ص٣٣، نشأة الدين: علي سامي النشار (الإسكندرية: دار النشر، ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م) ص:١٢، ص: ٢١، في الدين المقارن: محمد كمال جعفر (دار الكتب الجامعية، ١٩٧٠) ١٩، مباهج الفلسفة: ول ديورانت، ترجمة: أحمد فؤاد الأهواني (مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٦) ٢/ ١٩٨، ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء: رؤوف شلبي (القاهرة: دار ثابت،

أولاً: المنهج اللغوي:

اعتمد فريق من علماء الأديان على الدلالة اللفظية للأصل اللاتيني للاصطلاح الأوربي Religion (دين).

واختلف هذا الفريق بهذا الصدد إلى رأيين:

الرأى الأول:

أن هذا المصطلح Religion مشتق من الفعل اللاتينىReligion – Religar وهو يفيد معنى: الجمع والوصل والربط والتعليق.

ومصطلح الدين بهذا المعنى هو: ارتباط جماعة انسانية بإله أو آلهه، بمعني أن كل دين إنما يجمع المؤمنين به- أمواتًا كانوا أو أحياء- مع الآلهة، في مجتمع واحد، لا ينفصل عن الكون، على النحو الذي يصوره أساطير اليونان.

الرأي الثاني:

أن هذا المصطلح مشتق من الفعل اللاتيني Religere أي يعبد بخوف واحترام.

ومصطلح الدين بهذا المعنى هو:

١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م) ٣٦،٥٢، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: جواد علي، ط٢ (بيروت: دار العلم للملايين، بغداد: مكتبة النهضة، ١٩٧٨م) ٦/ ٥، الاجتماع الديني: أحمد الخشاب(مكتبة القاهرة الحديثة، ١٩٨٩م)، ص٨٨، ٩١،٩٩، علم الاجتماع الديني: عبد الله الخريجي، ط١(جدة: ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م) ص:٢٨،٣٢، قاموس علم الاجتماع: محمد عاطف غيث (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩) ص:٣٨٢، مشكلة الفلسفة: زكريا إبراهيم (القاهرة: دار القلم، ١٩٦٢) = =ص:١٩٢، المعجم الفلسفي: جميل صليبا، ط١(دار الكتاب اللبناني، ١٩٧١م) ١/ ٥٧٢، المعجم الفلسفي: مجمع اللغة العربية (القاهرة، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م)، ص:٨٦.

العبادة المصحوبة بالرهبة والخشية والاحترام، والإيمان بوجود قوة عليا مسيطرة.

والمتأمل في هذين الرأيين يدرك ما يلي:

إن الرأي الأول:

أولاً: لا يسلم له، أصل الأشتقاق بسبب اختلاف أصحابه في ذلك.

ثانيًا: لا يسلم له، أن يكون محصورًا في هذا المظهر الأسطوري، لكن يستفاد من هذا الرأي والذي يليه إبراز عنصر الألوهية في مصطلح الدين، من غير تحديد لطبيعة وصفات تلك الألوهية وكيفية التوجه إليها بالعبادة، مع قصور واضح في حصر الدين في مسألة الألوهية فقط.

ثانيًا: المنهج النفسي:

اعتمد فريق من العلماء المنهج النفسي الاستبطاني الذي يعتمد علي تعريف الدين في ضوء الحياة النفسية المتعلقة بالرؤيا والأحلام، والرهبة والحب والكراهية، والهواجس والدهشة، والمرض واليقظة والنوم، والحياة والموت.....، ونشأت نظريات معروفة في هذا الجانب، وتعددت تعريفات الدين في هذا المنهج على النحو التالي:

- الدين هو الإيمان بكائنات روحية.
- الدين هو محاولة تصور ما لا يمكن تصوره، والتعبير عما لا يمكن التعبير عنه، هو التطلع إلى اللانهائي، هو حب الله.
- الإحساس الذي نشعر به حينما نغوص في بحر من الأسرار.

والمتأمل في هذه التعريفات ونحوها يلحظ أنها ترتكز على الجانب الباطني في الدين، وهذا نقص ظاهر؛ لأن للدين جانبه الباطني المتمثل في الإيمان وما يتعلق به من

أعمال القلوب، وله كذلك جانبه الظاهري المتمثل في العبادات والمعاملات وسائر أحكام الشريعة، كما أن هذه التعريفات تعبير عن حالات فردية لا تتجه إلى عمومية الظاهرة الدينية.

ثالثًا: المنهج الاجتماعي:

يحتل الدين مكانًا بارزًا ويلقي عناية جمهور كبير من المتخصصين في الدراسات الاجتماعية اعتقادًا منهم أن النظم الدينية هي أهم النظم الاجتماعية على الإطلاق.

وقد حاول كثير من علماء الاجتماع تعريف مصطلح الدين تعريفًا جامعًا يصدق على جميع الأديان، ومما جاء في هذا الشأن:

الدين هو:

- مجموعة من الظواهر الاعتقادية والعملية التي تتصل بالعالم المقدس، أو تنظم سلوك الإنسان حيال هذا العالم، بحيث تؤلف هذه المجموعة وحدة دينية تنظم كل من يؤمنون بها.
- تصور المجموعة العالمية بصورة الجماعة الإنسانية.
- مجموعة متساندة من الاعتقادات والأعمال المتعلقة بالأشياء المقدسة (أي: المعزولة المحرمة) اعتقادات وأعمال تضم أتباعها في وحدة معنوية تسمى الملة.

والمتأمل في هذه التعريفات يجد أنها على العكس تمامًا من سابقتها، فبينما يعتمد المنهج النفسى التجربة الشخصية، والإحساس الفردى، يعتمد المنهج الاجتماعي العقل الجمعي، واستقلال الدين عن الأفراد، ولا شك أن سلب الناحية الفردية عن الدين فيه

غلو، فالدين كما هو متعلق بالجماعة، مرتبط بالفرد.

ولا نحب أن نترك هذا المجال دون الإشارة إلى كثيرًا من علماء الاجتماع يعتمدون إلى حذف فكرة الإله الخالق، ويذهبون إلى وجوب إبعاد أصل فكرة الألوهية بكل معانيها من تعريفاتهم لمصطلح الدين، ويأتي على رأس هؤلاء رائد علم الاجتماع الفرنسي أوجست كونت (أوغسطت كونت) ١٧٩٨-١٨٥٧م حيث يقوم مذهبه الوضعي على:

- إشباع الحاجات الواقعية للعقل البشرى، والوقوف عند هذه الحاجات.
- لا يسمح- كوسائل- لهذا الإشباع، إلا بالمعارف الواقعية أي المتصلة بالوقائع الحقيقية، التي في متناول العقل البشري فقط.
- المنفعة والواقع هما غاية الإنسان.
- اللاهوت والميتافزيقا وهم وخيال.
- الإنسانية هي الدين الحقيقي الذي يحقق الإخوة التامة بين أبناء الجنس البشري والحب المتبادل فيما ينهم، والإنسجام التام بين العقل والقلب.

ولا شك أن هذه الديانة الوضعية التي بشر بها كونت تصطدم مع العقل، وتتنافي مع الواقع، بل تعد وضعية كونت هي الوهم والخيال ذاته؛ حين تصور معبدًا للإنسانية تحج وتتجه إليه كل الجماعات البشرية، وتمثل فيه الإنسانية بتمثال امرأة جميلة في سن الثلاثين، تحمل بين ذراعيها طفلًا، ويقام في نفس المعبد ثلاثة عشر تمثالًا لجهابذة المفكرين والقديسين وفي مقدمتهم موسى عليه السلام!

رابعًا: المنهج الفلسفي:

شغل مصطلح الدين كثيرًا من الفلاسفة علي اختلاف مذاهبهم لشدة الارتباط بين

مجال الدين والفلسفة، وعمق الصلة بينهما، ومما أوردته بعض معاجم الفلسفة في تعريف الدين ما يلي:

- جملة من الإدراكات والاعتقادات والأفعال الحاصلة للنفس من جراء حبها لله وعبادتها إياه، وطاعتها لأوامره.
- الإيمان بالقيم والعمل بها، كالإيمان بالعلم، أو الإيمان بالتقدم، أو الإيمان بالإنسانية.
- مجموعة معتقدات وعبادات مقدسة، تؤمن بها جماعة معينة، يسد حاجة الفرد والمجتمع على السواء، أساسه الوجدان، وللعقل مجال فيه.

ويلاحظ على هذه التعريفات ونحوها مما يستمد من المنهج الفلسفي ما يلي:

- تناقض الفلاسفة في أهم عنصر من عناصر الدين هو الألوهية فبينما نجد تصريحًا له في التعريف الأول، يستبدل به عنصر القيم في التعريف الثاني.
- ليس صحيحًا على الإطلاق، أن أساس الدين- أي دين- هو الوجدان فإذا كان هذا يصدق علي بعض الأديان، فلا يصدق بالضرورة على كلها.
- إن الجمهرة الغالبة من الفلاسفة جاوزت الحد في تحديد مفهوم الدين حتى حصرت مسمى الدين في نطاق الأديان الإلهية الصحيحة أو المحرفة. واستبعدت الأديان الأخرى كالوثنية مع أن القرآن سماها دينًا ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾.

خامسًا: المنهج التحليلي المقارن:

تطورت الدراسات الدينية بعد أن شاع استخدام علماء الأديان للمنهج التحليلي المقارن، وهو يقوم بوجه خاص على البحث عن أصول المعتقدات والطقوس عن طريق معرفة مدى تقاربها أو تشابهها.

وقد قام العلماء في مجال الأديان بدراسة مقارنة للأديان المختلفة الإلهية والبشرية، المتحضرة والبدائية، كما قاموا بتحليل صفات الشيء الذى يقدسه المتدين ويخضع له، وطبيعة هذا الخضوع، وقد انتهي أحد العلماء المسلمين «فضيلة الأستاذ الدكتور محمد عبد الله دراز» بعد تحليله لعناصر الدين إلى ما يلي:

الدين هو:

- **«الاعتقادات بوجود ذات- أو ذوات غيبية- علوية، لها شعور واختيار، ولها تصرف وتدبير للشؤون التي تعني الإنسان، اعتقاد من شأنه، أن يبعث على مناجاة تلك الذات السامية في رغبة ورهبة، وفي خضوع وتمجيد».**
- أو بعبارة موجزة: **«الإيمان بذات إلهية جديرة بالطاعة والعبادة».**

هذا إذا نظرنا إلى الدين من حيث هو حقيقة داخلية، أو حالة نفسية بمعني التدين،أما إذا نظرنا إلى الدين، من حيث هو حقيقة خارجية فإنه **«جملة النواميس النظرية التي تحدد صفات تلك القوة الإلهية، وجملة القواعد العملية التي ترسم طريق عبادتها».**

ويلاحظ على هذا التعريف ما يلي:

١- أنه جعل الذات أو الذوات التي يعتقد بوجودها المتدين لها صفات راقية وهي الغيب والعلو، أو بعبارة المؤلف: **«ليست مما يقع عليه حس المتدين ولا مما يدخل في دائرة مشاهدته»**، فالحق أن هذا إن كان يصدق علي الدين الإلهي، فلا يصدق على الأديان الوثنية.

٢- أنه حصر التعريف في هذه الذات نظرًا وتطبيقًا، ومع تقديرنا لذلك، فإن هذا

نقص واضح في التعريف؛ لأنه لا يتضمن أصولًا أخرى في طبيعة الدين، فأغلب الأديان لا تحصر نفسها في قضية الذات أو الذوات التي تستحق العبادة، بل تتجاوز ذلك إلى جوانب أخرى كالإيمان والتقديس لبعض الكتب، وعوالم غيبية غير الإله، وبعض التشريعات.

أخيرًا: رأي الباحث:

إن المتأمل في كل ما سبق يلحظ قصورًا واضحًا، أشرنا إلى بعضه، ومع مزيد من التأمل- لاسيما في غير تلك التعريفات المختارة- يمكن أن نجد قصورًا أكثر.

والذى يظهر من خلال دراسة الأديان- أيًا كانت إلهية أم لا- نجد أنها تشترك في أربعة عناصر أساسية:

١- معبود «واحد أو أكثر» يُتجه إليه بالطاعة والتقديس.

٢- عابد يقوم بممارسات وشعائر معينة.

٣- رباط جامع بين العابد والمعبود، يتمثل في مسائل الاعتقاد والتشريع.

٤- طريقة يلتزم بها العابد نظريًا وعمليًا، تتسع وتضيق، وتختلف باختلاف الدين الذى يدين به الفرد والجماعة.

ومن هذه العناصر، يمكن اقتراح تعريف، نظن أنه يصلح للاستعمال كمصطلح للدين باختصار، وذلك على النحو التالي:

الدين هو: انقياد العابد لمعبوده ظاهريًا وباطنيًا، نظريًا وعمليًا، رغبة ورهبة، لنيل خيره وثوابه، أو دفع شره وعقابه أو هما معًا.

الغاية: وهو جلب النفع أو دفع الضر، أو هما معًا، أى أن الهدف من الدين تحقيق

مصلحة تتعلق بالثواب والخير أو العقاب والشر.

وبعد:

فإن الغاية التي نريد أن لا تغيب عن بالنا، أننا- نحن المسلمين- نصدر في تعريفاتنا ودراستنا عن كتاب الله تعالى، وسنة رسولهﷺ، فعلينا أن نقرر بوضوح أن الدين إذا أطلق لا يراد به إلا الإسلام دون سواه، وهذا لا يعني عدم جواز إطلاق الدين على غيره، لكن الفرق أن إطلاق الدين على الإسلام يستعمل مقيدًا وغير مقيد، فيقال: دين الله، ودين الحق، ودين الإسلام، والدين القيم، والدين الخالص، كما يقال الإسلام: الدين، أما غيره فلا يستحق هذا الإطلاق من الناحية الشرعية لا من الناحية اللغوية، بل يستعمل في غير الإسلام مقيدًا فقط فيقال: دين اليهود.....

وصدق الله القائل: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[1].

(١) آل عمران: ١٩.

تعريف الملة

أ- الملة في اللغة[1]:

اختلف أهل اللغة العربية في أصل الملة علي الأقوال التالية:

١- أصل الملة: الملّ وهو أن يعدو الذئب على شيء ضربًا من العدو، فسميت الملة ملة لاستمرار أهلها عليها.

٢- أصل الملة: التكرار، من قولك: طريق مَليل ومُمَلّ، إذا تكرر سلوكه حتى توطأ، ومنه الملَل، وهو تكرار الشيء على النفس حتي تضجر، سميت الملة ملة لتكرار ما يطلب فعله فيها من شعائر وطقوس ونحوها.

٣- أصل الملة: من المليلة، وهي ضرب من الحمى، ومنه الملّة موضع النار أو (الرماد الحار و الجمر)، وذلك أنه إذا دفن فيه اللحم وغيره تكرر عليه الحمى حتى تنضج، وسميت به الملة لأن أصحابها يحمي بعضهم لبعض عند الأمور الحادثة.

٤- أصل الملة: من أملّ الشيء وأملله: قاله فكتب، ويقال: أمللت الكتاب وأمليته إذا ألقيته على الكاتب ليكتبه.

(١) راجع: الفروق في اللغة: أبو هلال العسكري، ط٣ (بيروت: منشورات دار الآفاق الجديدة، ١٩٧٩م) ص:٢١٥، القاموس لمجد الدين الفيروز آبادي، ط٤ (القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م) ٤/ ٥٢، المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني: أعده: محمد أحمد خلف الله (مكتبة الأنجلو المصرية) ٦١٧-٦١٨، النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير: تحقيق: محمود محمد الصناحي (القاهرة: عيسى الحلبي) ٤/ ٣٦٠.

ويستفاد من هذا أن الملة في اللغة يراد بها:

السنة المتبعة والطريقة المسلوكة، بشكل متكرر، لجماعة يحمي بعضهم لبعض عند الأمور الحادثة اتباعًا لمذهب أو دين أو شرع مشتمل على كتاب أو نحوه فيه ما يرسم لتلك الجماعة ما يراد سلوكه، لذا تطلق الملة على معنى: الدين والشريعة والسنة والطريقة، وقيل هي: معظم الدين، وجملة ما يجيء به الرسل.

ب- الملة في القرآن الكريم والسنة النبوية:

وردت الملة في القرآن الكريم في ثمانية عشر موضعا[1] كما تكرر ذكرها في السنة النبوية الشريفة[2]، وجاءت الملة فيهما على النحو التالي:

١- جاءت الملة بالمعنى اللغوي على أختلاف أصل اشتقاقه في مواضع متعددة منها قوله تعالى: ﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ﴾[3]. ﴿فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[4] وفي حديث السيدة عائشة رضي الله عنها إذا جاءها عراقي.......وفيه (لقد نزل بمكة على محمدﷺ وإني لجارية ألعب: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾[5] وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده. قال: وهذا فأخرجت له المصحف فأملت عليه آي السور[6]. وهذا يفيد معنى الإملاء وهو إلقاء القول ليكتبه

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت: مؤسسة جميل) ص:٦٧٦.

(٢) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي: لفيف من المستشرقين ٦/ ٢٤٨.

(٣) البقرة: ٢٨٢.

(٤) الفرقان: ٥.

(٥) القمر: ٤٦.

(٦) حديث عائشة أخرجه: البخاري في ٦٦- كتاب فضائل القرآن، ٦- باب تأليف القرآن.

الكاتب. وفي حديث ابن مسعود[1] أن رجلا قال: يارسول الله، إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إليَّ، وأحلم عنهم ويجهلون عليَّ، فقال: «لئن كنت كما قلت، فكأنما تسفهم المَلَّ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم، ما دمت على ذلك»[2]. المَلُّ: الرماد الحار الذي يحمى ليدفن فيه الخبز ونحوه لينضج، والمعني: أن إعطاءك إياهم حرام عليهم، ونار في بطونهم، وقال النووي: أي كأنما تطعمهم الرماد الحار، وهو تشبيه لما يلحقهم من الإثم بما يلحق أكل الرماد الحار من الألم، ولا شيء على هذا المحسن إليهم، لكن ينالهم إثم عظيم بتقصيرهم في حقه وإدخالهم الأذى عليه، والله أعلم.

٢- الملة بمعني الدين ونحوه، حقًا كان أم باطلًا: فأما الدين الحق ففي التنزيل ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[3].

وفي حديث ابن عبد الرحمن بن أبزى[4] عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أصبح

(١) عبد الله بن مسعود الهذلي من السابقين إلى الإسلام، أسلم سادس ستة، من كبار علماء الصحابة، هاجر هجرتين، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وفضائله كثيرة ومناقبه غظيمة، توفي بالمدينة سنة ٣٢هـ.

(٢) حديث ابن مسعود أخرجه، مسلم في البر والصلة (باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها) (٢٥٥٨)، وراجع رياض الصالحين ٤٠- باب الوالدين وصلة الرحم (٣٢٠).

(٣) الأنعام: ١٦١.

(٤) عبد الرحمن أبزى: مولى نافع بن عبد الحارث، اختلف في صحبته فذكره أكثر أهل العلم- البخاري وغيره- في الصحابة، وقيل: إنه تابعي، والصحيح القول بصحبته، فقد أدرك النبي ﷺ وكان فيمن مات النبي ﷺ وهم أحداث الأسنان، كان عبد الرحمن قارئًا لكتاب الله، عالمًا بالفرائض، وروى عن النبي وعن أبي بكر وعمر وعلى وعمار وأبي بن كعب وغيرهم.

يقول: «أصبحنا على فطرة الإسلام، وكلمة الإخلاص، وعلي دين نبينا محمد ﷺ وعلى ملة أبينا إبراهيم حنيفًا مسلمًا وما أنا من المشركين»(١).

أما الدين الباطل ففي تنزيل: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ﴾(٢) وفي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص(٣) قال: «..... ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء»(٤).

وقد جعل الإسلام اختلاف الملل (الأديان) مانعًا من الإرث ففي حديث جابر عن النبي ﷺ قال:

«لا يتوارث أهل ملتين شتى»(٥).

وإذا كان معنى الملة هو الدين والشريعة والمذهب بحق أو بباطل، فإن القرآن والسنة دعوا إلى اتباع الحق واجتناب الباطل.

---

(١) حديث عبد الرحمن بن أبزى أخرجه: أحمد في المسند ٣/ ٤٠٦، ٥/ ١٢٣، والدارمي في السنن رقم (٢٦٩١) وابن السنب في عمل اليوم والليلة رقم (٢٣)، النسائي في عمل اليوم والليلة رقم (١).

(٢) الأعراف: ٨٨.

(٣) عبد الله بن عمرو بن العاص السهمي القرشي، أسلم قبل أبيه، كان من علماء الصحابة وعبادهم وشجعانهم ت٦٥هـ.

(٤) حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أخرجه: البخاري في كتاب التفسير، ٤٨- تفسير سورة الفتح، راجع: فتح الباري ٨/ ٥٦٨.

(٥) حديث جابر أخرجه: الترمذي من كتاب الفرائض ١٥ باب ما جاء في إبطال الميراث بين المسلم والكافر (حديث رقم ٢١٩١)، قال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث جابر إلا من حديث ابن أبي ليلى، وانظر تحفة الأحوذي للمباركفوري: ٦/ ٢٩٠، ورواه أحمد وأبو داود وابن ماجة والدارقطني وابن السكن، قال الشوكاني في نيل الأوطار (٦/ ٧٣)، وسند أبي داود فيه عمرو بن شعيب صحيح.

ففي التنزيل في قصة يوسف: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾[1].

وفي حديث عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل، حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية، لكان في أمتي من يصنع ذلك، وإن بنى إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا واحدة»، قالوا: ومن يا رسول الله، قال: «ما أنا عليه وأصحابي»[2].

فالملة في لغة القرآن والسنة دلت:

أولاً: على المعني اللغوي.

ثانيًا: على الدين والشريعة كملة الإسلام والنصرانية واليهودية.

ثالثًا: على معني الفطرة، فقد جاءت الملة مفسرة للفطرة، فقد صح عند مسلم

«ما من مولود يولد إلا وهو على هذه الملة»[3] وهذا يقوي تفسير الفطرة والملة بالإسلام الذى أرسل الله به الرسل، وأنزل من أجله الكتب، وفي مقابل هذا الهوى، إنه يقابل هدى الله.

---

(١) يوسف: ٣٧-٣٨.

(٢) حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أخرجه: الترمذي كتاب الإيمان- باب ماجاء في افتراق هذه الأمة (٥/ ٢٥).

(٣) صحيح مسلم كتاب القدر باب معنى كل مولود يولد على الفطرة.

وفي التنزيل: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[(١)].

جـ- الملة في الاصطلاح:

لا نجد من أهل العلم من كتب تعريفًا بالملة يميزها عن غيرها غالبًا، بل جاءت كتابات أهل العلم المتخصصين في الملل والنحل مرسلة في الأعم، فالشهرستاني[(٢)] على سبيل المثال- بعد أن بين معنى الدين بأنه الطاعة والأنقياد، تكلم عن الملة والشريعة والمنهاج والإسلام والحنيفة والسنه والجماهة، فقال[(٣)]:

«ولما كان نوع الإنسان محتاجًا إلى اجتماع من بني جنسه في إقامة معاشه، والاستعداد لمعاده، وذلك الاجتماع يجب أن يكون على شكل يحصل به التمانع والتعاون، حتي يحفظ بالتمانع ما هو ليس له، فصورة الاجتماع على هذه الهيئة هي الملة، والطريق الخالص الذي يوصل إلى هذه الهيئة هو المنهاج والشرعة والسنة، والاتفاق علي تلك السنة هي الجماعة، قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[(٤)] ولن يتصور وضع الملة وشرع الشرعة إلا بواضع شارع يكون مخصوصًا من عند الله بآيات تدل على صدقه...... ثم أعلن أن الملة الكبرى هي ملة إبراهيم عليه السلام وهي الحنيفية التي تقابل الصبوة...... قال

(١) البقرة: ١٢٠.

(٢) الشهرستاني: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد ولد في شهرستان سنة ٤٧٩هـ وتوفي بها سنة ٥٤٨هـ كان إمامًا في علم الكلام والملل والنحل ومذاهب الفلاسفة، من أشهر مؤلفاتة: الملل والنحل- نهاية الإقدام في علم الكلام.

(٣) الملل والنحل: الشهرستاني (مكتبة السلام العالمية)- ١/ ٤٥ (بهامش الفصل لابن حزم).

(٤) المائدة: ٤٨.

تعالى: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾[1] وابتدأت من نوح عليه السلام قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾[2] والحدود والأحكام ابتدأت من آدم وإدريس- عليهم السلام- وختمت الشرائع والملل والمناهج والسنن بأكملها وأتمها حسنًا وجمالًا بمحمد ﷺ، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[3].

فإذا ما تركنا الشهرستاني من علماء الملل والنحل المسلمين، لنتناول عالمًا آخر من الغربيين، لا نجد فرقًا بينهما في مفهوم الملة، يقول إيميل دور كايم[4]: الدين: مجموعة متساندة من الاعتقادات والأعمال المتعلقة بالأشياء المقدسة، اعتقادات وأعمال تضم أتباعها في وحدة معنوية تسمى «الملة»[5].

إن الملاحظ هو عدم تمييز الملة عن الدين، أو تعريف الملة بعبارات واضحة جامعة مانعة، فلابد أولاً أن نتعرف على الفرق بين الدين والملة، حتى نتمكن من إبراز العناصر الأساسية لمصطلح الملة، التي يميزها عن مصطلح الدين، ثم نجتهد بعد ذلك في تقديم مصطلح يجمع تلك العناصر لكلمة «الملة».

---

(١) الحج: ٧٨.

(٢) الشورى: ١٣.

(٣) المائدة: ٣.

(٤) دور كايم: عالم اجتماعي فرنسي يهودي ولد سنة ١٨٥٨م ومات سنة ١٩١٧م، يقوم مذهبه على اعتبار أن المجتمع هو أساس العقائد الدينية، وأساس المعرفية العقلية، ومصدر الأحداث الأدبية، من مؤلفاته (في تقسيم العلم الاجتماعي).

(٥) الدين: محمد عبد الله دراز، ص٣٦.

الفرق بين الدين والملة[1]:

الملة: اسم لجملة الشريعة.

الدين: اسم لما عليه كل واحد من أهلها. ألا ترى أنه يقال: فلان حسن الدين، ولا يقال: حسن الملة، وإنما يقال: هو من أهل الملة.

الملة: اسم للشرائع مع الإقرار بالله، والدين ما يذهب إليه الإنسان ويعتقد أنه يقربه إلى الله وإن لم يكن فيه شرائع، مثل: دين أهل الشرك، وكل ملة دين، وليس كل دين ملة بهذا الاعتبار.

الملة: لا تضاف إلا إلى النبي الذى تسند إليه، والدين يضاف إلى النبي وإلى غيره، فيقال: ملة إبراهيم، ولا يقال ملة الله، أو ملتي.

الدين: فيقال: دين إبراهيم، دين الله، ديني، فكل دين ملة، وليس كل ملة دينًا بهذا الإطلاق.

الملة: تقال اعتبارًا بما يشرع.

الدين: يقال اعتبارًا بمن يطيع، فأحكام القرآن والسنة هي ملة محمد، (صلوات الله على أنبيائه ورسله).

الملة: لا تستعمل إلا في جملة الشرائع دون آحادها، فكل حكم شرعي مستقل يطلق عليه دين، أما الأحكام الشرعية جملة فيطلق عليها ملة، قال تعالى في شأن تطبيق حد

(١) راجع: الفروق في اللغة: ص٢٤١، المفردات:ص٧١٧، التعريفات:ص٧٢، يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء: ص٦٢، المعجم الفلسفي: صليبًا ١/ ٥٧٢.

الزنا: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾[1].

الملة: تختلف باختلاف الأمم، فلكل أمة شرعة ومنهاج يتفق مع أصول الشرائع التى بعث الله بها الرسل أجمعين.

الدين بمعني مطلق الطاعة والعبادة لله فهو واحد، كما جاء في التنزيل ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[2].

وفي الحديث في شأن الأنبياء: «أمهاتهم شتى ودينهم واحد»[3].

والملاحظ في تلك الفروق- رغم عدم التسليم بجميعها- يدرك الصفات الأساسية لمصطلح الملة، مع عدم إغفال المعنى اللغوي على النحو التالي:

١- جملة الشرائع التي تشتمل على أوامر ونواهٍ، تنظم الجماعة التي تتبعها.

٢- وجود كتاب مقدس لدى أتباعه مشتمل على ما يطلب منهم.

٣- اجتماع بشرى، وجماعة إنسانية تلتزم بتلك الشرائع وتستمر عليها.

٤- هيئة تميز كل اجتماع بشري عن غيره، وتفصل كل جماعة إنسانية عما سواها.

٥- حصول التمانع والتعاون بين أفراد كل تجمع بشري أو جماعة إنسانية ذات شريعة معينة.

ومن خلال تلك الصفات أو العناصر التي ينبغي توافرها في الملة يمكن لنا تعريف أى ملة بأنها:

---

(١) النور: ٢.

(٢) المائدة: ٤٨.

(٣) الحديث، رواه مسلم في كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام رقم الحديث ٢٣٦٥.

«جملة الشرائع التي يحتويها كتاب مقدس، يتحقق به اجتماع جماعة من البشر على هيئة معينة يحصل بها التمانع والتعاون».

أما الملة في شرعنا: فهي الإسلام دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وهو الدين الذي أرسل الله به الرسل، وأنزل من أجله الكتب، ومن ثمَّ فالدين والملة في شرعنا بمعني واحد، فاللفظان متحدان في الذات والاستعمال، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[1] وقال جلَّ وعلا: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[2].

ففي الملة الإسلامية:

١- شريعة كاملة تامة صالحة لكل زمان ومكان، ومنهاج واضح منظم لحياة المسلم.

٢- وكتاب مقدس وهو القرآن الكريم ونصوص السنة الصحيحة، فهما وحي الله وشرعه لنبيهﷺ.

٣- وتجمع بشري عظيم يشمل المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

٤- وهيئة يتميز بها المسلمون عن غيرهم، ويخالفون سواهم لأنهم مطالبون دائمًا بعدم التشبه بغيرهم، لتبقي لهم ذاتيتهم وامتيازهم، فمن تشبه بقوم فهو منهم.

٥- والمسلمون في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا، وتتكافأ دماء المسلمين ويسعى بذمتهم أدناهم.

---

(١) آل عمران: ١٩.

(٢) الأنعام: ١٦١.

تعريف النحلة

أ- النحلة في اللغة[1]:

النحلة في اللغة العربية لها ثلاثة أصول:

١- الدقة والهزال، تقول: نحل جسمه نحولًا فهو ناحل: إذا دقَّ وضعف وذهب من مرض أو سفر ونحوهما، حتى صار كالنحل في الدقة.

٢- العطاء، تقول نحلته كذا، أي: أعطيته، والاسم: النحلة- بكسر النون وضمها- وهي أن تعطي شيئًا تبرعًا بلا استعواض كأنه يقول: أعطاة عطاء النحل.

٣- الادعاء، تقول: انتحل وتنحل كذا، إذا تعاطاه وادعاه بغير حق، لنفسه هو أو لغيره، والنحلة: النسبة بالباطل، قال الأعشى[2] ينفي عن نفسه تهمة السطو على شعر غيره، ونسبته لنفسه:

فما أنا أم ما انتحالي القوا ... فِبعد المشيب كفى ذاك عارًا[3]

وتطلق النحلة على الدين يقال: ما نحلتك؟ أي: ما دينك؟

---

(١) معجم مقاييس اللغة: ٥/ ٤٠٢.

(٢) الأعشى: لقب عدد كبير من الشعراء العميان، أو نحوهم والمراد هنا، ميمون بن قيس، والأعشى الكبير أو أعشى قيس، لقب بصناجة العرب، له ديوان أشهر قصائده (اللامية).

(٣) ديوان الأعشى الكبير: شرح وتعليق: محمد حسين (الناشر: مكتبة الآداب) رقم القصيدة (٥) ص:٥٣، وقصيدته يمدح بها قيس بن معِد يكرب (ت٦٠٣)، والد الأشعث بن قيس أمير كلدة في الجاهلية والإسلام (ت٤٠هـ/ ٦٦١هـ)، وفي رواية: «فكيف أنا انتحالي....».

ب- النحلة في القرآن والسنة النبوية:

وردت مادة (نحل) في القرآن الكريم مرتين فقط[1] بينما تكررت أكثر من ذلك في السنة النبوية وجاءت على النحو التالي:

١- قال تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً﴾[2].

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا...﴾[3].

وفي حديث النعمان بن بشير أن أباه نحل ابنًا له غلامًا، فأتى النبيﷺ يشهده، فقال: أكل ولدك نحلته مثل هذا؟ قال: لا، قال: فاردده[4].

وفي هذه المواضع دلت كلمة (نحل) على معنى العطاء، وهو المعنى الثاني في اللغة.

٢- أما النحلة بالمعنى الأول وهو الدقة والهزال فقد جاء في حديث أبي مجيبة عن أبيه أو عن عمه قال: أتيت النبيﷺ فقلت: يا نبي الله، أنا الرجل الذي أتيتك عام الأول، قال: «فما لي أرى جسمك ناحلًا؟!» قلت: يا رسول الله: ما أكلت طعامًا بالنهار ما أكلته إلا بالليل، قال: «فمن أمرك أن تعذب نفسك...»[5].

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص٦٩٠.

(٢) النساء: ٤.

(٣) النحل: ٦٨.

(٤) حديث النعمان بن بشير أخرجه: البخاري في ٥١- كتاب الهبة-١٢ باب الهبة للولد حديث رقم (١٢٦٣)، وأخرجه مسلم في ٢٤: كتاب الهبات حديث رقم ٩، والترمذي في ١٣- كتاب الأحكام-٣٠ باب ما جاء في النحل والتسوية بين الولد، حديث رقم ١٣٦٧.

(٥) حديث أبي مجيبة أخرجه: ابن ماجه في ٧- كتاب الصيام-٤٣ باب صيام أشهر الحرم (١٧٤١) ١/ ٥٥٤.

٣- أما النحلة بمعنى الادعاء والنسبة بالباطل فمنه حديث قتادة بن النعمان «كان بشير بن أبيرق يقول الشعر، ويهجو به أصحاب النبيﷺ وينحله بعض الغرب...»[١] أي: ينسبه.

جـ- النحلة في الاصطلاح:

الغالب في أقوال أهل العلم في دراسة الأديان أن النحل تعني الأهواء، وأهل الأهواء والنحل يقابلون أرباب الديانات تقابل التضاد[٢]، لذا ورد في تعريف النحل أنها: «ما اخترعه قوم، واتفقوا على وضعه، من غير أن يكون عليه دليل نقلي، أو سماع من نبي»[٣] وقيل: إنها «مجموعة العقائد والعبادات والشعائر التي تخص شخصًا بعينه دون تمييز بين اعتقاد صحيح أو باطل»[٤].

وقد خالف في ذلك ابن حزم الظاهرى في كتابه (الفصل) حيث أضاف النحلة إلى الحق، وجمع بين النحلة والدين والملة والفتيا، وذكر النحلة بما يفيد أن الأمة الإسلامية افترقت إلى فرق عديدة وعبارة ابن حزم: (فلنبدأ بقول الله ﷻ في ذكر نحل الإسلام وافتراقهم فيها وإيراد ما شغب به من شغب منهم، فيما غلط من نحلته، وإيراد البراهين الضرورية على إيضاح نحلة الحق من تلك النحل..)

---

(١) حديث قتادة بن النعمان أخرجه: الترمذي في أبواب التفسير القرآن٤: تفسير النساء: (٥٠٢٧) وقال: هذا حديث غريب، راجع تحفة الأحوذي: ٨/ ٣٩٥.

(٢) الملل والنحل للشهرستاني: (٢/ ٧٤).

(٣) دستور العلماء: عبد النبي عبد الرسول الأحمدي شكري (بيروت: منشورات الأعلى للمطبوعات) ٣/ ٣٩٧.

(٤) يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء ص٦٥.

في ضوء ما سبق يستفاد أن النحلة تتصف بصفات أساسية هي:

- إنها اتباع للهوى، وبالتالي فهي بناء ضعيف ناحل هزيل.
- إنها مقطوعة الصلة بالهدى والحق والعلم الصحيح، رغم حرص معطيها وواضعها على نسبتها إلى الخير والهدى...
- إن ادعاء نسبتها إلى الخير ادعاء باطل، ونسب زائف، فالاستجابة لها هلاك وضياع.

قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾[1].

والمتأمل في تلك الصفات الأساسية يدرك أن النحلة شكل من أشكال التلفيق والاختراع والانحراف عن الحق، فهي أشبه بالبدعة في شرعنا الإسلامي في كونها: «**طريقة في الدين مخترعة تضاهي الطريقة الشرعية، يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه وتعالى**» أو بعبارة أوجز: «**كل ما أحدث في الدين مما لم يأذن به الشارع**». فالنحلة: «**ما ادعاه قوم بأنه دين، وهو ليس بدين**».

وهذا واضح في كثير من النحل التي تقابل الأديان، ففي الإسلام نجد نحلًا كثيرة خرجت على الإسلام، مع حرصها على الإنتساب إليه مثل القاديانية نسبة إلى مؤسسها غلام أحمد القادياني (١٢٥٢هـ/ ١٨٣٩م) - (١٣٢١هـ/ ١٩٠٨م).

وأرباب الديانات يعتبرون أهل الأهواء من الخارجين على تلك الديانات هم أهل النحل، وإن كنا- نحن المسلمين- نعتقد أن مصطلح «أهل الأهواء» يشمل غير المسلمين جميعًا، سواء ممن يدين بدين له أصل إلهي، أو من خرج عليه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾[2].

(١) الكهف: ٢٨.

(٢) المائدة: ٤٨.

خلاصة الوحدة

نخلص من دراسة هذه الوحدة إلى ما يلي:

انتهت في هذه الوحدة الدراسة إلى تقرير جملة من التعريفات لبعض المصطلحات بعد تحليل عناصرها الأساسية على النحو التالي:

١- الدين له ثلاثة عناصر هي:

- معبود واحد أو أكثر يتجه إليه بالطاعة.
- عابد يطيع ويعبد معبوده من خلف شعائر معينة.
- رباط جامع بين العابد والمعبود يتمثل في منهاج نظري وعملي.

الدين كل يربط العابد والمعبود، وينقاد له العابد في طاعة، تجمع بين الحب والذل لذلك المعبود.

٢- الملة لها خمسة عناصر:

- شريعة تنظم أمر الجماعة التي تتبعها.
- كتاب مقدس.
- اجتماع بشري.
- هيئة يتميز به كل اجتماع عن غيره.
- حصول التمانع بين أفراد كل اجتماع.

الملة إذن: «جملة الشرائع التي يحتويها كتاب مقدس، يتحقق به اجتماع جماعة من البشر على هيئة معينة، يحصل بها التمانع والتعاون».

٣- النحلة لها ثلاثة عناصر:

- اتباع الهوى.
- مقطوعة الصلة بالهدى والحق والعلم الصحيح.
- التلفيق والاختراع وادعاء نسبتها إلى الدين الصحيح.

النحلة إذن: «**ما ادعاه قوم بأنه دين، وهو ليس بدين**».

٤- للإسلام ذاتيته الخاصة:

فليس في الإسلام- قرآنا ولا سنة- دين مقبول سوى دين الإسلام فهو الدين وهو الملة، وهو الرسالة التي بعث بها جميع الأنبياء، وأرسل بها كل الرسل.

والعلاقة بين الملة والدين تتلخص في عبارة موجزة: «**إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا**».

أما النحلة فهي شبيه البدعة، غير أن البدعة تتعلق بآحاد المسائل الشرعية، أما النحلة فتتعلق بمعظم تلك المسائل، بل هي في الأعم بناء ناحل هزيل يزعم أصحابه أنه الدين الصحيح.

تلك هي أهم ما انتهت إليه هذه الرسالة، والله الهادي إلى سواء السبيل.

أسئلة التقويم الذاتي

أولاً: أسئلة المقال:

س١: اذكر أقوال علماء اللغة العربية في أصل الملة.

س٢: ما الاستعمالات اللغوية لمصطلح الدين؟

س٣: ما تعريف الدين في العهد القديم والعهد الجديد؟

س٤: اذكر أهم المناهج العلمية في تحديد مصطلح الدين.

س٥: قارن بين المنهج الاجتماعي والمنهج الفلسفي في تعريف الدين.

س٦: ما العناصر المشتركة التي تحدد مصطلح الدين؟

س٧: أذكر استعمالات الملة في القرآن الكريم والسنة النبوية.

س٨: ما الفرق بين الدين والملة؟

س٩: أذكر أصول مصطلح النحلة في اللغة العربية.

س١٠: ما الصفات الأساسية التي تحدد مصطلح النحلة؟

ثانيًا: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة «✓» أمام العبارة الصحيحة، وعلامة «✗» أمام العبارة الخاطئة:

١- جعل الإسلام اختلاف الدين مانعًا من الإرث. ( )

٢- النصرانية هي الدين الحقيقي عند عالم الاجتماع الفرنسي أوجست كونت. ( )

٣- أجمع مؤرخو الأديان على أنه لا توجد جماعة إنسانية خالية من التفكير الديني. ( )

ثالثا: أسئلة الاختيار من متعدد:

اختر الإجابة الصحيحة مما بين القوسين:

١- الملة تعني في قوله ﷺ: «ما من مولود يولد إلا وهو على هذه الملة»: (الفطرة- الطريقة المسلوكة).

٢- الدين هو الإيمان بكائنات روحية كما يرى علماء (الاجتماع- النفس).

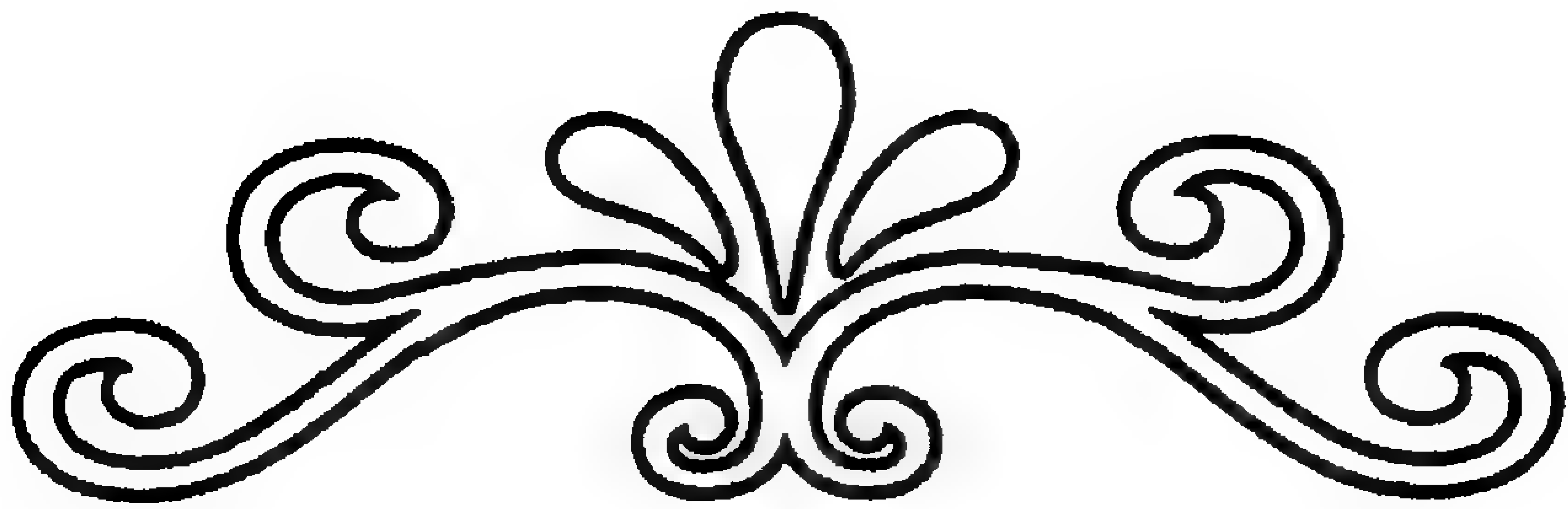
النشاط التعليمي للوحدة الأولى

عزيزي الدارس:

حتى تكتسب المزيد من المعلومات حول الموضوعات الواردة في هذه الوحدة عليك أن تقوم بإنجاز النشاط التعليمي التالي:

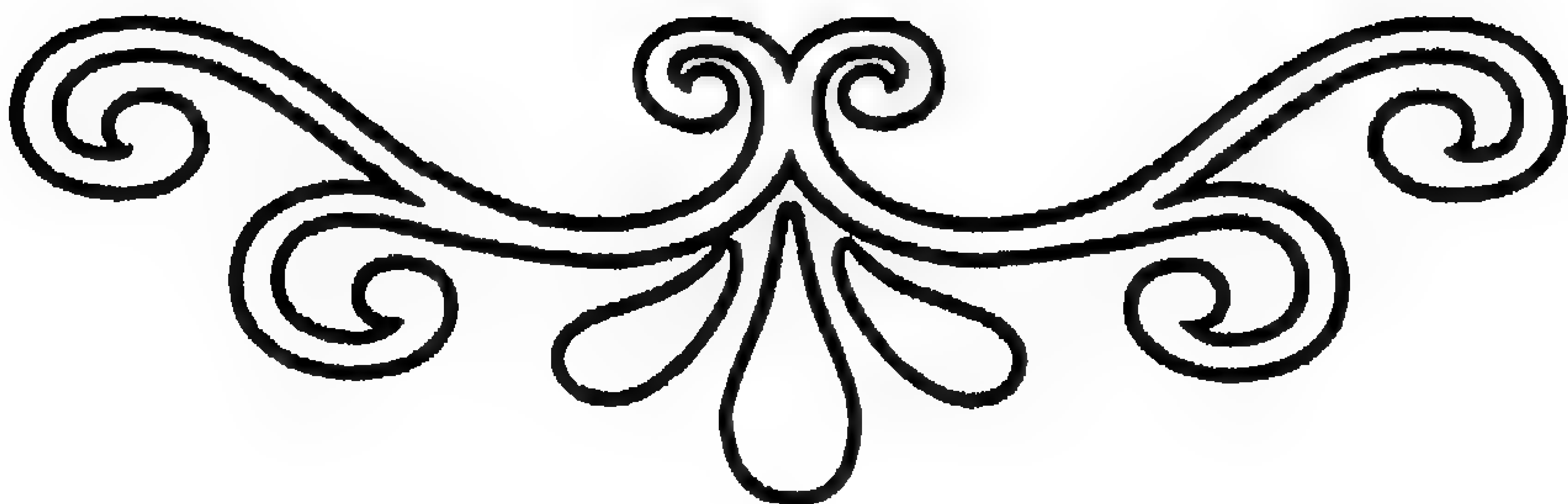
اكتب بحثًا في:

- تعريف مصطلح «المذهب» مبيّنًا أهم صوره وأبرز ميادينه.



الوحدة الثانية

حاجة البشر إلى الدين



محتويات الوحدة الثانية

- أسس الدين الحق.
- عجز الإنسان عن وضع الدين الحق.
- خصائص الإسلام.
- الإسلام وحاجة الإنسانية إليه.
- لماذا فقد الإنسان ثقته في الدين؟
- منهج دراسة الأديان.



أهمية دراسة الوحدة:

عزيزي الدارس: تتحدد أهمية دراسة هذه الوحدة في معرفة أسس الدين الحق الذى لا يستطيع الإنسان الأستغناء عنه وفي نفس الوقت لا يمكن له أن يضع قواعده أو يقيم أركانه، حيث يتميز الدين الحق بخصائص فريدة ومزايا عديدة لا توجد إلا في الإسلام بما تظهر معه حاجة الإنسانية إليه حتي لا تضل ولا تشقي كما تظهر الأسباب التي أفقدت الإنسان ثقته في الأديان وأن تلك الأسباب راجعة إلى الأنسان لا إلى الأديان.

الأهداف التعليمية:



عزيزي الدارس: يُرجى منك بعد دراستك لهذه الوحدة أن تكون قادرًا على أن:

١- تعرِّف أسس الدين الحق.

٢- تُدرك عجز الإنسان عن وضع هذا الدين الحق.

٣- تتعلَّم خصائص الإسلام الدين الحق.

٤- تقف على حاجة البشر إلى الدين الحق.

٥- تُدرك أسباب فقدان الثقة في الأديان.

أسس الدين الحق

يقوم الدين الحق على أسس واضحة يرضاها الذوق السليم ويقبلها العقل الصحيح ولعل أبرز تلك الأسس ما يلي:

الأساس الأول: أن يكون واضعه على علم كامل بحقيقة الإنسان وما فيه من رغبات وانفعالات وأن يحدد الحكمة من خلق الإنسان على الأرض حتى يعرف الإنسان لوجوده هدفًا ولحياته رسالة وبهذا يُحس أن لحياته قيمة ومعنى وأنه ليس مخلوقًا لا يعرف من أين جاء؟ ولماذا جاء؟ وأين المفر؟

الأساس الثاني: أن يكون هذا الدين شاملًا لبني الإنسان دون تفريق بين جنس وجنس، صالحًا لكل زمان ومكان، ملازمًا للإنسان في مختلف مراحل حياته.

الأساس الثالث: أن يكون هذا الدين واقعيًا يراعي واقع الإنسان وواقع الحياة وواقع الكون وينسجم مع طبيعة الإنسان وقوانين الحياة وسنن الكون.

الأساس الرابع: أن يكون هذا الدين واضحًا في كل جوانبه ظاهرًا في جميع تعليماته من حيث أصوله ومصادره ووسائله وأهدافه بعيدًا عن الغموض وعدم الفهم فالإنسان لا يدين إلا بما يعرف ولا يعتقد إلا بما يعلم.

الأساس الخامس: أن لا يكون هذا الدين مبنيًا على الوهم والخيال ولا يصطدم مع العلم الصحيح والعقل السليم.

الأساس السادس: أن يصل إلينا هذا الدين بسند صحيح وطريق سليم، بعيدًا عن التحريف والتبديل، والكذب والتضليل.

عجز الإنسان عن وضع الدين الحق

ولنا أن نتساءل هل يستطيع الإنسان أن يضع هذا الدين؟

نجيب بكل صراحة وثقة:

لا يستطيع الأنسان أن يضع هذا الدين أو أن يقيم هذا المنهج؛ لأن الإنسان بطبيعته يتناقض ويختلف تفكيره من عصر إلى عصر بل في العصر الواحد ومن مكان إلى مكان بل في المكان الواحد فكم رأينا تفكير الإنسان يختلف ويتعارض مع مراحل حياته المختلفة في طفولته وشبابه ورجولته وشيخوخته بل في أوقات فرحه وحزنه وحالات فقره وغناه وساعات هدوئه وإنفعاله.

لذا رأينا جميع أنظمة البشر تتصف بالتناقض نتيجة لقصور واضعيها وتأثرهم ببيئاتهم وعدم إحاطتهم بحقيقة الدين الحق الذى يجب أن يبتعد عن التناقض والتحيز ولا يتوفر هذا إلا لمن خلق وهو اللطيف الخبير.

خصائص الإسلام

لقد يسّر اللطيف الخبير- الذي أحاط بكل شيء علمًا وأحصى كل شيء عددًا- للإنسان- هذا الدين الحق الذي تتوفر فيه كل هذه الأسس وتلك الخصائص وأودعها في رسالة خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ.

وتميزت رسالته بأنها:

أولاً: رسالة إلهية مصدرها الحق تبارك وتعالى وغايتها ربانية لا يبتغي المؤمن بها إلا

رضا الله تبارك وتعالى.

ثانيًا: رسالة تمتاز بتقرير حقوق الإنسان والعمل على سعادته والحيلولة بينه وبين الإنحراف والسقوط.

ثالثًا: رسالة شاملة كاملة تستوعب الزمن كله والحياة كلها والإنسان كله لم تفرط في شيء ولم تقصر في أمر.

رابعًا: رسالة وسطيه بين متطلبات الفرد ومصالح الجماعة وغذاء الروح ومتطلبات الجسد.

خامسًا: رسالة ترفع الحرج ولا تكلف إلا بما يطاق وتراعى الظروف والأحوال وتضع لكل وضع ما يلائمه.

سادسًا: رسالة واضحه تتسم بالنور والبيان وتأبى الغموض والإشكال.

سابعًا: رسالة تجمع بين الثبات والمرونة ففيها مبادىء ثابتة لها تطبيقات مرنه تختلف بأختلاف الزمان والمكان.

ثامنًا: رسالة الوحدة التي تدعو الناس جميعًا إلى كلمة سواء بعيدًا عن الاختلاف والتنازع.

تاسعًا: رسالة الفكر والعقل وطلب العلم على سبيل الإيجاب والفرض لا على سبيل الأستحباب والندب.

عاشرًا: الرسالة التي لا خلاص للبشرية إلا بها ولا صلاح للحياة إلا عليها ولا هداية بدونها.

إن الإسلام ضروري للإنسان ليجيب على تساؤلات عقله وليطمئن في كنفه وليسعد بتوجيهاته والإسلام ضروري للمجتمع لتستقر أموره ويعيش بالحب والأمان والعدل، وحسبنا أن نقول إن الإسلام ضروري للإنسان لإنه يلبى فطرته، فلو قررنا أن الإنسان متدين بفطرته، لكفانا ذلك بيانًا لحتمية الدين وضرورية الإيمان وحاجة الإنسان إليه.

ولعلنا في الصفحات التالية نفصل حاجة الإنسانية إلى الدعوة الإسلامية الدين الحق الذي أرسل به سيدنا محمدًاﷺ.

الإسلام وحاجة الإنسانية إليه

أولاً: إخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد.

ثانيًا: إخراج الإنسان من ضيق الدنيا إلى سعتها.

ثالثًا: تحقيق مصالح العباد.

رابعًا: استبقاء البشرية على قيد الحياة.

خامسًا: هداية الحائرين الباحثين عن السعادة.

سادسًا: الفوز بالجنة والنجاة من النار في الآخرة.

وفيما يلي تفصيل لهذه العناصر:

أولاً: تحرير من شاء من العباد وإخراجه من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد:

إن حاجة الإنسان إلى الحرية مثل حاجته إلى الماء والهواء، وكم استعبدت الإنسان شهواته ورغباته، وكم استذله الطغاة والجباة، وكم كانت أطماعه سببًا في ضياع كرامته.

فما أشقى هذا الإنسان وما أتعسه وهو يخسر نفسه! ويفقد كرامته! حين ذاك نلمس ضرورة الدين وحاجة الإنسان إليه فدعوة التوحيد، لا إله إلا الله، نداء عالمي لتحرير الإنسان من عبودية الإنسان والطبيعة وكل من خلق الله وما خلق الله، إنها ثورة على كل الأصنام التي تعبد من دون الله سواء كانت حجرًا أم شجرًا أم بشرًا، فبهذه الدعوة ترفع الرؤوس وتعلو الهامات ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(1) فلا يليق في ظل هذه الدعوة، ولا ينبغي أن ينحني الرأس لغير الله أبدًا، لا لملك جبار، ولا لحبر من الأحبار، فالله أكبر الله أكبر، تتصاغر أمام عظمته جميع مخلوقاته، فكل عظيم أمام كبريائه حقير، وكل كبير أمام كماله صغير، وكل قوي أمام جبروته ضعيف.

فالدعوة أنفة وعلو نفس، وبهذا صاغت الدعوة الرعيل الأول على يد الداعية الأول سيدنا محمدﷺ، لقد سمع هؤلاء الصحابة مناديًا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنوا، لا تجزعهم مصيبة ولا تبطرهم نعمة ولا يشغلهم فقر ولا يطغيهم غنى ولا تلهيهم تجارة ولا تستخفهم قوة ولا تستعبدهم رغبة، فالدعوة الإيمانية ورسالة التوحيد الخالص الحارس الأمين لكرامة الإنسان وحريته، وما أكثر النماذج الرائعة في ظل هذه الدعوة الخالدة ومنها:

١- ما روي عن أبي موسى قال: انتهينا إلى النجاشي وهو جالس في مجلسه، وعمرو بن العاص عن يمينه، وعمارة عن يساره، والقسيسون جلوس سماطين، وقد قال له عمرو وعمارة: إنهم لا يسجدون لك، فلما انتهينا بدرنا من عنده من القسسين

(1) آل عمران: ١٣٩.

والرهبان: إسجدوا للملك، فقال جعفر: لا نسجد إلا لله.

٢- لما هبط المسلمون المدائن وجمعوا الأقباض أقبل رجل بحق معه، فدفعه إلى صاحب الأقباض، فقال الذين معه: ما رأينا مثل هذا قط، ما يعدله عندنا ولا يقاربه، فقالوا: هل أخذت منه شيئًا؟ قال: أما والله لولا الله ما أتيتكم به، فعرفوا أن للرجل شأنًا فقالوا: من أنت؟ فقال: لا والله لا أخبركم لتحمدوني ولا غيركم ليقرظوني، ولكني أحمد الله وأرض بثوابه، فأتبعوه رجلًا حتى انتهى إلى أصحابه نسأل عنه، فإذا هو عامر بن عبد قيس.

٣- ويروي أن فضالة بن عمير بن الملوح همَّ بقتل رسول الله ﷺ: أفضالة؟ قال: نعم فضالة يا رسول الله! قال: ماذا كنت تحدث به نفسك؟ قال: لا شيء، كنت أذكر الله، فضحك النبي ﷺ ثم قال: استغفر الله، ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه، وكان فضالة يقول: والله ما رفع يده عن صدري حتى ما خلق الله شيئًا أحب إليَّ منه، قال فضالة: فرجعت إلى أهلي فمررت بامرأة كنت أتحدث إليها، فقالت: هلم إلى الحديث، فقلت: يأبى الله عليك والإسلام[1].

٤- روي ابن الجوزي في مناقب عمر رضي الله عنه عن أنس بن مالك رحمة الله قال: كنا عند عمر بن الخطاب- رضوان الله عليه- إذا جاءه رجل من أهل مصر فقال: يا أمير المؤمنين هذا مقام العائذ بك. قال: وما لك؟ قال: أجرى عمرو بن العاص الخيل فأقبلت فرس فلما رآها الناس، قام محمد بن عمرو فقال: فرسي ورب الكعبة، فلما دنا مني عرفته فقلت: فرسي ورب الكعبة، فقام إليَّ يضربني بالسوط ويقول:

---

(١) مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، لابن الجوزي، ص٨٨، ٩٩.

خذها وأنا ابن الأكرمين قال: فو الله ما زاده عمر على أن قال له: اجلس، ثم كتب إلى عمرو، إذا جاءك كتابي هذا فأقبل، وأقبل معك بابنك محمد، قال: فدعا عمرو ابنه فقال: أحدثت حدثًا؟ أجنيت جناية؟ قال: لا، قال: فما بال عمر يكتب فيك؟ قال: فقدم على عمر، قال أنس: فو الله إنا عند عمر، حتى إذا نحن بعمرو وقد أقبل في إزار ورداء، فجعل عمر يلتفت هل يرى ابنه، فإذا هو خلف أبيه، فقال: أين المصري؟ فقال: ها أنا ذا، قال: دونك الدرة فأضرب ابن الأكرمين، اضرب ابن الأكرمين. قال: فضربه حتى أثخنه، ثم قال: أجلها على صلعة عمرو، فوالله ما ضربك إلا بفضل سلطانه، فقال: يا أمير المؤمنين: قد ضربت من ضربني، قال: أما والله لو ضربته ما حلنا بينك وبينه، حتى تكون أنت الذى تدعه، أيا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا، ثم ألتفت إلى المصري، فقال انصرف راشدًا فإن رابك ريب فاكتب إليَّ...

إن الإنسانية كلها بحاجة إلى رسالة التوحيد حتى تعود لتلك الإنسانية حريتها المحرومة، ولا سبيل إلى هذا إلا بتلك المواصفات التي تجلت في الرعيل الأول، وهي:

أ- التماس النور في هذه الرسالة دون غيرها، من فلسفات بشرية ونظم وضعية، جعلت الحياة جسدًا مقروحًا يشكو من كل جزء أوضاعًا وآلامًا، وأعيا الداء الأطباء، وهم لا يعلمون أن منبع الفساد في أصل هذه الشجرة التي غرسوها، وأن سبب الظلام في كسر المشكاة التي أطفئوها وصدق الله القائل: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ

بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[1].

ب- كان الرعيل الأول- بعد معرفتهم بالمنهج الذى أنار طريقه- لا يتهافتون على الوظائف والمناصب تهافت الفراش على الضوء، فإذا تولوا شيئًا عدوه أمانة لا مغنمًا، فالحرية التي منحهم إياها ذلك المنهج انتصروا بها على أنفسهم ومطامعهم ورغباتهم.

ج- أن الناس جميعًا أمام رسالة الله ومنهجه سواء، لا فضل لعربي على أعجمي ولا أبيض على أسود، ولا غني على فقير إلا بالتقوى، فغابت التفرقة العنصرية، والتمييز الغربي، وأضحى الناس جميعًا إخوة كلهم لآدم وآدم من تراب.

ألا ما أروع الدعوة الإسلامية حين تقدم على أساس اعتقاد الإنسان بكرامته على الله ومكانته في الملأ الأعلى ومركزه القيادي في هذا الكون، إن هذا الاعتقاد يشعر الإنسان بذاته، ويغالي بقيمة نفسه لأنه يعتز بانتسابه، إلى الله، وارتباطه بكل ما في الوجود، فيحيا عزيز النفس، عالي الرأس، أبيًا للضيم، عصيًا على الذل والهوان، بعيدًا عن الشعور بالتفاهة والضياع، والعدم والفراغ، وهذا الإحساس الذي يعيش به المؤمن ليس شيئًا هينًا ولا بضاعة مزجاة، إنه كسب كبير ومغنم ضخم للإنسان، كسب له في عالم الشعور والتصور، وفي عالم الواقع والسلوك[2].

ثانيًا: إخراج من شاء من ضيق الدنيا إلى سعتها:

الدين ضرورة ملحة لتصحيح نظرة الإنسان للدنيا وللكون الذي يعيش فيه، إنه

---

(١) الأنعام: ١٢٢.

(٢) الإيمان والحياة: يوسف القرضاوي، ص٦٤.

يهتف ليعلن أن الدنيا ليست نهاية المطاف، فالدنيا مزرعة الآخرة وتعاليم الإسلام وأحكامه دفعت المسلم؛ ليحيى حياته في جهاد واستباق للخيرات، وتنافس في الطاعات، فجعل المسلم عاملًا لا يكل، ومكافحًا لا يمل، يزرع الدنيا بالخير، ويرويها بالصلاح، ويتعهدها بالعلم والمعرفة، ولا يتخذها هزوًا ولعبًا، أو لهوًا وفجورًا، ليجني ثمرة ذلك كله طاعة لربه في الدنيا واستخلافًا له فيها، وتمكينًا لدينه، وطلبًا للأمن وتيسير أسباب السعادة والطمأنينة، وفي الآخرة المثوبة الكاملة والمنزلة العالية والرضا التام وجنات النعيم، والنظر إلى وجهه الكريم.

لإبراز هذه الحقيقة أن نذكر الجوانب التالية:

أولًا: دعوة القرآن إلى أن الدنيا دار إختبار وابتلاء وأنها مرحلة أولى تسبق الآخرة لا تعني إطلاقًا أن هذه الحياة الدنيا شر.

ليس مطلوبًا من الإنسان المؤمن بالله أن يتجاوز الحياة الدنيا ومتعها لدرجة الفرار منها، لأن الفقر والكفر قرينان.

فآدم وحواء في جيلهما الأول وهما يسكنان الجنة، لم يطلب الله- جل شأنه- منهما الامتناع عن الاستمتاع بما فيها من نعيم ومتع مادية، بل على العكس، طلب منهما الاستمتاع كيف شاءا وأنى شاءا إلا شجرة معينة، قال تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1].

وما كان في جنة آدم وحواء من متع مادية، هو كائن في دنيا الابتلاء والاختبار، وسيكون في جنة الآخرة للأبرار، وفي المراحل الثلاث كان هناك حل واضح للاستمتاع

(١) البقرة: ٣٥.

بالمتع المادية، ولكن في عهد آدم وحواء كان مقيدًا بعدم الإسراف والبعد عن المحرمات ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾[1].

أما في الآخرة فليس هناك قيد أو تحديد للاستمتاع بالمتع المادية في الجنة ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾[2].

<u>ثانيًا:</u> لقد فهم الصحابة- رضوان الله عليهم- هذه المعاني القرآنية وطبقوها في حياتهم العملية وبينهم رسول الله ﷺ فلم ينكر عليهم السعي لطلب المعاش، والإستمتاع بالأهل والأولاد، وتعلم الصحابة على يد رسول الله ﷺ أن كل واحد منهم لربه عليه حقًا ولأهله عليه حقًا، ولولده عليه حقًا، ولنفسه وبدنه عليه حقًا، ولضيوفه وزواره وقرابته عليه حقًا، فليؤد كل ذي حق حقه بلا إسراف أو تقتير، أو إفراط أو تفريط.

بل من العجيب أن نقرأ ترجمة وسيرة العشرة الذين بشرهم رسول الله ﷺ بالجنة فنجدهم أصحاب ثروات طائلة وأموال ضخمة، لم تحل دون تبشيرهم بالجنة، ويوم أن هاجر المسلمون من مكة إلى المدينة، لم يرضوا أن يكونوا عالة على إخوانهم الأنصار، بل

(١) الأعراف: ٣١-٣٣.

(٢) المرسلات: ٤٣.

تأثروا بروح الإسلام التي يحي بها المسلم عزيز النفس، فانطلقوا إلى الأسواق، وأحدثوا انقلابًا في موازين الحياة في المدينة ودانت لهم السيطرة الكاملة، والهيمنة التامة على مقاليد الأمور فيها.

وكما أن الدين خروج من ضيق الدنيا إلى سعتها، فهو يقرر- كذلك- أن الدنيا ليست الإنسان فقط، فالدنيا واسعة تشمل الإنسان وغيره، والدعوة الإسلامية شاملة عامة عالمية، وهي رحمة للعالمين، لقد أتسعت الدعوة بأتساع هذه الدنيا كلها، فالحاجة إلى الدين ليست مقصورة على الإنسان فقط؛ بل يحتاجها الزمان والمكان والنبات والحيوان، كما يحتاجها الإنسان.

ففي شأن الزمان نهى الإسلام عن سب الدهر ولعن الزمان، وإلقاء اللوم على حوادث الأيام، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «قَالَ الله يَسُبُّ بَنُو آدَمَ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ بِيَدِي اللَّيْلُ وَ النَّهَارُ» متفق عليه.

وعن أبي هريرة أيضًا عن النبي ﷺ: «ولا تَقُولُوا خَيْبَةَ الدَّهْرِ فَإِنَّ الله هُوَ الدَّهْرُ» متفق عليه، فالله تعالى خالق الدهر وما يقع فيه من حوادث، بيده الأمر يقلب الليل والنهار فلا يليق ولا ينبغي للإنسان الإساءة إلى زمانه وليعتبر بأعماله.

وفي شأن المكان قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾[1] وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «اتَّقُوا اللَّعَّانَيْنِ» الحاملين والمتسببين في اللعن «الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ» يؤذيهم ببوله وبرازه «أَوْ فِي ظِلِّهِمْ» وعن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمَالُ أُمَّتِي حَسَنُهَا وَ سَيِّئُهَا فَوَجَدْتُ فِي مَحَاسِنِ

(١) الأعراف: ٥٦.

أَعْمَالِهَا الأَذَى يُمَاطُ عَنْ الطَّرِيقِ وَوَجَدْتُ فِي مَسَاوِي أَعْمَالِهَا النُّخَاعَةَ «البزقة» تَكُونُ فِي الْمَسْجِدِ لا تُدْفَنُ» رواهما مسلم، وفي حديث أبي هريرة «وَ تُمِيطُ الأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ» متفق عليه.

وفي شأن النبات: عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ غَرَسَ غَرْسًا فَأَكَلَ مِنْهُ إِنْسَانٌ أَوْ دَابَّةٌ إِلا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ» متفق عليه، وعن سعيد بن زين ﷺ عن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيْتَةً فَهِيَ لَهُ» رواه الثلاثة وحسنه الترمذي، وعند مسلم عن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لاَ يَغْرِسُ مُسْلِمٌ غَرْسًا وَلاَ يَزْرَعُ زَرْعًا فَيَأْكُلَ مِنْهُ إِنْسَانٌ وَلاَ دَابَّةٌ وَلاَ شَيْءٌ إِلا كَانَتْ لَهُ صَدَقَةٌ» وفي مسند الإمام أحمد بسند صحيح عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنْ قَامَتْ عَلَى أَحَدِكُمْ الْقِيَامَةُ وَفِي يَدِهِ فَسْلَةٌ «النخلة الصغيرة» فَلْيَغْرِسْها».

وفي شأن الحيوان عن ابن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «عُذِّبَتْ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ حَبَسَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ جُوعًا فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ قَالَ فَقَالَ وَ الله أَعْلَمُ لاَ أَنْتِ أَطْعَمْتِهَا وَلا سَقَيْتِهَا حِينَ حَبَسْتِيهَا وَلاَ أَنْتِ أَرْسَلْتِهَا فَأَكَلَتْ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ» متفق عليه، وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَنَزَلَ بِئْرًا فَشَرِبَ مِنْهَا ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنْ الْعَطَشِ فَقَالَ لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلُ الَّذِي بَلَغَ بِي فَمَلأَ خُفَّهُ ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ ثُمَّ رَقِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ فَشَكَرَ الله لَهُ قَالُوا يَا رَسُولَ اللهَّ وَإِنَّ لنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا قَالَ فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ» متفق عليه.

وفي شأن الإنسان: عن عبد الرحمن بن أبي ليلي قال: «كان سهل بن حنيف وقيس بن سعد قاعدين بالقادسية فمروا عليهما بجنازة فقاما، فقيل لهما: إنهما من أهل الأرض، أي: من أهل الذمة، فقالا: إن النبي ﷺ مرت به جنازة فقام فقيل له: إنها جنازة يهودي فقال: «أَلَيْسَتْ نَفْسًا» متفق عليه.

ليس هناك أوسع من صدر المؤمن الذي يعيش بهذا الدين، فقد وسع صدره وقلبه للعالمين: الوجود المحدث الفاني، والوجود الأزلي الأبدي.

وليس هناك أضيق من صدر الملحد والشاك في الله والآخرة..

إن حياته أضيق من سجن، إنه يعيش معزولًا عن الأزل والأبد عن الأمس والغد، لا يعرف إلا يومه، ولا يعرف من يومه إلا لذاته المحسة وهو يعيش معزولًا عن الوجود العريض.

فالقلب يتسع وينفسح وينشرح بنور الإيمان واليقين، كما يضيق وينكمش بظلمة الإلحاد والشك والنفاق ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[1].

الدين ضرورة لكشف الحقائق بعد أن انحصرت همة إنسان في رغباته وشهواته وماديته، وتبجح أصحاب الحضارة المادية فأشاعوا أن مفهوم الروحية يتصل بمفهوم التخلف والرجعية، ومفهوم المادية ينطوي تحت التقدم والتطور، فهل الروحية صورة من صور الرجعية أو عامل دافع إلى الانتكاس إلى نحو الوراء والطفولة البشرية؟ وهل المادية صورة من صور التقدم أو عامل من عوامل الدفع نحو الأمام أو نحو الرشد الإنساني؟ الجواب: الروحية في أصل وضعها نسبة إلى الروح، وهي الموجود الذي يدرك بالتصور ولا يدرك على سبيل الاستقلال بالحواس.

والمادية في أصل وضعها أيضًا نسبة إلى المادة وهي الموجود الذي يدرك بإحدى

(١) الأنعام: ١٢٥.

الحواس. ثم تطور مفهوم الروحية فشمل المثُل والقيم والمبادىء والدين نفسه، لأنه جملة من المثُل والقيم والمبادىء، ولأن مصدره وهو الوحي الإلهي لا يدرك بالحواس.

وتطور أيضًا مفهوم المادية وأصبح يتناول ما خضع لتجربة الإنسان وملاحظته، وبهذا التطور لمفهومي الروحية والمادية اتسع التقابل بينهما، واتسعت الفجوة في التوجيه القائم عليهما، وإذا عرف أن أخص مظاهر الطفولة في الإنسان هو الارتباط بالمشخص والمحس، والعقلية المادية تحكي عقلية الطفولة البشرية في الإدراك، والطفل الصغير هو أناني أيضًا بحكم مراحل تطوره، والإنسان البالغ صاحب الرشد الإنساني هو الذي يدرك القيم والمثُل والمبادىء، وهو الذي يسعى إليها، والعقلية الروحية تحكى عقلية الرشد الإنساني في الإدراك، والإنسان الرشيد إنسان لا يقف عند حد المحس بل تجاوز هذا الحد الحسي إلى حد أرقي منه وأعظم. إذا تقرر هذا فإننا نجد دعوة الروحية ليست دعوة إلى الانتكاس، وليست دفعًا بالإنسان إلى الوراء، وهي مرحلة الطفولة الإنسانية، بل هي دفع إلى الأمام إلى رشد الإنسان وكماله.

كما نجد دعوة المادية ليست دعوة إلى التقدم والتطور بل على العكس هي دعوة إلى الطفولة البشرية، دعوة إلى الحيوانية في الإنسان، ودعوة إلى إهمال الخصيصة التي تميزه عن الحيوان وهي مستوى الإنسانية باعتبارها قيمة لا تحس، وإذن ما توصف به الروحية من أنها رجعية وما توصف به المادية من أنها تقدمية أغفل تاريخ كل منهما وحدد مفهوم كليهما من رغبات خاصة، ويحول عن توجيه صحيح لمجتمع يريد أن ينهض أو يستمر في النهوض.

القرآن الكريم يزيد هذه القضية وضوحًا وبيانًا حين يقرر ما يلي:

أولاً: إن المادية أو الوثنية ظاهرة موجودة قديمًا وحديثًا إلى قيام الساعة، ومن ينتظر زوال الطفولة البشرية في الإدراك من المجتمع الإنساني هو أشبه بمن ينتظر زوال المرض كلية، أو زوال الفقر والحاجة إلى غير عودة، أو زوال الأنانية والإنتهازية والنفاق والجبن، إلى ذلك من الصفات التي يدل زوالها على السلامة التامة والكمال في الإنسانية. قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾﴾[(١)].

وفي هذا: إشارة إلى أن الواقع في حياة البشرية تحكمه خصائص الطبائع ومن بينها تفاوت الناس في مستويات الإدراك، ودرجاته؛ ولذا لا يكون الناس جميعًا مؤمنين بالله كما لا يكونون جميعًا كافرين به، ولا كلهم كذلك أصحاب روح جماعية في سلوكهم، ولا أيضًا أنانيين في السلوك؛ ولذا فالرسول: الداعي إلى الحق ﷺ قال: لا يستطيع وليس من حقه كذلك أن ينتظر أن يحمل جميع الناس على الإيمان بالله، كما أن الآية إشارة إلى الكفر لا يكون إلا من نصيب المادي في تفكيره الذي لم يتجاوز حد الطفولة في الإدراك ولم يصل بعد إلى مرحلة العقل والرشد الإنساني.

ثانيًا: المادية أو الوثنية في قديمها وحاضرها تعبر عن أمرين:

- عن مادية الإيمان.
- ثم عن الإيمان بالخرافة فيما هو مادي.

(١) يونس: ٩٩ -١٠٠.

فليست الوثنية إلا الاعتقاد فيما ينفع بغية الحصول على نفع منه أو فيما يضر اتقاء ضرره، فالوثنية المصرية القديمة والفارسية والإغريقية والكنيسة الرومانية وغلاة الشيعة وبعض النظم السياسية المعاصرة المادية كل منها تنبيء عن الاعتقاد في موجود مادي له قداسة المعبود، وأنه موضع الرجاء والأمل أو موضع الخشية والخوف لدى من يعبده ويقدسه وهو ذلك الإنسان صاحب الاتجاه المادي في الإيمان. ومظاهر المادية في الإيمان بالله على عهد الرسالات تعود جميعًا إلى مطلوبات تلمس وتشاهد، يطلبها المعارضون الماديون كوسيلة في رأيهم إلى الاقتناع بأتباع الدين فهؤلاء المعارضون يطلبون:

١- رؤية الله جهرة.

٢- الحديث مع الله مشافهة.

٣- إنزال الملائكة إلى الأرض.

٤- تفجير المياه في الصحراء.

٥- إنشاء الحدائق في الفيافي القفر تخللها القنوات والأنهار.

٦- استبدال الذي هو أدنى من الطعام بالذي هو خير.

٧- الصعود إلى السماء وتوثيق هذا الصعود في كتاب يقرأ.

٨- تنفيذ الوعيد بإسقاط السماء كسفًا وقطعًا على المعارضين!

والقرآن الكريم يقص في قصص الرسل ما تعرضوا له من أصحاب الاتجاه المادي في الإيمان من إنكار وتعنت وتحد فيما طلبوه من أمور ترجع إلى الحس وحده.

ثالثاً: يقرر القرآن الكريم أن للماديين في حياتهم ظواهر معينة ومظاهر خاصة منها:

الشرك بالله والنفرة من سماع دعوة الواحدة في الألوهية، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾[1].

الإعتزاز بالقوة المادية في المال والأولاد والأعداد، نقرأ في قول الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾[2].

تقويم الناس على أساس الثراء والجاه والعصبية والقوة المادية، وما جاء في سورة الزخرف من قصة فرعون مع موسى عليه السلام يعطي ما للمتع الحسية والقوة المادية لدى صاحب الاتجاه المادي من أثر في تقويم الناس، نقرأ قول الله تعالى في هذه السورة: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ﴾[3]. وقوله تعالى: ﴿ وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾[4]، وقوله: ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ

(١) الزمر: ٤٥.

(٢) سبأ: ٣٤-٣٥.

(٣) الزخرف: ٤٦-٤٨.

(٤) الزخرف: ٤٨-٤٩.

ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾﴾[1]. وقوله: ﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾﴾[2]. وقوله: ﴿فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾﴾[3]. فهذه الآيات تحمل خمس مراحل في تطور علاقة موسى عليه السلام كرسول أرسله الله إلى فرعون وملئه كمجموعة تمكن من نفوسهم حب المتع الدنيوية وأعطيت من أسباب القوة المادية: المال والرجال والجاه والملك والسلطان، وبذلك لا ترى في التقويم للبشر سوى ما تملك هي من مصادر القوة والإعتزاز.

السخرية من المؤمنين والضعفاء مهما كان شأنهم وكانت قيمتهم في ذواتهم، قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[4].

إنكار البعث والآخرة كلية بما فيها من جزاء وجنة ونار، قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾[5]. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ

(١) الزخرف: ٥٠ - ٥١.
(٢) الزخرف: ٥٢.
(٣) الزخرف: ٥٣-٥٤.
(٤) البقرة: ٢١٢.
(٥) الجاثية: ٢١-٢٤.

لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾﴾[1]. ﴿فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾﴾[2].

رابعًا: إن وجود الاتجاه المادي في ذاته لا يخلو مجتمع بشري منه لكن هذا الاتجاه تتصل به ثلاث مراحل:

- مرحلة وجوده وقابليته للتوسع.
- مرحلة انتشاره وتوسعه بالفعل.
- مرحلة سقوط المجتمع الذي تمكن منه هذا الاتجاه في حياة أفراده.

فعن المرحلة الأولى نقرأ قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾[3].

وعن المرحلة الثانية نقرأ قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾﴾[4]، ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾[5].

وعن المرحلة الثالثة نقرأ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا

(١) النمل: ٤.
(٢) النحل: ٢٢.
(٣) الأنعام: ١٢٣.
(٤) هود: ١١٦.
(٥) هود: ١١٦.

فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾[1]. ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾[2].

فإرادة الله هي ذلك القانون الاجتماعي الذي لا تنفك نتائجه عن مقدماته بحال والمقدمات في هذا القانون هي:

اتباع أصحاب الاتجاه المادي ما أترفوا فيه كالفسق والفجور والظلم والإجرام والإعتداء على العقيدة والمال والنفس والعقل والعرض، هذا الاعتقاد الذي هو في حقيقته اعتداء على مقومات المجتمع والأمة وليس جريمة فردية، فإذا تولى المترفون أمر المجتمع زاد فسقهم وإجرامهم وظلمهم.

أما النتائج الضرورية في ارتباطها بهذه المقدمات فهي تدمير المجتمع وسقوطه ولا راد لذلك بحال (فحق عليها القول). والمفهوم المخالف لهذا القانون الاجتماعي هو أن المجتمع إذا نأى بنفسه عن طغيان الاتجاه المادي واتبع هداية الله في سلوك أفراده وأخضع العلاقات فيه إلى العدل والتعاون والمحبة والإحسان فإنه باق لا يتغير وقد صاغت آية أخرى مفهوم المخالفة هذا في قانون مقابل ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾﴾[3]. والمجتمع الإنساني- أي مجتمع إنساني- هو في وجوده في وضع أختبار إما إلى بقاء وإما إلى فناء ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ

---

(١) الإسراء: ١٦.

(٢) الروم: ٤٧.

(٣) هود: ١١٧.

مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لِنَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾[1]. وليست هناك حاجة إلى مزيد في تأكيد هذا الشأن للمجتمع البشرى، وعلى من يشك عليه أن يراجع التاريخ ﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ وَعَمَرُوهَآ أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١٠﴾﴾[2].

فالدين ضروري- إذن- حتى يعتقد الإنسان أن حياته لها جذور بأبيه آدم، وأن له بعد موته وجودًا، وأن حياته لا تنتهي بالقبر، وأن له صلة بهذا الكون الكبير، وأن المادية التي توهمها هي الحياة ما هي إلا طفولة بشرية لا تليق بخليفة الله في الأرض فالدنيا أوسع من المادية والأنانية والعبودية للرغبات البهيمية.

تحقيق مصالح العباد:

ليست الدعوة الإسلامية دعوة خيالية، إنها دعوة تعترف بالواقع، ولا تصطدم مع المصلحة وفي الحديث الصحيح «إحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز» ومن يتأمل شريعة الله تعالى إلى عباده، ومقاصدها التي من أجلها وضعت يدرك بما لا يدع مجالًا للشك أن الشريعة وضعت من أجل مصلحة العباد، وتلك المصلحة، منها ما هو ضروري، ومنها ما هو حاجي، ومنها ما هو تحسيني، راعت الشريعة المصلحة بدرجاتها الثلاث، إلا أنها قدمت الضروري أولاً، ثم الحاجي ثانيًا، ثم التحسيني ثالثًا،

(١) يونس: ١٤.
(٢) الروم: ٩-١٠.

فالإنسان- مثلًا- لابد له من مسكن يحميه من حر الشمس وعوارض الجو، فالمسكن بالنسبة له ضرورة، أيًا كان طبيعته، ثم نراه يحتاج في سكنه إلى ما يرفع عنه المشقة والحرج من باب وفرش ونحوها، وأخيرًا فلا شك أن تحسين المكان بطلاء وأرضيات وغير ذلك من مظاهر التجميل أمر مرغوب فيه. فإذا كان مطلوبًا من الإنسان أن يبحث أولاً عن مسكن لضرورته فعليه ثانيًا أن يوفر متطلبات هذا المسكن، وأخيرًا يبحث في عملية التجميل، وليس معقولًا أن يوفر لنفسه الأثاث وهو عاجز عن توفير المكان، أو أن يشترى الدهانات وهو لا يقدر على إيجاد مسكن، أو يشترى أزرار الثوب وهو بعد لم يشترِ القماش الذى يصنع منه الثوب، هذا مثال في الحياة العملية، أما في مسائل التشريع فإن الإسلام حدد ضرورات الشرع في خمس قضايا: الدين والنفس والعقل والمال والعرض. وربط بتلك القضايا الحاجات المتعلقة بها، ووضع الإسلام الرخص لرفع الحرج عن الأمة، ثم أهتم الإسلام بالأمور التحسينية التي تعين على تحقيق تلك المصالح الضرورية والحاجية. وجعل الإسلام لتلك المصالح وسائل إيجاد، ووسائل حفظ، وهذا باب عظيم من أبواب أصول الفقه ينبغي على المسلم تعلمه والإستفادة منه في حياته.

تأمل- مثلًا- فريضة الصلاة: إنها عمود الإسلام وعماد الدين، فمن الضرورى إقامتها فهي صلة بين العبد وربه، وهي تنهي عن الفحشاء والمنكر وثمراتها عديدة. لكن قد تطرأ على الإنسان عوارض من سفر أو مرض أو عجز ونحو ذلك. فهل يترك الإنسان المسلم الصلاة؟ الجواب: من رحمة الله تعالى بعباده أنه رفع عن الأمة الحرج في الدين، فرخص في السفر قصر الصلاة الرباعية إلى ركعتين فقط، وأباح الجمع بين الصلاتين كالظهر والعصر والمغرب والعشاء بما لا يتعارض مع مصلحة المسافر،

والمريض والعاجز عن القيام يصلي قاعدًا، فإن لم يستطع فمستلقيًا، لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها! ثم تأتي عملية التحسين بما شرعه الله من طهارة ونظافة، فالله تعالى لا يقبل صلاة بغير طهور، والله يحب التوابين ويحب المتطهرين، فإن عجز الإنسان عن استعمال الماء أو فقده، فيكفيه أم يضرب بيديه على وجه الأرض من تراب طاهر وبكل طاهر من جنس الأرض كرمل ونحوه، فإن فقد الماء والتراب صلى ولا إعادة عليه. وعلى الأمة أن تراعي ما يتعلق بمصالحها الدينية فتقدمه على غيره؛ لأن الدين مصدر عزة الأمة ومنبع قوتها وأساس نهضتها والحافظ لمصالحها، وعلى الأمة كذلك إن تهتم بأفرادها- حيلة ومعيشة- لأن الحفاظ على النوع الإنساني ضروري لاستبقاء الحياة، والأجسام السليمة تنهض بأعبائها، والقوة والعافية بوابة السلام وحصن الأمان، وصحة الأبدان عنوان حضارة الأمة ودليل عزها، وعلى الأمة أن تهتم بعقول أفرادها علمًا وتعلمًا، والعقول السليمة في الأجسام الصحيحة، ولا مكان للأمم الجاهلة في تاريخ الحضارات الإنسانية، ولا بقاء لأمة جاهلة لا تحرص على الأخذ بأسباب العلم والمعرفة، كما على الأمة أن تعنى بالمال إيجادًا واكتسابًا، ووقاية وحفظًا، فتوفر لأبنائها سبل العمل وطرق الكسب المشروع، وأن تصون أموالهم وتحفظ مدخراتهم، وأن تحارب الغش والنصب ومظاهر الابتزاز والاحتيال، وأخيرًا فمن الضروري رعاية الأعراض ومظاهر العفة، بتشجيع الزواج ومحاربة الفاحشة حتى تسلم الأمة من الهلاك، وبهذا تقدم الأمة الأهم على غيره، ويقدم أفرادها الضروري على ما سواه، تدرجًا يصل إلى تحقيق المصلحة للجميع. حين تقدم الدعوة- كضرورة بشرية- يتمتع فيها كل فرد بحريته الدينية وحقوقه الإنسانية، فالدعوة ليست عرضًا لفكرة أو إكراهًا لأحد ولو كان مشركًا وإنما هي تبليغ للحق- لكلام الله- ثم يختار الإنسان ما شاء ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ

بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾[1] نحن لا نعيش وحدنا فهناك آخرون غيرنا، والإسلام لا يحترم الإكراه بل يرفضه وينبذه، فالدعوة ضرورة لكي يعيش الإنسان في ظلالها آمنًا على عقله وعرضه وماله ونفسه، متمتعًا بحريته الدينية. بقي أن يفهم كل شخص أنه في ظل هذه الدعوة كامل الحرية في عقيدته بشرط أن لا يكون خصمًا للإسلام أو عدوًا للنبي ﷺ أو عقبة في طريق الدعوة إلى الله، وبذلك يحرم على أي فرد أن يلحق به أذى في بدنه أو عقله أو ماله أو عرضه، إن شريعة الله كلها مصالح وحيثما وجدت المصلحة فثمَّ شرعة الله الخالق، وهو وحده يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير. فما أحوج البشرية لهذه الدعوة الإسلامية بما تحققه من مصالح للبلاد وللعباد.

استبقاء البشرية على قيد الحياة:

تبدو أهمية الدين في الحفاظ على الوجود، والإبقاء على الحياة فالدين حصن من الهلاك، ونجاة من الدمار؛ لأنه ترغيب في الصلاح، وترهيب من الغفلة والضياع، وصدق الله القائل: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾﴾[2]، ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾[3] ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾﴾[4] ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم

(١) التوبة: ٦.

(٢) هود: ١١٧.

(٣) القصص: ٥٨-٥٩.

(٤) الأنعام: ١٣١.

مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾﴾ (1)، ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ (2). فالدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإستقامة على منهج الله تعالى طريق البقاء، كما أن الدعوة إلى الظلم والفساد، والجحود والعناد، والكفر والإلحاد سبيل الفناء، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾ (3). وحتى لا يغتر الإنسان بالإمهال، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾﴾ (4)، ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾﴾ (5)، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ (6)، ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾﴾ (7)، وفي الحديث «أعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك». فالله تعالى لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، له صفات الجلال والكمال من القوة والجبروت، والشدة والملكوت، والعزة والقهر والوعيد، أعذر عباده بإرسال رسله، وحذر اللاحقين بعقوبة السابقين، وتوعد العاصين بالآيات التي قصم بها ظهور الجبابرة: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ

(1) الكهف: ٥٩.

(2) النور: ٦٣.

(3) الأعراف: ١٦٤-١٦٥.

(4) إبراهيم: ٤٢.

(5) مريم: ٨٤.

(6) النساء: ١.

(7) البروج: ٩.

ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخۡرَ بِٱلۡوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرۡعَوۡنَ ذِي ٱلۡأَوۡتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ﴿١٤﴾﴾ (1)، ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيۡكَۖ مِنۡهَا قَآئِمٞ وَحَصِيدٞ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡۖ فَمَآ أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ لَّمَّا جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَمَا زَادُوهُمۡ غَيۡرَ تَتۡبِيبٖ ﴿١٠١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ (2). يقول الله تعالى للحبيب النبي ﷺ ألم تر كيف فعل ربك بعاد قوم هود، وكانوا متمردين عتاة جبارين خارجين عن طاعة الله مكذبين، وكانوا أشد الناس في زمانهم خلقة وأقواهم بطشًا، فاستكبروا في الأرض بغير الحق، وقالوا من أشد منا قوة؟ أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة، وكانوا بآياتنا يجحدون؟ وكيف كانت عاقبة ثمود قوم صالح. الذين كانوا يقطعون الصخر، وينحتونها بيوتًا فارهين؟ وماذا فعل بفرعون وجنوده الذين يشدون له أمره، ويسعون في الأرض فسادًا وطغيانًا؟ لقد أنزل الله عليهم عذابه، وأحل بهم عقوبة لا يردها عن القوم المجرمين، فهو سبحانه بالمرصاد لمن يعصيه، ثم يأخذه أخذ عزيز مقتدر. إن تلك الأمم السابقة ما كان لرسول الله ﷺ من علم بأخبارها ولا قومه من قبيل الوحي بها، وبعض آثار هذه الأمم قائم باق، يشهد بما بلغ أهله من القوة والعمران، كبقايا عاد في الأحقاف جنوب الجزيرة العربية، وبقايا ثمود في الحجر شمال الحجاز، وبعض هذه الأمم حصيد، اجتث من فوق الأرض كما حل بقوم نوح وقوم لوط، والأقوام كحقول النبات، غرس منها يزكو، وغرس منها خبيث، غرس منها ينمو، وغرس منها يموت، وما ظلمهم الله بهلاكهم ولكن ظلموا أنفسهم وعطلوا مداركهم،

(١) الفجر: ٦-١٤.

(٢) هود: ١٠٠-١٠٢.

وكذبوا رسل ربهم، فما أغنت عنهم آلهتهم المفتراه من دون الله من شيء، بل زادوهم خسارًا ودمارًا، بمثل هذا الدمار- الذي أهلك الله به الأمم السابقة المكذبة، نفعل بأشباهها، إن أخذه أليم شديد بعد الإمهال والإعذار، والله تعالى حين يقص على عبادة قصص السابقين، فتلك رحمة منه وفضل، وتهديد ووعيد، فهو يرحم خلقه حين يبين على لسان رسوله ما جرى بين الرسل السابقين وأقوامهم؛ حتى نكون جميعًا على بينة، وفي نفس الوقت تهديد بأنه يصيبنا ما أصابهم إن تخلقنا بأخلاقهم، وساعتها لا نلوم إلا أنفسنا، وقد ذكر أن من مظاهر بطشه وجبروته ما أصاب به السابقين من ذلك ما ذكره بأن قوم نوح ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾[1]، وما نزل بعاد قوم هود ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[2]، وما نزل بثمود قوم صالح ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[3]، وما نزل بفرعون ﴿ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ ﴾[4]، هذا قليل من كثير قصه الله علينا في كتابه عن انتقامه من أعدائه، وأنه يأخذهم بذنوبهم، ويهلكهم بجرائمهم، فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم.

هداية الحائرين الباحثين عن السعادة:

لا تقف الرسالة الإسلامية عند تحرير الإنسان وإخراجه من عبادة العباد إلى عبادة

---

(١) الأعراف: ٦٤.

(٢) فصلت: ١٦.

(٣) فصلت: ١٧.

(٤) الإسراء: ١٠٣.

رب العباد ولا تنتهي أن تأخذ بيد الإنسان من ضيق الدنيا إلى سعتها، ولا تجد في تحقيق مصالح العباد أو الحافظ على الإنسانية من الهلاك ما يبرز أهميتها؛ بل تريد من الإنسان أن يعرف طريق السعادة في النعيم المادي؟ في الغنى وإشباع الرغبات المادية من شهوة ومأكل ومشرب وملبس ومسكن ومركب مع كماليات متنوعة؟

العجيب أن الإنسان الذي أصاب نعيمًا ماديًا لا حدود له يعاني التعاسة والقلق والتوتر والأمراض النفسية بل أكثر جمعيات الانتحار أو التخلص من الحياة منتشرة في تلك البلاد التي يرتفع فيها مستوى المعيشة في شمال أوروبا في السويد وغيرها، وفي أمريكا الشمالية، ففي عام ١٩٨١م أصدرت جمعية بريطانية تضم أكثر من ثمانية آلاف عضو دليلًا يحوي وصفات عديدة للإنتحار، وهو واحد من عدة أدلة بدأت تنتشر في أوروبا وأمريكا مع أنتشار جمعيات تشجيع الإنتحار.. ولا عجب فإن محب الدنيا على هذا النحو الضيق لا ينفك عن ثلاث: هم لازم وتعب دائم وحسرة لا تنقضي. هل السعادة في الأولاد؟ إن الأولاد زينة الحياة الدنيا وهم- لا شك- نعمة إذا صلحوا؛ لكن ما حيلة الذين حرموا الأولاد. أيحرمون السعادة ويتجرعون التعاسة؟ وهل الأولاد في كل حال نعمة؟ كم من أولاد أذاقوا آباءهم العذاب وفيهم يقول القائل:

غذوتك مولودًا وعلتك يافعًا ... تعل بما أسدي إليك وتنهل

إذا ليلة نابتك بالشجو لم أبت ... لبلواك إلا ساهرًا أتململ

فلما بلغت السن والغاية التي ... إليها مدى ما كنت فيك أؤمل

جعلت جزائي غلظة وفظاظة ... كأنك أنت المنعم المتفضل

هل السعادة في العلم التجريبي؟ الذي قرب للإنسان البعيد، وذلل له الصعب

وأغراه بأنه قادر على كل شيء، ولا حاجة له برب يعبده ورازق يشكره؟!

يجيب الغربيون على هذا بقولهم: «إن إتجاه المجتمع إذاء البحث العلمي من الناحية التكنولوجية ينتمي إلى عصر الفضاء، ولكنه من الناحية التربوية لم يكد يتخطى عصر الحصان والعربة». لم تستطع جميع اكتشافات الغرب أن تكفكف دمعة واحدة ولا خلق ابتسامة واحدة بل أوصلت الإنسان إلى درجة اليأس والإحباط والحيرة والشك!!! فالعلم- وحده- لا يقدر على أن يفهم سر الحياة وغاية الوجود؟ ويجعل صاحبه يردد ما قاله شاعر المهجر اللبناني إيليا أبو ماضي (١٨٨٩هـ-١٩٥٧م) في قصيدته الطلاسم:

جئت لا أعلم من أين ولكني أتيت
ولقد أبصرت قدامي طريقًا فمشيت
وسأبقى سائرًا إن شئت هذا أم أبيت
كيف جئت كيف أبصرت طريقي

لست أدري يقول الفرنسي أرنست رينان (١٨٢٣هـ-١٨٩٢م): إن من الممكن أن يضمحل كل شيء نحبه، وأن تبطل حرية إستعمال العقل والعلم والصناعة، ولكن يستحيل أن ينمحى التدين، بل سيبقي حجة ناطقة على بطلان المذهب المادي الذي يريد أن يحصر الإنسان في المضايق الدنيئة للحياة الأرضية. أليس الدين ضروري لهداية الحائرين؟ وإرشاد الضالين؟ وإدخال السعادة على الأشقياء المحرومين؟ لقد فجرت الدعوة إلى الإيمان في قلب الإنسان ينابيع السعادة على النحو التالي[1].

---

(١) الإيمان والحياة: د. يوسف القرضاوى، ص٦٩-١٦٥.

أ- سكينة النفس: طمأنينة القلب نتيجة طبيعية للاستجابة لنداء الفطرة ودعوة الحق، ففي القلب شعث لا يلمه إلا الإقبال على الله، وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأنس بالله وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفة الله ورضاه عنه وقربه منه وفيه قلق لا يزيله إلا الفرار إلى الله، وفيه نيران لا يطفئها إلا الرضا بقضائه وقدره وفيه فاقة لا يسدها إلا محبته والإنابة إليه ودوام ذكره وصدق الإخلاص له، ولو أعطي الدنيا وما فيها لا تسد تلك الفاقة أبدًا. ومهمة الدين هي الرجوع إلى تلك الفكرة في نقائها وصفائها بعيدًا عن صدأ الشبهات أو غبار الشهوات. مهمة الدين هي تبصير الإنسان بسر وجوده فيدرك أن الله خلقه بيده ونفخ فيه من روحه وجعله خليفة في أرضه ليعبده وسخر له سمواته وأرضه وأسبغ عليه نعمة ظاهرة وباطنة وجعل له أجلًا لا يتقدمه ولا يتأخره في هذه الحياة الدنيا، وأعد له في الآخرة ثوابًا إن أطاعه وعقابًا إن عصاه. في الدين يصل المؤمن إلى درجة اليقين وتتجلى له حقائق الوجود، فلا تعتريه حيرة، ولا تصيبه ريبة، لأنه على الحق المبين والصراط المستقيم، في الدعوة استراح المؤمن من تشتت الغايات، فقد حصر الغايات كلها في غاية واحدة هي رضا الله تعالى وعبادته. ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٩﴾[1]. وما أجمل قول القائل:

فليتك تحلو والحياة مريرة ... وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامر ... وبيني وبين العالمين خراب
إذا صح منك الود فالكل هين ... وكل الذي فوق التراب تراب

(١) الزمر: ٢٩.

بالإيمان لا يشعر المؤمن بالوحدة لأنه في معية الله تعالى دائمًا، كيف يشعر بالوحدة من يقرأ كتاب الدعوة الخالدة: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾(١).

كيف يشعر بالعزلة من يعيش في صحبة النبيين والصديقين؟

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾(٢). كيف يشعر المؤمن بالتوتر وهو يقف في صلاته فتزيل عنه همومه، وتخفف عنه أعبائه، وتمنحه سكينة النفس وطمأنينة القلب ورجاء في الله لا ينقطع.

ب- الرضا: الساخطون والشاكون لا يذوقون للسرور طعمًا ولا يعرفون للسعادة طريقًا، أما أهل الدعوة وأصحاب الرضا واليقين فلا تصيبهم كآبة، ولا تغشاهم مناحة. لقد منحت الدعوة إلى الإيمان صاحبها رضا عن نفسه لأنه يشعر بمكانته عند الله وفي الملأ الأعلى وبين المخلوقات. ورضا عن ربه لأنه أمن بكماله وجماله وأيقن بعدله ورحمته ورضا عن حياته لأنه يرى أن نعم الله عليه لا تعد ولا تحصى ولا تعد خلقًا وإيجادًا، وهداية وتوفيقًا، وعامًا وبيانًا ورزقًا وإحسانًا: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾(٣). فهو يردد في كل حال ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾(١). كما منحت الدعوة

(١) الحديد: ٤.

(٢) النساء: ٦٩.

(٣) النحل: ٥٣.

صاحبها رضا عن كل ما ينزل من أقدار، ففي الحديث: «المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، إحرص على ما ينفعك واستعن بالله، ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو إني فعلت كذا كان كذا، ولكن قل: قَدَّر الله وما شاء فعل، فإن «لو» تفتح عمل الشيطان»(٢).

جـ- الأمن: ما أتعس الإنسان حين يحيط به الخوف من كل جانب، ويشعر بالرعب في كل لحظة، ويحرم نعمة الأمن! كم تساوى الدنيا حينئذ؟ لقد سد الدين أبواب الخوف كلها إلا الخوف من الله تعالى، وفي دعوة إبراهيم عليه السلام رد على المشركين: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾(٣). الدعوة إلى الإيمان راحة للإنسان من كل شقاء يجلب الخوف على الرزق أو العمر أو المرض أو الناس أو الزمن أو الموت، ذلك لأن الرزق مقسوم، والعبد يطلبه كما يطلب أجله، والعمر أنفاس محدودة وأيام معدودة، والموت والحياة بيد الله تعالى الذي يحيي ويميت، وفي الحديث «أيها الناس، إن أحدكم لن يموت حتي يستكمل رزقه، فلا تستبطئوا الرزق، واتقوا الله أيها الناس وأجملوا في الطلب، خذوا ما حل ودعوا ما حرم»(٤). والمرض لا يخاف منه المؤمن لأن ما يصيبه من هم ولا غم ولا نصب ولا وصب حتى الشوكة يشاكها إلا

(١) الفاتحة: ٢.

(٢) رواه مسلم.

(٣) الأنعام: ٨١-٨٢.

(٤) رواه الحاكم في المستدرك وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

كفر الله بها من خطاياه، وإذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل وهو صحيح مقيم. فهو لا يخاف من المرض وإن أدى به إلى الموت.

قيل لأعرابي أشتد مرضه: إنك ستموت، فقال: وإلى أين يذهب بي الموت؟ قالوا: إلى الله، فقال: ويحكم!! وكيف أخاف الذهاب إلى من لا أرى الخير إلا من عنده؟! نعم، فالدعوة إلى الإيمان تقرر أن من أحب لقاء الله أحب الله لقائه، وشعار الدعوة: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾[1]. والدعوة إلى الإيمان تكسب صاحبها دائمًا الثبات على الشدائد ومواجهة الصعاب في ثقة ويقين.

د- الأمل: الدين يعادي اليأس ويرفض الإحباط ويضاد القنوط لأن الدين رحمة الله لخلقه: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾﴾[2]، ﴿إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾[3].

إنه الإعلان الخالد: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾[4]. ولن يغلب عسر واحد يسرين، وأن من سار على الدرب وصل، وكيف يعيش الإنسان ويشعر بالسعادة وقد فقد الأمل؟ وعدم الرجاء؟ وضاقت عليه الأرض بما رحبت؟ إن السعادة لا تنال إلا بالطلب والسعي، والقانط لا يطلب ولا يسعى؛ لأن ما يطلبه مستحيل في نظره. أما

---

(١) التوبة: ٥١.

(٢) الحجر: ٥٦.

(٣) يوسف: ٨٧.

(٤) الشرح: ٥-٦.

صاحب الدين فهو يؤمن بإله يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء، ويستر العيوب ويغفر الذنوب. وإذا مرض العبد لم ينقطع أمله في العافية: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾(1). وإذا جاهد كان واثقًا من النصر: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾(2). وإذا أذنب لم ييأس من المغفرة: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾(3). حسبه أن يقرأ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾(4).

هـ- الحب: من ينابيع السعادة حبٌ يحوّل المر حلوًا، والتراب تبرًا، والكدر صفاء، والألم شفاء، والسجن روضة، والسقم نعمة، والقهر رحمة. والدين ضروري لتحقيق السعادة من خلال ما يحض على من حب لله ولرسوله، وحب للخير والجمال، وحب للناس والحياة. والدين سلامة للصدر من الحقد والحسد، وصفاء للقلب من الغل والعداوة ويوم أن يعيش الإنسان على منهج الإسلام يومها يشعر بالسعادة. والدين تسامح كريم وعفو عظيم، يحب معالي الأمور، ويكره أن يزل بصاحبه إلى سفاسف الأمور. ما أروع الحياة حين يفهم من يعيش فيها أننا خلقنا لنتعارف لا لنتعارك، لنتآلف لا لنتشابك!!!. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾(5).وما أشقى الإنسان وما أتعسه حين يُعرض عن دعوة الحق، ويلهث وراء

(1) الشعراء: ٨٠.

(2) الصافات: ١٧٣.

(3) الزمر:٥٣.

(4) الطلاق:٣.

(5) الحجرات: ١٣.

نظريات وفلسفات أفلست، ومناهج ومذاهب أتعست! من هنا يبدو الدين ضروري للبشرية لإعادة ابتسامة مفقودة، وسعادة غائبة، ضل طريقها السالكون الحائرون الضالون المتخبطون في ظلمات الضلال بعيدًا عن هداية الإيمان ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾[1].

الفوز بالجنة والنجاة من النار في الآخرة:

إن الدين ضرورة- أخيرًا- للفوز بالجنة والنجاة من النار، والعقل السليم لا يسيغ ان ينفض سوق الحياة، وقد نهب فيها من نهب وسرق فيها من سرق، وقتل فيها من قتل، وبغى فيها من بغى، وتجبر فيها من تجبر، ولم يأخذ أحد من هؤلاء عقابه بل تستر وأختفي فأفلت ونجا، أو تمكن من إخضاع الناس له بسيف القهر والجبروت. وهناك من أحسن وضحى وجاهد، وأوذي وعذب، واضطهد وشرد، إن الإله العادل الحق حرم الظلم على نفسه ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾﴾[2] أي «من شدة الهول» ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾﴾[3] أي مسرعين إلى أرض المحشر رافعي رؤسهم دون حركة، لا تحرك عيونهم، وقلوبهم لا تفكر إلا في المصير الذي ينتهي بهم، ﴿ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن

(١) التغابن: ١١.

(٢) إبراهيم: ٤٢.

(٣) فاطر: ٤٣.

زَوَالٍ ﴿٤٤﴾﴾[1] «لا حساب ولا عقاب» ﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾[2]. إننا قد نجد إجابة إلهية على طرقنا في العمل حسنة كانت أم سيئة وهي إجابة تأتي على المستوي المادي والعقلي والأخلاقي والروحي سواء في ذلك الفرد أو الأمة ولكن هذا كله يبدو في عيني العدالة الإلهية غير كاف.

أولاً: لأن هذه كلها غايات ومقدمات للعدالة الإلهية، فالجزاء الإلهي في الدنيا ليس شاملًا ﴿وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾[3] ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[4].

ثانيًا: لأن السعادة وضروب التعاسة مختلطة بعضها ببعض في هذه الدنيا، وعليه فلن يبقي من هذا الإختلاط أي أثر ليوم الجزاء. فمتى ما أستقر كل معسكر في مقامه الأبدي فلن يكون سوي التهنئة الخالصة بالنسبة إلى المؤمنين ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا

(١) فاطر: ٤٤.

(٢) فاطر: ٤٥-٥٢.

(٣) المائدة: ١٥.

(٤) آل عمران: ١٨٥.

﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ۝١٠٨﴾[1]. ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ۝٣٥﴾[2].

وسوى الفراغ الدائم بلا انقطاع للآخرين بحيث ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ۝٣٦﴾[3].

ثالثًا: لأن ما يحدث لنا من خير وشر خلال حياتنا الدنيا ابتلاء محرك لجهدنا ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ۝٢١٤﴾[4].

رابعًا: ليس من العدالة الإلهية أن يترك الإنسان سدى فلا يجازى على ما قدم ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ۝٣٦ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ۝٣٧ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٣٨ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۝٣٩ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۝٤٠﴾[5].

الجزاء الإلهى في الحياة الأخرى:

إن الثواب الخالد أو العقاب الأبدى تبدو عليه بعض الملحوظات الجديرة بالذكر.

---

(١) الكهف: ١٠٨.

(٢) فاطر: ٣٥.

(٣) فاطر: ٣٦.

(٤) البقرة: ٢١٤.

(٥) القيامة: ٣٦-٤٠.

أما من حيث الثواب للمؤمنين في الجنة فنجد ما يلي:

١- أن القرآن يعدد كثيرًا من المتع الأخلاقية والمادية التي توجد في الجنة ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾[1].

٢- أثبت القرآن أن بين هذه المتع تدرجًا في القيم فترتفع الأشياء الروحية على المتع المادية، وأعلى وأثمن الأهداف وأقدرها على تحقيق فرح الإنسان بفضل الله ورحمته ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾[2].

٣- اقتران السعادة المعنوية بالسعادة الحسية دون فصل بينهما يكونان الحياة السعيدة.

٤- أبرز ملامح السعادة الحسية أي أكثرها ذكرًا ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾[3]، وتأمل ما في النص من جمال وروعة وواقع أخلاقي في جوهره هو: نسيان كل حزن وذهاب كل حقد ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾[4].

٥- طعام أهل الجنة وشرابهم لمجرد السرور والإبتهاج وليس حاجة إلى حفظ حياتهم،

(١) آل عمران: ١٠٧.

(٢) يونس: ٥٨.

(٣) البقرة: ٢٥.

(٤) الأعراف: ٤٣.

فقد منّ الله عليهم بأبدان لا تقبل الفساد، ومما قاله الله في طعامهم: ﴿فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾[(1)]، ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾﴾[(2)]، ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾﴾[(3)].

٦- الإهتمام بموضوع الأزواج، وفيه تزاحم الصفات الأخلاقية للصفات المادية ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾﴾[(4)]، وستكون الحياة حياة حب متبادل بين شباب من سن واحدة ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾﴾[(5)].

٧- الواقع أن الإنسان لا يمكن أن يحيط بما أعده الله لعباده المؤمنين ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾[(6)]، وفي الحديث القدسي: «أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»[(7)]، جعلنا الله من عباده الصالحين.

أما من حيث العقاب الأبدى للكافرين في النار فنجد ما يلي:

١- عقوبات أخلاقية سلبية مثل حبوط أعمالهم وحرمانهم من كل ما يشتهون

---

(١) الصافات: ٤٢.

(٢) الواقعة: ٢١.

(٣) الإنسان: ٢١.

(٤) الرحمن: ٧٠.

(٥) الواقعة: ٣٧.

(٦) السجدة: ١٧.

(٧) رواه البخارى ومسلم.

﴿فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾[1]. ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾﴾[2].

٢- عقوبات أخلاقية إيجابية مثل تنكيس رؤوسهم أمام الله سود الوجوه ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾﴾[3]. ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾﴾[4].

٣- عقوبات بدنية مثل الجلد والحرق والجوع والعطش ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾﴾[5]. ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا ۙ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾﴾[6]. ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾﴾[7]، ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴿٧﴾﴾[8]. «اللهم سلم سلم» ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ ۖ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ

---

(١) البقرة: ٢١٧.

(٢) سبأ: ٥٤.

(٣) السجدة: ١٢.

(٤) الزمر: ٦٠.

(٥) المعارج: ١٦.

(٦) الأنفال: ٥٠.

(٧) النبأ: ٢٤-٢٥.

(٨) الغاشية: ٦-٧.

﴿يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴿٥٠﴾
لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ
وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾﴾[1].

ونختم بجملة من الأحاديث في صفة الجنة وأهلها[2] من ذلك: ما روي عن أبي هريرة قال: «قلت يا رسول الله مم خلق الخلق؟ قال: من الماء، قلت: الجنة ما بناؤها؟ قال: لبنة فضة، ولبنة ذهب، وبلاطها المسك الأذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وتربتها الزعفران، من يدخلها ينعم ولا ييأس، ويخلد ولا يموت، ولا تبلى ثيابهم ولا يفني شبابهم».

وروي عن علي أن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنة لمجتمعًا للحور العين يرفعن بأصوات لم يسمع الخلائق بمثلها يقلن: نحن الخالدات فلا نبيد، ونحن الناعمات فلا نيأس، ونحن الراضيات فلا نسخط، طوبى لمن كان لنا وكنا له». وفي حديث أنس عن رسول الله ﷺ: «وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الجنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ لأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا وَلَمَلأَتْهُ رِيحًا وَلَنَصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا». وفي حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الجنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً لا يَبُولُونَ وَلاَ يَتَغَوَّطُونَ وَلاَ يَتْفِلُونَ وَلاَ يَمْتَخِطُونَ أَمْشَاطُهُمْ الذَّهَبُ وَرَشْحُهُمْ الْمِسْكُ وَمَجَامِرُهُمْ الأَلُوَّةُ الأَنْجُوجُ عُودُ الطِّيبِ «بخورهم العود» وَأَزْوَاجُهُمْ الحُورُ الْعِينُ عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ».

(١) إبراهيم: ٤٧-٥٢.

(٢) راجع: جامع الأصول، لابن الأثير ١١/ ١٣٥.

وفي صفة النار وأهلها: حديث أبي هريرة: «نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي تُوقِدُونَ جُزْءٌ وَاحِدٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ حَرِّ جَهَنَّمِ».

وكان عمر يقول: أكثروا ذكر النار فأن حرها شديد وقعرها بعيد ومقامعها حديد.

وفي حديث أبن عباس أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الأية « ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [1] فقال: لَوْ أَنَّ قَطْرَةً مَنْ الزَّقُّومِ قُطِرَتْ فِي دَارِ الدُّنْيَا لأَفْسَدَتْ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا مَعَايِشَهُمْ فَكَيْفَ بِمَنْ يَكُونُ طَعَامَهُ!!».

قال بعض السلف: رأيت الجنة والنار حقيقة. قيل له: وكيف رأيتهما وأنت في الدنيا؟ قال: رآهما رسول الله ﷺ فرأيتهما بعينيه، ورؤيتي لهما بعيني رسول الله آثر عندي من رؤيتهما بعيني، فإن بصري قد يزيغ عند رؤيتهما أو يطغى، أما بصر رسول الله فما زاغ ولا طغى. فإن لم يكن للدين من ضرورة سوى الفوز بالجنة والنجاة من النار فحسبنا هذا أن نردد مع أهل الإيمان حين يدخلون الجنان ﴿ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [2].

لماذا فقد الإنسان ثقته في الدين؟

إن أعظم عقبة تواجه الدين هي المنسوبون إلى الدين زورًا وبهتانًا، وإنكارًا وعصيانًا؛ وقد حكي القرآن الكريم عن هؤلاء الذين ينسبون إلى الرسالات السابقة ممن يعرفون بأهل الكتاب من اليهود والنصارى، قال تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن

(١) آل عمران: ١١٢.

(٢) يونس: ١٠.

مَوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾[1]. ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾﴾[2]. ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾[3]. ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾﴾[4]. ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾﴾[5]. بهذا التزوير أنحرفت الأديان السابقة على الإسلام عن الحق، وقدمت للإنسانية صورة مظلمة، وسيرة مؤلمة، وتاريخًا أسود لم يشجع الإنسانية في الأنطواء تحت لوائها، والعمل بأحكامها.فعلى سبيل المثال لا الحصر قدمت النصرانية عقيدة غير مفهومة بعد تحريفها لما نزل على عيسى عبد الله ورسوله، فنادت بالتثليث مع إختلاف حول طبيعة المسيح ومشيئة المسيح، وهل ولدت مريم عيسى الإله أم عيسى الإنسان، وقررت النصرانية أن المسيح: الإله أو ابن الإله- على حسب إختلافهم- تجسد وصلب من أجل خطيئة آدم التي توارثها أبناؤه وذريته من بعده؛ فأفتدى الرب الإنسانية بابنه الوحيد ورضي بصلبه على خشبة الصليب بشكل مهين، ثم دفن، وبعد ثلاثة أيام قام من بين الأموات بين تلاميذه وظل معهم أربعين يومًا، ثم رفع إلى السماء وجلس على يمين الرب ليدين ويحاسب. فرضت هذه العقيدة على جماهير عريضة طوال تاريخ طويل، ولا تزال، لكن الأمر المؤسف أن

---

(١) المائدة:١٣.

(٢) البقرة: ٥٩.

(٣) البقرة: ١٤٦.

(٤) آل عمران: ٧٨.

(٥) آل عمران: ٧١.

الكنيسة التي فرضت هذه الأمور دينًا على الناس وإيمانًا على النصارى تجاوزت كل حد في طغيانها: روحيًا أخلاقيًا عقليًا وماليًا وسياسيًا. لقد عقدوا المجامع الكنسية وهي مؤتمرات قرروا فيها عقائدهم كمجمع نيقية سنة ٣٢٥م الذي قرر ألوهية المسيح، ومجمع القسطنطينية سنة ٣٨١م الذي أكمل ألوهية الثالوث بعقيدة ألوهية الروح القدس، ولا تزال المجامع تقرر ما تشاء تحليلًا وتحريمًا وصدق الله القائل: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[1]. أما الطغيان الروحي فشعاره اعتقد وأنت أعمى، واستجب دون أن تفتح فمك، فلرجال الدين النصراني من السلطان ما لا ينازع فيه إنسان، فما يربط في الأرض يكون مربوطًا في السماوات، وكل ما يحلونه على الأرض يكون محلولًا في السماوات، وحسبك أن تقرأ بهدوء ما انتهت إليه البابوية وطغيانها الروحي في هذه الأوامر البابوية «Dictates Papae» في عهد جريجوري السابع والتي جمعت بعد وفاته بقليل حوالي سنة ١٠٨٧م وأهم موادها[2]:

البابا وحده هو الذي يتمتع بسلطة عالمية.

البابا وحده يمتلك سلطة تعيين الأساقفة أو عزلهم.

جميع الأمراء العلمانيين يجب أن يقبلوا قدم البابا وحده.

(١) التوبة: ٣١.

(٢) أوروبا في العصور الوسطى: سعيد عبد الفتاح عاشور، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية، ط٥ ١٩٨٥م، ص٢٣٥، ٢٣٦.

للبابا الحق في عزل الأباطرة.

لا يجوز عقد أي مجتمع ديني إلا بأمر البابا.

ليس على أي فرد أن يلغي قرارًا بابويًا، في حين أنه من حق البابا أن يلغي قرارات بقية الناس.

لا يسأل البابا عمن يفعل ولا يحاكم على تصرفاته.

للبابا أن يجيز لرعايا أي حاكم علماني التحلل من العهود وأيمان الولاء التي أقسموها بحاكمهم.

بل كانت أسرار الكنيسة من الطقوس العجيبة دون مبرر معقول أو مقبول. فالإنسان لا يكون مسيحيًا إلا بالتعميد، ولا ينال التوبة إلا بالاعتراف أمام كاهن. ولابد من الإيمان بالعشاء الرباني الذي يتحول فيه الخبز والشراب إلى جسد المسيح حقيقة، دون سؤال أو استفسار.

لقد وصل الطغيان الروحي الذي مارسه رجل الدين النصراني غايته في ظاهرتين:

الأولى: صكوك الغفران حيث أصدر مجمع لاتيران سنة ١٢١٥م قرارًا بأن تمنح الكنيسة حق مغفرة الذنوب، وإسقاط جميع القصاصات والأحكام والخطايا التي ارتكبها الفرد مهما كانت عظيمة وفظيعة، ومحو جميع أقذار وكل علامات الملامة التي جلبها الإنسان على نفسه وبذلك يتمكن هذا الشخص الذي اشترى هذا الصك أن يموت وقد أغلق أمامه الباب الذي دخل منه الخطاة إلى محل العذاب ويفتح الباب الذي يؤدي إلى فردوس الفرح. وإن لم يمت سنين

مستطيلة بهذه النعمة تبقي غير متغيرة حتي تأتيه ساعته باسم الآب، والابن والروح القدس.

<u>الثاني</u>: أما الظاهرة الأخرى فهي متعلقة بما عرف بمحاكم التفتيش وهي مهزلة بكل المقاييس حيث نصبت الكنيسة نفسها لمحاسبة الناس على سرائرهم، والتفتيش عن مواطنهم ومحاسبتهم على ضمائرهم، وأمست رسالة المحبة قتلًا للأبرياء، وتحريقًا للعلماء، وسفكًا لدماء الفقراء. وقبلت الكنيسة سطوة رجال الدين المفروضة على الأرواح والقلوب...

وإذا أضيف إلى هذا مظهران آخران: الزهد والرهبانية التي ابتدعوها وكانت شرًا على الإنسانية والمدنية حيث قدمت الدين تعذيبًا للجسم، وقذارة في البدن، وإيغالًا في النجاسات وهروبًا من الفلوات، وهجرًا للآباء والأمهات، وقتلًا للفتوة والمروءات وعزوفًا عن البشاشة وخفة الروح، أو الاستمتاع بالأزواج. لقد حاولت الرهبانية أن تصلح فساد الطاغية، فلم تفلح حيث صادمت الفطرة، ثم لم تلبث الرهبنة المسرفة المتطرفة إلا وقعت فريسة لما قاومته من المادية الفاجرة وهذا شكل آخر من أشكال الطغيان، ألا وهو الطغيان الأخلاقي.

إن المفروض فيمن يحملون الدعوة إلى دين أن يكونوا قدوة طيبة للمدعوين، ونموذجًا مشرفًا في السلوك، ولكن بلاط روما كان مضرب المثل في كل ما هو خسيس مخجل في العالم، فهو العار الذي لا ينمحي أبد الدهر، والحياة الخليعة لروما موضوع يتكرر وصفه في الأدب الإيطالي فبوكاتشو يتحدث عما في حياة رجال الدين من دعارة وقذارة ومن انغماس في الملذات طبيعية كانت أو غير طبيعية، ووصف ماستيشيو

الرهبان والإخوان بأنهم «خدم الشيطان» منغمسون في الفسق واللواط والشره وبيع الوظائف الدينية والخروج على الدين، وتحتوي سجلات الأديرة على عشرين مجلدًا من المحاكمات بسبب الأتصال الجنسي بين الرهبان والراهبات. وظل كرسي البابوية عدة سنين لا ينال إلا بالرشا أو القتل أو رغبات النساء[(١)].

أما الطغيان العقلي فيتمثل في هذا الجمود الذي حملته الكنيسة وفرضته على رعاياها ورجال الدين يحتكرون الحياة العقلية ويفرضون آرائهم باعتبارها نصوصًا مقدسة لا تقبل المناقشة. وفي الوقت الذي احتكت فيه أوروبا بالإسلام وانفجر بركان العقلية في أوروبا وحطم العلماء سلاسل التقليد والجمود، وزيفوا ما اعتبرته الكنيسة نصوصًا مقدسة في مسائل علمية تبين وجه الحق فيها قامت قيامة الكنيسة واستحلت دماء العلماء وأنشأت محاكم التفتيس لمعاقبة هؤلاء العلماء الملحدين المارقين وحرق كتبهم. ويبدو على حد قول عالم نصرانى يصور سلطان الكنيسة على إرادة الشخص أنه «لا يمكن لرجل أن يكون مسيحيًا ويموت حتف أنفه» ويقدر عدد من حوكم بسبب آرائه العلمية ثلاثمائة ألف، أحرق منهم أثنان وثلاثون ألفًا أحياء كان منهم العالم الطبيعي المعروف برونو.. نقمت منه الكنيسة آراء، من أشدها قوله بتعدد العوالم وحكمت عليه بالقتل واقترحت بأن لا تراق قطرة من دمه، وكان ذلك يعني أن يحرق حيًا وقد كان[(٢)].

أما الطغيان المالي فبدأ حين زادت موارد الكنيسة زيادة فاحشة عن طريق الأوقاف والعشور والهبات والضرائب والسخرة وصكوك الغفران وصدق القائل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ

(١) قصة الحضارة: ول ديورانت ١٤/ ٢١، ٣٧٨/ ٨٣.

(٢) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبو الحسن الندوي، ص١٦٧.

وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾[1]، ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾﴾[2]. ولا عجب أن يكون هذا النفوذ المالي سببًا للانحراف الأخلاقي والطغيان السياسي، فالطغيان السياسي تمثل في السلطان على الحكام والمحكومين وقدس سبق ما جاء في الأوامر البابوية في عهد جريجوري السابع، الذي تمسك بنظرية السمو البابوي مما دفعه إلى بسط نفوذه، ويذكر أن هنري الرابع إمبراطور الدولة الرومانية المقدسة حاول أن يتخذ موقفًا حازمًا من قرار البابا الذي يحرم الملك من حق تعيين رجال الدين مما فتح باب النزاع بين البابوية والإمبراطورية في العصور الوسطي مما دعا البابا بتحرير أتباع هنري الرابع ورعاياه من إيمانهم وثاروا ضده ثورة عنيفة، وتلفت هنري الرابع حوله فلم يجد من يعتمد عليه، وعقد أمراء ألمانيا وأساقفها مجتمعًا في تريبور في أكتوبر ١٠٧٦م قرروا فيه الخروج عن طاعة هنري الرابع وإنذاره باختيار ملك غيره إن لم يغفر البابا له في مدة أقصاها فبراير ١٠٧٧م على أن يقضي هذه المدة في أحد الأديرة محرومًا من جميع الحقوق الملكية. وأخيرًا لم يجد هنري الرابع أمامه حلًا سوى أن يرحل إلى البابا سرًا وكان البرد قارسًا عندما أخذ هنري الرابع يصعد الطريق الجبلى الوعر إلى قلعة كانوسا حيث كان البابا، وبقي هنري الرابع ثلاثة أيام واقفًا على الجليد أمام أبواب القلعة الموصدة في وجهه حتى تعطف البابا وسمح له بالمثول بين يديه على شرط التسليم للبابوية بكل ما تطلبه

(١) التوبة: ٣٤-٣٥.

(٢) العلق: ٦-٧.

دون قيد. ويقال إن هنري الرابع دخل على البابا حافي القدمين مرتديًا ثوبًا من ثياب الرهبان المصنوعة من الصوف حتي إذا ما وجد نفسه أمام خصمه أرتمي بين قدميه وانفجر باكيًا وهو يصيح: اغفر لي أيها الآب المقدس. لا شك حين تتذكر الإنسانية هذه الصفحات السوداء فإنها لا تقبل العودة إلى الوراء أبدًا، لقد فقدت ثقتها بالأديان وأهلها لأنها لا ترى فيها إلا شكلًا من أشكال الرجعية والتخلف والعنصرية، وليست النصرانية أحسن حالًا من اليهودية العنصرية أو المجوسية النازية أو الهندوسية البقرية. من هذا تعظم أهمية الدعوة الإسلامية لتصحيح الفكرة الدينية وإعادة الثقة العالم أن يتعرف على الوحي الصحيح دون تزييف أو تحريف، فالدعوة إلى الوحدانية التي شوهتها عقليات فارغة ورغبات جامحة، ليست دعوة إلى ظلمات العصور الوسطي الأوروبية، بل الدعوة إخراج للناس من الظلمات إلى النور، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ورسول الدعوة أرسله الله داعيًا إليه بإذنه وسراجًا منيرًا.

منهج دراسة الأديان

واضح من خلال ما سبق قصور مناهج الغربيين بل وفساد فروضهم ومعتمدهم في دراسة الأديان، ومجافاتهم للمنهج العلمي الصحيح حيث صبغوا دراساتهم باتجاهات نفسية أو تاريخية أو طبيعية أو اجتماعية... الخ.

والحق إن القرآن الكريم هو الأساس بل والمرجع الوحيد الذي يطابق المنهج العلمي وتطمئن إليه النفوس المستقيمة لمعرفة ما كان من أمر الدين ومناهج الرسل ودعواتهم وموقف الأمم منهم.

وعلى ذلك أحاول إجمال الخطوط العريضة لمنهج دراسة الأديان بالمنهج العلمي الصحيح على النحو التالي:

أولاً: الدراسة الوصفية:

واعني بها عرض ما يعتقده الآخرون عرضًا أمينًا من خلال مصادرهم المعتمدة عندهم أو إتاحة الفرصة لعرضها بأنفسهم، وذلك على نحو دعوة القرآن الكريم في مثل قوله: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾﴾[١]، وقوله: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[٢].

وهذا يعني:

- عدم المصادرة على الخصم.
- إعطاء الخصم فرصة لإبراز حجته.

لذلك نري المسعودي يعلن بصراحة «الواجب على كل ذي تصنيف أن يورد جميع ما قاله أهل الفرق»[٣].

والإمام القرطبي يقول «لقد كتبوا ونحن جادلهم بما كتبوا بغض النظر عن صحته أو عدم صحته لأنهم يعتقدون صحة المكتوب»[٤].

ويقول الشيخ «رحمت الله الهندي» «إذا أطلقت الكلام في هذا الكتاب في موضع من المواضع فهو منقول عن كتب علماء البروتستانت بطريق الإلزام والجدل، فان رآه الناظر

(١) الأنبياء: ٢٤.

(٢) البقرة: ١١١، النمل: ٦٤.

(٣) مروج الذهب ٢/ ١٣٩، منهج المسعودي في بحث العقائد والفرق الدينية- د. هادي حمود- ص ٤٨.

(٤) الإعلام للقرطبي- ص ١١.

مخالفًا لمذهب أهل الإسلام فلا يقع في الشك»[1].

ويقول ابن حزم: «ولولا أن الله وصف قولهم في كتابه إذ يقول تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ وإذ يقول حاكيًا عنهم ﴿إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ وإذ يقول تعالى: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾[2] لما انطلق لسان مؤمن بحكاية هذا القول العظيم الشنيع السمج السخيف». ويقول في موضع آخر: «لكنا نحكيه منكرين له كما نقلوه فيما نصه ﷺ لنا تحذيرًا من إفكهم»[3].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأنا اذكر ما ذكروه بألفاظهم بأعيانها فصلًا فصلًا، واتبع كل فصل بما يناسبه من الجواب فرعًا وأصلًا وعقدًا وحلًا»[4].

خلاصة القول: أن وصف ما عند المخالفين إنما يكون حسب ما يعتقدون ومن نص ما يقدسون، إنصافًا لهم وإقامة للحجة عليهم وعلى هذا المنهج كان السلف الصالح أجمعين[5].

ثانيًا: الدراسة النقدية والتحليلية:

وهذه تستلزم أصول المنهج العلمي التجريبي من قبول الحقائق العلمية القطعية لا الافتراضات الظنية. وقد أشار إلى هذا المعني القرآن الكريم في مثل قوله: ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ

(١) إظهار الحق- ص ٩.

(٢) المائدة: ١١٦.

(٣) الفصل- ج ١- ص ٤٨، ص ١١٠.

(٤) الجواب الصحيح- ج ١- ص ١٩.

(٥) راجع إفحام اليهود- ص ٨٦، ص ٣٢، الإعلام- ص ٤٥، الفصل ج ١- ص ٩.

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًاۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾﴾[1] .

كما تستلزم عدم الاعتماد على الآثار، فذلك أمر يقبل الإضافة والحذف على ما يقتضيه سياق المكتشفات ودلائلها المختلفة، وإنما الاعتماد القرآن الكريم فهو الصادق ولا ينبئك مثل خبير.

وعليه فالدراسة النقدية مرجعها إلى اعتبارين:

الحقائق العلمية: تاريخية أو كونية أو غير ذلك.

القرآن الكريم فهو المصدق والحكم والمهين.

مع ضرورة التزام ما يلي في هذا الجانب:

- ضرورة ترتيب النتائج على المقدمات.
- الحجج البالغة والأساليب الحكيمة في مجادلة المخالفين ونقد ما عندهم.
- إظهار محاسن الإسلام ببيان الحق الذي فيه بعد بيان باطلهم.
- دعوتهم للدخول في الإسلام وشكر الله إذا قبلوا، أو البراءة منهم أن جحدوا واعرضوا.

وبهذا تكون دراسة الأديان ومجادلة المخالفين من ألوان الدعوة ومراتبها وهى واجب على الكفاية، وهما من عوامل إقامة الحجة ودفع الباطل وتنبيه الغافل وبيان الحق الذي لا يتخلف عن القرآن الكريم حكمًا عدلًا لا يقبل الشك ولا الارتياب[2]،

---

(١) الزخرف: ١٩.

(٢) انظر الجواب الصحيح- ج ١- ص ١٥: ٢٣.

وصدق الله العظيم: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[1]، والحمد لله رب العالمين.

خلاصة الوحدة

نخلص من دراسة هذه الوحدة إلى ما يلي:

أسس الدين الحق ما يلي:

١- أن يكون واضعه على علم كامل بحقيقة الإنسان.

٢- أن يكون هذا الدين شاملًا لبني الإنسان.

٣- أن يكون هذا الدين واقعيًا.

٤- أن يكون هذا الدين واضحًا.

٥- أن لا يصطدم هذا الدين مع العلم الصحيح والعقل السليم.

٦- أن يصل إلينا بسند صحيح وطريق سليم.

٧- لا يستطيع الإنسان أن يضع هذا الدين، لأن الإنسان يعتريه النقص والقصور.

خصائص الإسلام كثيرة منها: دين إلهي يمتاز بتقرير حقوق الإنسان، شامل، وسط، واضح، مرن، عالمي، علمي.

حاجة البشر إلى الدين تتمثل في أمور كثيرة منها:

إخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد.

إخراج الناس من ضيق الدنيا إلى سعتها.

---

(١) الأنبياء: ١٨.

- تحقيق مصالح العباد.

١- استبقاء البشرية على قيد الحياة.

٢- هداية الحائرين الباحثين عن السعادة في الدنيا.

٣- الفوز بالجنة والنجاة من النار في الآخرة.

وصدق القائل: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾[1].

- فقد الإنسان ثقته في الأديان نتيجة لأنحراف المنسوبين إلى الأديان.

(١) طه: ١٢٣-١٢٤.

أسئلة التقويم الذاتي

أولاً: أسئلة المقال:

س١: ما أسس الدين الحق؟

س٢: هل يستطيع الإنسان وضع الدين الحق؟ ولماذا؟

س٣: ما أبرز خصائص الإسلام؟

س٤: كيف أخرج الدين الحق الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد؟

س٥: ما نظرة الدين الحق إلى الدنيا؟

س٦: لماذا عزف الناس عن الدين؟

س٧: كيف يحقق الدين مصالح العباد؟

س٨: الدين ضروري لبقاء الإنسان «إشرح ذلك».

س٩: كيف يهدى الدين الحائرين الباحثين عن السعادة؟

س١٠: ما الذي يحققه الدين للإنسان بعد الممات؟

ثانيًا: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة «✓» أمام العبارة الصحيحة، وعلامة «✗» أمام العبارة الخاطئة:

١- من أسس الدين الحق أن يكون واقعيًا يراعي واقع الإنسان، وواقع الحياة وواقع الكون ( )

٢- يستطيع الإنسان أن يقيم الدين الحق بنفسه ( )

٣- الدين ضروري للإنسان ليجيب على تساؤلات عقله، وضروري للمجتمع لتحقيق العدل والأمن ( )

ثالثا: أسئلة الاختيار من متعدد:

اختر الإجابة الصحيحة مما بين القوسين:

١- من أسس الدين الحق (الشمول – العنصرية).

٢- من خصائص الإسلام (الوسطية – التطرف).

٣- الدين ضروري لأنه (يحقق مصالح العباد – يتعارض مع مصالح العباد).

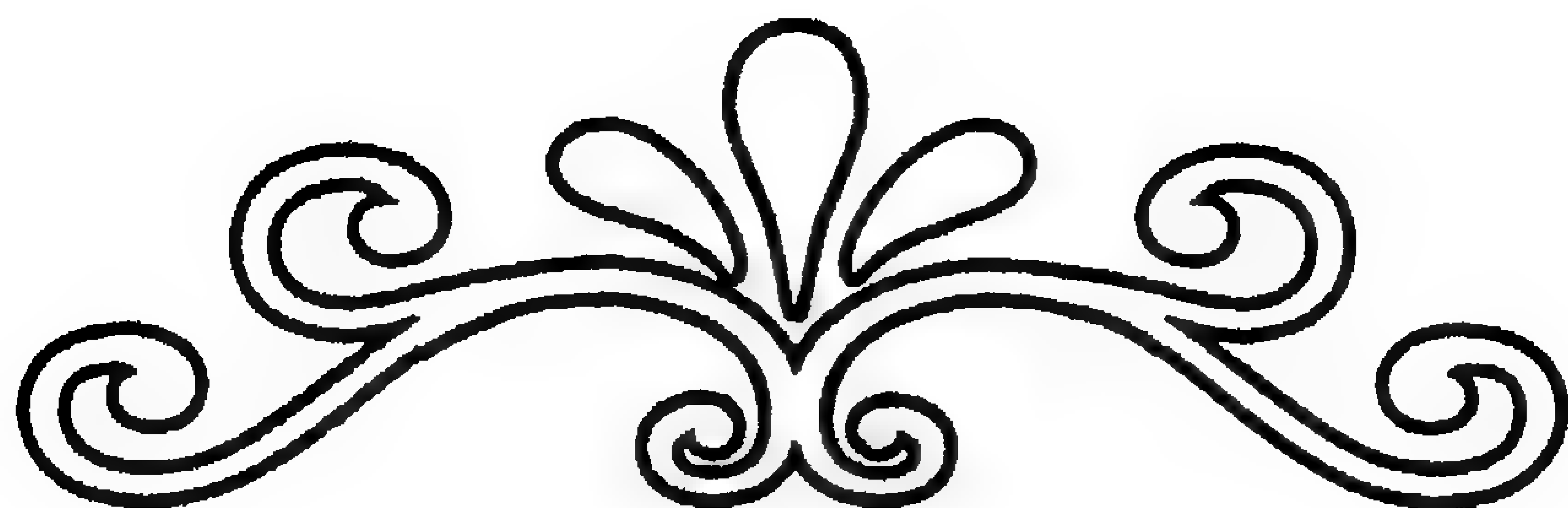
النشاط التعليمي للوحدة الثانية

عزيزي الدارس:

حتى تكتسب المزيد من المعلومات حول الموضوعات الواردة في هذه الوحدة عليك أن تقوم بإنجاز النشاط التعليمي التالي:

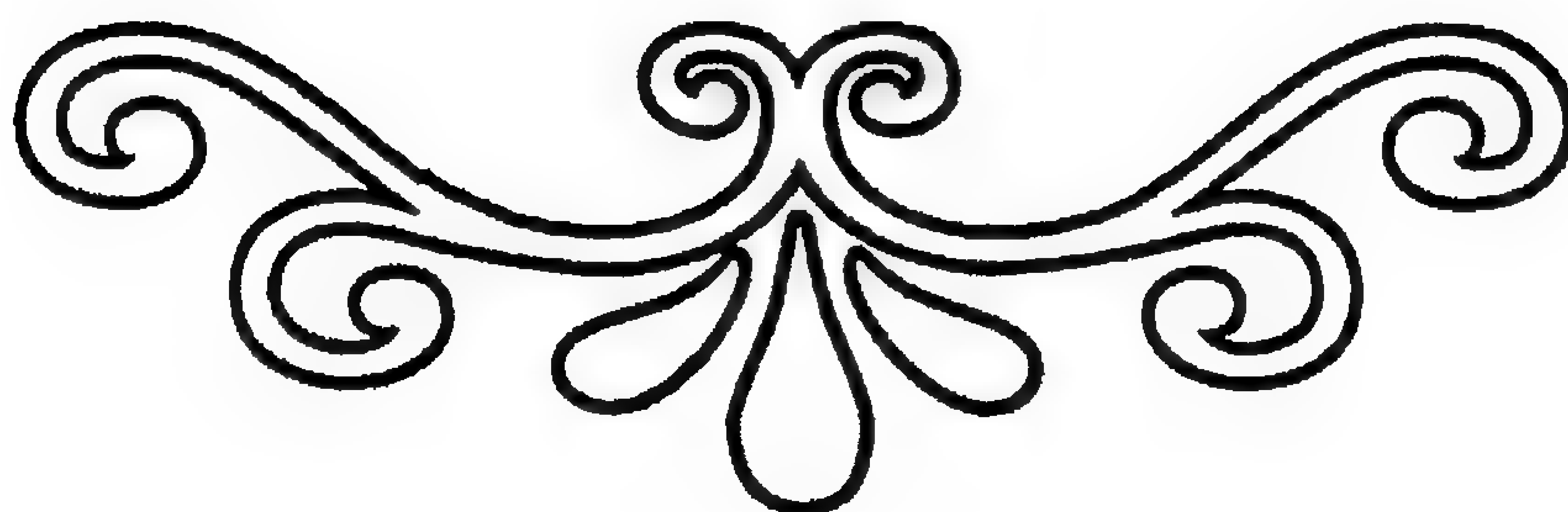
اكتب بحثًا في:

- آثار الحضارة المادية بعيدًا عن التعاليم الدينية.



الوحدة الثالثة

نشأة الدين وعلم الأديان



محتويات الوحدة الثالثة

- نشأة الدين وعلم الأديان من المنظور الإسلامي.
- نشأة الدين وعلم الأديان من المنظور الغربي.

أهمية دراسة الوحدة:



عزيزي الدارس: هناك اتجاهان واضحان في تحديد نشأة الدين وعلم الأديان، يرى أحدهما أن الدين فطر الله عليه الإنسان الأول آدم عليه السلام وأن علم الأديان علم إسلامي كتب فيه المسلمون قبل غيرهم وأن بذوره الأولى مبثوثة في الكتاب والسنة، بينما يزعم الاتجاه الآخر أن الدين صناعة بشرية، اخترعه الإنسان لعوامل طبيعية أو روحية أو نفسية أو أخلاقية أو اجتماعية أو تعليمية.

والأمر خطير لا ينبغي تركه بل لابد من معالجته حتى نعرف الفضل للسابق على اللاحق فإن الغرب بسلطانه يريد أن يفرض آراءه متغافلًا الحقيقة، وتلك سنة الغالب على المغلوب.

الأهداف التعليمية:



عزيزي الدارس: يُرجى منك بعد دراستك لهذه الوحدة أن تكون قادرًا على أن:

١- تُعرِّف أن الدين فطرة نشأ مع الإنسان الأول.

٢- تُدرك أن علم الأديان بميادنيه علم إسلامي سبق الدراسات الغبية.

٣- تَعلَم أن الغربيين مختلفون اختلافًا كبيرًا في تفسير الظاهرة الدينية.

نشأة الدين وعلم الأديان من المنظور الإسلامي

علم الأديان ذو دلالات واسعة وميادين متعددة، ففيه تاريخ الأديان وفيه فلسفة الأديان وفيه مقارنة الأديان وفيه الاجتماع الديني.... إن هذه الميادين كلها موضوع علم الأديان، أو إن أردنا الدقة علوم الأديان.

وبعيدًا عن التعقيد العلمي في صورته الراهنة وإشكالية إسلامية هذا العلم أو غربيته، أو بعبارة أوضح هل هذا العلم إسلامي النشأة؟ أم غربي النشأة؟

فنحن أمام حقائق نافعة، ووقائع ثابتة، تفيدنا في دراستنا، وتأخذ بأيدينا إلى كلمة الأديان: فلسفة ومقارنة وغيرها.

فقد عالج القرآن الكريم قصة خلق آدم في مواضع متعددة لتقرير فطرية الإيمان، وأن الأصل التوحيد وأن الوثنية طرأت على بني آدم. أما آدم فخلقه الله مفطورًا على الإيمان والتوحيد وعلمه الله الأسماء كلها وجعله خليفة في الأرض، وحذره من عداوة إبليس. اقرأ في هذا تلك الآيات من سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا

تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا
ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ
فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ
هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ
ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾[1].

كما حكى القرآن الكريم في أكثر من سورة قصص السابقين من أمم الأنبياء، اقرأ في
هذا قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا
لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى
ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ
رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن
رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى
ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ
قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ
إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ
وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ
أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ
قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا
لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ
﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ

(١) البقرة: ٣٠-٣٩.

أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾
فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ
﴿٧٢﴾ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ
جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ
وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ
وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟
ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ
لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ
أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾
فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ
﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ
أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ
أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن
دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟
أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ
مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾
وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ
جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ
أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ
ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُوا۟

كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾ ۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴾[1].

كما أطال القرآن الكريم الحديث عن اليهود والنصارى، ويمكن بيان ذلك في النقاط التالية:

أولاً: بين الإسلام ورسالة موسى عليه السلام:

إن الإسلام يعد موسى- نبي اليهود- أخًا لمحمد وشريكًا له في الدعوة إلى الله والمسلمون- استجابة لدينهم- يؤمنون بموسى إيمانهم بمحمد ويرون التوراة التي جاء بها جزءًا من الإسلام وقد كان اليهود صدر تاريخهم الشعب الذي اختاره الله لهداية الخلائق وظلت رسالات السماء حكرًا في جنسهم دهرًا طويلًا.[2] يقول الله ﷻ في وصف رسالة موسى عليه السلام: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ﴾[3].

(١) الأعراف: ٥٩-٩٣.

(٢) معركة المصحف صـ٣٣ وما بعدها.

(٣) هود: ١٧.

فقد وصف كتاب موسى بأنه كان قبل القرآن شاهدًا عليه ومؤيدًا لما جاء به [1]....
وما جاء في القرآن في تفضيل بني إسرائيل إنما هو بتفضيل موسى بالرسالة واصطفائه لها بينهم على نحو ما جاء في قول الله تعالى: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [2].

وقد اختير موسى إذ ذاك بالرسالة ليتيح له وللبشرية فرصة الرؤية لنتائج الدعوة إلى هذه الرسالة في قوم استضعفوا واستذلوا الحاكم كان يفرق بينهم وبين من عداهم في المعاملة: ﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [3] واستهدفت هذه الرسالة إنقاذ هؤلاء المستضعفين مما هم فيه من ذلة إن هم آمنوا ولم يكفروا بها: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾﴾ [4]، فتفضيل اليهود إنما هو باختيار الله لموسى رسولًا منهم ولم يفضلوا بسبب عرق أو عنصرية أو بسبب تميز بشري في خصائص الإنسانية على غيرهم.

وإنما اختيروا ليكونوا موضع ابتلاء من الله بسبب ظروفهم التي عاشوها قرونًا

(١) خمس رسائل إلى الشباب المسلم صـ٦٣ وما بعدها.
(٢) الأعراف: ١٤٤-١٤٥.
(٣) القصص: ٤.
(٤) القصص: ٥.

ولكنهم رغم نعم الله العديدة عليهم آثروا البقاء تحت تأثير الوثنية المادية فأنكروا الله وباشروا الطغيان عندما يمكن لهم عن طريق القوة فقتلوا الأنبياء بغير حق واعتدوا على غيرهم وربما على بعضهم البعض ثم عندما تذهب القوة المادية ويحسون بالضعف ينزلون على درجة الذلة والمسكنة.

وهكذا تحدوا رسالة الله بينهم وعادوا إلى طبيعتهم وكأن رسالة موسى عليه السلام لعزتهم واستقامتهم عاشت على هامش حياتهم![1]

انحرف اليهود عن رسالة موسى عليه السلام وتوراته وجاءت توراتهم الحالية وقد سيطرت عليها أمور ثلاثة:[2]

أولاً: وصف الله بما لا ينبغي أن يوصف به وإسقاط صورة ذهنية معتلة على ذاته ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا (٤٣)﴾[3].

ثانياً: إبراز بني إسرائيل وكأنهم محور العالم وإكسير الحياة وغاية الوجود فهم الشعب المختار للسيادة والقيادة لا يجوز أن ينازعوا في ذلك.

ثالثاً: تحقير الأمم الأخرى وإرخاص حقوقها وإلحاق أشنع الأوصاف بالأمم والأنبياء، وقد تتخيل هذه الأمور بقايا من الوحي الصادق والتوجيهات المبرأة.

---

(١) رأي الدين بين السائل والمجيب: د. محمد البهي جـ٣ صـ٥٥ وما بعدها مكتبة وهبة، ط١، عام ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

(٢) قذائف الحق: صـ٢١.

(٣) الإسراء: ٤٣.

وجملة القول:

إن علاقة الإسلام برسالة موسى عليه السلام في صورتها الأولى علاقة تصديق وتأييد كلي.

وإن علاقته بها في صورتها المنظورة علاقة تصديق لما بقى من أجزائها الأصلية وتصحيح لما طرأ عليه من البدع والإضافات الغريبة عنها[1].

ثانيًا: المسيحية في ضوء الإسلام:

١- يذكر القرآن الكريم مريم أم عيسى عليه السلام، فيقص خبر الحمل بها وولادتها وتربيتها في سورة آل عمران، فيقول تعالت كلماته: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾[2].

هذه هي الأحوال التي اكتفت الحمل بالبتول مريم وولادتها وتربيتها، ويلاحظ القارئ أن العبادة والنسك أظلاها وهي جنين في بطن أمها إلى أن بلغت مبلغ النساء، واصطفاها الله لأمر جليل خطير فأمها وهي حامل بها نذرت أن يكون ما في بطنها محررًا خالصًا لخدمة بيت الله وسدانته والقيام بشئونه واستمرت مصممة على الوفاء

(١) راجع: الدين: صـ١٨١.

(٢) آل عمران: ٣٥- ٣٧.

بنذرها، فلما وضعت، وكان نذرها على فرض الذكورة، كما يبدو من إشارات للقرآن جددت العزم على الوفاء بالنذر، وقد وجدت ما تسوغه النفس للتحليل من النذر، فكان ذلك الإصرار عبادة أخرى، إذ وجدت في النفس دواعي التردد والرجوع والتحلل من الوفاء، فكان كفها هذه الدعايات والقضاء عليها عبادة أخرى، ثم انصرفت الفتاة الناشئة منذ طراوة الصبا إلى النسك والعبادة، وقام على تنشئتها وهدايتها وتعليمها نبي من أنبياء الله الصديقين الصالحين، فكفلها زكريا ووجهها إلى العبادة الصحيحة، وتنزيه القلب من كل أدران الشر والإثم وكان الله سبحانه وتعالى يدر عليها أخلاف الرزق من حيث لا تقدر ولا تحتسب ومن غير جهد ولا عنت حتى أثار ذلك عجب نبي الله كافلها.

ولقد كانت تلك التنشئة الطاهرة التي تكونت في ظلها بريئة من دنس الرذيلة- لا يجد الشيطان سبيلًا أو منفذًا إلى النفس منها- تمهيدًا لأمر جليل قد اصطفاها الله تعالى له دون العالمين.

ولذا خاطبتها الملائكة- وهي الأرواح الطاهرة- باجتباء الله لها: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَـٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾[1] ولقد كان ذلك الاصطفاء هو اختيار الله لها لأن تكون أمًا لمن يولد من غير نطفة آدمية وكان ذلك لكي تكون آية الله مشهورة......».

٢- حملت العذراء البتول مريم بالسيد المسيح عليه السلام وهو الأمر الذي اجتباها الله له واختارها لأجله ولقد فوجئت به إذ لم تكن به عملية فبينما هي قد انتبذت من أهلها

(١) آل عمران: ٤٢-٤٣.

مكانًا شرقيًا أرسل الله إليها ملكًا تمثل لها بشرًا سويًا: ﴿قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾﴾[1].

حملت السيدة مريم البتول بعيسى من غير أب ثم ولدته....، ولما ولدته وخرجت به على القوم كان ذلك مفاجأة لهم سواء في ذلك من يعرف نسكها وعبادتها، ومن لا يعرف؛ لأنها فاجأتهم بأمر غريب، وهي المعروفة بأنها عذراء ليس له بعل فكانت المفاجأة داعية إلى الاتهام؛ أنه عند المفاجأة تذهب الروية، ولا يستطيع المرء أن يقابل بين الماضي والحاضر وخصوصًا أن دليل الاتهام قائم، وقرينته أمر عادي لا مجال للريب فيه عادة، ولكن الله سبحانه وتعالى رحمها من هذه المفاجأة فجعل دليل البراءة من دليل الاتهام لينقض الاتهام من أصله ويأتي على قواعده ويفاجئهم بالبراءة وبرهانها الذي لا يأتيه الريب ليعيد إلى ذاكرتهم ما عرفوه في نسكها وعبادتها، ولذلك نطق الغلام وهو قريب عهد بالولادة، أشارت إليه: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾[2].

(١) مريم: ١٨-٢٣.

(٢) مريم: ٢٩-٣٣.

نطق السيد المسيح في المهد ليكون كلامه إعلامًا صريحًا ببراءة أمه وأنه لم يكن إلا عبد الله ولد من غير أب، لحكمة يعلمها الله جلت قدرته، وقد أشار إليها سبحانه في قوله تعالى: ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾﴾[1].

ويرى- فضيلة الشيخ/ **محمد أبو زهرة**- أن تلمس تلك الآية يبدو منها أمران جليان:

أحدهما: أن ولادة عيسى من غير أب تعلن قدرة الله سبحانه وتعالى وأنه الفاعل المختار المريد وأنه سبحانه لا يتقيد في تكوينه للأشياء بقانون الأسباب والمسببات التي نرى العالم يسير عليها في نظامه الذي أبدعه الله.....

الأمر الثاني: أن ولادة عيسى من غير أب إعلان لعالم الروح بين قوم أنكروها، حتى لقد زعموا (اليهود) أن الإنسان جسم لا روح فيه وأنه ليس إلا تلك الأعضاء والعناصر التي تكون منها[2].

٣- ولما بلغ أشده بعثه الله تعالى وأيده الله بلا معجزات وهي تتلخص في خمسة أمور جاء ذكر أربعة منها في سورة المائدة في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ

(١) مريم: ٢١.

(٢) محاضرات في النصرانية صـ٢٠ وما بعدها.

جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾[1] وهناك خامسة ذكرت في سورة آل عمران: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾[2].

ويرى فضيلة الشيخ «محمد أبو زهرة» تعليلًا لكون معجزات المسيح علي السلام جاءت على ذلك النحو هو مناسبة ذلك النوع لأهل زمانه لأنهم كان قد سادهم إنكار الروح في أقوال بعضهم وأفعال جميعهم فجاء عليه السلام بمعجزة هي في ذاتها أمر خارق للعادة مصدق لما ياتي به الرسول وهي في الوقت ذاته إعلان صادق للروح وبرهان قاطع على وجودها، فهذا طين مصور على شكل طير ثم ينفخ فيه فيكون حياً وما ذاك إلا لأن شيئًا غير الجسم وليس من جنسه فاض عليه فدانت معه الحياة[3] .....

بعث عيسى عليه السلام بتلك البينات: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن

(١) المائدة: ١١٠-١١٥.

(٢) آل عمران: ٤٩.

(٣) محاضرات في النصرانية صـ٢٥ وما بعدها.

﴿رَبِّكُمْ﴾[1] وإنها باهرة تخرس الألسنة وتقطع الطريق على منكري رسالته لو كان الدليل وحده هو الذي يهدي النفوس الضالة والقلوب الشاردة ولكن القوم الذين بعث فيهم كانوا غلاظ الرقاب قساة القلوب فكانت مهمته شاقة إذ حاول هدايتهم لكنهم تقدموا لمناوأته وقليل منهم من اعتنق دينه وآمن به»[2] ويقرر القرآن الكريم أن الله تعالى نجى المسيح ﷺ من اليهود ومكرهم ولك يصلب ولم يقتل كما أرادوا له ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾[3]، ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾[4] ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَانَهُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾[5].

تلك قصة عيسى ﷺ الذي يثبت القرآن الكريم أنه ما دعا إلا إلى التوحيد والاتجاه بالعبادة إلى الله وحده لا شريك له.

يقول الشيخ/ **محمد عبده**[6]:

«إنا نعتقد أن المسيح روح الله وكلمته ورسوله إلى بني إسرائيل بعث مصدقًا لما بين يديه من التوراة وجاءهم من الدين بما فيه هدى لهم ورشاد في شئون معاشهم ومعادهم

---

(١) آل عمران: ٤٩.

(٢) محاضرات في النصرانية صـ٢٦.

(٣) النساء: ١٥٧.

(٤) النساء: ١٥٧- ١٥٨.

(٥) مريم: ٣٤- ٣٦، وانظر الآيات: ١١٦-١١٧ من سورة المائدة.

(٦) الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية صـ٤٤- ٤٥.

ولم يطالبهم بتعطيل قوة من قواهم التي منحهم الله تعالى إياها بل طالبهم بشكر الله تعالى عليها..... إلى أن قال: الدين دين الله وهو دين واحد في الأولين والآخرين لا تختلف إلا صوره ومظاهره، وأما روحه وحقيقة ما طولب به العالمون أجمعون على ألسن الأنبياء والمرسلين فهو لا يتغير: إيمان بالله وحده وإخلاص له في العبادة ومعاونة الناس بعضهم البعض الخير ودفع أذاهم بعضهم عن بعض ما قدروا».

وبعد....

«أرأيت إلى هذا التكريم الذي أحاط الإسلام به مريم عليها السلام وعيسى عليه السلام؟ إنهما في التكريم السامي الذي أنزل لا له فيه المصطفين من عباده المقربين، وبينما يفتري اليهود على مريم افتراء نزهها الله عنه، وبينما يرميها قتلة الأنبياء بالفاحشة، ويتهمونها بالزنى إذا بالقرآن وبالجو الإسلامي كله قديمهُ وحديثهُ يعتبرها قديسة صديقة، وبينما ينكر اليهود على عيسى عليه السلام نبوته ويرمونه بالكذب، إذا بالإسلام يعترف بنبوته وبأنه عبد الله ورسوله وبأنه مبارك وبأنه وجيه في الدنيا والآخرة.

وبينما ينكر بعض مؤرخي الأديان مجرد وجود المسيح عليه السلام إذ لم تثبت لديهم الأدلة التاريخية على وجوده وعللوا المسيح والمسيحية بأنهما من اختراع القديس بولس، إذا بالإسلام يوجب على أتباعه وجوبًا حتميًا الإيمان بعيسى عليه السلام نبيًا ورسولًا ومباركًا ووجيهًا في الدنيا والآخرة، عيسى جزء من إيماننا نحن المسلمين نبي معصوم مبرأ من المعصية وأمه صديقة اصطفاها الله وطهرها واصطفاها على نساء بني إسرائيل».[1]

---

(١) المسيحية نشأتها وتطورها صـ٢٧٤- ٢٧٥ (خاتمة بقلم د. عبد الحليم محمد).

هذا ما انتهى إليه القرآن الكريم، وهو يقرر بوضوح الحقائق التالية:

أولاً: فطرية الإيمان، وأن الإنسان متدين بفطرته قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ (١٧٢) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾[١].

ثانيًا: إن آدم أول البشر خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وعلمه الأسماء كلها وأسجد له ملائكته وجعله خليفة في الأرض، وجعل ذريته من بعده خلفاء وخلائف في الأرض، وهذا يؤكد حقيقتين:

إحداهما: أن آدم خلق قلقًا مستقلًا وليس متطورًا من غيره، وكذلك ذريته من بعده.

الأخرى: إن التوحيد هو الأصل، وإن الوثنية طارئة وليس العكس.

ثالثًا: إذا كانت نشأة الدين مع الإنسان الأول (آدم عليه السلام)، فإن ذرية آدم مع تقادم الزمن وطول العهد قد انحرفوا عن الدين؛ مما دعا إلى إرسال الرسل ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[٢]. فالرسالات الإلهية التي حملها المرسلون جميعها نداء واحد

---

(١) الأعراف: ١٧٢-١٧٣.

(٢) النساء: ١٦٥.

﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾. وانطلاقًا من هذه الحقائق، وتوافقًا مع الواقع الإنساني الذي يفرض اجتماع المسلمين مع غيرهم وتعاملهم مع مخالفيهم، برزت مناظرات ومساجلات واهتمامات ومؤلفات في هذا الشأن منذ عصر الرسالة حتى يوم الناس هذا، فكان للرسول ﷺ مناقشات مع اليهود ومع النصارى واستمر الحال بعد عصر الرسالة. ولعل أول ما وصل إلينا من مؤلفات عبارة عن عناوين فقط منها: كتاب ألف مسألة في الرد على المانوية لواصل به عطاء (٨٠هـ- ١٣٨-١هـ) وهو مؤسس مذهب الاعتزال وإمامه ويبدو أن طبيعة المعتزلة ساعدت كثيرًا في هذا المجال، كما كان الإمام الأشاعرة أبي الحسن الأشعري (٢٦٠هـ- ٣٢٤هـ) كتاب جمع المقالات جمع فيها مقالات الإسلاميين وغير الإسلاميين كما ألف الإمام ابن تيمية «الحنبلي» (٦٦١هـ- ٧٢٨هـ) كتابه الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح.

ولعل أبرز المصادر الإسلامية الجامعة في هذا المجال كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم الظاهري (٣٨٤- ٤٥٦هـ) وكتاب الملل والنحل للشهرستان (٤٧٩هـ-٥٤٨هـ).

رابعـًا: المحافظة على الهوية الإسلامية بعد الوقوف على محاسن الإسلام، واكتشاف جماله، حينذاك، يحس المسلم بنعمة الإسلام، ويدرك فضل الله عليه بالإيمان؛ فلا شك أن النعم إذا عمت هانت، ولأن كثيرًا من المسلمين ولدوا مسلمين، ونشأوا في بيئات إسلامية، فإن كثيرًا منهم ضعف لديهم الإحساس بالإسلام،

وفقدوا حلاوة الإيمان، والنعم لا تدرك إلا بالإحساس بفقدها، أو مشاهدة من فقدها، هنا يلتفت الإنسان إلى تلك النعمة التي غفل عن شكرها، وأهمل المحافظة عليها، ويوم أن يدرك المسلمون قيمة تلك النعمة التي لا تداينها نعمة، اجتهدوا في المحافظة عليها، ولا يستطيع أحد محو هويتهم، أو تهديد وجودهم، ومن المؤسف حقًا أن إهمال دراسة الأديان والمذاهب ساعد كثيرًا في اختراق الأمة الإسلامية، وتهديد الهوية الدينية، وتشويه الثقافة الإسلامية. فلا غرابة أن نجد من شباب الأمة وفتياتها تقليدًا أعمي، لا يعرفون أصله، ولا يقفون على فصله، بل تنتشر عملية التقليد انتشار النار في الهشيم بين فئات متعددة معتقدة أن في هذا التقليد مسايرة للمدنية، ومواكبة للحضارة الإنسانية، وما درى هؤلاء جميعًا أنهم يقلدون لمكاثر المخافين، ويسلكون مسالك الكافرين، بل أن البعض وصلت به الهزيمة النفسية إلى تسمية بناته بأسماء متعلقة بتلك الأديان الوضيعة مثل نرفانا وكارما وديانا، وشاعت في الأمة: نايكى Nike، وفينوس، واليوجا، وأبولو، وأطلس وغيرها على الملابس والمحلات والرياضة والجمعيات والكتب العلمية، ففي دراسة الملل والنحل مجانبة التشبه بالمخالفين ومواجهة الغزو الفكري، والمحافظة على الشخصية والذاتية الإسلامية.

خامسا: القدرة على مجادلة المخالفين بالتي هي أحسن كما علمنا ربنا ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾[1]، ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾[2].

ولا شك أن مناهج الجدل قد أخذت مكانها في كتاب الله تعالى، وفى سنة سيدنا رسول الله ﷺ وسيرته المطهرة، وللجدل أصوله وقواعده، وآدابه، وقاصده وأهدافه وغاياته.

ومما يعين على مجادلة المخالفين الإحاطة بكتبهم، ومعرفة أصولهم وأديانهم، وقد جاء في القرآن الكريم ما يشير إلى إيراد البراهين وإقامة الحجج على المخالفين ﴿قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٦٤﴾[3]، ونهى القرآن الكريم والسنة المطهرة عن اتباع الظن أو الحديث عن عدم علم أو يقين قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ تَسۡمِيَةَ ٱلۡأُنثَىٰ ٢٧ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا ٢٨﴾[4]، وعن البخاري من حديث أبي هريرة: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث...»، لذا قال أهل العلم: إن كنت ناقلًا فالصحة، وإن كنت مدعيًا فالدليل فلا يليق أن تجادل المخالف إلا بما صح عنده، وبالدليل الذي يلتزم به، لأن ما عنده حجة عليه وليس ما عندك حجة عليه وصدق الله القائل: ﴿قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾[5].

---

(١) النحل: ١٢٥.

(٢) العنكبوت: ٤٦.

(٣) النمل: ٦٤.

(٤) النجم: ٢٧-٢٨.

(٥) آل عمران: ٩٣.

سادسًا: القيام بواجب الدعوة إلى الله تعالى، ذلك لأن مجالات الدعوة تشمل المسلمين وغيرهم، ولا يتحقق ذلك إلا بالتعرف على عقائد المخالفين، ومعرفة طبيعة المجتمعات والتي لا تدين بالإسلام، وقد جاء في حديث سيدنا معاذ ﷺ ما يشير إلى ذلك حتى تحقق الدعوة ما تصبوا إليه، ويتحلى الداعية بما يُرجى منه، وتُعرف الأولويات، وتزول العقبات تأمل ما رواه البخاري لسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما:

قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: «إنك ستأتي قومًا أهل كتاب فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب» وصدق علي- كما ثبت عنه في صحيح البخاري- «حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله».

وإذا كان في هذا القول تحذر أن يخاطب العامة بالمشتبه عليهم فهمه، فإن القول في عمومه دعوة إلى مخاطبة الناس بما يفهمون وعلى قدر عقولهم، ولا شك أن دعوة المخالف بلغته وبما يفهم أيسر في الإقناع وأسهل في الإتباع، لذا أثمرت هذه الدعوة حين تأتي من داعية محيط بطبيعة المجتمع الذي يدعو فيه: لغة وعادة ودينًا وثقافة، ويوم أن يقارن هذا الداعية بين الإسلام وبين أي دين آخر، سيجد المدعوين فرقًا بين الثرى والثريا والأرض والسماء.

سابعًا: مواجهة الفرق الضالة المنسوبة إلى الإسلام والقدرة على مواجهتها؛ حيث يتمكن الباحث من رد الأفكار إلى أصولها، والمبادئ إلى منابعها، فلا يقع المسلمون ضحية لأفكار منحرفة، أو مبادئ مستوردة أو ينضمون إلى فرق ترفع راية الإسلام، وهو منها بريء، والدارس للأديان والمذاهب يجد أن طبيعة الحياة الإنسانية تقوم على التأثر والتأثير، والتفاعل مع الآخرين لكن الخطر الكبير أن تصر الفرق الضالة المنسوبة إلى الإسلام- التي تأثرت بالمعتقدات الباطلة- على تلك النسبة إلى الإسلام، وقد لبست ثياب غيره، وتزيت بزي عدوه وعملت على تحقيق مصالح خصومه؛ كما هو الحال من البابية والبهائية والأحمدية والقاديانية وغلاة الصوفية وكثير من الطوائف الشيعية.

من هنا تظهر أهمية هذا العلم، وتبرز قيمته.

وأخيرًا: فإن دراسة علم الملل والنحل يقرر حقيقة راسخة تفيد أن الإنسان كما هو مدني بطبعه أي لا يستطيع أن يعيش معزولا عن غيره، كما يقرر ذلك علماء الاجتماع، فإن الإنسان- كذلك- متدين بفطرته، لا يستطيع أن يعيش دون دين، أو أن يحيا دون إيمان، بحق أو بباطل، فالدين ضرورة والإيمان فطرة، ولعل في صفحات هذه الدراسة ما يزيد الأمر بيانًا ووضوحًا.

المذاهب الغربية في تفسير نشأة الدين

انقسم الغربيون إلى مذاهب متعددة في تفسير الظاهرة الدينية، ومن أبرز هذه المذاهب ما يلي:

أولاً: المذهب الطبيعي أو الكوني:

ينقسم هذا المذهب إلى قسمين: طبيعي عادي وطبيعي عنيف.

وقد ذهب أصحاب هذا المذهب إلى القول بأن العامل الأول في إثارة الفكرة الدينية؛ كان هو النظر في مشاهدة الطبيعة، لاسيما الأفلاك والعناصر، والأمر الذي يثير فيه الدهشة لما يشبه المشكلة أن الظواهر العادية لا تكفي في إيقاظ هذه الفكرة، إنما الحوادث الأرضية المفاجئة والعوارض السماوية النادرة التي تضطرب بالنظام العادي، فإن تأثيرها على المشاعر كتأثير دق الجرس في تنبيه الغافل وإيقاظ النعسان.

ومن أشهر مقرري هذا المذهب العالم الألماني ماكس مولر، وهو يستدل على ذلك بدراسة الفيدا (كتب الهند المقدسة) حيث وجد فيها أن أسماء الآلهة هي في الغالب أسماء لتلك القوى الطبيعية العظيمة كالسماء والنار والشمس والقمر.

وخلاصة هذا المذهب الطبيعي: أن التدين انبعث من مشاهدة الطبيعة، فالإنسان اتجه إلى هذه الطبيعة بالعبادة والتقديس، من أجل استدرار نفعها، ودفع أذاها، وطلب الرحمة منها.

ثانيًا: المذهب الروحي:

ذهب أصحاب هذا المذهب إلى القول بأن الإنسان العادي لاحظ أن الروح حين تغيب عن البدن في النوم لم تصبح عدمًا محضًا، فلما لا يكون الأمر كذلك بانفصالها بالموت، فكما أنه ليس من المألوف أن شيئًا يحدث من لا شيء، فالتصور الطبيعي

للموت أنه بانفصال عنصر المادة عن الروح ويرجع به كل منهما إلى طبيعته وبيئته، فتعود المادة إلى عالمها، وتأخذ الروح صورة أخرى من صور الوجود العيني، وهكذا ينشأ الاعتقاد بوجود أرواح مستقلة عن الأبدان لها مجال أوسع، وحرية للعمل أرحب، إن نفعًا وإن ضرًا، بحيث لا يشعر بها أحد، وهذه تمت على مرحلتين:

الأولى: الاعتقاد في بقاء أرواح الموتى.

الأخرى: الاعتقاد بوجود أرواح للأفلاك والعناصر.

في المرحلة الأولى: الحكم عند البدائيين: انتقال حقيقي لروح الشخص المرئي، يجيء الرائي في المنام، فيراه رؤية حقيقية على شكل طيف، وإذا كانت الرؤيا المنامية تتعلق بالأموات كما تتعلق بالأحياء لتنفعهم وتضرهم، فاقتضي التقرب إليها لتجنب أذاها، واستدرار عطفها.

أما في المرحلة الأخرى فلهم مذهبان في تفسيرها:

مذهب تيلور الذي يرى أن العقلية البدائية فيها من سذاجة الطفولة ما يقتصر بها عن التمييز بين الجماد والحيون، ويجعلها تعامل كلًا منهما معاملة الكائنات الحية، كما يداعب الطفل دميته ويناجيها كأن فيها روحًا.

أما المذهب الآخر فهو مذهب سبنسر حيث يرفض التفسير السابق بحجة أنه لا ينطبق على نفسية الطفل ولا على نفسية الحيوان فضلًا عن العقلية البدائية، ويرجح سبنسر أن عبادة الطبيعيات ليست نتيجة التباس عقلي كما زعم تيلور، وإنما هي وليدة التباس لغوى في أسماء الأسلاف المقدسين وذلك أن هؤلاء الأسلاف كانوا يسمون أحيانًا بأسماء مواد طبيعة، فكان بعضهم يسمى نجمًا والثاني حجرًا والثالث نمرًا وهكذا..

ثالثاً: المذاهب النفسية:

هناك ثلاثة آراء، أحدها لسابتيه حيث يقول:

الرأى الأول: إن العقيدة تتولد في الإنسان منذ نشأته، على أثر شعوره بمناقضة جوهرية بين حساسيته وإرادته وهما القوتان اللتان تتألف منهما حياة النفس في أيسر مظاهرها، وقال: إن حياتنا النفسية قائمة في جوهرها على حركتين متعاكستين، إحداهما تتجه من الخارج إلى الداخل، من المحيط إلى المركز، والأخرى من الداخل إلى الخارج من المركز إلى المحيط.

فالحركة الأولى تمثل تأثير الأشياء على النفس بواسطة الإحساس، والحركة الثانية تمثل محاربة النفس على الأشياء بتوسط الإرادة، وهذه هي حالة تأثير النفس وفاعليتها، وهناك مشكلة تظهر في تصارع القوتين السابقتين، لا ينطبقان تمام الانطباق، وليس بينهما كمال تناسق وتجاوب؛ ذلك لأن الحساسية تسحب الإرادة وتكبتها، فكلما اندفعت موجة الحركة الإرادية من داخل النفس وارتطمت على صخرة الأشياء الخارجية وانكسرت عليها؛ راحت كئيبة مكتئبة، وهذه الصدمات المتوالية بين العالم الخارجي والنفس هي السبب الأول لكل أنواع الألم، ومن هذه النزعة الداخلية ينشأ الدين.

الرأي الثاني: نظرية بيرجسون: يعتمد بيرجسون على جانبين: أحداهما: يرتبط بالقوانين الأدبية التي يفرضها المجتمع وما فيه من العرف والعوائد والآخر: يتعلق بالحوادث المستقبلية التي نفتح باب الإمكان وتتسع للاحتمالات والمصادمات فلا يمكن التنبؤ بها بصفة قاطعة.

أما الأول فلما كان نظام المجتمع وتماسكه يتطلب من الفرد انخلاعه عن بعض

رغباته، وتضحيته بجانب من حريته، وتحمله أعباء تقتضيها مصلحة غيره، ولا يعود عليها نفع مباشر، وغالبًا ما تكون الغريزة الاجتماعية أضعف من أن تحمله على نسيان نفسه في خدمة المجموع، وأن تجعل مثله كمثل النحلة حين تذهل عن نفسها في خدمة مجموع النحل، وذكاؤه يدعوه إلى الأثرة، كان لابد من وجود قوة أخرى تحافظ التوازن بين نظام الفرد والمجتمع، تلك القوة أعدتها الفطرة الإنسانية في النفوس حين أشربتها الفكرة الدينية، وذلك أنها صورت أمامها المحظورات الاجتماعية بصورة مخيفة، تجعل من المخاطرة انتهاكها ومازللت تبالغ في هذه التصورات حتى للنفس أن هذه المحظورات يقوم على حراستها حارس معنوي وذلك هو معنى الآلهة.

الرأي الثالث: نظرية ديكارت: يعتمد فيها ديكارت على فكرة الكمال وهي حقيقة فطرية أولية، وهي أسبق إلى العقل من فكرة النقص فإن من لا يعرف الشيء لا يفتقده، ولا يحس بحرمانه حين يفتقده.

رابعًا: المذهب الأخلاقي:

ذهب الفيلسوف الألماني «كانت» إلى القول بأن وجود الذات الإلهية ليست موضوع علم ومعرفة بحيث يثبت بالبرهان أو بالتجربة، بل هو موضوع إيمان عقلي بمعنى أنه مقدمه مسلمة لا مناص للعقل من أن يعتمدها لتصحيح الفكرة الأخلاقية الراسخة في النفوس.

وهذا البيان الذي قرره كانت ينتظم في ثلاث مقدمات:

الأولى: أن كل إنسان حتى الطفل المميز يجد في نفسه استحسانًا لبعض الأفعال، واستهجانًا لبعضها، وهذا القانون الأولي يضاهي القانون الطبيعي في أن كلًا

منهما ضرورة لا مفر منها وهذا لا يعبر عن شيء غير مشاهد، بل شيء يجيء وقوعه، فالإنسان ينتسب إلى عالم العقل وعالم الطبيعة، وكلاهما مطالب بحاجته، وما القانون الأدبي إلا ترجمان العقل الخالص ينطق بلسانه متجاهلًا ما للطبيعة من سلطان.

الثانية: يطالبنا العقل بتحقيق الخير المطلق ولابد من وسيلة لتحقيقه، ولا يتأتى هذا في حياتنا هذه فلابد أن تفرض علينا حياة لا تتناهى يتم فيها ذلك التقدم اللانهائي الذي هو الهدف الحقيقي لإرادتنا العاقلة، فكان خلود الروح مطلبًا لابد من تسليمه ليصبح في العقل وجود ذلك القانون الأخلاقي.

الثالثة: إذا حققنا الخير المطلق بتحقيق الفضيلة الكاملة، فقد بقي المطلب الأخير من مطالب العقل وهو تحقيق الخير الأعلى، وليس الخير الأعلى معنى مفردًا، بل هو جماع عنصرين: أحدهما: الفضيلة والآخر: السعادة التي هي حصول المرء على ما يرضيه في الحياة، لكن مقتضى الوضع العقل السليم أن تكون الفضيلة والسعادة معًا، فلابد إذن من مبدأ تخضع الطبيعة له، وما ذلك إلا الله.

خامسًا: المذهب الاجتماعي:

يرى دور كايم أن التدين وليد أسباب اجتماعية، بل يرى- كذلك- عناصر التفكير وأسس التفكير العقلية ويقدم لمذهبه مقدمات أهمها ما يأتي:

إن خير وسيلة لتفسير ظاهرة معقدة كالظاهرة الدينية أن ندرسها في بداية نشأتها، قبل أن تخالطها عناصر غريبة عنها، وأن ذلك يتأتى في بيئات الأمم البدائية.

أن تنسلخ النفوس فيها عن شخصاتها الفردية، وتنمحي كلها تحت شخصية واحدة هي الاجتماع، وهكذا يكون التدين ونهايته وبالتالي تعبد الجماعة نفسها من غير لا تشعر!

سادسًا: المذهب التعليمي:

يقرر أصحاب هذا المذهب أن الدين لم يسر إليه الإنسان، بل صار هو إليه، وأنه لم يصعد إليه بل نزل عليه، وأن الناس لم يعرفوا ربهم بنور العقل بل بنور الوحي.

وقد أخذت أوروبا بهذه النظرية في القرون الوسطي، وأيدها بعض علماء التاريخ حتى القرن التاسع عشر ولا تزال هي المذهب السائد عند كبار علماء الدين عندهم.

يلاحظ على هذه المذاهب ما يلي:

أولاً: إن هذه المذاهب- ما عدا المذهب الأخير- تنطلق من قاعدة (بشرية الدين)، بمعنى أن الإنسان هو منبع هذا الدين، فهو صانعه وهو مبدعه وهو منشؤه.

ثانيًا: إن كل مذهب يرى نفسه هو الحق، وأن ما عداه باطل، فاتخذ كل مذهب لنفسه مقياسًا عالميًا بغير بينة، وحقيقة مطلقة بغير دليل.

ثالثًا: لا مانع أن تكون هذه المذاهب وسائل وأدلة تعين على هداية الناس إلى الإيمان من ذلك ما جاء في القرآن الكريم متعلقًا بتلك المذاهب كلها:

اقرأ في المنهج الطبيعي قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾﴾[(١)]، ﴿ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ﴾[(٢)] ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ

(١) ق: ٦-١٠.

(٢) الأنعام: ٩٩.

سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِلَيۡلٖ تَسۡكُنُونَ فِيهِۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٧٢﴾﴾[1]. هذه الآيات في الطبيعة العادية أما في مظاهر الطبيعة العنيفة فاقرأ قوله تعالى: ﴿أَفَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِن نَّشَأۡ نَخۡسِفۡ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ نُسۡقِطۡ عَلَيۡهِمۡ كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ﴿٩﴾﴾[2].

قرأ في المنهج الروحي: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾[3]، ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾[4].

قرأ في المنهج الأخلاقي: ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾[5].

قرأ في المنهج الاجتماعي: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۗ ....﴾[6].

واقرأ في المنهج التعليمي: ﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ ....﴾[7].

---

(١) القصص: ٧١-٧٢.

(٢) سبأ: ٩.

(٣) الزمر: ٤٢.

(٤) آل عمران: ١٦٩.

(٥) الشمس: ٧-١٠.

(٦) البقرة: ١٧٠.

(٧) النساء: ١٦٥.

خلاصة الوحدة

نخلص من دراسة هذه الوحدة إلى ما يلي:

نشأة الدين من المنظور الإسلامي نشـأة ربانيـة ولـيس اجتهـادًا بشريًـا أو صـناعة إنسانية فآدم خلقه الله متدينًا، وفطره على التوحيد، والقرآن قد تناول قصـة آدم وسـاق قصص الأنبياء والمرسلين ليؤكد على أن التوحيد هو الأصل، وأن الوثنية طارئـة عليـه، ومهمة الأنبياء إعادة الناس إلى فطرتهم التي فطر الله الناس عليها.

كما أن علم الأديان إسلامي النشأة في ميادينه المتعددة وقـد سـجلت آيـات القـرآن الكريم تلك الميادين كلها- تاريخيًا وفلسفة ومقارنـة- بـل تناولـت المجـال الـديني في صوره المتعددة، وجاءت السنة المطهرة فتناولت كذلك أحاديث الأنبياء، وتابع العلـماء المسلمون ذلك وساروا على هذا المنهج فتنوعت دراساتهم قبل أن يعرفه الغـرب أصـل البحث في مجال الأديان.

انقسم الغربيون إلى مذاهب متعددة في تفسير الظاهرة الدينية أبرزها:

- **المذهب الطبيعي:** الذي يرى أصحابه أن التدين نشأ من مشاهدة الطبيعة.
- **المذهب الروحي:** الذي يرى أصحابه أن التـدين نشـأ مـن ملاحظـة الـورح حـين تنفصل عن البدن في النوم، والاعتقاد معالم الأرواح مستقلًا عن عالم الأبدان.
- **المذهب النفسي:** الذي انقسم إلى ثلاثة آراء؛ أحدهما: أن التدين نشأ نتيجـة الصراع للـداخلي بـين للـنفس والعـالم الخـارجي والثـاني: أن التـدين نشـأ لتخيـل للـنفس المحظورات الاجتماعية يقوم على حراستها حـارس معنـوي (الإلـه) والأخـير، أن

التدين نشأ من فكرة موجودة في النفس وهي فكرة الكمال (الألوهية).

- المذهب الاجتماعي: الذي يرى أن التدين وليد أسباب اجتماعية.
- المذهب التعليمي: وهو مذهب الوحي وهو المذهب السائد الذي يقول به رجال الدين في أوروبا.

أسئلة التقويم الذاتي

أولاً: أسئلة المقال:

س١ : تحدث عن نشأة الدين من المنظور الإسلامي؟

س٢ : ما الذي تستفيده من قصة آدم في مسألة نشأة الدين؟

س٣: كيف تحدث القرآن عن اليهود؟ وما دلالة ذلك؟

س٤ : اذكر أهم المصادر الإسلامية في التأليف في علم الأديان؟

س٥: كيف انقسم الغربيون حول نشأة الظاهرة الدينية؟

س٦: ماذا تعرف عن المذاهب الطبيعي؟

س٧: تحدث عن المذاهب الروحي في نشأة الدين عن الغربيين؟

س٨: ما الآراء الغربية لتفسير نشأة الدين من الناحية النفسية؟

س٩: تحدث عن المذاهب الاجتماعي لتفسير الظاهرة الدينية؟

س١٠: اذكر أهم المصادر الغربية في التأليف في علم الأديان؟

ثانيًا: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة «✓» أمام العبارة الصحيحة، وعلامة «✗» أمام العبارة الخاطئة:

١- الدين صناعة بشرية. ( )

٢- علم الأديان علم إسلامي النشأة. ( )

٣- اتفق الغربيون على تفسير الظاهرة الدينية. ( )

ثالثا: أسئلة الاختيار من متعدد:

اختر الإجابة الصحيحة مما بين القوسين:

١- نشأ الدين أول ما نشأ (مع آدم عليه السلام - نتيجة لعوامل طبيعية ونفسية).

٢- أول ما اعتقده الإنسان وآمن به (التوحيد- الوثنية والتعدد).

٣- مذاهب الغربيين في جملتها ترى الدين (وحيًا ربانيًا- صناعة بشرية).

النشاط التعليمي للوحدة الثالثة

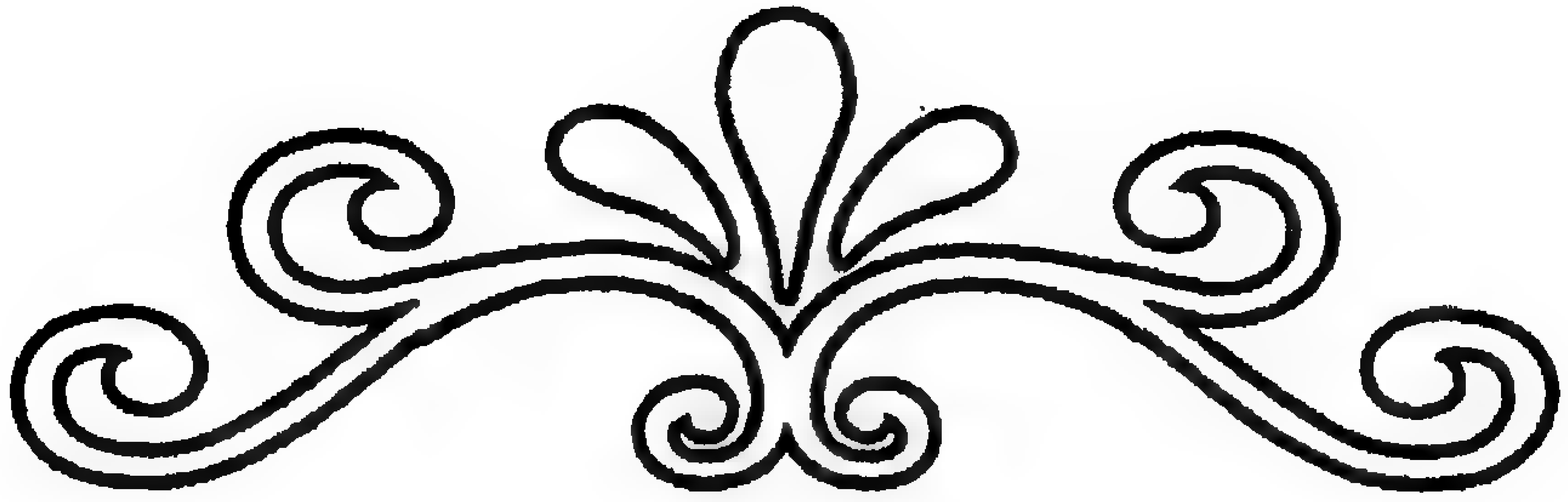
عزيزي الدارس:

حتى تكتسب المزيد من المعلومات حول الموضوعات الواردة في هذه الوحدة عليك أن تقوم بإنجاز النشاط التعليمي التالي:

اكتب بحثًا في:

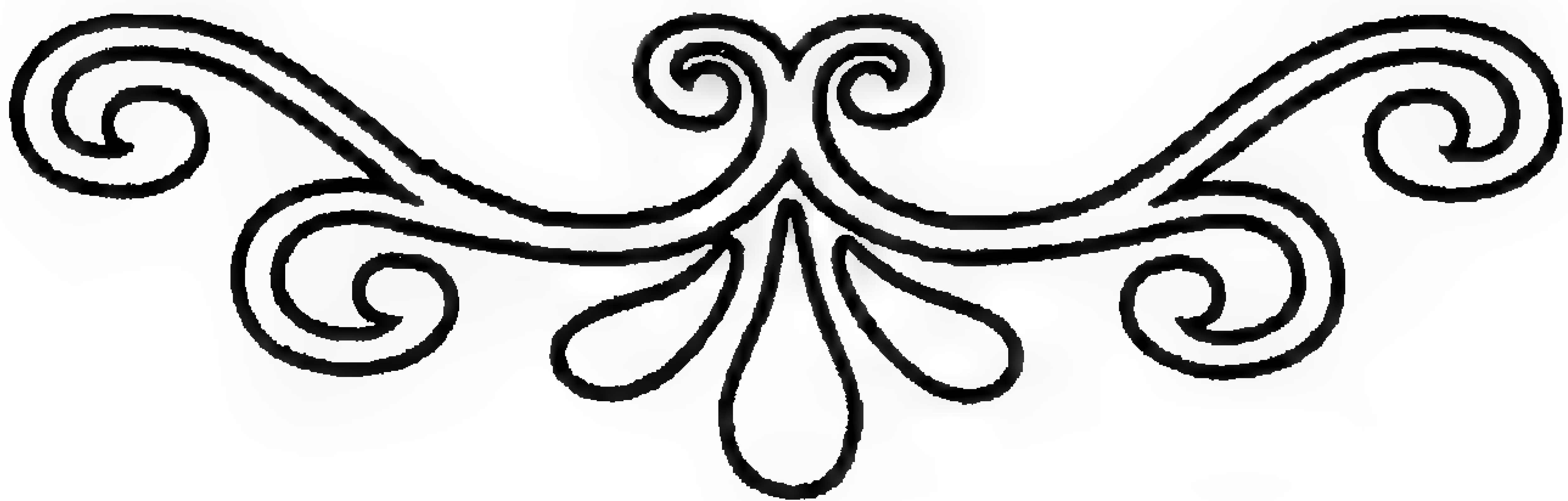
- كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل.

تتناول عرضًا لموضوعات الكتاب؛ مبينًا ما تراه من إيجابيات وسلبيات.



الوحدة الرابعة

نظرية التطور
وأثرها في مجال الأديان



محتويات الوحدة الرابعة

- معتمد القول بالتطور العقدي وعلته عند العلماء الغربيين.
- نقد أصول نظرية التطور العقدي.
- نقد افتراضات العلماء الغربيين في الإنسان عموما والإنسان الأول خصوصا.
- نقد نظرية التطور العقدي في ضوء الواقع المشاهد.
- نقد نظرية التطور العقدي في ضوء القرآن الكريم.

أهمية دراسة الوحدة:



عزيزي الدارس: لاريب أن عجز علماء الأديان الغربيين عن إدراك الحقيقة في نشأة الدين إنما كان لبعدهم عن نور الوحي من جانب، ولغلوهم في تمجيد العقل من جانب آخر، فضلا عن سوء العلاقة في الغرب وقتها بين العلماء ورجال الكنيسة.

ولما كان المسلم لا يطرح ما خالف دينه حميّة أو عصبية، وإنما يلتزم المنهج العلمي بالحجة البالغة في النفى أو الإثبات مسترشدا بالوحي الصادق والقول الفصل.

فقد عالجت هذه الوحدة ادعاءات العلماء الغربيين – ومن سار في فلكهم – تطور الدين والعقائد تأسيسا على نظرية الانتخاب الطبيعي أو أصل الأنواع، وكذلك افتراضاتهم في الإنسان وإمكاناته العقلية، فعرضت كل هذا على المنهج العلمي والنقد البناء فأظهرت الباطل بالدليل والبرهان، وجسّدت الحق بالوضوح والبيان مما يعكس أهمية ما ورد فيها من مطالب، وتعد الوحدة بذلك نموذجا لهذه المحاجة والله الهادي إلى سواء السبيل.

الأهداف التعليمية:



عزيزي الدارس: يُرجى منك بعد دراستك لهذه الوحدة أن تكون قادرًا على:

١- إثبات بطلان نظرية التطور العضوي علميا وواقعيا.
٢- إثبات بطلان نظرية التطور العقدي المؤسسة على التسليم بالتطور العضوى.
٣- إثبات أن القرآن الكريم هو هو المصدر الوحيد الحق لمعرفة نشأة الدين.
٤ - إثبات أن الدين الحق وحى الله المنزل على رسله وليس من صنع البشر.
٥ - إثبات أن العقل وحده قاصر عن إدراك الغيب وكمالات الدين ومن ثم فليس هو سبيل الرقى من التعدد إلى التوحيد.
٦ - إدراك دلالة وجود التعدد والشرك والإلحاد بجوار التوحيد في الأمم المتقدمة والمتخلفة على السواء.
٧- إثبات أن الإنسان الأول كان موحدا.

نشأة الدين ومناقشة الآراء فيها

لتبسيط القول نستطيع أن نقول أن علماء الأديان افترقوا في نشأة الدين إلى فريقين متقابلين لو نظريتين متباينتين:

- فريق يقول بأن الدين أصله ونشأته يعود إلى الجهد البشري والنضج العقلي.
- وفريق آخر يقول بان أساس النشأة هو الوحي من الله تعالى إلى رسله صلوات الله عليهم أجمعين هداية للبشر.

١- مصدر الدين الوحيد:

يري بعض الباحثين أن ربط الدين في مصدره للوحي مع اعتبار دقة الصانع وقدرته وحكمته ورحمته وتكريم الإنسان وارتفاع درجته ومكانته واستخلافه في الأرض من قبل الله تعالى هو ما يعرف بالنظرية الكلامية أو اللاهوتية أو النقلية.. وعلى أي حال فإننا نقرر ابتداءً أن هذا القول المنسوب لهذا الفريق إنما نقتصر فيه على ما قرره الإسلام دون ما قرره اليهود والنصارى مثلًا، وذلك لفروق واضحة في نظرتها للنبوة والوحي وفهمهما لمقتضي ذلك، فضلًا عما توفر من دلائل صدق هذه الكتب التي ينتسبون إليها من عدمه، فسنوضح ذلك في حينه ولكن في هذه العجالة نستطيع قول بأنه لم تتوفر دلائل صدق للكتاب الموحي به إلا للقرآن الكريم من بين سائر الكتب المتداولة بين أيدي الناس اليوم.

وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[1]

---

(١) الحجر: ٩.

فالوحي الصادق المنزل من الله على رسله هو وحده مصدر الدين الحق. قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾[1] وليست الرؤى ولا المنامات في هذا من شيء.

وعلى هذا- ومراعاة للحال- فسنعرض لبيان موقف الدين الحق هـذا مـن خـلال نقد الرأي القائل بان مصدر الدين هو الإنسان، على اخـتلاف مدارسـهم ومشـاربهم: نفسية كانت أو اجتماعية أو غيرهما.

٢- مصدر الدين الإنسان:

يقول صاحب كتاب الإسلام بين الأديان: أما النظرية الثانية فتذهب إلى أن مصدر الدين إنساني، على خلاف كبير بين الطرق التي يسلكها أصحاب هذه النظرية في إثبات ذلك، ولكن ما يجمع هؤلاء جميعًا، هو أنهم لا يرون مصدرًا للـدين خـارج هـذا العـالم الحسي، ومن الطبيعي أن يجمع هؤلاء عـلى إنكـار الألوهيـة كحقيقـة موضـوعية ذات وجود فعلي ثابت شامل ومستقل، كما يجمع هؤلاء أيضًا التركيز على النظرة التاريخية في تطور بعض الديانات وتمثيلها لطبيعة ومزاج الحياة الاجتماعية الخاصة بمعتنقيها ففكرة التطور مسيطرة تمامًا على أذهان هؤلاء.

ويري هؤلاء مثلًا أن الإنسان البدائي كان في مرحلة منحطة جدًا، ولـذا وجـب أن

(١) الشورى: ٥١-٥٣.

تلتمس لديه الصورة الدينية الأولي، التي كانت نتاجًا طبيعيًا صرفًا وان تعددت أشكالها، لان هذا هو كل ما ينتظر من كل جماعة همجية [(١)].

وباستقراء ما قاله أرباب هذا الرأى على اختلاف مشاربهم وطرق دراستهم، نجدهم يقولون بالتطور العقدي، بمعني أن الإنسان تدرج في عقيدته حتى عرف التوحيد مارًا بمراحل ثلاثة هي:

مراحل التطور العقدي

١- مرحلة التعدد:

وهى تمثل في نظرهم مرحلة الطفولة الإنسانية. ولما كان العقل الإنساني في هذه المرحلة كعقل طفل وليد، فللعوامل النفسية- كالخوف مثلًا- أو نتيجة للعوامل الاجتماعية واثر العقل الجمعي عبد الإنسان البدائي الأول كل شيء، إمّا دفعًا لضره أو رجاءً لنفعه. فعبد الأرواح ونسج الأساطير [(٢)] حولها، وكذا النبات والجماد والطواطم [(٣)] وغيرها.

٢- مرحلة التمييز والرجحان:

وهى تمثل في نظرهم مرحلة وسط في سلم التطور العقدي، كما هي في حياة

---

(١) الإسلام بين الأديان- د. محمد كمال جعفر- ص ٤٨.

(٢) الأسطورة: نتاج فكري وثقافي، تصور فكر وثقافة الإنسان البدائي، فتروي تاريخًا مقدسًا في نظره أو تحكي أعمال الآلهة والكائنات الخارقة مع الكون والإنسان (راجع: الإنسان في ظل الأديان- د. عمارة نجيب- ص١٠٤ وما بعدها).

(٣) الطوطم: كلمة تطلق على كل اصل حيواني أو نباتي أو جماد تتخذه العشيرة رمزًا ولقبًا لجميع أفرادها، وتعتقد أنها تؤلف معه وحدة اجتماعية وتنزله منزلة التقديس وكذلك ما ترمز إليه.

الإنسان تمثل مرحلة الشباب والتمييز.. وقد ارتقي فيها العقل درجة مكنته من التمييز والترجيح بين الأشياء فأدرك لهذه نفعًا يفوق غيرها ولتلك مضار تفوق ما سواها، فانتقي من بين معبوداته من خصه بالعبادة والتقديس والطاعة والإذعان والتقرب والتذلل، وان كان ما زال يعبد آلهة متعددة لكنها اقل من الأولي ويصاحبها فكر ارقي وتمييز صحبه تمايز وتقدير.

٣- مرحلة التوحيد:

وهى تمثل مرحلة النضج البشري واكتمال العقل الإنساني، وفيها عرف الإنسان الإله الواحد المتفرد المستحق للعبادة وان ما سواه ليس شيئًا مذكورًا. وان كانوا يعترفون بان التوحيد في مفهوم الإسلام غير مسبوق، لكن نظرتهم مردودة عليهم ولو اعترفوا ببعض ما في الإسلام من حق، فالله ورسوله اخبر بان من يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقي وبذلك آمن المسلمون وصدق المؤمنون وكذب القائلون بأن مصدر الدين الإنسان على أي تبرير أو تصوير كان.

معتمد القول بالتطور العقدي وعلته عند العلماء الغربيين

أ- العلة:

كان الدافع لهذا القول- تطور العقيدة بتطور العقل البشري- هو محاولة هؤلاء العلماء التخلص من ظروف بيئية أوجدتها الكنيسة في حينها، فإذا ما اعتقد الناس هذا المعني ذهبت قداسة الدين ورجاله- رجال الكنيسة- من النفوس وساعتها يتسنى لهم مواجهة السلطة الكهنوتية وما يتبعها، فكانت- في رأيي- رد فعل لظروف بيئية خاصة وملابسات عقيدية سائدة، فهي مواجهة بين دين مخصوص وبيئة خاصة. والدارس

لتاريخ الكنيسة وظروف نشأة هذه النظريات على اختلافها يتضح له ذلك[1]، ونجمل العلل في هذه الأسباب:

- موقف رجال الكنيسة من العلم التجريبي الحديث ومحاربته.
- اضطهاد رجال الكنيسة للعلماء واتهامهم بالهرطقة فضلًا عن قتلهم.
- الامتيازات الهائلة التي اختص بها رجال الكنيسة أنفسهم.
- التناقضات والاعتقادات المتباينة التي امتلأت بها كتب النصارى، فضلًا عما هو معروف للوثنيين وأقرانهم.

ب- المعتمد:

أما الأساس الذي اعتمده هؤلاء للقول بالتطور العقدي فنستطيع إجماله فيما يلي:

- نظرية التطور العضوي «الانتخاب الطبيعي».
- افتراضهم استقلال الإنسان ووحدانيته في هذا الوجود وانه لا شيء وراء العالم الحسي.
- افتراضهم أن الأمم المتدنية المتخلفة تمثل في معتقداتها الإنسان البدائي أو الإنسان الأول.

(١) راجع: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين- أبو الحسن الندوي- الباب الرابع- ص١٧٢ وما بعدها.

نقد نظرية التطور العقدي

أولاً: نقد أصولها:

١- نقد نظرية التطور:

أن مفاد نظرية التطور أن الكائنات تنازعت البقاء وتواءمت مع حاجات التنازع فكان البقاء للأقوى والأصلح، فالإنسان في نظر القائلين بالتطور يعد تطورًا طبيعيًا لمادة أو خلية وجدت بالصدفة، فالخلية الصالحة ترتقي إلى شيء أكبر، أي من مخلوق وحيد الخلية إلى مخلوقات مركبة ثم إلى حيوانات، ثم كان الإنسان تطورًا لكائنات مرت بمراحل عدة... الخ.

ويعتقد دارون أن هذا التطور تم بالصدفة والانتخاب الطبيعي، بينما يعتقد لامارك أن البيئة هي الدافع الأساسي للتطور، كما كان يعتقد بوجود قوة كامنة في الكائن الحي هي المسئولة عن تطور الأعضاء وفقًا لما تقتضيه البيئة[(١)]

لقد ثبت بالمنهج العلمي التجريبي في أوروبا نفسها فساد هذه النظرية وبطلانها منذ عدة عقود من الزمان- وان كانت للأسف الشديد ما زالت تدرس في بعض معاهد المسلمين وجامعاتهم العلمية تحت مسمي العلم- وذلك لان شيئًا من النتائج المترتبة على فروضها لم يتحقق، فلم يخل الوجود من الكائنات الصغيرة ولا الضعيفة ولا تحول القوى منها إلى نوع آخر، وما صار الشمبانزي القوي إنسانًا ولا انقرض من دونه ولا تحول الإنسان إلى شيء ارقي، بل أن كل الأنواع أن كان هناك ثمة شبه يجمع بينها فهو وحدة الصانع الخالق الموجد العليم الخبير، وكل نوع مستقل بذاته ويقوم بما خلق من اجله باستثناء الإنس والجن لما وهبهما الله من حرية واختيار.

---

(١) انظر الإنسان في ظل الأديان- د. عمارة نجيب- ص٢٨ وما بعدها.

وصدق الله العظيم: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1].

وما أقسام علم الحشرات على كثرتها مثلًا إلا دليل على أصالة الأنواع واستقلالها، بل أن الإنسان هو ارقي الكائنات باتفاق- لا على انه منقلب عن اصل- لأنه محور الحية ولأجله خلقت الكائنات وما خلق هو إلا لعبادة الله وحده.. هذا الإنسان لولا أن سخر الله تعالى له ما في السماوات وما في الأرض جميعًا ما استطاع مع هذا الوجود شيئًا يذكر، فما أضعفه أما اضعف الحشرات مثلًا. وتأمل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾[2]

نظرية التطور العضوي

ولسنا بصدد تفنيد النظرية ونقدها بل يكفينا مؤنة هذا ما انتهى إليه أرباب هذا الباب وتقريرهم بطلانها وفسادها.

وعليه نقول: أن ما بني على باطل فهو باطل، ولما كان القول بالتطور العقدي مقيسًا في الإنسان على التطور العضوي وثبت فساد القول بالتطور العضوي، لزم فساد ما ترتب عليه وهو القول بالتطور العقدي.

---

(١) الأنعام: ٣٨- ٣٩.

(٢) الحج: ٧٣- ٧٤.

أما افتراضهم: استقلال الإنسان ووحدانيته في هذا الوجود فهو ظاهر البطلان بالتجربة والمشاهدة، ومن مظاهر ذلك:

- ضعفه وعجزه: ولو كان هو المستقل لفعل ما يريد.
- تفاوت القدرات والمفاهيم بين أفراده: ولو كان كما يقولون فما موقف التدني من الأعلى والغني من الفقير، بل أن ما يصدق على أحدهما يصدق على الآخر، فما من قدرة تامة ولا معرفة كاملة ولا هيمنة مستمرة.
- علاقته بالموجودات من حوله: وقدرته وعجزه وفهمه لحقيقتها أو جهله لها واستفادته منها أو إفسادها.. كل ذلك مظاهر ثابتة تدل على عدم استقلاليته وانه محكوم لا حاكم، مخلوق لا خالق....

ونظرة سريعة إلى الحياة المادية بكل جوانبها تفصح عن حقيقة الوجود وان الإنسان لن يتحقق وجوده إلا في ظل الإيمان الحق والتزام مبادئ الإسلام الذي أبرزه مكرمًا وافرده عبدًا لمن فطره- ساعة أن استقام- وتأمل قوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ۝٨ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ [1] وتأمل قوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ۝٢٤ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ۝٢٥ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ۝٢٦ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝٢٧ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۝٢٨ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۝٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ۝٣٠ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ [2] وكذلك قوله سبحانه: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝١٨ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [3].

(١) الطارق: ٥- ١٠.

(٢) عبس: ٢٤- ٣١.

(٣) الغاشية: ١٧- ٢٠.

تلك نظرات أمر بها القرآن الكريم إلى أساس الخلق وسبب الحياة من مطعوم ومشروب ومتاع ثم إلى مظاهر الكون ومحتوياته، فكلها آيات ناطقة بان الإنسان بعض هذا الوجود لا أصله ولا منتهاه، وان للكون فاطرًا خلقه وسيره بنظام بديع وترتيب عجيب

فواعجبا كيف يعصى الإله | أم كيف يجحده الجاحد
وفى كل شيء من مخلوقاته | له آية تدل على أنه الواحد

ثم جاءت النظرة الثالثة لتحقق العدالة والتوازن، فيستحيل أن يصير المؤمن والكافر سواءً. قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾[1]، ويقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾[2]

والمتأمل لهذه الآيات- وغيرها كثير كثير- مع تدبر الكون ومشاهده والحياة وما فيها يشهد بان الإنسان غير متفرد وان كان له قدره في ظل الإسلام وحده.

«فالإسلام يتميز عن الأديان كلها وفى مقدمتها المسيحية... كما يتميز عن الميتافيزيقا والفلسفة العقلية، وهو بتميزه هذا لا يقف في الخصومة مقابل المعرفة التجريبية، أو

(١) النبأ: ٤٠.

(٢) لقمان: ٣٣- ٣٤.

مقابل «لوضعية» التي سادت القرن التاسع عشر وخاصمت الدين، والميتافيزيقا، والمثالية العقلية، هو خارج عن محل النزاع ولذا لا يوجه إليه نقد، ولا يرمي بالعجز الذي وجهته «الوضعية» ورمت به ما عداها من مذاهب المعرفة، ومصادر العلم والحقيقة، فلسفة ودينا على السواء[(١)] ولذلك على المسلم أن يتفهم دينه ومن خلاله يتفهم الواقع من حوله والكون الذي يعيش بداخله، ومن تأمل الإنسان بهذا المعنى وجده- المسلم- «ليس منقطعًا عن الطبيعة بل هو جزء منها، وعلى صلة ببقية أجزائها. ومعرفة الإنسان لله كمعرفته للطبيعة سواء، هي ركون الإنسان في النوعين إلى التجربة، ومجال التجربة هنا وهناك هو «الواقع» ولا خلاف بين العلم والدين في ذلك. وإذن صلة العلم بالدين صلة متوازية ومتوازنة. كلاهما يبحث الواقع، وكلاهما يسلك طريق التجربة في بحثه إياه، وكلاهما يكمل الآخر في المعرفة والكشف عن الحقيقة»،[(٢)] مع ملاحظة أن التجربة نعني بها محاولة فهم الحقيقة القرآنية والتماس دلائل صدقها في الواقع الإنساني: سلبًا وإيجابًا وتصحيحًا وثباتًا.

وبالجملة فإن الله في خلقه كتاب منظور وهو الكون، وآخر مقروء وهو القرآن الكريم، وهما متفقان ويهديان الإنسان إلى صراط مستقيم وبهما تقوم الحجة البالغة على الإنسان: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾،[(٣)] وقال سبحانه: ﴿الر ۚ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا

(١) الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي- د. محمد البهي- ص٤٤٨.
(٢) المرجع السابق- ص٤٤٥.
(٣) فصلت: ٥٣.

رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[1]

وعلى هذا فحال الإنسان ناطق بعجزه وضعفه واحتياجه، والكون شاهد بعظمة الخالق وعطائه وتدبيره وتسخيره وهدايته، فثبت بطلان هذا الافتراض ومن ثم فيما بني عليه- وهو استقلالية الإنسان واختراعه للدين- باطل كذلك.

افتراضهم أن الأمم المتدنية فكريًا واقتصاديًا مثل الإنسان البدائي.

الأول: هذا افتراض باطل من عدة وجوه: انه قياس للغائب على الشاهد، وهم ما عرفوا شيئًا يقينًا عن الإنسان الأول بأدواتهم ومعارفهم، وهذا يناقض أصول العلم التجريبي القائم على المشاهدة والمعتمد على الحس وهذا خلف!

أن المنهج التجريبي أشار إليه القرآن الكريم قبل أن يعرفوه بقرون وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴾[2] فقد قاس الكافرون الغائب على الشاهد دون علم أو دليل، وكان الأجدر بهم أن تكون شهادتهم موافقة لمشاهداتهم.

(١) هود: ١- ٥.

(٢) الزخرف:١٩ - ٢١.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾(1) فقد عاب الله عليهم حكمهم هذا لافتراءاتهم، لان معني قولهم هذا مخالفة القرآن الكريم لواقعه، فالنتيجة حتمًا توافق المقدمة ولا تتخلف عنها ما دامت شروطها تامة، فلو كان القرآن بشريًا لكانت لغة القرآن موافقة للغة من علّم رسول الله ﷺ، لكن هذا العلم المزعوم أعجمي والقرآن عربي مبين فبطلت النتيجة التي قالوا بها، ولو رتبوا النتائج على المقدمات والاستنتاجات على المشاهدات لأيقنوا أنه تنزيل من حكيم حميد.

الثاني: وأصول هذا المنهج التجريبي على ضوء ما ذكر تتنافي مع افتراضهم هذا، فهم لا يشاهدوا الإنسان الأول وليس عندهم يقين في هذا المقام، أن يتبعون إلا الظن وان هم إلا يخرصون.

الثالث: الواقع المشاهد ينفي تعميم الحكم فلكل قاعدة استثناء، فليس بين كل الأمم الفقيرة التعدد وحده وليس بين كل الأمم المتقدمة التوحيد وحده، بل في كل هذا وذاك حجة من الله على خلقه. وصدق الله العظيم: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾(2)

الرابع: اعتمادهم على الآثار والحفريات ومخالفتهم أصول العلم التجريبي كذلك من وسائل علماء الأديان الغربيين اعتمادهم على الآثار والحفريات ثم تعميم الحكم على السابق، وفي هذا خلف.

(1) النحل: ١٠٣.

(2) الأنعام: ١٤٩.

وأن الاعتبار بالآثار المادية في حد ذاته غير مستهجن، بل الخطأ في الاقتصاد عليه أو تعميم الحكم به.. أما الاقتصار عليه وحده وهو- الأثر المكتشف- جزء لا كل بدليل الواقع المحسوس لأنه تتوالي الاستكشافات فتبطل نظريات وتثبت أخري وتكمل ثالثة وتنقح رابعة.. وهكذا وهذا معلوم بالضرورة.

وأما تعميم الحكم فهذا كما أسلفنا قياس للغائب على الشاهد وفرض بلا دليل، ولو انصف هؤلاء ونظروا إلى القرآن نظرة باحث منصف- غير معتقد فيه- باعتباره أثرًا باقيًا منذ قرون طويلة إلا يلزمهم الأخذ به والاعتماد عليه كهذه الحفريات!

ثم لو أخذنا بالمنهج العلمي.. كلاهما ماذا يكون؟

أن آثارهم ناقصة ودلالاتها ظنية غير قطعية، تقبل الإضافة والحذف بل والتغيير، وهذا معلوم مشاهد.

بينما النص القرآني كامل يقيني الدلالة لم يقبل إضافة ولا حذفًا ولا تغييرًا وتحدي العالمين أن يأتوا بمثله!

الآثار تخبر عن ظروف محدودة بزمان وأشخاص وأمكنة لا تتعداهم، وسحبها على نشأة الدين خروج عن المنهج العلمي.

بينما القرآن الكريم يخبرنا بوضوح عن النشأة ويصور لنا كيف يطرأ عليها الانحراف ومتى تعود السيرة نشأتها الأولي.

الآثار لا تتعلق بمستقبل ولا تخبر عن غيب ويتوقف فهمها على معرفة لغتها ظنًا أو يقينًا.

بينما القرآن بلسان عربي مبين يخبر عن المستقبل وتتحقق وعوده ولا تتخلف، كما يخبر عما مضي بخبر يقيني لا يعتريه شك ولا وهن.

إن المنهج العلمي الصحيح لو التزمه هؤلاء لما تحيروا في نشأة الدين حيرتهم هذه، لأنه ساعتها سيلزمهم نص القرآن الكريم كمصدر وحيد يقيني لمعارفهم، فان هم اعتقدوا قداسته لما له وحده من دلائل صدقه لظهر الحق وقامت الحجة، ولكنهم عن الحق مصرفون وما زالوا في غيبهم يترددون، يتبعون الظن وان هم إلا يخرصون.

هذا معتمد علماء الأديان الغربيين في قولهم بالتطور العقدي وان كان لكل طائفة منهم مسلك وطريق فيما عرف بنظريات نشأة الدين، كالنظرية النفسية- والنظرية التاريخية- والنظرية الاجتماعية- النظرية الطبيعية- النظرية الروحية... الخ.

وكان ذلك كذلك مع اجتماعهم على القول بتطور العقيدة واتحادهم في الاعتماد على نظرية التطور والفرضين السابقين، لان كلًا من العلماء حلل المظاهر والصور المستفادة من الدراسات الأثرية والحفريات بما برع هو فيه وتحدث به فكانت العلة نفسية أو اجتماعية أو طبيعية، وهلمَّ جرًا.

ثانيًا: نقد نظرية التطور العقدي في ضوء الواقع المشاهد:

مما تفيده نظرية التطور العقدي أن:

- الدين من صنع البشر.
- العقل سبيل الرقي من التعدد إلى التوحيد.
- الهمج والأمم البدائية يعرفون التعدد ولا يعرفون التوحيد.
- الأمم المتقدمة وأرباب العقول الناضجة يعرفون التوحيد ويرفضون التعدد.

وبملاحظة الدراسات الغربية أو استقراء الواقع- على حد سواء- نجد انه في

أغوار التاريخ البعيد- كما هو اليوم مشاهد معلوم في ارقي دول العالم فكرًا ونضجًا عقليًا ازدواج بين التوحيد والتعدد.

أن مفاد النظرية اليوم والعالم في أوج نهضته العقلية والمادية- كما يزعمون بدلالة التقدم التكنولوجي والصناعي- أن يكون العالم على التوحيد لا يحيد عنه، لكن ذلك باطل المشاهدة، ففي اليابان كما هو في الهند كما في أوروبا وأفريقيا والأمريكتين من يعبد الشجر والكواكب ومن يعتقد الإلحاد ويعتبر الدين خرافة!

أن غاندي يصرح بمقال تحت عنوان «أمي البقرة» مما جاء فيه قوله: **«عندما أري بقرة لا أعدني أري حيوانًا، لأني اعبد البقرة وسأدافع عن عبادتها أمام العالم اجمع»**. وأمي البقرة تفضل أمي الحقيقية من عدة وجوه، فالأم الحقيقية ترضعنا مدة عام أو عامين وتتطلب ما خدمات طول العمر نظير هذا، ولكن أمنا البقرة تمنحنا اللبن دائمًا، ولا تطلب منا شئ مقابل ذلك سوي الطعام العادي، وعندما تمرض الأم الحقيقية تكلفنا نفقات باهظة، ولكن أمنا البقرة فلا نخسر لها شيئًا ذا بال، وعندما تموت الأم الحقيقية تتكلف جنازتها مبالغ طائلة، عندما تموت أمنا البقرة تعود علينا بالنفع كما كانت تفعل وهى حية لأننا ننتفع بكل جزء في جسمها حتى العظم والجلد والقرون»[(١)]

والدكتور «رؤف شلبي» عندما زار أرخبيل الملايو يعود فيكتسب كتابه «آلهة في الأسواق»: فالناس يطلبون مواصفات محددة لمعبوداتهم وعلى صناع الآلهة مراعاتها بكل دقة، وهناك كم معروض للناس صنعًا مسبقًا يختار كل واحد ما يحلو له منها.

وهذا- وغيره كثير- يقطع بلا ادني تردد بفساد نظرية التطور العقدي، فما اجتمع

(١) نقلًا عن أديان الهند الكبرى- د. احمد شلبي- ص١١.

الناس على التوحيد الحق في زمن يظن الكثيرون من الأمم المتقدمة أنهم قادرون على هذه الحياة الدنيا ويفاخرون بالعقل الأوروبي خاصة ويتفوق الجنس الأبيض!

حتى من قال منهم بالتوحيد شكلًا فقد نفاه مضمونًا، فهو توحيد في تثليت كقول النصارى «باسم الأب والابن والروح القدس»[1] «اله واحد آمين»[2] وصدق الله العظيم إذ يقول ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾[3].

أن وجود هذا التناقض العددي من جحود وتعدد وإشراك وتوحيد رغم هذا النضج العقلي دليل قاطع على فساد نظرية التطور العقدي!

ولكن إذا ثبت بطلان نظرية التطور العقدي فما وجه الصواب إذن؟ أن الحق فيما نطق به القرآن الكريم ولا شئ سواه.

ثالثًا: نقد نظرية التطور العقدي في ضوء القرآن الكريم:

إذا ثبت- عمليًا- بطلان سبق التعدد للتوحيد! وكذلك بطلان التطور العقدي ومعرفة التوحيد بواسطة العقل! فان القرآن الكريم يبطل هذا القول، ولو سلمنا بصحته جدلًا. فلو لم نتعرض لمنطوق النظرية ودلالته عمليًا، وضربنا صفحًا عن نظرية التطور العضوي تنهار أمام الحق المبين كما ورد في الذكر الحكيم والقرآن العظيم.

١- الإنسان الأول عالم:

لقد اعتمدت النظرية في دعواها على أن الإنسان الأول عقله كطفل وبالتالي عدم

(١) متى صح (٢٠:٢٨) والعبارة كاملة كما وردت في شعائر النصارى.

(٢) متى صح (٢٠:٢٨) والعبارة كاملة كما وردت في شعائر النصارى.

(٣) يوسف: ١٠٦.

التمييز والفهم، وتبين لنا مجافاتهم للمنهج العلمي في فرضهم ووسيلتهم في بحثهم، لكن الحكيم الخبير والكتاب الخالد الصادق اخبرنا بخلاف ذلك، واليقين بلا ريب مقدم على الظن والقطعي صارف للمحتمل.. فماذا قال القرآن عن هذه الجزئية؟ قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾[1].

وما دام الإنسان الأول كان عالمًا ابتداء فليس ثمة تخبط أو اتخاذ التعدد مطلقًا متطابقًا مع معارفه وقدراته العقلية، وإنما على العكس كان موحدًا مقرًا بوحدانية الله تعالى.

٢- البشر والميثاق في عالم الذر:

وقد صرح بذلك القرآن الكريم كذلك في شأن ذرية آدم وهم في عالم الذر. يقول تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾[2]

٣- إرسال الرسل رحمة للعالمين:

وكذلك أرسى الله قواعد التوحيد على أيدي رسله الكرام صلوات الله عليهم أجمعين.. كلما عملت عوامل الانحراف بالعقيدة عملها وغيّر الناس وبدلوا جاءت

(١) البقرة: ٣١- ٣٣.

(٢) الأعراف: ١٧٢- ١٧٣.

الرسل فأعادتهم إلى ما عاهدوا عليه ربهم وقطعوه على أنفسهم من عبادته سبحانه دون سواه وقاموا معهم بمنهج الحق هذا إلى حيث شاء الله يقول تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾[1].

ومن أول لحظة لآدم عليه السلام يعيشها على الأرض يعلم تمامًا العداوة التامة والمستمرة بينه وبين الشيطان الرجيم، وقد تدرب عمليًا على ذلك في الجنة وعرف كيف يعود إلى ربه إذا أزله الشيطان عن الصراط المستقيم وان ذلك ليس إلا في التوبة والاستغفار، قال تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[2].

وهكذا يتضح جليًا أن القول بالتطور العقدي فاسد بالضرورة لفساد ما قام عليه، والحق أن التوحيد هو الأصل والتعدد أمر طارئ عليه بفعل الإنسان، وتمثل مظاهر الشرك والتعدد انتكاسات للفطرة التي خلق الله عليها الخلق في تاريخ البشرية.

وصدق رسول الله ﷺ «ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء» ثم يقول

(١) الأنبياء: ٢٥.

(٢) البقرة: ٣٥- ٣٩.

أبو هريرة «فطرة الله التي فطر الناس عليها»[1].

---

(١) متفق عليه.

خلاصة الوحدة

نخلص من دراسة هذه الوحدة لجملة من الحقائق هي:

(١) بطلان نظرية التطور العضوي.

(٢) بطلان نظرية التطور العقدي وعجز علماء الأديان الغربيين عن إدراك الحق في نشأة الدين بسبب اعتمادهم نظرية التطور العضوي وتقريرهم لها.

(٣) الإنسان الأول (آدم عليه السلام) كان عالما وموحّدا.

(٤) المجتمعات البشرية المتقدمة والمتخلفة على السواء تعرف التوحيد كما تعرف التعدد.

(٥) التوحيد هو الأصل والتعدد ناتج عن عوامل الانحراف البشرية.

(٦) القرآن الكريم هو المصدر الوحيد لإخبارنا عن الغيب، وليست الحفريات ولا الافتراضات القاصرة ولا قياس الغائب على الشاهد بشيء في هذا الباب.

أسئلة التقويم الذاتي

أولاً: أسئلة المقال:

س١: اذكر معتمد القول بالتطور العقدي وعلته عند العلماء الغربيين؟

س٢: كيف تثبت بطلان نظرية التطور العضوي بالتجربة العلمية والواقع المشاهد؟

س٣: ناقش مزاعم العلماء الغربيين أن الإنسان مخترع دينه ومعتقده؟

س٤: أقم الدليل العلمى على بطلان تمثيل الإنسان البدائى (الأول) بالأمم المتدنية فكريًا؟

س٥: ضلَّ من اعتمد على نتائج الحفريات وعلم الآثار في إدراك الغيبيات (ناقش العبارة)؟

س٦: باستخدام المنهج التجريبى أقم الدليل على فساد اعتقاد أن الدين من صنع البشر؟

س٧: لماذا لا يصلح العقل وحده لإدراك سبيل الرقى من التعدد إلى التوحيد؟

س٨: بماذا تفسر عبادة آلهة كثيرة في الأمم المتقدمة علميا وتحقيق التوحيد بين الأمم المتدنية؟

س٩: ما هي أصول نقد نظرية التطور العقدي في ضوء القرآن الكريم؟

س١٠: هل تتصور استقامة بني البشر على فهم واحد فقط سواء أكان التوحيد أم التعدد؟

ثانياً: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة «✓» أمام العبارة الصحيحة، وعلامة «✗» أمام العبارة الخاطئة:

١- لاسبيل لإدراك الغيب إلا عن طريق الوحى ( )

٢- نتائج الحفريات وعلم الآثار تفيد اليقين في معرفة واقع الناس في الأزمنة الغابرة ( )

٣- الإسلام هو الذى علّم البشرية وأرباب الحضارة الغربية أصول العلم التجريبى ( )

ثالثاً: أسئلة الاختيار من متعدد:

اختر الإجابة الصحيحة مما بين القوسين:

١- التطور العضوي يعنى به (نمو جسم الإنسان بزيادة عمره – تحول الإنسان عن حيوان قبله – أن البقاء في المملكة الحيوانية ليس إلا للأقوى والأصلح).

٢- الإنسان الأول (عرف التوحيد والدين بتعليم الله لـه – أدرك التوحيد والدين بعقله وخبراته – لم يعرف التوحيد ولا الاستقامة بدلالة معصيته لربه واستجابته للشيطان).

٣- التعدد والشرك ناتجان عن (فهم رسالات السماء – الإعراض عن الوحى الصادق – تحكم الناس بعقولهم وأهوائهم في دين الله).

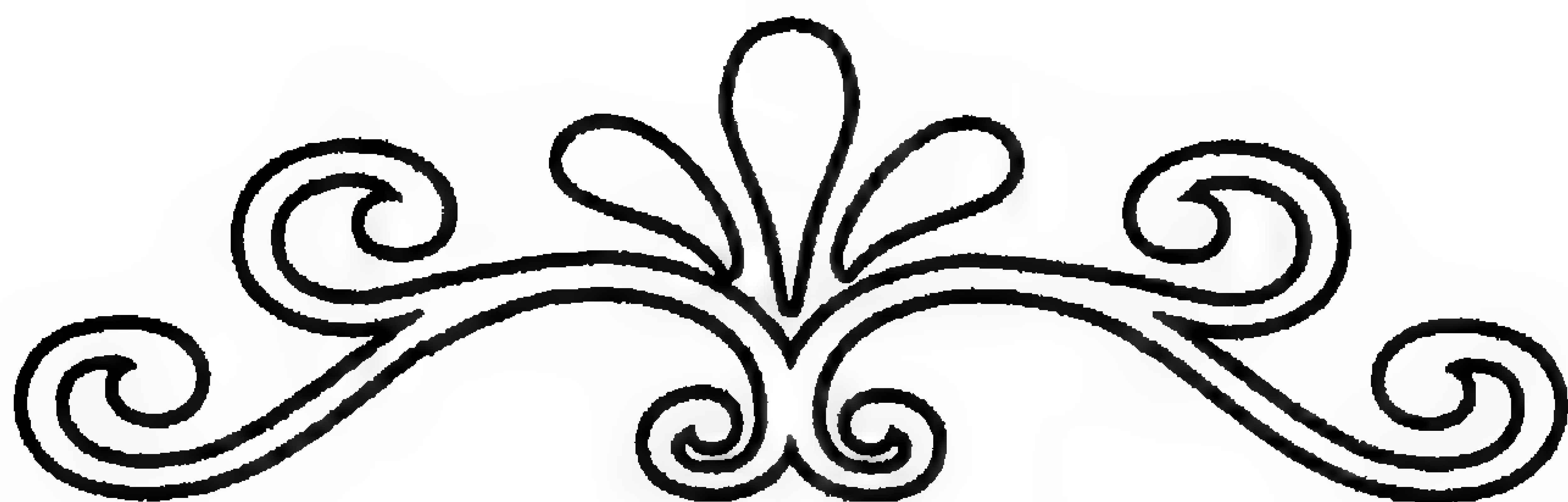
النشاط التعليمي للوحدة الرابعة

عزيزي الدارس:

حتى تكتسب المزيد من المعلومات حول الموضوعات الواردة في هذه الوحدة عليك أن تقوم بإنجاز النشاط التعليمي التالي:

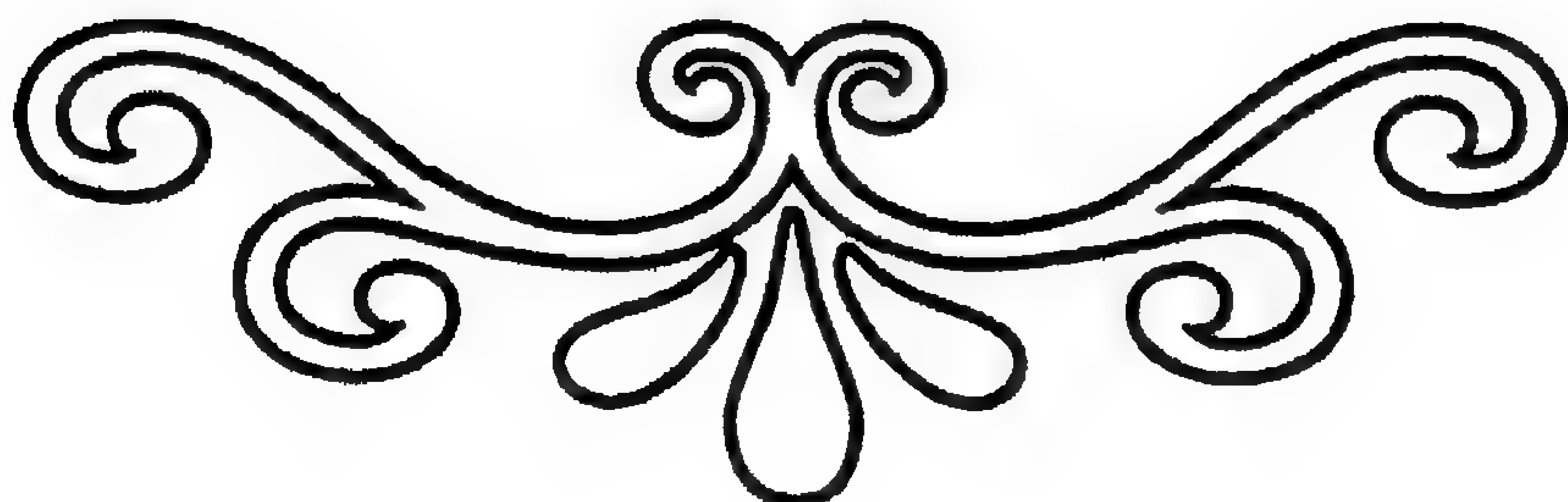
اكتب بحثًا في:

- علاقة العقل بعلم الغيب وعلم الشهادة.



الوحدة الخامسة

نظريـة المعـرفـة



محتويات الوحدة الخامسة

- التعريف بنظرية المعرفة لغة واصطلاحا.
- تاريخ نشوء نظرية المعرفة عند الغربيين.
- المسلمون ونظرية المعرفة.
- أنـواع المعرفـة (الحسـية - العقليـة - الإشـراقية - الوحيية)
- أهم خصائص المعرفة الوحيية.
- وسائل تحصيل المعرفة عند كل من (الفلاسفة - الرواقيون - الصوفية).



أهمية دراسة الوحدة:

عزيزي الدارس: تنعكس أهمية هذه الوحدة في أنها تقف بك على ما تطرح به الظن وتدرك معه اليقين، وتزيل بـه الشـطط والاخـتلاف بين الفلاسفة والماديين والإشراقيين في وسائل تحصيل المعرفة، فإذا بك على هدى ونـور لا تقع في الظلام ولا تسيطر عليك الأوهام وحقا فإن من حرم نور الله فما له من نور.



الأهداف التعليمية:

عزيزي الدارس: يُرجى منك بعد دراستك لهذه الوحدة أن تكون قادرًا على:

١- معرفة تاريخ نشوء نظرية المعرفة، وإدراك قصور جميع المدارس الفكرية التي لم تتصل بالوحي فتعصبت لرؤيتها فقبلت من وسائل تحصيل المعرفة ما أقرت، وأنكرت ما أقره غيرها، وتمييز ما ستحقق به الظن من اليقين، واعتماد المحكم من الوحي المنزل مصدرا يقينيا للمعرفة.

نظرية المعرفة والوحي

التعريف بنظرية المعرفة لغة واصطلاحًا:

تلازم المعنى اللغوي لكل من لفظة العلم ولفظة المعرفة في المعاجم اللغوية على النحو التالي:

الأول: فارس على الفعل «عرف»: «العين والراء والفاء أصلان صحيحان، يدل احدهما: على تتابع الشيء متصلًا بعضه ببعض، والآخر: على السكون والطمأنينة. فالأول: العرف: عرف الفرس، وسمي بذلك لتتابع الشعر عليه، ويقال جاءت القطا عرفًا عرفًا- أي بعضها خلف بعض-.

والأصل الآخر: المعرفة، والعرفان، تقول: عرف فلان فلانًا عرفانًا ومعرفة، وهكذا أمر معروف، وهذا يدل على ما قلناه من سكونه إليه لان من أنكر شيئًا توحش منه ونبا عنه»[(١)]

ومن هذا فالمعرفة: حالة تقتضي سكون العارف إلى المعروف، وهي ضد الإنكار الذي يقتضي وحشة بين المنكر والمنكر. صرح بذلك الجوهري وغيره فقال «العرف ضد النكر»[(٢)]

كالإقرار، آبادي فقد عرف «المعرفة» بأنها «العلم»، يقول عن معني الفعل «عرف»

(١) معجم مقاييس اللغة: لأبي الحسين احمد بن فارس بن زكريا المجلد الرابع ص ٢٨١ مادة «عرف».

(٢) الصحاح- تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري. وانظر لسان العرب: الإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن منظور ج٩ص ٢٣٩ مادة «عرف» - دار صادر بيروت. المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية ج٢ ص ٦١٧ مادة «عرف» - طبعة ٣.

«عرفه يعرفه معرفة وعِرْفانا وعرِفْه» - بالكسر - وعِرِفّانًا- بكسرتين مشددة الفاء-: علمه، فهو عارفٌ وعريفٌ وعَروفه»[1]. كالإقرار، والمجازاة، وغيره.[2]

أما عن معني العلم يقول ابن فارس:

«العين واللام والميم»: اصل صحيح واحد، يدل على أكثر بالشيء يتميز به عن غيره، من ذلك:

العلامة، وهى معروفة.

والعلَم: الراية، والجمع:إعلام.

والعلم: الجبل.

والعِلم: نقيض الجهل»[3]

هذا، وإذا كان الفيروز آبادي قد عرف «المعرفة» بأنها «العلم» - كما سبق- يعود هنا فيعرف «العلم» بأنه «المعرفة» يقول: «علّمه علمًا- بالكسر-: عرفه»[4] وبها أيضًا عرفه

(١) القاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي المجلد الثاني الجزء الثالث ص ١٧٨ مادة «عرف» -طبعة ٢ . وانظر لسان العرب: ابن منظور ج٩ ص٢٣٦ مادة «عرف».

(٢) انظر القاموس المحيط: الفيروز آبادي المجلد الثاني الجزء الثالث ص ١٧٨: ١٧٩ مادة «عرف». لسان العرب: لبن منظور ج٩ ص ١٣٦: ٢٤١ مادة «عرف».أساس البلاغة: حار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ص ٤١٥، ٤١٦.

(٣) معجم مقاييس اللغة م٤ ص ١٠٩.

(٤) القاموس المحيط المجلد الثاني الجزء الرابع ص ١٥٥ مادة «علم».

الجوهري[1] وعلى ذلك فالعلم والمعرفة مترادفان لغة يعرف كل منهما بالآخر وهما «يعبران عن حالة تبدو في سكون العارف إلى الشئ المعروف وطمأنينته به»[2].

وبتذوق اللفظ القرآني وتفهمه أدرك البعض أن بين المعرفة والعلم خصوصًا وعمومًا سواء من جهة اللفظ أو المعني، يقول الأستاذ عبد الحكيم المغربي:[3]

«المعرفة إدراك الشئ لتفكر وتدبر لأثره. وهي اخص من العلم، ويقال: فلان يعرف الله ولا يقال يعلم الله، متعديًا إلى مفعول واحد. وعرفه يعرفه معرفة وعرفانًا، فهو عارف. والعلم والمعرفة يفرق بينهما من جهة اللفظ، ومن جهة المعني، أم من جهة اللفظ ففعل المعرفة يقع على مفعول واحد، تقول: عرفت الديار. قال الله تعالى: ﴿فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾[5]، وفعل العلم يقتضي مفعولين كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ﴾[6]. وإذا وقع على فعل مفعول واحد كان بمعني المعرفة كقوله تعالى: ﴿وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾[7]

(١) الصحاح: الجوهري ج ٥ ص ١٩٩٠ مادة «علم».

(٢) مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي دراسة نقدية في ضوء الإسلام: د.عبد الرحمن بن زيد الزيدي ص ٣٨.

(٣) المعرفة في ظل الإسلام- عبد الحكيم المغربي ص ١٣ وما بعدها.

(٤) يوسف: ٥٨.

(٥) البقرة: ١٤٦.

(٦) الممتحنة: ١٠.

(٧) الأنفال: ٦٠.

وأما من جهة المعني فمن وجوه أحدهما: أن المعرفة تتعلـق بـذات الشـيء، والعلـم يتعلق بأحوال الشيء، فتقول: عرفت أباك وعلمته صالحًا. ولذلك جاء الأمر في القـرآن الكريم بالعلم دون المعرفة كقوله تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[1]. وقوله تعـالى: ﴿ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ ﴾[2] فالمعرفة تصور التصور، والعلم حضور أحوال الشيء وصفاته ونسبتها إليه. فالمعرفة نسبة التصور، والعلم نسبة التصديق

ثانيها: أن المعرفة في الغالب تكون لما غاب عن القلب بعـد إدراكـه، فـإذا أدركـه قيـل عرفه.

أو تكون لما وصف له بصفات قامت في نفسه، فإذا رآه وعلم انه الموصوف بها، قيل: عرفه.قال تعالى: ﴿ وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴾[3].

فالمعرفة نسبة الذكر في النفس، وهو حضور ما كان غائبًا عن الذاكر، ولهذا كان ضدها الإنكار، وضد العلم الجهل قال الله تعالى: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾[4].

ويقال: عرف الحق فاقر به، وعرفه فأنكره.

ثالثها: أن المعرفة تفيد تميز المعروف عن غيره، والعلم يفيد تمييز مـا يوصـف بـه عـن غيره.

(١) محمد: ١٩.

(٢) هود: ١٤.

(٣) يوسف: ٥٨.

(٤) النحل: ٨٣.

رابعها: أنك إذا قلت: علمت محمدًا، لم تفد المخاطب شيئًا، لأنه ينتظر أن تخبره على أي حال علمته، فإذا قلت: كريمًا أو شجاعًا، حصلت له الفائدة. وإذا قلت: عرفت محمدًا استفاد المخاطب، انك أثبته وميزته عن غيره ولم يبق أن ينتظر شيئًا آخر.

خامسها: أن المعرفة علم يعين الشئ مفصلًا عما سواه، بخلاف العلم فانه قد يتعلق بالشئ مجملًا.

والفرق بين العلم والمعرفة عند المحققين: أن المعرفة هي العلم الذي يقوم العالم بموجبه ومقتضاه، فلا يطلق المحققون المعرفة على مدلول العلم وحده» أ.هـ

أما في الإصلاح: فيذهب صاحب المعجم الفلسفي إلى أن مصطلح نظرية المعرفة يرادفه (الابستمولوجيا) وهى فلسفة العلوم.[(١)]

بينما يري آخرون ضرورة التفريق بين فلسفة العلوم ونظرية المعرفة حيث عندهم فلسفة العلوم «مبحث نقدي في مبادئ العلوم وفى الأصول المنطقية لهذه المبادئ ينبغي التمييز بين فلسفة العلوم ونظرية المعرفة»[(٢)]

وقيل: أنها البحث في المعرفة التي تم لنا اكتسابها.. وهى تبحث في المعقولات العامة التي تشترك أغلب العلوم الجزئية في الانتفاع بها[(٣)].

---

(١) المعجم الفلسفي د. جميل صليبا ج ٢ ص ٧٣، نظرية المعرفة من سماء الفلسفة إلى ارض المدرسة د. عادل السكري ص ٢٨.

(٢) المعجم الفلسفي: مراد وهبة وآخرون ص ١٦٤.

(٣) المعرفة د.محمد فتحي الشنيطي ص ٦٧.

وذهب البعض إلى أن المعرفة: إدراك علاقة الارتباط والاتفاق أو التقابل وعدم الاتفاق وإلى هذا الرأي ذهب لوك.

بينما يرى ليبنيتز أنها:

١- العلاقة بين الحدود والحقائق.

٢- أنها بمعني تفسير أو وصف الأشياء أو تفسير الحقائق.

٣- أنها المباحث التي تتوسط الفكرة والقضية.

٤- أنها وصف الأشياء المثالية الخالصة.

٥- أنها وصف المستحيل.

٦- أنها تفسير ودحض الخطأ.(١)

وقيل المعرفة: إدراك يجمع بين العلم والإيمان.(٢)

والتعريف المختار من كل ما سبق لنظرية المعرفة: **«هي دراسة منظمة أو بحث في المعرفة من حيث أصلها، وماهيتها، وإمكانها، وطرق الوصول إليها، وطبيعتها وحدودها وقيمتها، أي بحث في المشكلات الناشئة عن العلاقة بين الذات العارفة والموضوع المعروف، والبحث عن درجة التشابه بين التصور الذهني والواقع الخارجي»**(٣).

تاريخ نشوء نظرية المعرفة «ابستمولوجيا» عند الغربيين:

---

(١) أبحاث جديدة في الفهم الإنساني «نظرية المعرفة» ج.ف. ليبنيتز تقديم وترجمة وتعليق د. احمد فؤاد كامل ص ٩٦.

(٢) العلم والإيمان مدخل إلى نظرية المعرفة في الإسلام د. إبراهيم احمد عمر ص ٧٢.

(٣) نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة د. راجح الكردي ص ٦٤، مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي دراسة نقدية في ضوء الإسلام د. عبد الرحمن الزيدي ص ٥٠.

«في عصر الفلسفة القديمة كان السوفسطائيون أول من آثار البحث في المعرفة، ومهدوا السبيل للعاقلين والتجريبيين، وفيها بحث الإيليون، وأفلاطون وأرسطو، وفيها بحث الرواقيون والشكاك والأبيقوريون، وفي العصور الحديثة كانت هذه المسألة في مقدمة المسائل عند البريطانيين وغيرهم من المالك الأوروبية في القرن السابع عشر، فكان للعقليين نفوذ كبير في ممالك أوروبا غير بريطانيا بما وضعه ديكارت (١٦٥٠)، وسينبوزا (١٦٧٧)، ولينيتز (١٧١٦)، وولف (١٧٥٤). أما الباحثون البريطانيون بيكون (١٦٢٦)، وهوبز (١٦٧٩)، ولاسيا جون لوك (١٦٣٢ - ١٧٠٤) فكانوا تجريبيين، وقد أدت أبحاث لوك التجريبية إلى مذهب الشك الذي وضعه هيوم (١٧٧٦) في انجلترا، كما أن بحث هيوم كان باعثًا قويًا» لكانت «على أن يرقي مذهبه النقدي، وكما قيل: «ينبهه من نومه اليقيني».[(١)]

وعلى كل حال فان نظرية المعرفة و(الابستمولوجيا) بالمفهوم العام تستخدم حسب المفهوم الإنجليزي الذي لا يفرق بينهما حيث أن من فرق بينهما نظريًا يصعب عليهم التمييز في الواقع الفعلي بينهما في اغلب الأحيان.[(٢)]

بينما ذهب الدكتور «الزبيدي» في تاريخه لنظرية المعرفة في الفكر الغربي إلى أن سقراط[(٣)] القائل بان العقل مصدر المعرفة يأتي على رأس القدماء ومن بعده أفلاطون[(٤)]

---

(١) مبادئ الفلسفة أ.س. رابوبرت ترجمة احمد أمين ص ١٩٨، ١٩٩.

(٢) نظرية المعرفة في سماء الفلسفة إلى ارض المدرسة د. عادل السكري ص ٣١.

(٣) فليسوف يوناني قاوم الفلسفة الشكية واثبت المعرفة العقلية ت «٣٩٩ ق.م» الموسوعة العربية الميسرة «٩٨٥».

(٤) فليسوف يوناني تتلمذ على سقراط وقال بنظرية المثل في المعرفة التي يرجع فيها المعرفة إلى التعقل المحض ت «٣٤٧ ق.م» الموسوعة العربية الميسرة «١٨١».

فواصل منهج أستاذه، ثم خلفه تلميذه أرسطو الذي جعل التجربة الحسية مقامًا مهمًا في المعرفة باعتبارها الأساس الذي تنهض عليه المعرفة التي يقوم بها العقل، وبهـذا: جـدد أرسطو في قضية المعرفة فيما أثبت من عمـل رئيسي للحـواس، مما لم يقـل بـه أسـتاذه أفلاطون الذي قصر المعرفة على التعقل المحض.

ثم تواصلت جهود فلاسفة اليونان والعصور الوسطي المسيحية والعصور الإسلامية...

لكن معظم الباحثين الغربيين في نشأة نظرية المعرفة يجعلون عـام «١٦٩٠ م» بدايـة هـذه النظرية يوم أن طبع الفيلسوف الإنجليزي «جون لوك»[١] كتابه مقالة في الذهن البشري.

وإذا كان لوك مؤسس النظرية فان «إيمانويل كانـت»[٢] هـو وضـعها عـلى أسـاس علمي متين.

وتكتسب نظرية المعرفة أهمية كبري في الفلسفة المعاصرة بصـفتها احـدي مباحثهـا الرئيسية (الوجود، المعرفة، القيم) بل أنها تحتل المقام الأول بين تلـك المباحـث بعـد أن كان مبحث الوجود هو المقدم في مجال الفلسفة عند القدماء.[٣]

المسلمون ونظرية المعرفة:

وعلى هذا التقرير صار معظم المترجين والكتـاب العـرب، لكـن المجـال في نظريـة

(١) فليسوف إنجليزي من زعماء المنهج التجريبي، في عصر النهضة في أوروبا ت «١٧٠٤ م» الموسوعة العربية الميسرة «٥٧٨».

(٢) فليسوف ألماني قال بالنظرية النقدية في طبيعة المعرفة التي تتوسط بين التجريبية البحة والعقلية المتعالية واهتم بالأخلاق ت «١٨٠٤». انظر عبد الرحمن بدوي «ايمانويل كانت».

(٣) مصادر المعرفة في الفكر الديني الفلسفي دراسة نقدية في ضوء الإسلام د. عبد الرحمن الزنيـدي ص ٥٢ وما بعدها.

المعرفة لم يهمله المسلمون القدامى وإن اتخذ أشكالًا تتصل بمباحث عقيدية أو فكرية. يقول الدكتور الزبيدي: والحقيقة: أن لعلماء الإسلام السابقين في مجال المعرفة ومسائلها إسهامًا عظيمًا. فهم وإن لم يؤلفوا فيها تأليف خاصة، ملتزمة بالنسك الفلسفي المعهود في الدراسات المعاصرة، إلا أنهم قد تناولوا مسائلها خلال مؤلفاتهم في علوم أصول الدين والفكر والمنطق، وذلك مثل عمار الطالي الذي أفرد فصلًا في نظرية المعرفة في كتابه آراء أبي بكر بن العربي الكلامية، وكذلك على المغربي الذي افرض فصلًا لنظرية المعرفة في كتابه أمام أهل السنة والجماعة أبو منصور الماتريدي وآراءه الكلامية. بل أن بعضهم أفرد مؤلفات لبعض مسائل هذه النظرية: فقد ألف «ابن تيمية» كتابه «درء تعارض العقل والنقل» باحثًا فيه العلاقة بين مصدري المعرفة: العقل والوحش وميادين كل منهما. والقاضي «عبد الجبار الهمذاني»: أفرد مجلدًا في كتابه «المغني» بعنوان «النظر والمعرفة» بحث فيه مسائل المعرفة في سبعين بابًا. «والباقلاني» قدم لكتابه «التمهيد» بباب في العلم وأقسامه وطرقه، وبهذا سنّ سنة سلكها علماء الكلام بعده، وأخذوا يقدمون لكتبهم بمقدمة هي أشبه ما يكون بنظرية في المعرفة، أو دراسة في الفلسفة العامة، ويكفي أن نشير إلى مثلين اثنين:

أولهما: فخر الدين الرازي، الذي وقف الركن الأول من المحصول على العلم والنظر.

وثانيهما: الأيجي، الذي عقد أيضًا الموقف الأول من كتابه المواقف للعلم والنظر[1].

أنواع المعرفة:

ذهب الدكتور «راجح» إلى أن أنواع المعرفة أربعة:[1]

---

(١) المرجع السابق ص ٥٧، ٥٨ وراجع مقدمه إبراهيم مدكور لكتاب النظر والمعارف لمؤلفه عبد الجبار الهمذاني ص: ط.

(١) المعرفة الحسية.

(٢) المعرفة العقلية.

(٣) المعرفة اللدنية.

(٤) المعرفة النبوية عن طريق الوحي.

وممن وافقه على هذا التقسيم الدكتور «مصطفي غلوش» غير أنه عبر عن المعرفة اللدنية بالمعرفة الإشراقية.[٢]

وهناك من ذهب إلى أنها:

المعرفة الحدسية، المعرفة الاستدلالية، معرفة الاعتقاد أو الإيمان، المعرفة الحسية، المعرفة الاجتماعية[٣] وعلى أن كل حال فإن الفلاسفة وغير المؤمنين بالمعرفة الوحيية يقصرون أنواع المعرفة في الحسية والعقلية والمادية[٤].

وبعضهم يجعلها في الإحساس، والظن، والاستدلال، والتعقل.[٥]

وأجمل بعضهم هذه الأربع في عالم للشهادة حسية كانت المعرفة فيه أو عقلية أو حدسية، وعالم الغيب ولا يتأتى إلا عن طريق الوحي.[٦]

وعلى كل حال فالتقسيم الأول هو المختار لاشتماله على ما بعده.

أولاً: المعرفة الحسية:

(١) نظرية المعرفة بين القرآن والسنة د. راجح عبد الحميد الكردي ص ٥٣٩ وما بعدها.

(٢) البعد الرابع في نظرية المعرفة د. مصطفي غلوش ص ١٠٧ وما بعدها.

(٣) انظر أبحاث جديدة في الفهم الإنساني ج -ف- لينبيتز ص ٩٨، ٩٩.

(٤) الإنسان والعقل د. نايف معروف ص ٨٧ وما بعدها.

(٥) المعرفة عند فلاسفة اليونان د. محمد فتحي عبد الله ص ٢٩:٣١.

(٦) الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٣٢٤، المرجع السابق ص ٤٦ .

في الوقت الذي اعتبر فيه الفليسوف اليوناني المعرفة الحسية التي يحصلها عن طريق الحواس ظنية إدراك المسلمون أنها يقينية مثل درجة يقين البديهيات العقلية ويجعلون الحواس خمس: حاسة البصر لإدراك المرئيات، وحاسة السمع لإدراك المسموعات، وحاسة الذوق لإدراك الطعوم، وحاسة الشم لإدراك الروائح، وحاسة اللمس لإدراك الحرارة والبرودة والرطوبة واليابوسة، واللين والخشونة بها.

وتراث المسلمين يؤكد أن المعرفة الإسلامية تلزم المسلمين من خلال كتابهم القرآن الكريم ارتياد آفاق الكون والحياة، واستخدام حواسهم في إدراك عظمة الخالق سبحانه وانه الحق وإلا كانوا مقصرين في حق خالقهم الذي سخر لهم ما في الأرض جميعًا، وفى حق أنفسهم بل وفى حق الإنسانية، مع ملاحظة عدم الاقتصار على نوع من أنواع المعرفة دون سواه بل يعتمدون على الوحي اعتمادهم على الحواس والعقل والبصيرة[(١)].

وصدق الله العظيم: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾[(٢)] ويقول سبحانه: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ ﴾[(٣)].

واعتماد القرآن الكريم للحواس كمصدر للمعرفة نلحظه في مثل قول الله: ﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ ﴾[(٤)].

---

(١) فلسفة المعرفة في القرآن الكريم- على عبد العظيم ص ٦٥ إشكالية المعرفة ص ٥٠.

(٢) فصلت: ٥٣.

(٣) النمل: ٩٣.

(٤) السجدة: ٩.

ويقول: أم القرآن للحواس واعتبارها طريقًا من طرق المعرفة ليس أدل عليه من انه ذكر السمع للتعلق بالإنسان وما له علاقة بهذه الحاسة ما يقارب من ثلاثمائة مرة، كما ذكر البصر ومتعلقاته فيما يقارب فتين وأربعة وستين موضعًا، ويمدح الله سبحانه في القرآن من استعمل نعمة الحواس في الوصول إلى المعرفة، ويذم من اكتفي بهذه الحواس لتؤدي مجرد الدور الحيواني في الحياة وافسد دورها المعرفي يقول سبحانه: فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا.... ويقول: ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ١٧٩﴾[(1)].

والمعرفة الحسية تكون نسبية أو مطلقة، مكتسبة أو فطرية، وهي في مقام المعارف الإنسانية: معارف عامية ولها درجتان:

١- معرفة احساسية بحتة لا علاقة لها بالماضي و بالمستقبل، إنما تحس الواقع وتصوره.

٢- وفيها تشترك النفس في عملياته وتتناول ماضي الحياة وحاضرها ومستقبلها.

وهناك المعرفة العلمية وهى التي يعتمدها الإنسان في الوصول إلى ما قدر له في هذه الحياة[(2)].

وعلى كل حال فالمعرفة الحسية سابقة للمعرفة العقلية ومتضامنة معها، فالخطأ اعتماد المعرفة الحسية دون سواها مصدرًا وحيدًا أو مستقلًا للمعرفة، أو إنكارها بابًا

(١) نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة د. راجح الكردي ص ٥٨٨، والآيتان: الأنعام: ١٠٤-١٠٥، الأعراف: ١٧٩.

(٢) المعرفة في ظل الإسلام- عبد الحكيم المغربي ص ٢١، ونظرية المعرفة والموقف الطبيعي للإنسان د. فؤاد زكريا ص ١٣٥.

للمعرفة العقلية بل كلاهما رافد من روافد المعرفة.

ثانيًا: المعرفة العقلية:

ذهب أرباب المذهب الحسي التجريبي لاعتماد العقل نوعًا من الحواس واثرًا للمادة، بينما اتجه العقليون لتقديم العقل على الحس واعتبروا العلاقة بينهما علاقة مصاحبة غير أن العقل يتميز بأنه هو الإدراك السليم بينما الحواس تتميز بادراك غامض ومبهم. وفلاسفة المسلمين يعتمدون العلاقة بين العقل والحواس علاقة تأثير متبادل.

لكن نظرية المعرفة على ضوء القرآن الكريم جعلت العلاقة والحواس تقوم على:

عدم الاقتصار على واحد منهم بعينه، وعدم تفسير الآخر به.

الحس والعقل معًا يتكاملان ويتعاونان في تحصيل المعرفة يقول سبحانه: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ﴾[1].

مجال الحس عالم الشهادة بينما العقل يعمل في المجالين عالم الغيب والشهادة[2].

ومن ثم برز في المنهج المعرفي القرآني للعقل أدوار مختلفة: وظيفة التعقل، وظيفة التفكر، وظيفة التدبر، وظيفة النظر، وظيفة الفقه، وظيفة التذكر ومما يجدر ملاحظته أن العقل وهو يقوم بجملة هذه الوظائف، لا تعمل كل منها بصورة منفصلة في الكينونة الإنسانية، بل بصورة مترابطة متكاملة ترابط الكينونة الإنسانية الواحدة.

وعلى كل حال فإذا كان للعقل سيادة في مجال الشهادة فهي سيادة تتفاوت من

(١) النحل: ٧٨، الملك: ٢٣.

(٢) انظر نظرية المعرفة د. راجح الكردي ص ٦٠٩ وما بعدها.

إنسان لآخر ويعتريها النقص والقصور لكنه في مجال الغيب لا يملك العقل سوي الاستدلال على وجوده والاحتياج للوحي والتسليم الكامل لما صدر عنه، ولا يصلح له التحكم في مجال الغيب[1].

ثالثًا: للمعرفة اللدنية «الإشراقية»:

اعتمدت نظرية المعرفة الإسلامية المعرفة اللدنية أو الإشراقية كنوع ومصدر للمعرفة مع أنواع المعارف الأخرى، وأخطأ من أنكروها أو جعلوها المصدر الوحيد وتحللوا مما سواه مثل الصوفية الذين يرون أن الحسي والعقلي كلاهما ظن ويقصر عن اليقين بينما يرون أن العلم اليقيني هو ما جاء عن طريق الحدس باعتبار النور الفطري الذي يقذف في القلوب فيكشفون به المعارف والأحوال.

ومن قصر المعرفة منهم على الإشراق ولم يعتبر سواه فقد ضل وعطّل نصوص الدين، ويسمون هذا الكشف أو المعرفة الحدسية أو العلم اللدني[2]، وهؤلاء كان «الشطح» في «الوحد» وكانت العبارات الغامضة، وكانت العقائد الباطلة مثل الاتحاد والحلول ووحدة الوجود.. وهذا كله لا علاقة له بنظرية المعرفة وإنما هم الغنوصيون...

لكن المتصوفة الذين اعتمدوا الإشراق كمرحلة أو نوع من أنواع المعرفة فيرون أن التجلي لا يحدث إلا إذا صفت صفحة القلب وانقشعت غشاوته وعندئذ: يصبح القلب

(١) المرجع السابق ص ٦٥٣.

(٢) انظر الإنسان والعقل د. نايف معروف ص ٤٣: ٤٦، نظرية المعرفة عند المتصوفة د. أمين أمين راشد ص ٤٩.

أهلًا للإدراك الذوقي والمعرفة اللدنية، ويقصدون باللدنية أنها من لدن الله تعالى وتـري الصوفية أن إدراك القلب مختلف عن إدراك العقل ويقسمون الإدراك إلى:

معرفة ووسيلته (القلب).

علم ووسيلته (العقل).

وعند الإمام الجنيد: المعرفة: ذوق ووجدان ولا يعين عليها ولا يوصل إليها العقل، وإنما هي ضرب من: الإشراق والإلهام. وتتحقق المعرفة الصـوفية لمـن اجتـاز مراحـل ثلاث: التخلي والتحلي والتجلي.

وممن اعتمد المعرفة الإشراقية الإمام الغزالي في المنقذ من الضلال، والإشراق عنده لا ينفصل عن أنواع المعارف الاخري الموصلة إلى اليقين، ولا يـأت الإشراق عنـده بـم يصادم الوحي والنقل الصحيح وهذه هي المعرفة الإشراقية المعتبرة[(١)].

ومما يجب الإشارة إليه أن الإلهام والرؤى لا يصح شيئًا منهـا طريقًـا للمعرفـة دون سواه. وقيدًا لنص شرعي، روي عن الإمام على كرم الله وجهه انه سئل: «هل خصـكم رسول الله ﷺ بشيء دون الناس؟ فقال: لا، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلا فهمًا يؤتيـه الله عبدًا في كتابه»[(٢)].

كما لا يصح أن يعارض هذا الفهم أو الإلهام علمًا قائمًا على سبب أو دليـل... ذلـك

(١) البعد الرابع في نظرية المعرفة د. مصطفي غلوش ص ١٠٧ وما بعدها، وانظر المنقـذ مـن الضـلال لأبي حامد الغزالي ص ١٣٨، وإحياء علوم الـدين ج ١ ص ٩٧، المعرفـة عنـد مفكـري المسلمين د. محمـد غلاب ص ٣٢٥.

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين للإمام ابن القيم الجوزية تحقيـق حامـد الفقـي ج ١ ص ٧٤٦.

أن اعتباره إلهامًا لا يكفي ولا يعطيه الحجية في الاستدلال. إذ ليس هناك وجه ضابط يضبط أن ما عرض لهذا الولي، إنما هو من الله أو من الشيطان؟ لان الشياطين تجري من ابن آدم مجري الدم، ومذهب أهل السنة أن «الكشف الصحيح ليس بحجة لعدم ثقة من ليس معصومًا بخواطره»(١).

وعليه فالمعرفة اللدنية والفراسة والتوفيق والإشراق إلى آخر هذه المعاني ليس ما يمنعها شرعًا ولا عقلًا ما دامت تخص صاحبها ولا يبني عليها تكليف شرعي جديد ولا تصادم دليلًا قطعيًا في دين الله تعالى فسبحان من يقذف في قلوب أوليائه من الحق ما شاء. ولعل من هذا الحق الهامات سيدنا عمر ﷺ يوم أن قال وهو على المنبر: يا سارية الجبل ثلاثًا(٢). وقول رسول الله ﷺ عنه «قد كان يكون في الأمم محدثون- أي مُلهمون-، فان يكن في أمتي احد فعمر بن الخطاب»(٣). فتح الله علينا فتوح العارفين وجعل لنا من عطائه نصيبًا نسعد به في الآخرة والأولي.

رابعًا: المعرفة الوحيية «النبوية»:

الوحي هو الإلقاء الخفي السريع، وقد ورد ذكر الوحي ومشتقاته في القرآن في سبعين موضعًا، ستة منها في القرآن المدني والباقي في القرآن المكي. والأصل في استعماله: إعلام خفي لمن اصطفاهم الله أنبياء ورسلًا ليبلغوا للناس ما أوحي إليهم:

(١) تفسير المنار- محمد رشيد رضا ج ١١ ص ٢٦٥، نظرية المعرفة ص ٦٩٨.
(٢) أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير م ٣ ص ٦٥٩، نظرات في تاريخ الخلفاء الراشدين د. حلمي صابر ص ١٢٥.
(٣) رواه الترمذي باب مناقب أبي حفص عمر بن الخطاب وقال حديث حسن صحيح.

﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ﴾[1].

وقد استخدم لغير الأنبياء مثل وحي الله للحواريين ﴿وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي﴾[2]،ومثل وحي الله لام موسى عليه السلام: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ﴾[3]، كما أوحي الله إلى الملائكة: ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ﴾[4]، ﴿وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ﴾[5]، والى الأرض: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا﴾[6]. كما استخدم بين الجن والإنس: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ﴾[7] والوحي المراد هنا هو ما أوحاه الله تعالى لنبي من أنبيائه أو رسول من رسله لهداية الناس وهو مخصوص هنا بشرع الله لسيدنا محمد ﷺ رحمة من الله للعالمين.

وتم ذلك من الله لرسوله بأحد الصور الواردة في قوله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ﴾[8].

وإذا كانت العقول قاصرة، وأنواع المعرفة السابقة لا دراية لها بالغيب وهى محدودة في عالم الشهادة وسعادة الأرض والإنسان عليها، وإدراك ما يرضي الله وكمال عبادته

(١) الإسراء: ٣٩.
(٢) المائدة: ١١١.
(٣) القصص: ٧.
(٤) الأنفال: ١٢.
(٥) فصلت: ١٢.
(٦) الزلزلة: ٥.
(٧) الأنعام: ١٢١.
(٨) الشورى: ٥١.

والطمأنينة إلى سعادة بعد الموت كل ذلك متطلبات الفطرة السليمة ولا يحققها إلا الوحي بلاغًا على لسان رسول الله ﷺ[1].

وفى الصحيح أن الحارث بن هشام رضى الله عنه سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله: «أحيانًا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشد عليّ فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانًا يتمثل إلى الملك رجلًا فاعي ما يقول» قالت عائشة رضي الله عنها: «ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقًا»[2].

قال: عائشة رضي الله عنها قالت: «أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يري رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه- وهو التعبد- الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة، فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك، فقال: اقرأ. قال: ما أنا بقارئ. قال: فأخذني فغطني حتى بلغ منى الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ: فقلت: ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ: فقلت: ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾﴾[3] فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده.... الحديث»[4].

(١) نظرية المعرفة د. راجح الكردي ص ٧١١ وما بعدها.

(٢) رواه البخاري باب بدء الوحي.

(٣) العلق: ١-٣.

(٤) رواه البخاري باب بدء الوحي.

المعرفة الوحيية أعلى أنواع المعرفة وأكملها:

إن المعرفة النبوية أقيم واعلي من المعرفة العقلية لان مصدر المعرفة كلها العقلية والنبوية هو الله سبحانه، ولكن وسيلة المعرفة النبوية وطريقها اعلي لأنه نبي الله بينما طريق المعرفة العقلية العقل الإنساني الذي يشترك فيه كل الناس ومن ثم فاعتماد الله سبحانه للنبوة طريقًا للمعرفة واختصاصه للنبي الذي هو بشر بطريق الوحي غير البشري أعطي المعرفة النبوية عن طريق الوحي قيمة أكثر من المعرفة العقلية، ولذلك كان تفسير النبوة وكيفية الوحي فوق مستوي العقول البشرية، وليس يفيه حقه شرح عقلي إنساني إشراقي، لان العلم بالكيفية هنا من قبل الله العليم الخبير وهناك من قبل الإنسان العاجز المحدود.

وعلى كل حال فان النبوة أو الوحي بوصفه طريقًا للمعرفة اصطفاء واختبار وليس كسبًا من جهة النبي، كما أن النبي ليس فليسوفًا. ولا تفسر كيفية الوحي إلا بما ثبت في النصوص الشرعية من الكتاب والسنة.

ولكن أبت الاتجاهات الفلسفية في الفكر إلا الخروج إلى شرح وتعليل الوحي وكيفيته علي أسس فلسفية اشراقية، لا تلتقي مع التصور الإسلامي الدقيق شأنها في المعرفة كشأنها في الوجود. والعقل الذي يحترم نفسه في ظل التصور الإسلامي هو الذي لا يخوض فيما لا مجال له فيه. والنبوة لها خصائصها التي تنعكس أيضًا على خصائص المعرفة عن طريقها، والمعرفة النبوية تعانق في ظلها العقلي والمِلّي والشرعي ويتكامل فيها العقل والوحي[1].

---

(١) المرجع السابق ص ٧٧٦، ابن تيمية وإسلامية المعرفة طه جابر العلواني ص ٧٤ وما بعدها، إسلامية المعرفة- المعهد العالي المفكر الإسلامي ص ١١٢ وما بعدها.

أهم خصائص المعرفة الوحيية:

تتميز المعرفة الوحيية بخصائص منها: أنها خاصة بالأنبياء، وأنها ربانية المصدر وأنها ثابتة في أصولها، وشاملة وعامة لكل الحقائق المتصلة بالألوهية والكون والإنسان وسائر الوجود، وأنها متوازنة في جانبي الغيب والشهادة، وأنها ايجابية تحقق البناء والنماء المعرفي والعلمي، وأنها واقعية لا تحلق في سماء المثل والغير ممكن، فهي باختصار تشبع العاطفة وتقنع العقول وتريح النفوس وتحقق سعادة الحياة والأحياء.

الأسلوب المعرفي العملي في القرآن الكريم:[1]

نهج القرآن الكريم في إرشادنا إلى المعرفة نهجًا علميًا واقعيًا بعيدًا عن النظريات الجدلية والفروض الظنية التي تختلف فيها العقول وتتعارض فيها الأفهام، وهو بهذا ينشد خير البشرية ويجنبها مزالق الأوهام.

ومنهجه العلمي يقوم على دعامتين قويتين:

أولاهما: أن نستفيد من تجارب غيرنا سواء كانوا سابقين لنا أم معاصرين، بالاستماع إليهم والانتفاع بهم.

ثانيهما: أن نستعمل عقولنا وتجاربنا في طلب الحقيقة لنهتدي إلى ما لم يهتد إليه غيرنا،

وعبر عن الدعامة الأولي بالسماع.وعن الدعامة الثانية بالعقل قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾[2]. فالمقصود

(١) فلسفة المعرفة في القرآن الكريم- على عبد العظيم ص ٢٢ وما بعدها.

(٢) ق: ٣٧.

بالقلب هنا العقل، والمقصود بالشهيد المميز. قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾[1]. ونقل الله إلينا مشهدًا من مشاهد يوم القيامة حيث يقول الكفار نادمين: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (١٠) فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ (١١)﴾[2].

ووصف الله سبحانه الذين يصمون آذانهم ويوصدون عقولهم بأنهم شر الدواب ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (٢٢)﴾[3]، بل جعلهم كالأنعام أو شرًا منها قال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا (٤٤)﴾[4].

ولم يكتف القرآن الكريم بالإشارة والتوجيه بل وضع ضوابط علمية دقيقة لهاتين الوسيلتين للاحتراس من الزلل أو الانحراف وستتحدث عن هذه الضوابط الدقيقة في كلتا الدعامتين بإيجاز:

١- الدعامة الأولى:

وتقوم على أن ينهض كل جيل بتعليم الجيل التالي ما وصل إليه من تجارب وما استفاده من معارف، وان يرشد العالمون غير العالمين، وبهذا تتقدم الإنسانية في سبيل

(١) الحج: ٤٦.
(٢) الملك: ١٠-١١.
(٣) الأنفال: ٢٢.
(٤) الفرقان: ٤٤.

الرقي والكمال، وقد وضع القرآن الضمانات الكافية لتصل هـذه المعـارف إلى الأسـماع والعقول بعيدة عن التضليل والتحريف، واهم هذه الضمانات:

أولاً: إلا يكتم عالم ما اهتدي إليه من معارف وعلوم، فان هذه المعارف ليست ملكًا خالصًا له وإنما هي هداية من الله وبتوفيق منه، والحديث الشريف يقرر أنه «من سئل عن علم فكتمه الجم يوم القيامة بلجام من نار» والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾[1].

ثانيًا: أمانة العلم ينبغي أن تكون في المحل الأول من الاعتبار بحيث ينقل العالم معلوماته واضحة دقيقة لا لبس فيها ولا تحريف ولا زيادة ولا نقصان، قال تعالى: ﴿أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾[2]، وقال جل شأنه في بني إسرائيل: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾[3] وقال فيهم أيضًا: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا

(١) البقرة: ١٥٩- ١٦٠.

(٢) البقرة: ٧٥.

(٣) المائدة: ١٣.

﴿فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا﴾ (١) ويقول: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾ (٢).

ثالثاً: العلم حق مشاع للإنسانية جمعاء، وما بعث الله الرسل إلا معلمين مرشدين سواء بالكتب المنزلة أو القدوة الطيبة، واشتراط الأجر في التعليم يتنافى مع مبادئ الإسلام، إلا في حالة الاضطرار، والله تعالى يقول: ﴿اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا﴾ (٣) ويقول: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾﴾ (٤) ويقول: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ (٥).

رابعاً: البعد عن ضياع الوقت في المناقشات الجدلية سواء من جهة المعلمين أو المتعلمين، قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ (٦) وقال تعالى: ﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾﴾ (٧) وقال تعالى: ﴿وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ

(١) المائدة: ٤١.
(٢) البقرة: ٤٢.
(٣) يس: ٢١.
(٤) ص: ٨٦ – ٨٨.
(٥) المائدة: ٤٤.
(٦) الأنعام: ٦٨.
(٧) غافر: ٥.

اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾﴾[1]

وقال جل من قائل: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾﴾[2]، والواقع انه لا يضلل العقول ولا يعوق عن التقدم مثل المجادلات البيزنطية التي تبدد الجهود وتضلل العقول وتثير الخلافات في غير طائل، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾[3] وقال: «من ترك المراء وهو مبطل بني له بيت في ربض الجنة، ومن تركه وهو محق بني له بيت في وسطها»[4].

خامسًا: الاستجابة للحق القائم على الدليل، وقد عاب القرآن الكريم على المتعنتين الذين يغمضون أعينهم عن الضوء المنير ويجعلون أصابعهم في آذانهم حتى لا ينفذ إليها اليقين: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾﴾[5] وقد ذكر القرآن الكريم على لسان نوح عليه السلام تعنت قومه فقال: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾﴾[6]. وقد وصفهم الله سبحانه بالعناد المبني

(١) الحج: ٦٨-٦٩.

(٢) الحج: ٣.

(٣) الأنعام: ١٢١.

(٤) رواه ابن ماجة والبيهقي والترمذي وقال حديث حسن، وربض الجنة: ما حولها.

(٥) فصلت: ٢٦.

(٦) نوح: ٧.

على الجهل والضلال فقال جل شأنه: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾﴾[(١)] وقال عز من قائل: ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ ﴿١٥﴾﴾[(٢)] ووصفهم بأنهم ﴿يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾[(٣)] وقال فيهم: ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾﴾[(٤)].

سادسًا: الإقبال على النافع المفيد ما لا طائل وراءه من الأبحاث، وقد وصف الله تعالى المؤمنين بقوله: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾﴾[(٥)] وقوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾[(٦)] وقوله: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴾[(٧)] ووصف سبحانه الجنة بأنها ﴿لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴾[(٨)] ونعت على المؤمنين في جنة النعيم بأنهم ﴿لَا

(١) الأنعام: ٧.
(٢) الحجر: ١٤-١٥.
(٣) الرعد: ١٣.
(٤) الأعراف: ١٩٨.
(٥) الفرقان: ٧٢.
(٦) المؤمنون: ٣.
(٧) القصص: ٥٥.
(٨) الطور: ٢٣.

يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا﴾[1] وأنهم ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾[2] وقد نهي الله تعالى عن الإلحاح في طلب المحال أو ما يشبه المحال فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾[3] وقال سبحانه: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا﴾[4] وروي ابن ماجة والبهيقي عن النبي ﷺ قال: «سلوا الله علمًا نافعًا وتعوذوا به من علم ما لا ينفع».

سابعًا: التمييز في اختبار ما يجدي من المعلومات وما يصلح به حال الإنسان من الثقافات، وقد وصف الله الضالين بأنهم يتبعون الشياطين ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[5] وقد أهاب الله بنا أن ندرس ما نسمع فما رأيناه هدي اتبعناه وما رأيناه باطلًا اجتنبناه، قال جل شأنه: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[6] وضرب الله لنا المثل ببني إسرائيل في

(١) النبأ: ٣٥.
(٢) الواقعة: ٢٥- ٢٦.
(٣) المائدة: ١٠١.
(٤) النازعات: ٤٢-٤٣.
(٥) البقرة: ١٠٢.
(٦) الزمر: ١٧- ١٨.

انحرافهم عن الصواب حيث قال فيهم: ﴿سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّـٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾[1].

ثامنًا: التميز والدقة في اختيار من تتلقي عنه المعارف والعلوم، وقد أشار الله تعالى إلى هذا بقوله المبين: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[2] وقال الله تعالى: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾[3] وقال جل شأنه: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾[4] وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾[5] ومن هذا نتبين مقدار الضوابط التي وضعها القرآن الكريم ضمانًا لتمييز المعارف التي يتلقاها جيل عن جيل.

٢- الدعامة الثانية:

وهى دعامة التجارب العملية القائمة على التفكير المنطقي السليم، أما ضوابط هذه التجربة السليمة التي وسمها لنا القرآن الكريم فتقوم على الأسس الآتية:

أولاً: أن نحرر عقولنا مما ران عليها من تقاليد وعادات وأوهام انحدرت الينا من وراثات الآباء والأجداد أو من البيئة التي تحيط بنا منذ الطفولة، وبهذا نستطيع

(١) المائدة: ٤٢.

(٢) الأنبياء: ٧.

(٣) الفرقان: ٥٩.

(٤) يونس: ٩٤.

(٥) الزخرف: ٤٤-٤٥.

أن نفكر ونبحث في حرية وطلاقة، وهذا يستدعي منا أن نشك في كل شئ ونضعه موضع التجربة والاختبار قبل أن نصل به مرتبة اليقين، وهذا ما نادي به «ديكارت» بعد نزول القرآن الكريم بعدة قرون، حيث نادى بأن الشك أول مراتب اليقين. والقرآن الكريم ينكر على المشركين جهلهم حين يقولون: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾[1] ثم يرد عليهم في سخرية وتأنيب: ﴿قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ﴾[2] ويقول جل شأنه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾[3] ووصف الله سبحانه وتعالي المقلدين بأنهم يرددون ما تلقنوه كالببغاوات أو العجماوات ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[4] وكأن الله تعالى يهيب بهم أن فكروا بعقولكم أنتم لا بعقول آبائكم وأجدادكم، ولا بعقول المجتمع الذي تعيشون فيه، والرسول ﷺ يقول: «لا يكن أحدكم إمعة يقول: أن أحسن الناس أحسنت وإن أساءوا أسأت، ولكن وطنوا أنفسكم أن أحسن الناس أن تحسنوا وان أساءوا أن تتجنبوا إساءتهم»[5].

---

(١) الزخرف: ٢٣.

(٢) الزخرف: ٢٤.

(٣) البقرة: ١٧٠.

(٤) البقرة: ١٧١.

(٥) رواه الترمذي في بابا الإحسان والعفو من كتاب البر والصلة. والإمعة هو النكرة الذي يتبع كل ناعق.

ثانيًا: يدعونا القرآن الكريم إلى أن نستعمل الحواس والعقل معًا في تجاربنا المادية والمعنوية فكلاهما متمم للآخر، وليس بينهما انفصام أو شقاق كما يدعي الفلاسفة الحسيون أو الفلاسفة العقليون، والله تعالى يشير في تعداد نعمه علينا إلى الحواس والى العقل معًا، فيقول تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1] ووصف الكفار بأنهم الغوا حواسهم وعقولهم فضلوا عن السبيل: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ﴾[2] ثم هددهم بان مصيرهم العذاب الأليم لأنهم رفضوا استعمال ما انعم الله به عليهم من وسائل التمييز ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[3] وقال جل شأنه: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَـٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ﴾[4] بل أن الله سبحانه جعلنا مسئولين عن استخدام هذه الوسائل فقال

---

(١) النحل: ٧٨.
(٢) الأعراف: ١٧٩.
(٣) البقرة: ٦-٧.
(٤) الأحقاف: ٢٦.

جل من قائل: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[(1)] وقال جل شأنه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾[(2)].

ثالثًا: نبه الله سبحانه وتعالي إلى أن في الإنسان نوعًا من المواهب الخفية غير الحواس الظاهرة وغير العقل المفكر، وسمي هذه المواهب باسم «الحكمة» وهى التي يعبر عنها الصوفيون باسم «البصيرة الملهمة» والتي يسميها الفلاسفة المحدثون باسم «الحَدْس» وهى تدرك ما لا يدركه العقل والحواس معًا وتتناول ما وراء الواقع الملموس، ولقد منّ الله بهذه الحاسة الخفية أو الموهبة المميزة على عباده المقربين، قال تعالى: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُولُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[(3)] وقال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ﴾[(4)] وقال تعالى في شأن يوسف عليه السلام: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾[(5)] وفى موسى عليه السلام: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[(6)] وقال في خاتم الرسل والأنبياء ﷺ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ

---

(1) الإسراء: ٣٦.

(2) المؤمنون: ٧٨.

(3) البقرة: ٢٦٩.

(4) لقمان: ١٢.

(5) يوسف: ٢٢.

(6) القصص: ١٤.

وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[1] وكما يسميها الله تعالى بالحكمة يميزها بأنها فارقة بين الحق والباطل ويطلق عليها اسم الفرقان فيقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾[2] ويسميها أحيانًا بالنور لأنها تنير الطريق أمام المؤمنين فيقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[3].

وهذه الموهبة الخفية هبة من الله وحده يختص بها من يشاء من عباده ﴿وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[4]، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾[5].

هذه أهم وسائل المعرفة وخطواتها المنهجية العلمية رسمها لنا القرآن الكريم في آياته بدقة ووضوح قبل أن تتناولها عقول الفلاسفة بعدة قرون، فهل من مستجيب؟ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[6]. وهذا هو المنهج القويم والصراط المستقيم الذي دعانا إليه الدين الكريم ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ

(١) الجمعة: ٢.
(٢) الأنفال: ٢٩.
(٣) الحديد: ٢٨.
(٤) البقرة: ١٠٥.
(٥) النور: ٤٠.
(٦) الأنفال: ٢٤.

عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[1]. والأمر قبل هذا كله وبعده ينهض على توفيق الله تعالى قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[2].

وسائل تحصيل المعرفة:

وتحصل المعرفة بواسطة وسائل أو مصادر عدة أهمها إجمالًا[3]:

١- الحواس ٢- العقل ٣- القلب ٤- الخبر.

واعلم أن كل وسيلة من هذه الوسائل لها دورها الرئيسي في المعرفة بحيث لا نستطيع أن نستبدل العقل بالحس أو الحس بالعقل مثلًا، فلكل مصدر من المصادر نوع معين من المدركات الخاصة به، لا يمكن أن يهتدي الإنسان إليها أو يبلغها إلا من خلاله. وأجملها بعضهم في العقل والإيمان والحواس، وكأنه بذلك جعل الإيمان مكان القلب، واعتبر الخبر مدركًا بالثلاثة جميعًا، ولا يتحقق الخطأ البشري من خلال هذه الوسائل إلا لسبب من أربعة:

١- نقص الأدلة ٢- قلة الخبرة في استخدامها

٣- نقص في إرادة استخدامها ٤- قواعد الاحتمال الخاطئة[1].

---

(١) يوسف: ١٠٨.

(٢) الأنفال: ٢٩.

(٣) انظر: إشكالية المعرفة د. أمان عبد المؤمن ص ٢٥ وما بعدها، العلم والإيمان د. إبراهيم عمر ص ٦٣، دراسات مختصرة في علم الاجتماع أ/ أنور عامر ص ٦٧ وما بعدها، نظرية المعرفة عند ابن سينا د. فيصل بدير ص ٣٨١.

الفلاسفة ووسائل المعرفة:

وسائل المعرفة عند أفلاطون: لما كان أفلاطون قد حصر المعرفة في عالم المثل ويدرك بالعقل، فقد جعل من وسائل تحصيل المعرفة الجدل والحوار، وجعل لذلك حدًا معلومًا بأنه المنهج الذي به يرتفع العقل من المحسوس إلى المعقول دون أن يستخدم شيئًا حسيًا بل بالانتقال من معان بواسطة معان.[2]

وسائل المعرفة عند أرسطو: اعتبر أرسطو خمس وسائل لتحصيل المعرفة هي:

١- الإحساس ٢- الحس المشترك ٣- المخيلة ٤- الذاكرة

٥- القوي العاقلة- العقل المنفعل والعقل الفعال[3].

وسائل المعرفة عند ابيقور[4]: حصرها ابيقور في خمس وسائل وهى:

١- الإحساس ٢- الخيال ٣- الانفعال- أي الشعور باللذة والألم

٤- الذاكرة ٥- الحدس.

الرواقيون ووسائل المعرفة:[5]

تحدث الرواقيون عن ثلاث وسائل للمعرفة حصرها في:

---

(١) أبحاث جيدة في الفهم الإنساني «نظرية المعرفة» ج.ف ليبنتز ترجمة د. احمد فؤاد كامل ص ١١٧ وما بعدها.

(٢) المعرفة عند فلاسفة اليونان د. محمد فتحي عبد الله ص ٣٣ وما بعدها.

(٣) المرجع السابق ص ٤٨ وما بعدها، وانظر نظرية المعرفة عند أرسطو د. مصطفي النشار ص ١٣٧.

(٤) المرجع السابق ص ٦١ وما بعدها.

(٥) المرجع السابق ص ٦٥ وما بعدها.

١ - الإحساس ٢ - العقل ٣- الذاكرة.

الصوفية ووسائل المعرفة:

وسائل المعرفة عند المتصوفة ثلاثة:

١ - الحس ٢- العقل ٣- الحدس.[١]

وعلى كل حال فكل تلك الوسائل اعتمدتها نظرية المعرفة الإسلامية بضوابطها حسًا وعقلًا وتفكرًا وتذكرًا وفراسة ووحيًا، غير أن واحدة منها لا تنفرد بتحصيل المعرفة ولا يصح أن تحل احدها محل الأخرى في غير مجالها وتعوق قدراتها، وهذا هو الجرم والخطأ الذي وقعت فيه المدنية الحديثة، ولا حرم أن هذا الضيق في الأفق الذي يحسبونه حداثة وعصرية حجب أولئك عن إدراك أي نوع آخر من الحقائق.

وخلاصة القول: أن الإسلام دين وروح وبدن وعقيدة ومعقولات ومحسات، وشريعة ومعنويات وماديات، ومبدأ مجردات ومتحيزات، ومن تعاليمه الأساسية: أن لكل نوع من الموجودات طبيعة خاصة تلتزم من دراستها نهجًا خاصًا يلائمه ويتطابق مع طبيعته، وهو لهذا موقن اشد الإيقان أن هذا المنحي هو العلم الصحيح الرشيد المعتدل النقي من كل إفراط وتفريط[٢].

(١) نظرية المعرفة عند المتصوفة د. أمين أمين راشد ص ٤٩.

(٢) المعرفة عند مفكري المسلمين د. محمد غلاب ص ١٤٦.

خلاصة الوحدة

نخلص من دراسة هذه الوحدة إلى ما يلي:

- وسائل تحصيل المعرفة تتكامل ولا تتعارض.
- الفلاسفة والماديون والروحيون كل منهم وقف على جانب من المعرفة وحرم أكثرها لوقوعهم في الإفراط أو التفريط، لاقتصارهم على بعض الوسائل دون غيرها.
- لم يتخلص من الإفراط أو التفريط في اعتبار وسائل تحصيل المعرفة إلا من عرف الوحي.
- علم البشر ناقص مهما حصل الناس منه (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا).
- المكتشفات العلمية تثبت كل لحظة ظنية المعرفة وقصورها وخطئها (وفوق كل ذى علم عليم).
- المعرفة ظنية ولا تفيد اليقين إلا في صحبة الوحى أو ثبات الدلالة في كل الأحوال.
- المعرفة الحقة والكاملة ما كانت عن طريق المحكم من وحى الله الخالد (القرآن الكريم).

أسئلة التقويم الذاتي

أولاً: أسئلة المقال:

س١ : عرف بنظرية المعرفة لغة واصطلاحا؟

س٢ : اذكرما تعرفه عن نشوء تاريخ نظرية المعرفة عند الغربيين؟

س٣: اذكر ما تعرفه عن إسهامات علماء المسلمين السابقين في مجال المعرفة؟

س٤ : ما هي أنواع المعرفة، وهل تتكامل مع بعضها البعض أم تتناقض؟

س٥ : اذكر ما تعرفه عن المعرفة الحسية ونظرة كل من الغربيين والمسلمين إليها؟

س٦ : اذكر ما تعرفه عن المعرفة العقلية ونظرة كل من الغربيين والمسلمين إليها؟

س٧: اذكر ما تعرفه عن المعرفة الإشراقية ونظرة كل من الغربيين والمسلمين إليها؟

س٨: اذكر ما تعرفه عن المعرفة الوحيية مبينا مكانتها وعلاقتها بالمعارف الأخرى؟

س٩: عند من يختلف إدراك القلب عن إدراك العقل، وما هي أنواع الإدراك عندهم؟

س١٠: هل تصادم المعرفة الإشراقية الوحي الصادق والنقل الصحيح، وهل يثبت بها شرع؟

ثانياً: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة «✓» أمام العبارة الصحيحة، وعلامة «✗» أمام العبارة الخاطئة:

١- مبحث المعرفة هو المقدم في مجال الفلسفة عند القدماء ( )

٢- مبحث الوجود هو المقدم في مجال الفلسفة الحديثة ( )

٣- بحث ابن تيمية العلاقة بين مصدري المعرفة العقل والوحي في كتابه درء تعارض العقل والنقل ( )

ثالثاً: أسئلة الاختيار من متعدد:

اختر الإجابة الصحيحة مما بين القوسين:

١- بحث الباقلانى المعرفة (باب في العلم وأقسامه) في كتابه (المغنى – التمهيد – المحصول).

٢- تناول فخر الدين الرازي العلم والنظر في كتابه (المغنى – التمهيد – المحصول).

٣- تناول الأيجي العلم والنظر في كتابه (المواقف – التمهيد – المحصول).

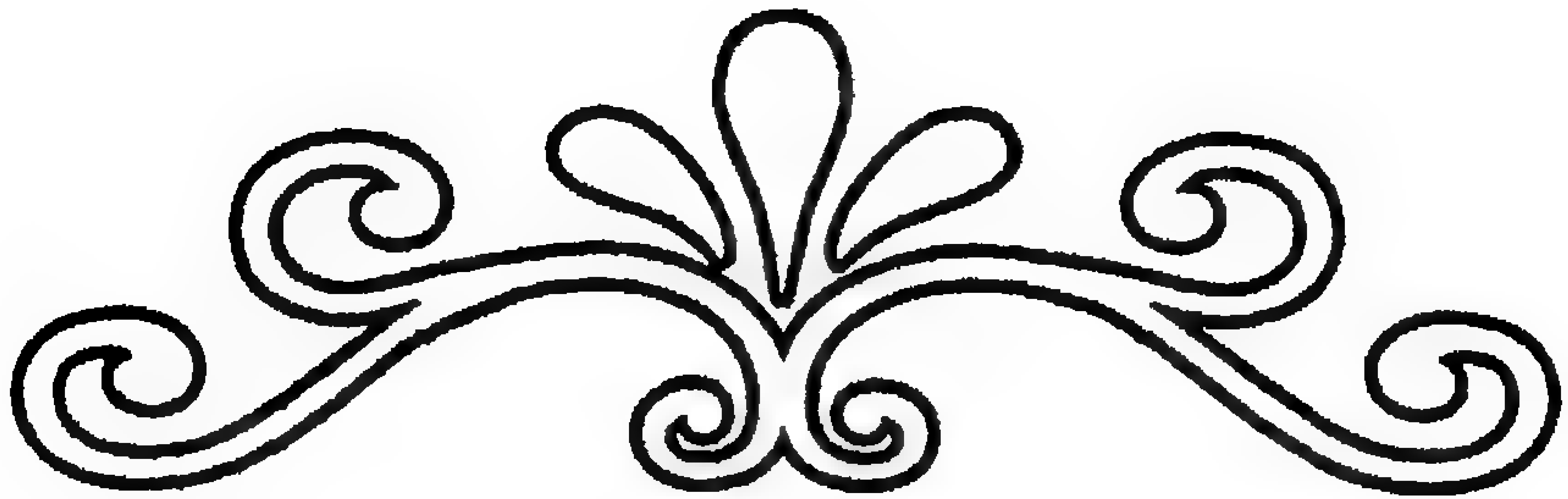
النشاط التعليمي للوحدة الخامسة

عزيزي الدارس:

حتى تكتسب المزيد من المعلومات حول الموضوعات الواردة في هذه الوحدة عليك أن تقوم بإنجاز النشاط التعليمي التالي:

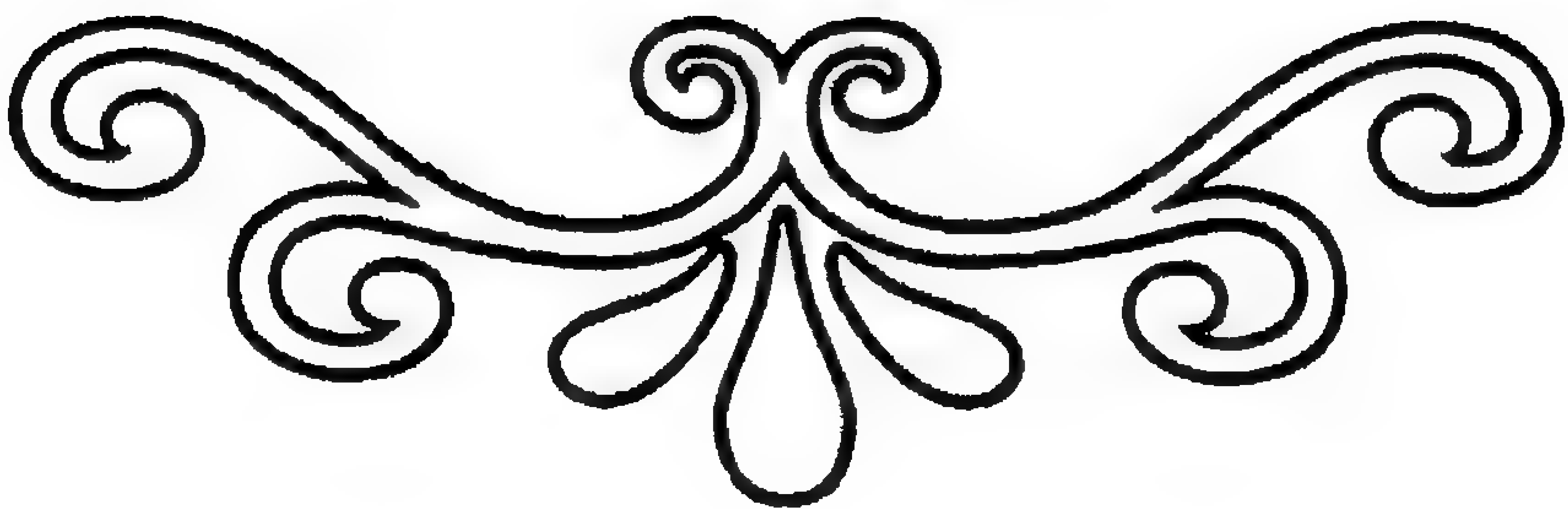
اكتب بحثًا فى:

- تاريخ نشوء نظرية المعرفة، وإسهامات علماء المسلمين فيها.



الوحدة السادسة

نظرية المعرفة الإسلامية مميزاتها وثمراتها



محتويات الوحدة السادسة

- مميزات نظرية المعرفة الإسلامية.
- ثمرات نظرية المعرفة الإسلامية في نفسها.
- ثمرات نظرية المعرفة الإسلامية المتصلة بطالبها.
- مدى حاجة البشرية للمعرفة الإسلامية.

أهمية دراسة الوحدة:



عزيزي الدارس: لايكفى أن يحرص الإنسان على المعرفة بل عليه تحصيلها بسم ربه وخالقه لتسلم معرفته من الاضطراب والباطل وليسلم هو من الظلم والنقص والهوى ولتصبح معرفته مسخرة لخدمة الحياة والأحياء، ومن ثم فأهمية المعرفة الإسلامية للإنسان تفوق أهمية الماء والهواء لحياته، وهذا يعكس مدى أهمية دراستك لهذه الوحدة.



الأهداف التعليمية:

عزيزي الدارس: يُرجى منك بعد دراستك لهذه الوحدة أن تكون قادرًا على:

١- إدراك مميزات المعرفة الإسلامية.

٢- إدراك ثمرات المعرفة الإسلامية في ذاتها.

٣- إدراك ثمرات المعرفة الإسلامية في شخص طالبها.

٤ - إدراك مدى حاجة البشرية للمعرفة الإسلامية.

نظرية المعرفة الإسلامية مميزاتها وثمراتها

أن المعرفة المنضبطة بمفاهيم الإسلام ونصوص الوحي الموظفة لكل الملكات والوسائل المعرفية الممنوحة من الله تعالى للإنسان هو المقصود بالمعرفة الإسلامية، وهذه المعرفة تتميز على كل **نظريات المعرفة الإنسانية بميزتين أساسيتين**[1].

أولاً: المميزات:

١- التلائم بين المعرفة والمنهج المستخدم:

أن لكل نوع من المعرفة منهج يلائمه، بحيث تتوالد المعرفة الصحيحة من تطبيق المنهج المناسب لكل مجال من مجالات المعرفة، وعدم مراعاة التناسب بين المنهج والموضوع يؤدي إلى فساد كبير في المجال المعرفي، وهذا ما وقع فيه الفكر الغربي الحديث، حيث حكّم العلماء هناك مناهج في مجالات لا تناسبها، مثلما حكّم أصحاب الاتجاه المادي المنهج التجريبي المادي، والذي مجاله العلوم الطبيعية والمحسوسات في قضايا ما وراء المادة، ورأينا أصحاب هذا الاتجاه ينكرون الغيبيات ويحصرون العلم فيما يخضع للحس والتجربة، وما لا يخضع للتجربة فليس بعلم، وليس بحقيقة، بل هو عبث وهراء. وكذلك حصر أرباب الفلسفة الوضعية العلم والمعرفة فيما يخضع للتجربة أو المنهج الرياضي دون سواه. وتحكّم الماركسيون في حركة التاريخ الإنساني ومسيرته الحضارية للتغيرات الاقتصادية دون سواها، وحصر الفرويديون العلاقات الإنسانية في العلاقات الجنسية دون غيرها، بل أن الاشراقيين في محيط المسلمين حين حكموا منهجهم الروحي في المادة وركبوا الشطط وانحرفوا عن تعاليم الإسلام مثل أصحاب

---

(١) مناهج البحث العلمي وضوابطه في الإسلام د. حلمي صابر ص ٢٣ وما بعدها.

الحلول والاتحاد ووحدة الوجود... الخ، والمتكلمون حين التزموا المنطق الآرسطي في علم الألوهية خاصةً انحرفت عقائدهم، بل أن المعتزلة وأهل السنة رغم أنهما يعتبران الوحي والعقل مصدرين للعلم اختلفا في النتائج العقدية لاختلاف المنهج المستخدم عند كل منهما.

٢- التناسب بين مجال المعرفة وبين إمكانية العقل:

أن الإسلام لا يريد أن يبدد طاقة العقل دونما فائدة ولا يريد أن يزج بالعقل في مجالات من البحث هي فوق قدراته، مما جعله يتخبط ولا يصل إلى علم صحيح، ولذلك حذر الإسلام على العقل جوانب من المعرفة لأنها فوق طاقته مثل البحث في كنه الذات العليا، أو البحث في كنه عوامل الغيب، أو البحث في حقيقة الروح، أو البحث في موعد قيام الساعة.

ولذلك يدعو الإسلام العقل للبحث في المجال المعرفي الذي يستطيعه وبالقدر الذي يتحمله وبالمنهجية التي تصلح له.

ثانيًا: ثمرات التزام نظرية المعرفة الإسلامية[1]:

تتنوع الثمرات المحققة بالتزام نظرية المعرفة الإسلامية لتشمل المعرفة ذاتها وطلبها:

أما الثمرات التي تتصل بذات المعرفة فهي جملة ضوابط معرفية أربعة لا تتحقق مجتمعه في غيرها وهى:

١-أن يكون مجال المعرفة في مقدور العقل الإنساني:

ويتحقق ذلك بحصر معرفة الغيبيات عن طريق الوحي الإلهي، فالوحي الإلهي يكمل للإنسان دائرة المعرفة فيخبره بما هو خارج قدراته من عوالم الغيب المختلفة مع

---

(١) المرجع السابق ص ١٥٧ وما بعدها بتصرف.

ملاحظة أن الوحي حينما خبّرنا عن الغيب إنما بيّن صفاتها وآثارها ولم يخبرنا بكنهها وجوهرها، وفى الحديث الصحيح «تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله ﷻ»[1]، كما حدد الوحي أن مصدر التشريع هو الله تعالى، الذي له الخلق والأمر، فالمشروع الحقيقي لابد أن تتوفر فيه أربعة أمور:

- العلم الكلي المحيط بالإنسان.
- معرفة حقيقية الخير والشر والنفع والضر.
- العلم المحيط بالمستقبل.
- الحيدة والتجرد عن الأهواء.

فهل تتوفر هذه الشروط لأحد من البشر؟

أنها صفات العليم الخبير القائل سبحانه: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٥٠﴾[2].

٢- النزاهة وإنكار الذات:

المعرفة الإسلامية تلزم طالبها إدراك الحق واليقين مهما كان مصدرها، فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها حصلها، فلا هوي ولا عصبية لباطل، ويقول ابن تيمية رحمه الله «الحق يقبل من كل من تكلم به، ونسب إلى سيدنا معاذ بن جبلﷺ قوله: اقبلوا

(١) سلسلة الأحاديث الصحيح للألباني رقم ١٧٨٨ وقال: الحديث بمجموع طرقه حسن عندي والله اعلم.
(٢) المائدة: ٥٠.

الحق من كل من جاء به وان كان كافرًا» أو قال: «فاجرًا»، واحذروا زيغة الحكيم»[1].

٣- التثبت والتحقق في كل خطوة من خطوات تحصيل المعرفة:

نهي الإسلام عن إتباع الظن القائم على التخمين والوهم، واعتمد اليقين والتثبت في القول والقبول، مع مراعاة أصول التحصيل المعرفي فيحرص على عدم الجمع بين الشيء ونقيضه، وربط النتائج بأسبابها مع عدم إغفال السبب الأول خالق الوجود في كل سبب يدركه، ثم اعتبار سنن الله الجارية، وكيف أنها تشمل سواها من أنواعها، اعتبارًا بالسابق لسعادة اللاحق، فالعلة الواحدة تحت ظروف متشابهة أنتجت معلولًا متشابهًا بإذن الله تعالى.

٤- التأني في إصدار الأحكام:

تلزم المعرفة الإنسانية صاحبها على عدم نفي الشيء لعدم الوقوف عليه، فما اعجز الإنسان وما هو بعيد اليوم فقد يصير قريبًا غدًا، والقاعدة تلزم: أن عدم الوجدان لا يستلزم عدم الوجود[2] ولذلك كان علماء المسلمين إذا بحثوا عن شيء أو عن مسألة فلم يجدوها يقولون: بحثنا عنها في مظانها فلم نجدها، أو لم نقف عليها، وكانوا يقفون عند حدود بشريتهم، ويقرون بمحدودية علمهم، ومقدار عجزهم عن الاحاطة والعلم الشامل فجزاهم الله خيرًا. ولو أن الغربيين والمفتونين بالعلم التجريبي التزموا التثبت والتأني، بل لو التزموا المعيار الاستدلالي المعتمد لديهم، لما انكروا الدين والغيب، فهم يعتمدون درجات أربع للاستدلال، حيث يخضع كليًا للمشاهدة، أو يخضع جزئيًا مثل

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية م ٢ ص ١٠١.

(٢) ضوابط المعرفة- الشيخ عبد الرحمن الميداني ص ٣٦١.

كروية الأرض، أو لا يمكن مشاهدة ذاته، وإنما يشاهد آثاره، مثل الإليكترون والتيار الكهربي، أولاً الاستدلال بالقرينة الجائزة. وهكذا يتناقض رجال العلم التجريبي مع أنفسهم، فهم حينما يرفضون الدين يتعللون بأنه لا يخضع للتجربة، وحينما يقيمون الأدلة على رفضه لا يستخدمون التجربة رغم ادعائهم بأنه لا قيمة لأي حكم يصدر من غير التجربة، ولا يوجد علم صحيح إلا من خلال المشاهدة والتجربة، وما أكثر الأخطاء التي تنتج عن السرعة والحماقة[1]

الثمرات الخلقية المتصلة بطالب المعرفة الإسلامية [2]:

أن طالب المعرفة الإسلامية تثمر فيه المعرفة الإسلامية آدابًا أخلاقية وضوابط معرفية تصبح ثمة شخصية لا تتحقق لسواه أهمها:

أ- اقتران المعرفة بالنية الصالحة والعمل النافع: فلا مقصد له بطلب المعرفة سوي مرضاة الله وتحصيل الإيمان به والخشية منه، ولا يقبل على علم لا ينفع كالسحر والكهانة وغيرهما، ولا يستخدم المعرفة فيما يضر ولا ينفع، ولا يقبل المحرم شرعًا باسم العلم والفن، فلا إباحية ولا مجون، ولا تعد على المحرمات.

ب- عفة اللسان والقلم: طالب المعرفة الإسلامية بعيد عن المهاترات والشتائم وفرض الرأي بالقوة، وحمل الناس على نظام فكري وعملي محدد باسم العولمة أو غيرها بل عليه أن يعمل على إظهار الحقيقة وعرضها بادلتها وبراهينها الميسرة للاقتناع بها، ولا يجوز له سبب المخالفين، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ

(١) راجع الدين في مواجهة العلم- الأستاذ/ وحيد الدين خان- ترجمة ظفر الإسلام خان ص ٩٠٦.
(٢) انظر مناهج البحث العلمي وضوابطه في الإسلام- د. حلمي صابر ص ١٧٣ وما بعدها.

عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[1]. ومما تجدر الإشارة إليه أن علم الجرح والتعديل ليس في نطاق هذا الحظر، لأنه من باب بيان الحق، وتمييزه عن الباطل، وليس من باب التفحش في القول.

جـ- الأمانة في نسبة الفضل لذويه: أن المعرفة الإسلامية تلزم أصحابها الصحة إن كان ناقلًا، والدليل إذا كان مدعيًا، فتوثيق معارفه ونسبة الأقوال لأصحابها والنقول لمواضعها دون إيهام أو ادعاء حق شرعي لازم، حتى لا نبخس الناس أشيائهم. وبذلك وجهنا النبي ﷺ فقال: «نضر الله امرءًا سمع منا شيئًا فبلغه كما سمعه فرب مبلغ أوعى من سامع»[2] وقال: «أن كذبًا عليّ ليس ككذب على احد، فمن كذب على متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار»[3]

فلا يصح أن يسرق جهد غيره، أو يجحده أو ينسب لنفسه ما لم يحصله، وشتان بين طالب المعرفة الإسلامية وبين غيره ممن جحدوا فضل المسلمين الذين لولاهم لظلوا في عصورهم المظلمة لليوم.

د- الاعتراف بمحدودية الإنسان والتواضع لله: أن المعلوم بالضرورة أن إمكانية الإدراك الإنساني في عالم الشهادة قاصر ومحدود، وهو عاجز في عالم الغيب، ومهما أوتي الإنسان من معرفة وعلم فهناك المزيد والمزيد مما لم يقف عليه، وكل التقدم العلمي اليوم في الأمم الكبرى وأرباب الحضارات المادية ما هو إلا من باب العلم الكشفي الذي يدرك جزءًا يسيرًا من أسرار الخلق الإلهي في الكون، ومهما تقدمت العلوم والمعارف فلن يستطيع احد أن يدعي لنفسه انه أوجد شيئًا من العدم، فحري بالإنسان

---

(١) الأنعام: ١٠٨.

(٢) رواه ابن ماجة في سننه، وأبو داود والترمذي وقال حسن صحيح.

(٣) رواه مسلم في صحيحه.

إلا يغتر والا يتكبر وحري به أن يتواضع لخالقه، ويعترف بعجزه وضعفه، وانه لو لا الله ما كان الإنسان شيئًا، فهو خالقه وواهبه العقل وسائر وسائل المعرفة وهاديه، وهو القادر على أن يسلبه بعد أن أعطاه لو شاء.

وهذا يجعل صاحب المعرفة الإسلامية في تقدم ونماء وازدياد منها مع مصداقية وواقعية واستقامة وصدق الله إذ يقول ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1]

هـ- الربط بين المعرفة والإيمان بالله تعالى: المعرفة الإسلامية تصل صاحبها بالله، وكل معرفة لا تصل صاحبها بالله فهي مذمومة، وقد كان علماء المسلمين الأوائل أصحاب إيمان يدفعهم إلى العلوم الدنيوية الشتى، فهذا جابر بن حيان الكيميائي المشهور، كان يسمي جابر الصوفي لكثرة زهده ونسكه، وهذا ابن رشد الفقيه المعروف صاحب كتاب «بداية المجتهد ونهاية المقتصد» وهذا الخوارزمي مبتكر علم الجبر و«اللوغاريتمات»، فقد وصل إلى هذا الكشف العلمي، وهو يؤلف رسالة في علم الفرائض والوصايا. وهذا الفخر الرازي صاحب التفسير الكبير والكتب العديدة في علم الأصول كان من اشهر أطباء زمانه. وهذا ابن النفيس مكتشف الدورة الدموية الصغرى، وأول من أشار إلى الحويصلات الرئوية والشرايين التاجية كان احد فقهاء الشافعية الكبار... وغيرهم كثير، فما أحوجنا إلى أسلمة العلوم الطبيعية والاجتماعية والتربوية والنفسية ومناهج وطرق التدريس بحيث تتعانق المعرفة والإيمان، وتعود الأمة الإسلامية لمكانتها التي لا تصح لغيرها ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾[2]

---

(١) النحل: ٧٨.

(٢) الإسراء: ٥١.

ومما سبق ندرك أن المعرفة الإسلامية حققت من المرايا في مناهجها والثمرات في طلابها ومحصليها ما لا يدرك بعيدًا عنها، وهذا في حد ذاته يوجب على القطاعات التعليمية والمعاهد العلمية في بلاد المسلمين ضرورة التمسك بها وللدعوة إليها والحرص على إعداد الأجيال المسلمة وفق قواعدها ومناهجها.

وليس من سبيل لإصلاح أحوال العالم الإسلامي بخاصة العالم بأسره بعامة ولا إلى حل مشكلات الحياة بعيدًا عنها.

فهل تعانقت المعرفة الإسلامية بإيماننا وواقعنا في الحياة، الله خير مأمول وهو نعم المولي ونعم النصير.

مدي حاجة البشرية للمعرفة الإسلامية:

خلق الله تعالى الإنسان في أحسن تقويم وكرّمه وفضله على كثير ممن خلق تفضيلًا، خلقه لغاية محددة إلا وهى عبادة الله وحده، وفطرهم على فطرة التوحيد بعد أن اخذ عليهم العهد والميثاق وهم في عالم الذر. قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾[1].

ومن قبل علّم أباهم آدم عليه السلام واسجد له ملائكته، ثم شاءت إرادته تعالي بعد أن اهبطه إلى الأرض في صراع دائم بين الخير والشر حتى يرث الله الأرض ومن عليها أن تتعاقب رسله في خلقه فما خلت امة إلا وجاءها من الله تعالى نذير وبشير حتى لا يكون

(١) الأعراف: ١٧٢-١٧٣.

لأحد على الله حجة بعد الرسل. قالت تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[1]

أن الله تعالى يعلم خلقه وهو خبير بهم يعرف مداركهم وكوامن النقص فيهم فهم خلقه خلقهم كما أراد. قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[2].

بلي، لذلك أرسل رسله حيث أن الإنسان ليعجز عن إدراك الحق وإحكام الأمر فمهما أوتى من فهم وقدرة فان كل ما يجيده يعتريه النقص والخطأ بنسبة ما.

أن الله تعالى خلق الإنسان مركب من شهوة وعقل وجعل له إرادة واختيارًا فان غلبت شهوته واتبع هواه ضل وغوي. قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾[3] وهذا الجانب يحجب عن بني الإنسان من الخير الكثير وتري ذلك مع العاقل الحصيف أن استولت عليه شهوة أو سيطر عليه هوي فأنظره حينما يغضب مثلًا أو يحب، أنظره حين يقوي أو يضعف. أنظره حين يجوع أو يشبع أنظره على أي حال وقد انقاد يبصرهم نفسه ومصلحة ذاته أين هو من الحق وأين الحق منه؟ انك لن تعرف منه ساعتها إلا الجحود والميل عن الحق والبغي والفساد وقطيعة الأرحام لن تدرك معني طيبًا ولا خلقًا فاضلًا وما ذلك إلا تجسيد طبعه والركون إلى نفسه، قال

---

(١) النساء: ١٦٥.

(٢) الملك: ١٤.

(٣) القصص: ٥٠.

تعالى: ﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ﴾،[1] ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[2] نعم..... لكن كيف الوقاية....؟ إنها في منهج الله تعالى وحده.

ثم انظر إلى من غلب عقله شهوته انه كذلك في حاجة ماسّة إلى من يوجهه ويبصره العقول قاصرة متفاوتة متباينة عاجزة. أما قصورها فان العقل أن بلغ الكمال البشري فان له مدي لا يتعداه وقدرة لا يتجاوزها فالمعقولات والمحسوسات التي تخضع لسلطان العقل والإدراك بالنسبة إلى ما يجب الوقوف عليه لصلاح العاجل والآجل قليل من كثير، ثم أن العقل يقصر في جانب من جانبي العلم ولا دراية له بالثاني مطلقًا ولا سبيل لان يهتدي إليه مهما كانت قدرته اللهم إلا أن اهدي إليه. أقسام العلم: والعلم بهذا المعني- أي ما يقع تحت إدراك العقل أم لا- قسمان علم غيب وعلم شهادة. قال تعالى: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[3].

أولاً: علم الغيب وله صورتان:

(١) علم غيب مطلق: وهو ما استأثر الله بعلمه ولم يطلع عليه أحدًا من خلقه فلا سبيل لان يدركه العقل أو يقف عليه البتة- وذلك مثل ما لله تعالي من كمالات وأسماء لم يوحيها لأحد من خلقه أو كعلم الساعة واليوم الآخر على نحو قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[4].

(١) النساء: ١٢٨.

(٢) الحشر: ٩.

(٣) التغابن: ١٨.

(٤) لقمان: ٣٤.

(٢) علم غيب نسبي: وهو ما اطلع الله عليه بعض خلقه وذلك لأن الإنسان يعلم ويجهل ويذكر وينسي وقد فضل الله بعض الناس على بعض. قال تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾[١].

وأئمة الناس في هذا المقام الأنبياء والمرسلون الذين اصطفاهم الله وأوحي إليهم وأمرهم بالبلاغ عنه حتى يبصر الناس ويتعلموا. وهذا المقام فسيح جدًا بحيث يشمل كل الناس شريطة أن يكون له أصل واليقين فمتي التمس الإنسان أسبابه حصّله لأن الإنسان لم يولد عالمًا وإنما العلم بالتعلم وإنما الحلم بالتحلم وفى الحديث عن أبي هريرة **«إنما العلم بالتعلم وإنما الحلم بالتحلم ومن يتحر الخير يعطه ومن يتق الشر يوقه»**[٢] وان كان في الحديث ضعف فان معناه صحيح ما توافرت الأسباب والله يعطي من يشاء يقول الله تعالى موجهًا النبي ﷺ لالتماس ذلك: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[٣] ويقول سبحانه: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾[٤].

ثانيًا: علم الشهادة:

وهو ما يخضع لحواس الإنسان ومدركاته مما له صورة في الواقع وهو كذلك تقصر العقول في إدراكه لتفاوت الناس في هذا الميدان كما هو معلوم مشاهد فقد قسم الله بين الناس معيشتهم بحيث يحتاج الجميع إلى الجميع وهو متفاوتون في كل شئ بل الإنسان ذاته ليقصر عقله في وقت ويركز في وقت آخر ورضي الله عن سيدنا عمر رضي الله عنه لما توفي

(١) يوسف: ٧٦.

(٢) أخرجه الدارقطني والخطيب في التاريخ عن أبي الدرداء وقال الأسيوطي حديث ضعيف.

(٣) طه: ١١٤.

(٤) النساء: ١١٣.

رسول الله ﷺ توعد من قال بوفاته وقال: من قال أن محمدًا قد مات قتلته بسيفي فلما خرج سيدنا أبو بكر ﷺ على الناس وقرأ عليهم قول الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾[1].

وبعدها قال عمر كغيره: فوالله لكأن الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت حتى تلاها أبو بكر يومئذ[2]. وهذا القصور في الإدراك مرده إلى تفاوت العقول أو إلى تأثير الشهوات على العقول، فمن غضب أو أفرط في تفاعله مع المواقف كثر إدراكه وتفلت منه بيانه وأزلف لسانه، فحبك الشيء يعمي ويصم، وغضبك مانع من إدراكك، وهواك موجه لتفكيرك ولو جانب الحق والثواب ومن هذا موقف سيدنا عمر ﷺ فقد قصر إدراكه للآية الكريمة لغلبه الغضب عليه واستبداده به.

ولذلك نري كثيرًا من الناس تقصر عقولهم عن إدراك الأشياء التي سبق لهم إدراكها هذا فضلًا عن قصورهم عن إدراكهم أصلًا: كذلك نجد العقول متفاوتة كمًا وكيفًا وحالًا فيما يدركه هؤلاء يعجز عن إدراكه الآخرون.

أن رجال أول سفينة للفضاء بعد هبوطهم على سطح القمر أدرك أحدهما دلائل وجود الله فيما رأي من آيات الله في الآفاق وانكر الثاني وقال لم أر شيئًا.

أن ما يحسه الإنسان خيرًا يراه غيره من بني جنسه شرًا بل أن الفرد نفسه قد يري الشيء ويستقبحه مع انه هو نفسه مع ذات الشيء قد استحسنه من قبل. بل أن الإنسان

(١) آل عمران: ١٤٤.

(٢) سيرة ابن هشام ج ٤ ص ١٧٣.

قد يظن لقصر إدراكه الخير شرًا أو العكس وصدق الله تعالى إذا يقول: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[1] وكذلك نجد العقول متباينة فما يحبه هذا يكرهه هذا ولو أنك خيرت جماعة ما في أمر ما اتفقت كلمتهم أبدًا إلا أن أجبروا على أحد الوجهين بصورة ما. وصدق القائل:

ومن في الناس يرضي كل نفس ... وبين هوى الناس مدى بعيد

فلو صلى الإمام مثلًا لقال من خلفه – بعضهم – أطلت ولقال فريق آخر قصرت. ولو تحدث فيهم لقال بعضهم أصبت ولقال الآخرون ما أصبت إنك قد تجد ما يعده البعض سببًا للثناء وصورة للإجادة محكوم عليه من نفر آخر بأنه غث ليس فيه ما يذكر؟!

وكذلك العقول تعجز تمامًا عن إدراك ما استأثر الله بعلمه فضلًا عن عجزها إدراك أسباب سعادتها أن أعيت نفسها في البحث عن كنه الأشياء- البحث فيما وراء المادة- أو وقعت أسر الشهوات والأهواء ومن هنا نقول أن العقول القاصرة والعاجزة والمتباينة والمتفاوتة بين البشر في إدراك وجه الثواب فيما هو مشاهد لحري بها أن تعجز تمامًا عن إدراك غيب أو ما يتصل به.

إن الكون؟ كتاب مفتوحًا يدرك منه الناس وجود خالقهم ويبصرون من خلاله آياته لهم إلا أنه لا ينفع إلا أولي الألباب وأرباب العقول التي سلمت من عوامل الشتات والتخلف. ورغم ذلك فلو سلم العقل من كل ما يقصر به أو يشذ عن جانب

(١) البقرة: ٢١٦.

الصواب فاني له أن يدرك ما لله من صفات أو أسماء أو كيف يعرف ما يذكر به أو به يشكره بل كيف يعرف الفرائض وما عليه من فعله وما يجب اجتنابه فضلًا عما يتصل بالغيب الذي يجب الإيمان به.

من أجل ذلك كله كان إرسال الرسل ضرورة لتعريف الناس وتبصيرهم حتى تذهب كل حجة للمخالفين لهدي الله تعالى وكانت رحمة الله وعدالته سباقة. ﴿ مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴾[1].

فأرسل الله رسله يبصرون الناس بالحق ويرشدونهم إلى الخير وينذرونهم عوامل الفساد والإفساد ولقاء ربهم فحرروا العقول وهذبوا الطباع وشرحوا الصدور وصفّوا الأرواح ونقوا النفوس وطمأنوا القلوب فخلصوا من رق الشهوات واسر الأهواء وتطهروا من رجس الشيطان ودنس النقائص والرذائل وأدركوا عوامل ثباتهم على الحق وتجنبهم للباطل كل ذلك بفضل رسالة المرسلين وجهد الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين.

أما وقد ختم الله النبوة بمحمد ﷺ ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴾[2] فمن بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى يصلح ما افسد الناس ويقيم ما اعوج بسبب الناس؟ أنهم دعاة الحق وورثة الأنبياء الهداة المصلحون والمرشدون الناصحون والدعاة العاملون أرباب المعرفة والنظر.

(١) الإسراء: ١٥.

(٢) الأحزاب: ٤٠.

ولعل الواقع يشهد بالحاجة الملحة إلى جهد هؤلاء الذين اصطفاهم الله تعالى بحمل كتابه وميراث الدعوة وأعبائها بعد رسوله.

إن المعرفة الإسلامية والدعوة إلى الله تعالى وكلمة التوحيد وصفات الله تعالى ومنهج الحق كان ذلك كله عامل توحيد للكلمة والصف وإصلاح للفاسد والمعوج. أما اليوم فكثير من الناس يلعن بعضهم بعضًا جدلًا في الله بغير علم. وهذا يرفع ويزيد من قدر الحاجة إلى المعرفة اليوم من اجل أن ينفي الدعاة عن الدين تحريف الغالين وتأويل الجاهلين وانتحال المبطلين ولعل ثلاثتهم واقع مشاهد بين غال. ومفرط مع أن طرفي الأمور شطط وخير الأمور الوسط هؤلاء الدعاة بكل المقاييس يخرجون بغلوهم هذا على روح الدين وفطرة الخلق فلا الدين يقبل ذلك حيث أن من خصائصه رفع الحرج ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[1]

موقع الوحي بين مصادر المعرفة ودلائل اليقين معه:

يمثل الوحي اليقين الصادق، والعيلة الكاملة، والتجربة الصادقة، والعليم الخبير المحيط بكل شئ علمًا، والذي لا تخفي عليه خافية في الأرض ولا في السماء، ولا يتخلف عنه حق ويقين مما مضي ولا فيما يأتي، ولا يعجز عن شئ ولا يعجزه شئ انه حكم الله اللطيف الخبير وأمره، مصون من كل نقص، مبرًا من كل خلل وعيب وجهالة ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[2].

أما وسائل مصادر المعرفة سواء كانت المحسوسات «في العلم التجريبي» أو العقل

(١) الحج: ٧٨.

(٢) فصلت: ٤٢.

في «المدركات العقلية» أو الاستبطان النفسي وأحوال الإشراقيات فهي على النقيض من كل ما ذكر ولا يصلح شيئًا منها مستقلًا لتحصيل المعرفة اليقينية، ولذلك اعتراها جميعًا الشك وعدم إمكان المعرفة من خلالها، لكن الوحي دون سائر المصادر لا يتعارض مع الصائب الحق من أيّها، ويتعاون معها جميعًا، وحين ينفرد بمجال الغيب مثلًا فخبره خبر اليقين، ومعرفة الحق، وكمال الإدراك.

مصادر المعرفة والنقص:

إن التجربة الواقعية، أو العقلية، أو استبطان النفس أو غيرها مهما توفر لها من منهجية علمية فنتائجها ناقصة لا ريب لعوامل تعود إلى القضية ذاتها، أو إلى أدوات البحث فيها، أو إلى طبيعة العقل وقدراته. لكن الكلمة الأخيرة التي لا تقبل الجدل لن تعرفها المعرفة الإنسانية، ولتتأمل كل قضايا المعرفة الحسية منها والعقلية على حد سواء، فماذا توفر منها، وماذا ثبت منها على حال، أن العلم كل يوم يكمل نقصًا لأجود ما عرفت البشرية بسبب تحكم الظروف والأحوال في القضية وملابساتها، وتغير نظر الباحثين إليها باختلاف مواقعهم ومدركاتهم السابقة، ثم يتحقق القصور والنقص كذلك بحسب الأدوات المستخدمة في البحث، أو إلى قدرات العقل في المشاهد والغائب، فيقع على الشاهد أو يتحكم في الفرض ومن ثم النتائج.

فإذا أضفت إلى كل ذلك الخداع البصري والسمعي، وانكسار الضوء، وقصور الظاهرة وتشابه المرئيات، وتداخل الدلالات، ونسبة الخطأ والاحتمالات الواردة فيه في اخذ العينة أو رصدها أو تحليلها إلى غير ذلك من عوامل، فضلًا عن الآثار النفسية الذاتية والخارجية للمعرفة والتوجّهات الموجّهة للمسيرة البحثية وهو أمر لا ينكر أدركت يقينًا نقص المعرفة في ظل جميع مصادرها بعيدة عن الوحي الإلهي.

مصادر المعرفة والخطأ:

أن الخطأ شيمة أصيلة في مدركات الإنسان ولولا الخطأ ما كان الصواب ولولا الحاجة ما كان الاختراع، فلو أدركت طبائع المصادر وملابساتها التي أدت إلى النقص وأضفت إليها غرور الإنسان، وظنه انه قادر بعقله على هذه الحياة خاصة في مواطن القدرة والهيمنة، واعتماده مبدأ الغاية تبرر الوسيلة فاستحال بالمعرفة من الهدي إلى الضلالة وجانب الصواب ووقع في الخطأ والغواية، وصارت المعرفة غير نافعة، هذا في جانب الحياة المادية، أما فيما يتصل بذات الله وأسمائه وصفاته والأخلاق والنفس الإنسانية واليوم الآخر فالضلال المبين وصدق الله إذ يقول: ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾[1].

إن تناقص المعرفة، وفساد بعضها الذي أحال حياة الإنسان إلى جحيم لا يعرف في ظلها سعادة ولا عدلًا ومن ثم فقد أمانه وإيمانه لدليل صادق لحكم الله على أرباب المعرفة المدبرة عن مصدر الوحي في معرفتها: قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[2]. لكن المعرفة التي تسير في إطار الوحي.

---

(١) يونس: ٣٢.

(٢) يونس: ٢٤.

وتتفاعل معه هي علم اليقين بل هي حق اليقين ولإدراك موقع الوحي من مصادر المعرفة إليك بعض الدلائل:

- الوحي يرفع شأن العلم والعلماء: إن العلم قرين الإيمان يزكو بصاحبه ويرفع من قدره ويكمل إيمانه. يقول تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[1]. وأصحاب الخشية لله هم العلماء أصحاب النظر والمعرفة يقول سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[2]. وأعلا العلماء درجة هم العالمون بكتاب الله العاملون به فمن كان هذا حاله فهو وريث النبوة والكتاب يقول سبحانه: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾[3].

- الوحي يوظف العلم ويضبط جهود العلماء:

لقد استنفر الوحي جهود العلماء لمواصلة طلب المعرفة وتحصيلها، وكما قيل: العلم ثلاثة أشبار من حصّل الأول منه انتفخ وتكبر ومن حصّل الثاني تواضع، ومن حصّل

(١) المجادلة: ١١.

(٢) فاطر: ٢٧- ٢٨.

(٣) فاطر: ٣٢.

الثالث أدرك انه لا يعلم شيئًا[1]. ولذلك أشار القرآن الكريم إلى طلب المزيد منه ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[2]. وبين أن فوقك من هو اعلم منك مهما كانت مقدرتك المعرفية ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[3]. وقرر أن معارف أهل الأرض مجتمعين قليل من كثير فما بالك بآحاد الناس ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[4].

وهذا الجهد المبذول دائمًا، والمعرفة المرصودة المستمرة في كل حياة العلماء الصادقين منضبطة بالحق واليقين والواقع ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[5].

ولا يجوز أن ينفق هذا الجهد في غيب استأثر الله سبحانه به فهو رجم بغيب ولا مطمع للعقل الصحيح والمعرفة الحقة بعد التسليم لخبر الوحي عنها وذلك في خمس استأثر الله بها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾[6].

لكن البصير المستهدي هو ذلك الذي يستوحي الأسباب ليدرك ويوقن أن الله هو الحق وانه على كل شئ شهيد، وأسباب ذلك:

---

(١) منهج الإعداد والتكوين د. عبد الله بركات ص ١٤٢.

(٢) طه: ١١٤.

(٣) يوسف: ٧٦.

(٤) الإسراء: ٨٥.

(٥) الإسراء: ٣٦.

(٦) لقمان: ٣٤.

- نظرته إلى نفسه ممّ خلق: ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾[1]

- نظرته إلى أسباب حياته الجسدية طعامه وشرابه: ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾[2].

- نظرته إلى مآله ولقاء ربه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۚ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[3].

- ومن أسباب ذلك التدبر في الآيات القرآنية والكونية والثبات على دلائلها: يقول تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[4]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

(١) الطارق: ٥-٧.

(٢) عبس: ٢٤-٣٢.

(٣) الحشر: ١٨-٢١.

(٤) النساء: ٨٢-٨٣.

وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾[2].

وستظل آيات الله الكونية والقرآنية هادية للمؤمنين الصادقين وحجة على الظالمين الجاحدين المستكبرين ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾[3].

نعم إنها دلالات الاستهداء بالكتاب المقروء والكون الفسيح. ولذلك أوصي سيدنا لقمان عليه السلام ولده وهو يحضه على المعرفة:

يا بني: جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فان الله يحيي القلوب الميتة بنور الحكمة كما يحيي الأرض الميتة بوابل السماء.

يا بني: لا تتعلم العلم لثلاث ولا تدعه لثلاث: لا تتعلمه لتماري به ولا لتباهي به

(١) آل عمران: ١٩٠-١٩٤.

(٢) الذاريات: ٢٠-٢٣.

(٣) فصلت: ٥٣.

ولا لترائي به، ولا تدعه زهادة فيه ولا حياء من الناس ولا رضا بالجهالة.

يا بني: لا تجادل العلماء فتهون عليهم ويرفضوك، ولا تجادل السفهاء فيجهلوا عليك ويشتموك، ولكن اصبر نفسك لمن هو فوقك في العلم، ولمن هو دونك، فإنما يلحق بالعلماء من صبر لهم ولزمهم واقتبس من علمهم في رفق.

يا بني: أن الحكمة أجلست المساكين مجالس الملوك [1].

الوحي لا يتعارض مع المعرفة اليقينية:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله «النصوص الثابتة في الكتاب والسنة لم يعارضها قط صريح معقول، فضلًا عن أن يكون مقدّمًا عليها، وإنما الذي يعارضها شبه وخيالات مبناها على معان متشابهة وألفاظ مجملة، فمتي وقع الاستفسار والبيان ظهر أن ما عارضها شبه سوفسطائية لا براهين عقلية» [2].

نعم أن كل من اعرض عن الوحي لم يزدد بمعرفته الطبيعية ولا الرياضية ولا الفلسفية ولا غيرها إلا حيرة وعدموا اليقين وغاية إدراكهم الأولي والأخرى بحسب معرفتهم.

لذلك يقول الشهرستاني في بيان علة كتابته لكتاب نهاية الأقدام: «قد أشار إليّ من إشارته غنم، وطاعته حتم، أن اجمع له مشكلات الأصول، واحلّ له ما انعقد من غوامضها على أرباب العقول لحسن ظنه بي أني وقفت على نهايات النظر، وفزت بغايات

(١) منهج الإعداد والتكوين ص ١٣٤.

(٢) دره تعارض العقل والنقل- ابن تيمية ج ١ ص ١٥٥، ١٥٦، انظر نظرية المعرفة عند ابن سينا مع بيان مصادرها وآثارها د. فيصل بدير عون ص ٣٥٩، ٣٨٤، ٣٨٥.

مطارح الفكر، ولعله استسمن ذا ورم، ونفخ في غير رم لعمري:

لقد طفت في تلك المعاهد كلها وسيرت طرفي بين تلك المعالم

فلم أر إلا واضعا كفه حائر على ذقن، أو قارعا سن نادم [1]

ورد عليه في الهامش محمد بن إسماعيل الأمير بقوله:

لعلك أهملت الطواف بمعهد الرسول ومن لاقاه من كل عالم

فما حار من يهدي بهدي محمد ولست تراه قارعا سن نادم

والله تعالى يحذر نبيه من إتباع أهواء المخالفين للوحي أن يضل ويخزي قال سبحانه: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾[2]. ويقول سبحانه: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[3]. ونعي الله سبحانه على من ادعي المعرفة بغير يقين من أهل الكتاب، ولو كانوا عليه ما خالفهم فيقول سبحانه: ﴿هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[4]. وردّ زعم النصارى

(١) نهاية الأقدام في علم الكلام- محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ص ٣ تحقيق الفرد جيوم- لندن ١٩٣٤.

(٢) البقرة: ١٤٥.

(٣) البقرة: ١٢٠.

(٤) آل عمران: ٦٦-٦٧.

في صلب المسيح عليه السلام لعدم اليقين وإتباع الظن فقال: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[1].

ويطالب المخالفين له باليقين وطرح الظن فيقول سبحانه: ﴿نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[2]، ويقول: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾[3]. ويقول: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[4]، ويقول: ﴿وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾[5]. ويقرر أنهم على ظن ولا يعرفون اليقين فيقول سبحانه: ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُم مَّا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾[6]، ويقول سبحانه: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾[7].

---

(١) النساء: ١٥٧- ١٥٨.

(٢) الأنعام: ١٤٣.

(٣) الأنعام: ١٤٨

(٤) الأحقاف: ٤.

(٥) النجم: ٢٨

(٦) الزخرف: ٢٠.

(٧) الجاثية: ٢٤.

ويأمر القرآن الكريم المؤمنين الصادقين بالإعراض عن أرباب المعرفة الظنية التي لا تغني عن الحق شيئًا فيقول سبحانه: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ﴾[1].

يقول الإمام ابن كثير: «أي أعرض عن الذي أعرض عن الحق وهجره»[2]. ولا يخفي أن وصف الآية فيها «ما فيها من تحقير أمرهم، ومن الازدراء بعلمهم الذي أدي بهم إلى إيثار الشر على الخير، والعاجلة على الآجلة»[3].

وجاء في الظلال: هذا الأمر بالإعراض عمن تولي عن ذكر الله ولم يؤمن بالآخرة ولم يرد إلا الحياة الدنيا موجه ابتداءً إلى الرسول... وهو موجه بعد ذلك إلى مل مسلم يواجهه من يتولى عن ذكر الله ويعرض عن الإيمان به... واقرب من تتمثل فيه هذه الصفة في زماننا هذا هم أصحاب المذاهب المادية... أن المؤمن يعبث حين يحفل شأن هؤلاء الذين يعرضون عن ذكر الله ولا يريدون إلا الحياة الدنيا وينفق طاقته التي وهبها الله إياها في غير موضعها.

غير أن للإعراض اتجاهًا آخر، هو التهوين من شأن هذه الفئة.. فمهما كان شأنهم فهم محجوبون عن الحقيقة قاصرون عن إدراكها، واقفون وراء الأسوار، أسوار الحياة الدنيا.. ﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ﴾ وهو مبلغ تافه مهما بدا عظيمًا. قاصر مهما بدا شاملًا.

---

(١) النجم: ٢٩، ٣٠.

(٢) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٢٥٥.

(٣) التفسير الوسيط للقرآن الكريم د. محمد سيد طنطاوي م ١٤ ص ٩٣.

مضلل مهما بدا هاديًا. ما يمكن أن يعلم شيئًا ذا قيمة من يقف بقلبه وحسه وعقله عند حدود هذه الأرض... وان العلم الذي يبلغه هؤلاء القاصرون الضالون ليبدو في أعين العوام وأشباههم، عوام القلب والإدراك والحس، شيئًا عظيمًا ذا فاعلية واثر في واقع الحياة الدنيا. ولكن هذا لا ينفي صفة الضلال عنهم في النهاية، ولا صفة الجهل والقصور. فحقيقة الارتباط بين هذا الوجود وخالقه. وحقيقة الارتباط بين عمل الإنسان وجزائه. هاتان الحقيقتان ضروريتان لكل علم حق. وبدونهما يبقى العلم قشورًا لا تؤثر في حياة الإنسان ولا ترقيها ولا ترفعها. وقيمة كل علم مرهونة بأثره في النفس وفى ارتباطات البشر الأدبية. وإلا فهو تقدم في الآلات وانتكاس في الآدميين. وما أبأسه من علم هذا الذي ترتقي فيه الآلات على حساب الآدميين!!!

وشعور الإنسان بأن له خالقًا خلقه وخلق هذا الكون كله، وفق ناموس واحد متناسق. يغير من شعوره بالحياة، وشعوره بما حوله ويمن حوله، ويجعل لوجوده قيمة وهدفًا وغاية اكبر واشمل وارفع، لأن وجوده مرتبط بهذا الكون كله، فهو أكبر من ذاته المعدودة الأيام. وأكبر من أسرته المعدودة الأفراد وأكبر من قومه، وأكبر من وطنه وأكبر من طبقته التي يطنطن بها أصحاب المذاهب المادية الحديثة. وارفع من اهتمامات هذه التشكيلات جميعًا!

وشعور الإنسان بأن خالقه محاسبه في الآخرة ومجازيه. يغير من تصوراته ومن موازينه ومن حوافزه ومن أهدافه. ويربط الحاسة الأخلاقية في نفسه بمصيره كله، فيزيدها قوة وفاعلية. لان هلاكه أو نجاته مرهونة بيقظة هذه الحاسة وتأثيرها في نيته وعمله. ومن ثم يقوي «الإنسان» ويسيطر على تصرفات هذا الكائن. لان الرقيب الحارس قد استيقظ! ولأن الحساب الختامي ينتظره هناك. ومن الناحية الأخرى فهو

مطمئن إلى الخير واثق من انتصاره في الحساب الختامي. حتى ولو رآه ينهزم في الأرض في بعض الجولات! وهو مكلف دائمًا أن ينصر الخير ويكافح في سبيله سواء هزم في هذه الأرض أم انتصر لان الجزاء النهائي هناك!

إنها مسألة كبيرة هذا الإيمان بالله والايمان بالآخرة. مسألة اساسية في حياة البشر. إنها حاجة أكبر من حاجات الطعام والشراب والكساء. وإنها إما أن تكون فيكون «الإنسان» وإما ألا تكون فهو حيوان من ذلك الحيوان!

وهكذا بات حليا أن المعرفة الإسلامية في إطار الوحي الشرعي لا تعتمد إلا باليقين وتتقبله من أي طريق أتي سواء أكان حسيًا أم عقليًا ولا تعترف بالظن ولا تسلم به.

الوحي يجعل العلم سبيل السعادة في الدنيا والآخرة

إن المعرفة الإسلامية بفضل الوحي الشرعي تختلف عن غيرها بداية وغاية في سبيل تحقيق السعادة الدائمة، أما الاختلاف في المنطلق فهي معرفة تبدأ ببسم الله ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾[1]، وهذا الارتباط بالله تعالى يعصم الذهن من الشطط والقلب من سلطة الهوى وعليه تسير المعرفة في حدود الضوابط الشرعية فلا إفراط ولا تفريط، أما الاختلاف في الغاية، فالمعرفة الوحيية تلزم صاحبها تسخير المعرفة لسعادة الإنسان وطيب الحياة والتغلب على مشكلتها فلا تعرف الترف العقلي ولا الجدل البيزنطي ولا مقولة العلم للعلم، ولا تطلب المعرفة للسلطة والهيمنة الفكرية والعولمة الظالمة والاحتكار المعرفي من أجل الهيمنة أو الاستغلال أو التخريب المتعمد من ما هو مشاهد، بل لا تقر المعرفة الوحيية أن يتتج العلم والمعرفة الدمار والوقيعة بين بني البشر

---

(١) العلق: ١.

أو أن الغاية تبرر الوسيلة بل تلزم صاحبها العدالة والحب والعطاء بغير حدود، وساعتها يصير العلم نافعًا وجهد صاحبه عمل صالح.

وصدق الله العظيم ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[1]، وهذه سعادة الدنيا حيث العلم النافع وطمأنينة النفس والحياة، ومن أسعد دنياه بدينه سعد في آخرته بالنعيم المقيم ورضوان من الله أكبر والله ذو الفضل العظيم.

الوحي يقدم اليقين في الأخبار الماضية والأحوال المستقبلية:

لقد تناقضت المعرفة وهى بمعزل عن الوحي في أخبار الأمم السابقة وعقائدها وواقع رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم معًا وذلك كمثال دقيق لأخبار الأمم الماضية.

أ- الوحي الصادق رد اعتماد المعرفة المادية سلّم التطور العقدي على النحو التالي:

- مرحلة التعدد.
- مرحلة التمييز والرجحان.

التوحيد:

وهذه النتيجة التي اقتضت الحكم على الإنسان الأول بأنه بدائي المعرفة فكان يعبد كل شئ يخافه أو يرغب فيه فلما ارتقي فكريًا ارتقي عقديًا فعرف التوحيد مرورًا بالتمييز والرجحان. وهذه نتيجة خاطئة يقينًا لخطأ المقدمات التي قامت عليها سواء

(١) النحل: ٩٧.

اعتمادها على نظرية خاطئة مثل نظرية التطور العضوي.

النشوء والارتقاء «أو الافتراضات العقلية حين شبهت الإنسان البدائي في الأمم المتخلفة بالإنسان الأول فقاست الغائب على الشاهد، ومما ساعد على هذه النتيجة الخاطئة اعتمادها على الحفريات واعتبار نتائجها نهائية مع أن كل يوم يضيف الكشف جديدًا والمعرفة القائمة على الاستكشافات الأثرية والحفرية في تزايد مضطرد وكل يوم يصحح المستكشف خطأ سبق تقريره على انه صواب أو يكمل معرفة كانت ناقصة أو يضع حدًا لحيرة كانت مسيطرة!».

لكن الافتراضات العقلية والتحكمات الشخصية والمعيار الحسي للمدركات كل ذلك لا يعطي اليقين فيما لم تمتلك ناصية إدراكه أو شمولية المعرفة به وهذا لم يتوفر إلا للوحي فأعطانا في هذه القضية أحكامًا مختلفة ولا تقبل الشك أو النقص[(١)].

- الإنسان الأول إنسان معلّم فاهم صاحب عقيدة صحيحة (عقيدة التوحيد الحقة).
- الأمم البدائية شأنها شأن الأمم الراقية فيها الموحد والمشرك والملحد.
- الأصل في الاعتقاد وفطرة الإنسان التوحيد والتعدد طارئ بفعل العوامل المؤدية إليه.
- كل فرد أو أمة يتحقق فيها عوامل ثلاث هي طول الأمد وتدخل العقول في النصوص وإتباع الأهواء تنحرف بعقيدتها عن التوحيد إلى التعدد.

وبناء على ما سلف فسيظل الوحي دون سائر مصادر المعرفة في إدراك اليقين

(١) مراجع الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان د. محمد عبد الله د.ا: مبحث (نقد المذهب التطوري) ص ١١٩: ١٧٥.

الكامل في حق الظواهر الاجتماعية والتحضر الإنساني وحقيقة الإنسان الأول يقول الدكتور عمارة نجيب:

«هذا هو الطريق الذي اتبعه الدارسون والباحثون، وهذه هي علومهم بشأن الإنسان الأول وهذه نتائج العلم البشري. الطريق غير واضح ووسائل العلوم غير مضمونة، أو غير كافية، والنتيجة الخيال والتخمين، كما هو واضح فأين العلم؟ العلم بمعني اليقين والحقيقة! لا يوجد علم إذن من لدن إنسان حتى الآن، لأنه لم يوجد الإنسان الذي يجوب الأرض ويمتحن آثارها ويستخرج تاريخها ويستنطق أحداثها، ليقول حقيقة حاسمة عن الإنسان. ولن يوجد العلم بمعني اليقين والحقيقة إلا إذا توافرت للإنسان كل هذه الوسائل وكان الإنسان نفسه قادرًا على استيعاب هذه العلوم محيطًا بها. وحتى ذلك الحين تبقي كلمات الإنسان عن الإنسان الأول مجرد خيالات وتخمينات لا صلة لها بالعلم فأين إذن يكون العلم: لابد من لدن خبير للتحريف، توفرت له وسائل العلم والإحاطة والخبرة، فهل نجده؟ ثم يقرر فضيلته أنه ليس إلا القرآن الكريم المرجع المعتمد في الكتب الثلاثة التي تنتسب إلى السماء «لأنه آخرها ولأنه ثبت عدم تعرضه للتحريف، ولأنه دون في عصر الرسالة بعكس الكتب الأخرى»[(1)].

ب- الوحي الصادق ردّ الافتراءات في حق الأنبياء السابقين على النحو التالي:

- بيّن أنهم صفوة خلق الله تعالى ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ ﴾[(2)].

---

(1) الإنسان في الأديان د. عمارة نجيب ص ٤٦، ٤٧.

(2) الحج: ٧٥.

- بيّن أنهم المثل الأعلى لأقوامهم ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[1]. ويقول سبحانه ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[2].
- وصفهم بكل كمال ونفى عنهم كل نقص ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩﴾[3]. ومن ثم فقد برأ ساحتهم من شرب الخمر أو الزنا أو عدم الإيمان بالله أو السرقة أو الغدر أو معاونة الكافرين والظالمين والمشركين إلى غير ذلك مما اعتمدته الدراسات البعيدة عن الوحي فقتلت أثر القدوة في النفوس ومكّنت للرذيلة وقضت على الفضيلة، وصارت النبوة عندهم رياضة نفسية أو عقلية أو ميراثًا يكتسب أو مرادفًا للشعوذة والخزعبلات.

بل نستطيع الجزم بأنه لولا الوحي الصادق «القرآن الكريم» ما عُرف لنبي كرامة ولا فضيلة ولتاهت معالم الشريعة وتناقضت مباني العقيدة وفسدت قواعد الأخلاق وهذا نموذج واضح يقصه القرآن الكريم تدور أحداثه يوم القيامة يجسد الفساد والتحريف والظلم والتزوير الذي لحق برسل الله صلوات الله عليهم أجمعين ممثلًا في شخص نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا

(١) الأحزاب: ٢١.

(٢) الأنعام: ٩٠.

(٣) مريم: ٥٨

لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[(١)]. هذا عن الأخبار الماضية الوحي يقدم اليقين وهو كذلك لا يقبل عوضًا عنه في الأمور المستقبلية فاليوم الآخر ومحتوياته وأحداثه ابتداء من القبر مرورًا بيوم النشر فالحساب فالميزان فالصراط فالجنة أو النار لم يترك الوحي الناس فيه لظن أو تخمين أو لقياس غائب على شاهد وإنما جاء بالخبر اليقين والقول الفصل فترك الناس مؤمنهم أو كافرهم على بينة من أمرهم ومن ثم فليهلك أو ينجو بإرادته. ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾[(٢)].

وهكذا فالوحي دون سائر مصادر المعرفة الذي يملك ناصية الغيب فيخبر باليقين.

الوحي يقدم اليقين في النفس والروح وجنب الله تعالى:

أن الروح والنفس في حقيقتها ذهبت المعارف فيها كل مذهب ولا يملك ناصية الحق فيها سوي الوحي، يقول تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[(٣)].

(١) المائدة: ١١٦-١١٩.

(٢) الأنفال: ٤٢.

(٣) الإسراء: ٨٥.

ويقول سبحانه: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾[(١)] أما عن أسماء الله وصفاته فلن يكون على مثال خلقه ولن يشبهه احد من خلقه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[(٢)] ومن ثم فالعقل الأول أو العقل الفعال أو الكواكب أو الهياكل والأشخاص أو غير ذلك لن يكون إلهًا ولا خالقًا تعالي الله عما يقولون الظالمون علوًا كبيرًا.

لقد اخبر الوحي بخير الصدق عن أسماء الله وصفاته ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[(٣)] ويقول سبحانه ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾[(٤)].

وهكذا فليس ما يوافق الفطرة السليمة ويشبع العاطفة الصادقة ويقنع العقل الراجح سوي اليقين الذي نطق به الوحي وجسده القرآن الكريم وبخاصة فيما استأثر الله بعلمه أو اتصل بذات الله تعالى وأسمائه وصفاته. وكل من رام إدراك شئ من هذه المعارف بعيدًا عن الوحي فهو في حيرة وعمي. لذلك كان يقول سفيان الثوري رحمه الله «عليكم بالأثر وإياكم والكلام في ذات الله» وفسر السيوطي المتوفى سنة ٩١٣ هـ

(١) الشمس: ٧-١٠.

(٢) الشورى: ١١.

(٣) الأعراف: ١٨٠.

(٤) الإسراء: ١١٠- ١١١.

علة تسمية علم الكلام «بأن الكلام ضد السكوت وأن المتكلمين قد تكلموا في المسائل الاعتقادية حيث كان ينبغي الصمت وعدم الخوض فيها»[1].

أصالة التوحيد وفطريته:

وعلى ضوء ما سبق نخلص إلى أن التوحيد فطرة الله التي فطر الناس عليها. قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[2].

والفطرة هنا على معان، منها:[3]

الإسلام، وقيل: البداءة التي ابتدأهم الله عليها.

وقيل: هي الخلقة التي خلق عليها المولود في المعرفة بربه

وقيل المعني: أن الله تعالى خلق قلوب بني آدم مؤهلة لقبول الحق، كما خلق أعينهم وأسماعهم قابلة للمرئيات والمسموعات، فما دامت باقية على ذلك القبول وعلى تلك الأهلية أدركت الحق ودين الإسلام وهو الدين الحق.

فالفطرة هي التوحيد الكامل لله رب العالمين، أو استقامة البشر عليه لو لم يعرض لهم عارض. وقد قرر القرآن الكريم عموم هذا المعني في الأمم جميعًا[4]. قال تعالى:

---

(١) صوت المنطق والكلام عن فني المنطق والكلام- جلال الدين السيوطي، نشره د. على النشار ص ٧، في علم الكلام دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدين د. احمد محمود صبحي ص ٢٢.

(٢) الروم: ٣٠.

(٣) تفسير القرطبي- ج ١٤- ص ٢٠.

(٤) مقارنة الأديان- د. عوض الله حجازي- ص ٣٦.

﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُواْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[1] وقال سبحانه: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾[3].

وهكذا تتعانق النصوص القرآنية لتثبت أن التوحيد فطرة أصيلة لم يسبقها شيء، فهي البدء والمختتم.

وقد ذهب إلى هذا المعني من الغربيين بعض علماء الأديان عندهم وغيرهم أمثال لانج، وشريدر وبروكلمان وغيرهم.

يقول الدكتور دراز: (وهذه هي نظرية «فطرية التوحيد وأصالته» التي انتصر لها جمهور من علماء الأجناس، وعلماء الإنسان، وعلماء النفس. ومن أشهر مشاهيرهم «لانج» الذي اثبت وجود عقيدة «الإله الأعلى» عند القبائل الهمجية في استراليا، وأفريقيا، وأمريكا. ومنهم شريدر الذي أثبتها عند الأجناس الآرية القديمة،

---

(١) يونس: ١٩.

(٢) البقرة: ٢١٣.

(٣) النحل: ٣٦.

ويروكلمان الذي وجدها عند الساميين قبل الإسلام، ولرواه، وكاتر فاج عند أقزام أواسط أفريقيا، وشميدث عند الأقزام وعند سكان استراليا الجنوبية الشرقية. وقد انتهي بحث شميدث هذا إلى أن فكرة «الإله الأعظم» توجد عند جميع الشعوب الذين يعدون من أقدم الأجناس الإنسانية)[1].

وهذه الأقوال لا تعني تسليمهم الكامل للحقيقة القرآنية وإنما يخضعون هذه النتائج لسلم التطور أيضًا على الأقل في صورة العقيدة البدائية!!

لكن الحق في ضوء ما ذكر عن التطور وما صرح به القرآن الكريم يقطع باليقين عجز العلم بوسائله البشرية عن أن يقول كلمته الأخيرة بمنأى عن الوحي الصادق. يقول هوفدنج «يبعد كل البعد أن ينجح تاريخ الأديان في حل مشكلة بزوغ الدين في النوع الإنساني..... فإن التاريخ لا يصور لنا هذه البداية الأولي في موضع ما، وكل ما نجده إنما هو سلسلة من صور مختلفة لديانات متقدمة قليلًا أو كثيرًا... حتى أن أحاط القبائل الهمجية التي نعرفها قد مرت بادوار شتى وتطورت تطورًا بعيدًا»[2].

وهكذا يبدو جليًا أن نصوص القرآن الكريم باعتباره الوحي الصادق فيها الخبر اليقين دون سواها بخصوص نشأة الدين. أن الكتب السماوية متفقة على فطرية التوحيد وأصالته، فأبو البشر آدم هو أول الأفذاذ الملهمين وأول المؤمنين الموحدين وأول الأوابين المتضرعين، نعم ولا سلطان للعلم في هذه الجزئية لأنها داخل منطقة الغيب ولا سبيل لإدراكها إلا بالوحي.

(١) الدين- د. دراز- ص ١١٢.

(٢) المرجع السابق- ص ١١٤.

وجملة القول كما يقول الدكتور «دراز»: «أن كل النظريات التي حاولت تحديد ديانة الإنسان الأول بالتطبيق على ديانات القرون الماضية أو الأمم الهمجية فصورتها لنا تارة سليمة، وتارة سقيمة، وتارة ملفقة، إنما هي افتراضات مبنية على افتراضات، فهي لا تصف الحق الثابت الذي هو مطلب العلم الصحيح وإنما تعرض احتمالات تشبه الحق قليلًا أو كثيرًا»[1].

ولن يكون هذا الحق الثابت إلا في نصوص الوحي واعتقاد فطرية التوحيد وأصالته.

نعم ليس إلا فطرية التوحيد وأصالته.

ولكن كيف تنتكس الفطرة في نفس الإنسان ويتحول بفعل عقله ورأيه من التوحيد إلى التعدد؟

إن جواب هذا السؤال مرده إلى معرفة العوامل التي تخرج بالتوحيد إلى التعدد، وهى ثلاثة بيانها كما يلي:

العوامل التي تخرج بالتوحيد إلى التعدد:

أن استقراء الثبت الصحيح من تاريخ البشرية وتدبر القرآن وما ورد فيه من انحرافات الأمم السابقة عن عقيدة التوحيد للتعدد يمكننا من حصر العوامل التي تخرج بالتوحيد إلى التعدد في ثلاثة عوامل يندرج تحتها غيرها وهى: طول الأمد، وتدخل العقول في النصوص، وإتباع الأهواء.

١- طول الأمد:

الأصل في الإنسان انه مفطور على التوحيد، والرسل يذكرون ويصححون للناس

(١) المرجع السابق- ص ١١٩.

معتقداتهم، وبذلك كتب الله للوحدانية أن تسبق التعدد، ولكن كلما طال الأمد فتح باب الشر لتطل الوثنية برأسها فتنحرف العقيدة وتسيطر الأوهام والخرافات، وما ذلك إلا لان الإنسان ابتعد عن مصدر الوحي الصادق والدين الحق، فلولا غفلة أهل الحق ما قامت للباطل قائمة.

وها هو القرآن الكريم يقرر صراحة أن الفسق والخروج عن التوحيد نتج عن قسوة القلب الذي فسد ببعده عن مصدر الحق. قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾[(1)].

والمتتبع لسيرة الأنبياء والمرسلين يجد أن الافتراق في الدين أمر مستبعد لان الحق ما به نطق الرسول ولا كلام لأحد بعده، فهو المبلغ عن الله تعالى، ولذلك يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٢) إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٣) إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٤) وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[(2)].

وهكذا علم القرآن المسلمين كيف يتأدبون مع أمر الله وأمر رسوله وكيف انه توعد

(١) الحديد: ١٦.

(٢) الحجرات: ١-٥.

من يرفع صوته فوق صوت النبي أو يسئ الأدب في محادثته ومناجاته.

ولما تأدب المسلمون بأدب القرآن صار شعارهم «سمعنا وأطعنا» بين يدي رسول الله ﷺ. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(١).

ولما كان الناس مع رسل الله مؤمن وكافر، جعل الله سبحانه الإذعان للرسول والتسليم والرضا بما يقضيه شرطًا لتحقيق الإيمان فقال سبحانه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾(٢).

والمتتبع لحال الصحابة رضوان الله عليهم رغم الأنا في كل فرد وغريزة تحقيق الذات في كل نفس، وضرورة الاختلاف بين البشر، فلكل فهمه وهواه بل والاختلاف المحمود نبض الحياة، وصدق القائل:

ومن في الناس يرضي كل نفس وبين هوى النفوس مدى بعيد

رغم كل هذا جمعهم الإسلام بعد فرقة وكثّر بهم بعد قلة وأغناهم بعد عيلة وهداهم بعد ضلالة، كل ذلك بفضل الله تعالى ثم التزامهم رسول الله ﷺ والتفافهم حوله وظلوا على ذلك حتى بعد انتقاله إلى الرفيق الاعلي، فما زال عهدهم به قريب فما أعملت الفرقة فيهم شيئًا وما زاغوا بعد هدي ولكن ساروا على النهج القويم وكلما بعد الزمن وطال العهد كان لهذه العامل أثره.

(١) النور: ٥١.

(٢) النساء: ٦٥.

وبالطبع ليس المراد هنا تقصي هذا العامل وذكر مواقفه فليس هذا موضعه[١]، وإنما أردت بيان أن وجود الرسول ﷺ بين أتباعه، وتمسك الأتباع بمصدر دينهم يصرف عنهم كل شر بتوفيق الله تعالى، فإذا ما حجب هذا وذاك عن أناس فطال الأمد بينهم وبين مصدر الحق وخلت الساحة من نبي ومذكر وما عاد سلطان على النفوس والأرواح إلا وخرجوا بالتوحيد إلى التعدد والشرك، وهذا مثال لذلك يقاس عليه في كل زمان ومكان.

قال صاحب كتاب الأصنام:[٢] «أول ما عبدت الأصنام: أن آدم عليه السلام لما مات جعله بنو «شيث». ابن آدم في مغارة في الجبل الذي اهبط عليه آدم بأرض الهند. وكان بنو شيث يأتون جسد آدم في المعرفة، فيعظمونه، ويترحمون عليه، فقال رجل من بني قابيل بن آدم: يا بني قابيل، أن لبني شيث دوارًا يدورون حوله ويعظمونه وليس لكم شئ. فنحت لهم صنمًا فكان أول من عمل الأصنام.

ثم قال: كان «ود» و «سواع»، و «يغوث»، و«يعوق»، و«نسر» كانوا قوم صالحين، ماتوا في شهر، فجزع عليهم ذوو أقاربهم فقال رجل من بني قابيل.

يا قوم هل لكم أن اعمل لكم خمسة أصنام على صورهم، غير أني لا اقدر أن اجعل فيهم أرواحًا، قالوا: نعم. فنحت لهم خمسة أصنام على صورهم فنصبها لهم، فكان الرجل يأتي أخاه وعمه وابن عمه فيعظمه ويسعى حوله، حتى ذهب ذلك القرن

---

(١) راجع حياة الصحابة وبخاصة موقف يوم بدر، يوم بني قريظة، يوم أحد، وكذلك أمر وفاته صلوات الله عليه ودفنه وطلب ميراثه، وخلافة الصديق وانفاذ جيش أسامة وقتال مانعي الزكاة.

(٢) راجع الأصنام للكلبي ص ٥٠، الأديان في القرآن الكريم ص ٣٧ وما بعدها، وتلبيس إبليس لابن الجوزي ص ٦٨ وما بعدها.

الأول، ثم جاء قرن آخر فعظموهم أشد من تعظيم القرن الأول.

ثم جاء من بعدهم القرن الثالث، فقالوا: ما عظم أولونا هؤلاء إلا وهم يرجون شفاعتهم عند الله فعبدوهم، وعظم أمرهم واشتد كفرهم، فبعث الله إليهم إدريس عليه السلام فدعاهم فكذبوه، فرفعه الله إليه مكانًا عليًا. ولم يزل أمرهم يشتد حتى مجيء نوح عليه السلام، فبعثه الله إليهم نبيًا.

فانظر كيف كان عامل طول الأمد وخلو الساحة من نبي وانتكاسة فطرة الناس لبعدهم عن مصدر الحق مدعاة للشيطان أن يعمل فيهم خطته المحكمة وخطواته المتلاحقة، فكانت البداية ذكري وعظة لا تخرج عن الحق، ثم كان الغلو واتخاذهم شفعاء ووسطاء يقربون إلى الله زلفى مع الجيل الثاني، وكان مع الجيل الثالث أن صاروا آلهة مع الله تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، وهكذا كل جيل يبتعد لطول الأمد عن الحق خطوة حتى يخرج بالتوحيد إلى التعدد.

وصدق رسول الله ﷺ حيث قال: «يا أيها الناس أن الله امرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني في يومي هذا: أن كل مال نحلته عبدي فهو له حلال، وان خلقت عبادي حنفاء كلهم فأتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وأمرتهم ألا يشركوا بي ما لم انزل به سلطانا، وإن الله تعالى نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب»[(١)].

هذا أمر مندرج في كل وقت... متى تحقق طول الأمد تداعي فتح باب العامل الذي يليه هكذا على الترتيب فتتحفز الأنا داخل الإنسان فيدلي كل بدلوه وتتدخل

(١) تلبيس إبليس لابن الجوزي- ص ٣٥.

العقول في النصوص.

٢- تدخل العقول في النصوص:

إن ابتعاد الناس عن مصدر الوحي وطول الأمد بينهم وبينه ليكل الناس إلى عقولهم وآرائهم المتسمة بالنقص والعجز والأثرة والنفعية، وغير ذلك مما هو معلوم مشاهد بالضرورة في حياة البشر.... وصدق القائل:

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأول ما يجني عليه اجتهاده

والله در ابن الجوزي حين قال في صدر كتابه تلبيس إبليس[1]:

«واعلم أن الأنبياء جاءوا بالبيان الكافي، وقابلوا الأمراض بالدواء الشافي، وتوافقوا على منهاج لم يختلف، فاقبل الشيطان يخلط بالبيان شبهًا، وبالدواء سمًا، وبالسبيل الواضح جردًا- مكان لا نبات فيه- مضلًا وما زال يلعب بالعقول إلى أن فرق الجاهلية في مذاهب سخيفة، وبدع قبيحة، فأصبحوا يعبدون الأصنام في البيت الحرام ويحرمون السائبة[2]، والبحيرة- مشقوقة الأذن- والوصيلة[3] والحام- فحل الإبل- ويرون واد البنات ويمنعوهن الميراث، إلى غير ذلك من الضلال الذي سوله لهم إبليس، فابتعث الله سبحانه وتعالي محمدًا ﷺ، فرفع المقابح- المعاير والمشابن-، وشرع المصالح فسار أصحابه معه وبعده في ضوء نوره سالمين من العدو وغروره.

---

(١) المرجع السابق- ص ١٠، ١١.

(٢) السائبة: الناقة المنذورة تترك فترعي حيث شاءت فلا يزودها أحد أو يمسّها بسوء.

(٣) الوصيلة: الشاة تلد سبعة أبطن أثنين أثنين، أو عناقين عناقين، فإن ولدت في الثامنة جديًا ذبحوه للآلهة، فإن ولدت جديًا وعناقًا قالوا: وصلت أخاها فلا يذبحونه من اجلها وسميت الوصيلة، ولا يشرب النساء لبنها، لكن الرجال يشربونه.

فلما انسلخ نهار وجودهم، أقبلت أغباش[1] الظلمات، فعات لأهواء تنشئ بدعًا، وتضيق سبيلًا ما زال متسعًا، ففرق الاكثرون دينهم، كانوا شيعًا، ونهض إبليس يلبس ويزخرف ويفرق ويؤلف وإنما يصح له التلصص في ليل الجهل، فلو قد طلع عليه صبح العلم افتضح».

انه تصوير رائع لحالة العقل في وجود النبي وصحبة الأصل والتزام النص وحالته بعد طول الأمد، فشتان بين نور وظلام، ويقين وأوهام والعقل في ظل الوحي آمن مطمئن مدرك منصف فان راع عنه ضل، وهو من اجل نعم الله على الإنسان فهو «الآلة في معرفة الإله سبحانه والسبب الذي يتوصل به إلى تصديق الرسل، إلا انه لما لم ينهض بكل المراد من العبد، بعثت الرسل، وأنزلت الكتب، فمثال الشرع الشمس ومثال العقل العين، فإذا فتحت وكانت سليمة رأت الشمس، ولما ثبت عند العقل أقوال الأنبياء الصادقة بدلائل المعجزات الخارقة، سلم إليهم واعتمد فيما يخفى عنه عليهم»[2].

ورضي الله عن الإمام على حين قال: «لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولي بالمسح من أعلاه، وقد رأيت رسول الله ﷺ يمسح ظاهر خفية»[3].

قال ابن سيرين «وأول من قاس إبليس فاخطأ، فمن قاس الدين برأيه قرنه الله مع إبليس»[4].

---

(١) الغبش: ظلمة آخر الليل.

(٢) المرجع السابق- ص ١٠.

(٣) المغني لابن قدامة- جـ ١ - ص ٣٧٧ والحديث رواه أبو داود والترمذي- باب المسح على الخفين والسند حسن صحيح.

(٤) البحر المحيط- جـ ٤- ص ٢٧٣، تلبيس إبليس- ص ٣٤.

وعلى هذا نستطيع القول بأنه كلما طال الأمد وضعف الحس الديني أو زال سلطانه من نفوس الناس اغتنم الشيطان الفرصة السانحة فاجتهد وأولياؤه، فإذا بالعقول تحقيقًا لأن تتدخل في النصوص ولا مصحح لهم ولا واد لهم للحق واليقين، فإذا بتحريف غال زين له الشيطان عمله فضل سعيه من جَراء تدخل عقله وهو يحسب انه يحسن صنعًا، وإذا بانتحال مبطل يريد القضاء على الدين وان تظاهر بأنه من أهله ومن احرص الداعين إليه وإنما يهدف بتظاهره هذا المخالف لباطنه الانتصار لما كان عليه أسلافه من عبادة الباطل أني كانت صورته أو القضاء على الدين حقدًا عليه لشهوة في نفسه مستغلًا في سبيل ذلك الإفراط في جانب الشهوات وبذر بذور الشبهات في الدين لعلها تثمر ولو بعد حين، وإذا بتأويل جاهل يخرج بالنص عن روحه فإذا اعمي يقود اعمي وضلال وإضلال وصلي الله على معلم الناس الخير حيث قال: «أن الله لا ينزع العلم بعد أن اعطاكموه انتزاعًا ولكن يقبضه مع قبض العلماء بعلمهم، فيبقي رؤوس جهال يستفتون فيفتون فيضلون ويضلون»[(١)].

وهكذا تتعدد الآراء وتتشعب المفاهيم وتتفرق الكلمة... وما عرضت فكرة بين قوم- صحيحة كانت أو فاسدة- إلا وكان لها مؤيد ومعارض، وتلك سنة الله في خلقه ولذلك تصير الأمة الواحدة أحزابًا وشيعًا كل حزب بما لديهم فرحون، ولا مرجح بين هذه الآراء المتداخلة إلا الهوي وهو ثالث العوامل.

٣- إتباع الأهواء:

ثالث العوامل التي تخرج بالتوحيد إلى التعدد إتباع الأهواء، وذلك انه إذا طال الأمد فتدخلت العقول في النصوص فتنوعت الآراء وتباينت الاتجاهات كان المرجح بين هذه التيارات المختلفة هو الهوي، فاختار كل ما يهوي.

(١) متفق عليه.

والهوى سبب الضلال والظلم حذر منه الله في كتابه فقال لنبيه ﷺ: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ١١٩ وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ﴾[1].

ويقول سبحانه ﴿ وَلَئِنۡ أَتَيۡتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٖ مَّا تَبِعُواْ قِبۡلَتَكَۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٖ قِبۡلَتَهُمۡۚ وَمَا بَعۡضُهُم بِتَابِعٖ قِبۡلَةَ بَعۡضٖۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ إِنَّكَ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[2].

وأمر الله نبيه أن يعلن مجافاته للأهواء، وذلك دلالة الاهتداء. قال تعالى: ﴿قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهۡوَآءَكُمۡ قَدۡ ضَلَلۡتُ إِذٗا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾[3].

وأرباب الهداية أن اتبعوا أهواءهم ضلوا بعد هدي وخسروا بعد فلاح، وقد ضرب لذلك الأمثال وقص علينا القصص عبرة لأولي الألباب. ومن ذلك قوله تعالى ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ١٧٥ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ

(١) البقرة: ١١٩- ١٢٠.

(٢) البقرة: ١٤٥.

(٣) الأنعام: ٥٦.

﴿ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1]. وعليه فليس عند الله أضل ممن اتبع هواه وضل بعد هدي. قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[2].

نعم ليس عند الله تعالى أضل ممن اتخذ إلهه هواه وضل بعد هدي ومن ثم كان حرص الإسلام على توظيف الهوي في إطار شرع الله. وفى الحديث «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به». وبنظرة سريعة في نتيجة الاختلاف في ذات القضية بعد خلافة الإمام علي ﷺ نلمس الفرق واضحًا وكيف أن هذه العوامل مرتبة: طول أمد يؤدي إلى تدخل في نص، يؤدي بفعل الهوي إلى إلباس الباطل ثوب الحق والافتراق في الدين إلا من عصم الله ﷻ.

ومن هنا كانت أمانة الدين ثقيلة وكان على ورثة الأنبياء أن يعملوا على تطهير ساحة الدين من اى دخن، فينفون عنه تحريف الغالين وتأويل الجاهلين وانتحال المبطلين.

وحيثما توفرت هذه العوامل الثلاث وانتشرت في امة خرج أهلها بالتوحيد إلى التعدد وبالحق للباطل وبالوحدة للفرقة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الفطرة الإنسانية وولاؤها للدين الصحيح:

إذا كان التوحيد هو الأصل كما ثبت فانه من الواجب توضيح جزئية من الأهمية بمكان حتى لا تختلط المفاهيم فتتباين الأحكام، وهى الفرق بين فطرية التدين وفطرية التوحيد وتحديد مفهوم الدين مضافًا للفطرة. فأقول وبالله التوفيق.

(١) الأعراف: ١٧٥ – ١٧٦.

(٢) الجاثية: ٢٣.

فطرية التدين[1]:

إن القول بفطرية التدين قول تكاد كلمة علماء الأديان أن تجمع عليه إلا من شذّ بلا دليل أو توجيه، فقد تواترت الكلمة على أن التدين بمعني التذلل والخضوع والانقياد لكائن اعلي ومحاولة إرضائه والخضوع له أمر غريزي فطر عليه الإنسان. يقول «لاروس» في معجم القرن العشرين: أن الغريزة الدينية مشتركة بين كل الأجناس البشرية، حتى أشدها همجية وأقربها إلى الحياة الحيوانية، وان الاهتمام بالمعني الإلهي وبما فوق الطبيعة هو إحدى النزعات العالية الخالدة للإنسانية.

ويقول: «**إن هذه الغريزة الدينية لا تختفي، بل لا تضعف ولا تذبل، إلا في فترات الإسراف في الحضارة، وعند عدد قليل جدًا من الأفراد**».

ويقول «هنرى برجسون»: «**لقد وجدت، وتوجد جماعات إنسانية من غير علوم وفنون ولكنه لم توجد جماعة بغير ديانة**».

ويقول الأستاذ «محمد فريد وجدي» في دائرة معارفه: (نعم يستحيل أن تتلاشي فكرة التدين، لأنها أرقي ميول النفس، وأكرم عواطفها، ناهيك بميل يرفع لرأس الإنسان، بل أن هذا الميل سيزداد.... ففكرة التدين ستلاحق الإنسان ما دام ذا عقل يعقل به الجمال والقبح».

وهذا يعني أن التدين أمر فطري به خلق الإنسان ولا ينفك عنه.

لكن هل هذا التدين هو وحي الله المنزل على رسله أم هو إدراك العقل وفق

(١) راجع- مقارنة الأديان- د. عوض الله حجازي- ص ٣٤ وما بعدها، الدين- د. دراز- ص ١١٣، الأديان في القرآن- ص ٢٢ وما بعدها.

امكاناته وأطواره؟ وهذان قولان كما سلف في بيان أصالة التوحيد وفطريته.

فطرية التوحيد:

فالمراد منها أن الله خلق الإنسان على التوحيد وفق ما سلف بيانه في المبحث السابق، وهذا يعنى استقامة الإنسان أو ردته على هذا الأصل بسلوكه وفق معتقده، فان استقام على أوامر الله فلم يشرك به شيئًا، وأطاع رسله فاحل الحلال وحرم الحرام فهو المتدين المستسلم لأوامر الله المستقيم على منهج الحق والصراط المستقيم.

أما من أشرك بالله واتبع هواه فهو الاعمي الذي لا يبصر.. انه يأكل كما تأكل الأنعام، فانتكست فطرته وفسدت عقيدته واضطرب سلوكه فضل سعيه وهو يحسب انه يحسن صنعًا.

وهذا يعني أن الدين المراد هنا بفطريته الدين في النفس الإنسانية، ذلك الدين الحق «الإسلام» الذي جاءت به كل رسل الله صلوات الله عليهم أجمعين.

وحدة الدين:

أن دين الله واحد في مصدره، واحد في التسمية، واحد في غايته، واحد في وسيلته.

وحدة المصدر:

أما عن وحدة الدين باعتبار المصدر فهو وحي الله تعالى المنزه عن الشريك والند والصاحبة والولد.

قال تعالى ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ

نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[1]، وقال سبحانه ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾[2]، وقال جل شأنه: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[3].

فهذه النصوص القرآنية وغيرها مما في معناها كثير، وكلها تبين أن الدين هو وحي الله المنزل على رسله لإسعاد خلقه، وان محور هذا الدين دعوة الخلق لعبادة الخالق سبحانه.

وهذا هو أشرف المرسلين وخاتم النبيين بأمره القرآن أن يقول للناس، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾[4].

فدل على أن مصدر الدين كله هو وحي الله الصادق المنزل على رسله صلوات الله عليهم أجمعين ولا دخل لأحد فيه، فلله الأمر جميعًا.

وحدة التسمية:

وكما كان الدين كله من عند الله فقد سماه الله الإسلام، وهذه بعض النصوص القرآنية التي قررت هذه القضية أو ذكرت إقرار السابقين من المرسلين اعتناقهم الإسلام ودعوتهم إليه. قال تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ

---

(١) النساء: ١٦٣- ١٦٥.

(٢) الأنبياء: ٢٥.

(٣) الأنبياء: ٧.

(٤) الكهف: ١١٠.

قَآبِمًا بِٱلْقِسْطِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (١٨) إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ (١٩) فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾[1].

فالدين عند الله الإسلام وبذلك نطق المرسلون:

قال نوح عليه السلام لقومه ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[2]، وقال إبراهيم عليه السلام يناجي ربه وهو يرفع قواعد البيت وإسماعيل ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[3].

وبالإسلام أمر الله إبراهيم ووصي بها إبراهيم بنيه ويعقوب. قال تعالى: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (١٣٠) إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٣١) وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٣٢) أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾[4].

(١) آل عمران: ١٨- ٢٠.

(٢) يونس: ٧٢.

(٣) البقرة: ١٢٨.

(٤) البقرة: ١٣٠- ١٣٣.

وسأل يوسف عليه السلام ربه أن يميته على الإسلام ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾(1).

ودعا موسى عليه السلام قومه للتمسك بالإسلام ومتطلباته ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾(2)، وقال السحرة لفرعون حين هددهم وتوعدهم ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾(3).

وبالإسلام أذعنت ملكة سبأ وقبلت دعوة سليمان عليه السلام فقالت لما رأت نعم الله الكثيرة عند سليمان ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(4).

وبالإسلام وصف الله أنبياء بني إسرائيل فقال سبحانه: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ﴾(5)، وبالإسلام جاء عيسى عليه السلام

(1) يوسف: 101.
(2) يونس: 84.
(3) الأعراف: 127.
(4) النمل: 44.
(5) المائدة: 44.

وبه اقر الحواريون قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ﴾[2].

أما خاتم المرسلين سيدنا محمد- صلوات الله عليهم أجمعين- فقد أوحي الله إليه قوله: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾[3].

وبالإسلام أمره ربه فقال تعالى: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ١١ وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾[4]، وقال سبحانه: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾[5].

ومن ثم فليس عند الله أفضل ممن أسلم ودعا للإسلام قال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾[6].

---

(١) آل عمران: ٥٢.

(٢) المائدة: ١١١.

(٣) الحج: ٧٨.

(٤) الزمر: ١١- ١٢.

(٥) الأنعام: ١٦٢-١٦٣.

(٦) فصلت: ٣٣.

وبهذا يتبين أن الدين عند الله واحد كذلك في التسمية، فهو الإسلام بمعني الاستسلام والانقياد لله رب العالمين.

وحدة الغاية والوسيلة:

وكما كان الدين- الإسلام- واحد في مصدره وتسميته فهو واحد في غايته، فغاية الدين أفراد الله بالعبادة فما من نبي إلا وقال لقومه ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾. ولذلك قال سبحانه مبينًا علة خلق الإنسان ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1].

أما وحدة الوسيلة فهي الدعوة بالحسنى والمجادلة بالتي هي أحسن. وقد بين القرآن الكريم هذا كله عند ذكر الأنبياء السابقين ودعواتهم لأقوامهم[2].

ويذلك أمر القرآن الكريم فقال تعالى ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[3].

---

(١) الذاريات: ٥٦.

(٢) راجع مجادلة نوح، وشعيب، وهود وإبراهيم عليهم السلام- مثلًا لأقوامهم.

(٣) النحل: ١٢٥.

خلاصة الوحدة

نخلص من دراسة هذه الوحدة إلى ما يلي:

(١) العلم والإيمان قرينان، والعلم سابق للقول والعمل.

(٢) أصول نظرية المعرفة الإسلامية وأبعادها أبرزها القرآن والتزمها النبى وأصحابه وسلف الأمة الصالح.

(٣) لا تعارض بين العقل الصحيح والوحى الصريح ولا خوف من المعرفة الإسلامية وصبغ الحياة بها.

(٤) المعرفة الإسلامية بشموليتها هي التى قدمت للعالم أصول الحضارة الحديثة.

(٥) النماء والاستقرار والتقدم المعرفى والعملى وقف على العودة للمعرفة الإسلامية.

(٦) فى ظل المعرفة الإسلامية تزكو نفوس العلماء وتصبح المعرفة في خدمة الحياة والأحياء.

أسئلة التقويم الذاتي

أولاً: أسئلة المقال:

س١: اشرح مميزات نظرية المعرفة الإسلامية؟

س٢: اشرح ثمرات نظرية المعرفة الإسلامية في ذاتها؟

س٣: وضح ثمرات نظرية المعرفة الإسلامية في حق من حصَلها؟

س٤: بيّن مدى حاجة البشرية اليوم لنظرية المعرفة الإسلامية؟

س٥: دلّل على أن الوحى لا يتعارض مع المعرفة اليقينية؟

س٦: اشرح كيف ردَ الوحى الصادق اعتهاد المعرفة المادية سلّم التطور العقدى؟

س٧: اشرح كيف ردَ الوحى الصادق الافتراءات على أنبياء الله ورسله السابقين؟

س٨: اشرح كيف قدمَ الوحى الصادق اليقين في النفس والروح وجنب الله تعالى؟

س٩: بيّن موقع الوحى بين مصادر المعرفة ودلائل اليقين معه؟

س١٠: وضح أثر غياب ثمرات نظرية المعرفة الإسلامية في الحياة العلمية والمادية؟

ثانياً: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة «✓» أمام العبارة الصحيحة، وعلامة «✗» أمام العبارة الخاطئة:

١- محكم المعرفة الوحيية لايتعارض مع الحقيقة العلمية ( )

٢- يقين المعرفة الوحيية يقنع العقول ويشبع العواطف ويحقق الأمن والسلام الاجتماعي للبشر ( )

٣- المعرفة الوحيية قيد على الفكر ومانعة من التطور والتقدم والتنمية ( )

ثالثاً: أسئلة الاختيار من متعدد:

اختر الإجابة الصحيحة مما بين القوسين:

١- تتفق المعرفة الوحيية مع (الفرض العلمي – النظرية العلمية – الحقيقة العلمية).

٢- دلالات محكم المعرفة الوحيية (يقينية – كاملة – شاملة – دائمة – متناقضة).

٣- تضارب نتائج التجربة العقلية أو الواقعية أو استبطان النفس ونقصانها مرده إلى (التقيد بالوحي – بعدها عن الوحي – اختلاف البيئات).

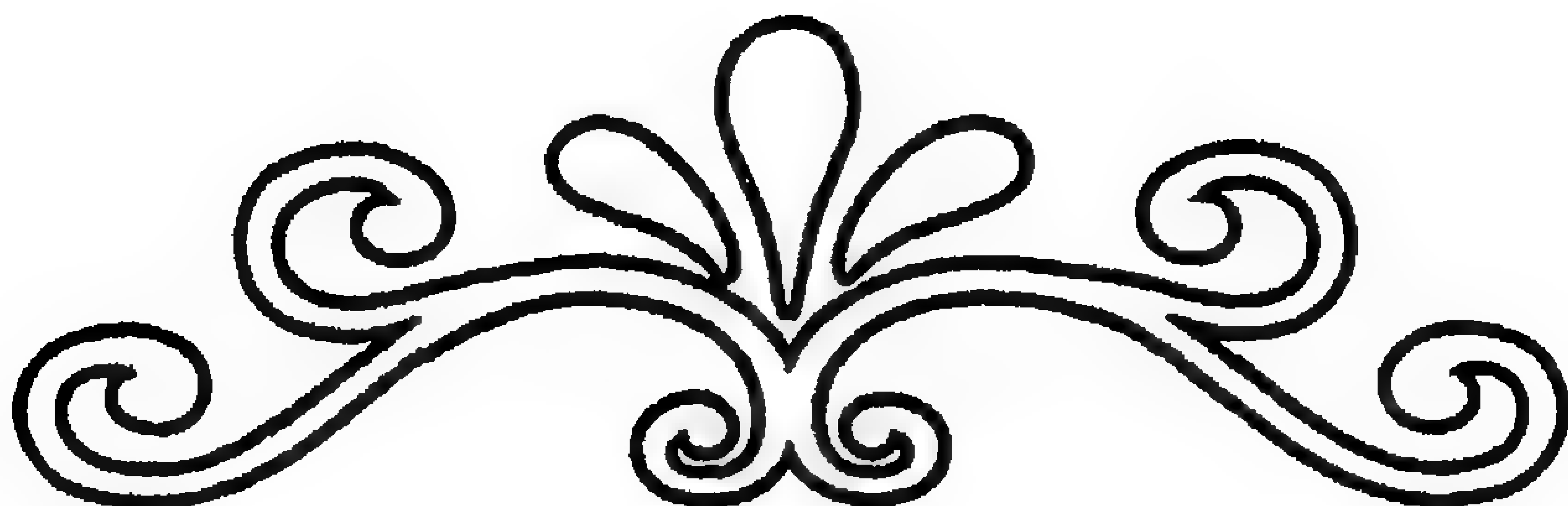
النشاط التعليمي للوحدة السادسة

عزيزي الدارس:

حتى تكتسب المزيد من المعلومات حول الموضوعات الواردة في هذه الوحدة عليك أن تقوم بإنجاز النشاط التعليمي التالي:

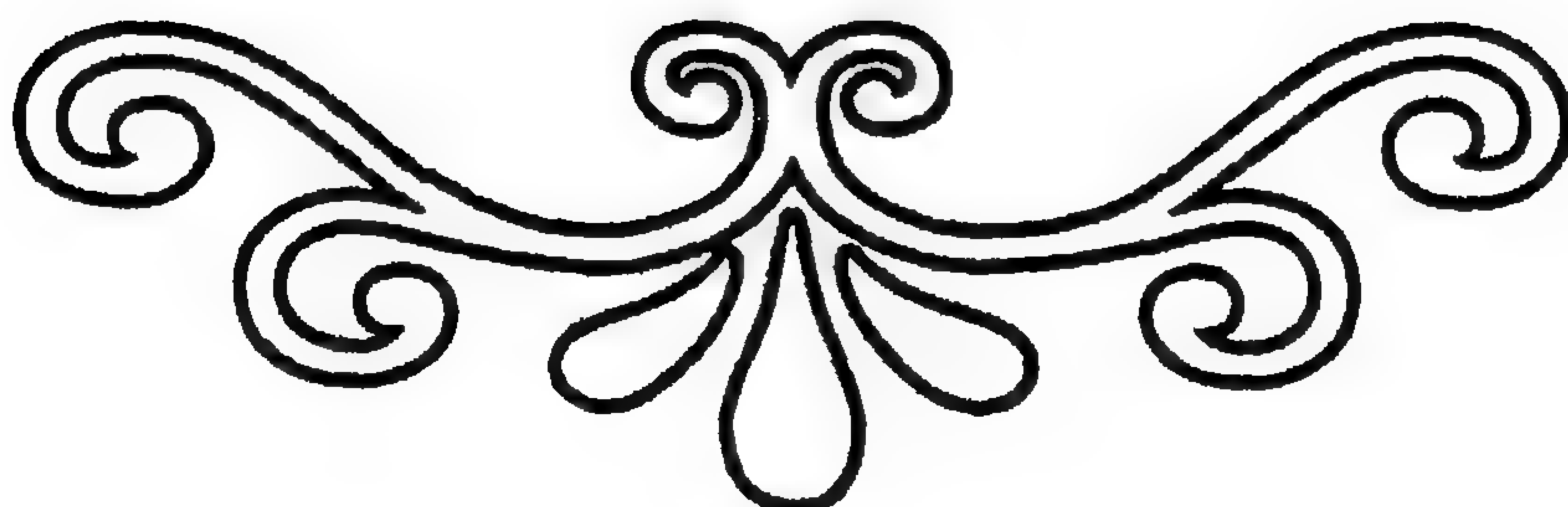
اكتب بحثًا في:

- مميزات نظرية المعرفة الإسلامية وثمراتها.



الوحدة السابعة

الكتب المنزلة على الرسل ودلائل صحتها سنداً ومتناً



محتويات الوحدة السابعة

- الكتب المنزلة (القرآن الكريم- التوراة- الإنجيل- صحف إبراهيم- الزبور).
- دلائل صحة السند.
- دلائل سلامة المتن.



أهمية دراسة الوحدة:

عزيزي الدارس: الدعوى يستطيعها كل أحد، لذلك كثر مدعوا النبوة في كل عصر، واشترى كثير من أهل الكتاب بآيات الله ثمنا قليلا، وتكفل الله بحفظ القرآن الكريم، لذلك كانت هذه الوحدة لتدرك بمقتضاها الحق وتميزه عن الباطل فيما نسب لله تعالى وحيا.

الأهداف التعليمية:



عزيزي الدارس: يُرجى منك بعد دراستك لهذه الوحدة أن تكون قادرًا على:

١- تمييز النص الموحى به عن غيره من كلام غير الله تعالى.
٢- إدراك دلائل صحة الكتاب أو النص كحكم ظاهر عام.
٣- إدراك دلائل سلامة المتن لهذا النص كحكم داخلي خاص.
٤ - إثبات التحريف بالنقص والزيادة والتناقض والإختلافات والأغاليط في كتب اليهود والنصارى و سلامة القرآن الكريم من كل ذل.
٥ - إدراك عظم الأمانة على عاتقك كمسلم كتابه مصدق لما بين يديه من الكتاب ومهيمن عليه.

الكتب المنزلة على الرسل ودلائل صحتها سندًا ومتنًا

إن الإيمان بالله ورسله يستلزم الإيمان بما انزل الله تعالى على رسله من كتب، كلفهم الله بتبليغها للناس، هذه الكتب التي هي بمثابة الدستور والمرجع الذي يحتكمون إليه في عقائدهم ومبادئ دينهم وشرائعه وأوامره ونواهيه.

وهى الأصل الذي ينطلق العلماء والمجتهدون من خلاله لصيغ مستجدات الحياة بصيغة الدين فهمًا صحيحًا لنقل صريح.

وهى الحكم العدل بين الناس في كل شئونهم الحافظة لحدود دعوة الرسل، الفاضحة لانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين وتحريف الغالين. لذلك كان الإيمان بالكتب المنزلة على رسل الله صلوات الله عليهم أجمعين من أركان الإيمان الثابتة، وكل كتاب ينسب إلى السماء يحتوي دلائل صدقه وصحته، وهذه الكتب السماوية منها ما اخبرنا الله به، ومنها ما لم يخبرنا به، فيجب الإيمان بما انزل الله من كتاب، مع ضرورة الإيمان بكتب معينة اخبرنا الله أنه أنزلها على رسله... وهذه الكتب هي:

١- القرآن الكريم:

وهو كتاب الله المنزل على خاتم رسله سيدنا محمد ﷺ إلى يوم الدين، وهو الكتاب الوحيد الذي تولي الله حفظه من التحريف والتبديل والنقصان والزيادة، وهو المصدق لما بين يديه من الكتب والمهيمن عليها، وسيظل هكذا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

٢- الإنجيل:

وهو الكتاب الذي أنزله الله على عيسى عليه السلام فيه هدي ونور، ويجب الإيمان به كتابًا انزله الله على عيسي، لا بالمحرفات التي يزعمونها اليوم.

فلا يوجد بين الناس نسخة لهذا الإنجيل، وإنما يعتقد النصارى في عدة أناجيل منسوبة إلى كاتبيها ومؤلفيها وبعض الرسائل الاخري وتعرف بالعهد الجديد، وتكمل مع العهد القديم كتاب النصارى الذي يعتقدونه، وجميع ما عندهم يفتقر إلى صحة السند ولسلامة المتن فقد حرفوا الكلم عن مواضعه وخرجوا بالنص الموحي به إلى أمور ابتدعوها وألفوها واعتقدوها دينًا.

٣- التـــوراة:

وهي الكتاب الذي انزله الله على موسى عليه السلام فيه هدي ونور، وتشريع وأحكام، ويجب الإيمان بها كتابًا أوحاه الله إلى موسى عليه السلام لا بالمحرفات التي يعتقدها اليهود اليوم.

فليس بين أيدي اليهود نسخة أصلية صحيحة للتوراة، وما بأيديهم اليوم حتى ما ينسبونه إلى موسى عليه السلام «أسفار موسى الخمسة» يفتقر إلى صحة السند وسلامة المتن، فقد زادوا وانقصوا على وحي الله المنزل إلى موسى عليه السلام، بل غيروا وبدلوا وقالوا بألسنتهم هذا من عند الله وما هو من عند الله، واشتروا به ثمنًا قليلًا فبئس ما يشترون.

٤- صحف إبراهيم:

وهى ما أنزله الله على إبراهيم عليه السلام، وان لم يكن بين الناس اصل معروف لهذه الصحف، فيجب الإيمان بها كما ذكر القرآن الكريم.

وقد سأل عنها أبو ذر رضي الله عنه رسول الله ﷺ فقال: «**كانت أمثالًا كلها: أيها المسلط (أي الحاكم النافذ السلطان) المبتلي (المختبر) المغرور، إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ولكني بعثتك لترد عنى دعوة المظلوم، فاني لا أردها ولو كانت من كافر. وعلى العاقل ما لم يكن مغلوبًا على عقله أن يكون له ساعات: ساعة يناجي فيها ربه،**

وساعة يحاسب فيها نفسه، ساعة يتفكر فيها في صنع الله ﷻ، وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب. وعلى العاقل إلا يكون ظاعنًا (مرتحلًا) إلا لثلاث تزود لمعاد، أو لمعاش، أو لذة في غير محرم. وعلى العاقل أن يكون بصيرًا بزمانه، مقبلًا على شأنه، حافظًا للسانه. ومن حسب كلامه من عمله، قل كلامه إلا فيما يعنيه.....»[1].

٥- زبور داود عليه السلام:

«وهو الكتاب الذي أنزله الله على داود، وهو كتاب مواعظ ونصائح وأخلاق، وإثارة مشاعر وجدانية دينية، وقد كان داود عليه السلام يرتله ترتيلًا غنائيًا بصوته الشجي، وكانت الجبال تؤوب معه رجع صوته الندي الجميل، ولكن ليس بين يدي أهل الكتاب نسخة صحيحة للزبور غير محرفة ولا مبدلة»[2].

وما بأيدي أهل الكتاب ويسمي بالمزامير يفتقر إلى صحة السند وسلامة المتن، وليس هو الموحي به من الله تعالى.

وهذه الكتب أشار إليها القرآن الكريم وذكر بعضًا مما قاله إتباع كل كتاب وفند مزاعمهم الباطلة وأقام عليهم الحجة الدامغة.. ومما ورد في ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ

(١) انظر: الرسل والرسالات- د. عمر الأشقر- ص ٢٤٧.

(٢) الثقافة الإسلامية- الشيخ عبد الرحم حبنكة والشيخ محمد الغزالي- ج ١- ص ١٠١.

ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾(١)، وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(٢)، وقال جل شأنه: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾(٣)، وقال سبحانه: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾(٤)، وقال جل شأنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾(٥).

وغير هذا في القرآن كثير. فاعلم- أرشدني الله وإياك الخير- أن القرآن الكريم عند

(١) البقرة: ٧٥- ٧٩.

(٢) آل عمران: ٧١.

(٣) آل عمران: ٧٨.

(٤) المائدة: ١٣.

(٥) المائدة: ٤١.

تناوله لنصوص الكتب التي بأيدي أهل الكتاب صرح بأنها فقدت صلتها بالله، فأربابها حرفوا الكلام من بعد ما عقلوه وهم يعلمون، ولووا ألسنتهم وكتبوا بأيديهم وقالوا هو من عند الله وما هو من عند الله وافتروا على الله الكذب وهم يعلمون، وقد أفاد العلماء من إشارات القرآن الكريم فتناولوا هذه الكتب سندًا ومتنًا.

وبذلك نري أن القرآن الكريم قد طعن في سند الكتاب الذي يؤمن أهل الكتاب بقداسته، وقد نبهت إشاراته المسلمين الأول إلى موضوع السند وفقدان أهله شرط التواتر والعدل، كما نبهت إلى ما أصاب المتن من زيادة ونقصان واضطراب»[(١)].

ولذلك يجب أن تتوفر دلائل صحة السند، ودلائل سلامة المتن للكتاب الموحي به، ولم تتوفر هذه الدلائل إلا للقرآن الكريم فإذا انتفت هذه الدلائل ثبت انه ليس كتاب الله وإنما هو من وضع البشر... وصدق الله العظيم ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴾[(٢)].

أولاً: دلائل صحة السند:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله «الإيمان بجميع ما أوتي النبيون حق واجب، لكن وجوب التصديق في النبي المعين الذي لم نعلمه من غيرهم يقف على مقدمتين:

- أن يكون اللفظ قد قاله النبي ﷺ.
- أن يكون المعني الذي فسروه به مرادًا للنبي الذي تكلم بذلك القول، فلابد من

(١) اتجاهات نقد الكتاب المقدس عند علماء مقارنة الأديان المسلمين- د. بكر زكي- ص ١٤٧ بتصرف، حولية كلية أصول الدين- العدد الرابع.

(٢) النساء: ٨٢.

الإسناد ودلالة المتن»[1].

ويقول الشيخ رحمت الله الهندي رحمه الله: «اعلم أرشدك الله تعالى أنه لابد لكون الكتاب سماويًا واجب التسليم أن يثبت أولاً بدليل تام أن هذا الكتاب كتب بواسطة النبي الفلاني، ووصل بعد ذلك إلينا بالسند المتصل بلا تغير ولا تبديل، والاستناد إلى شخص ذي الهام بمجرد الظن والوهم لا يكفي في إثبات أنه من تصنيف ذلك الشخص، وكذلك مجرد ادعاء فرقة أو فرق لا يكفي فيه»[2].

ونستطيع إجمال دلائل صحة سند الكتاب الموحي به فيما يلي:

١- أن تكون نسبته إلى الرسول يقينية بلاغًا عن الله تعالى الذي اوحاه إليه.

٢- أن تتلقاه أمته بالقبول.

٣- أن تتوفر له عوامل الحفظ.

٤- أن تتوفر له شروط النقل والتواتر.

الدلالة الأولى:

الأصل في سند الكتاب الموحي به أن يبلغ الرسول ما أوحاه الله تعالى إليه، أي يبلغ موسى عليه السلام التوراة التي انزلها الله تعالى عليه فيها هدي ونور، وان يبلغ عيسى عبد الله ورسوله الإنجيل الذي اوحاه الله إليه مصدقًا لما بين يديه من التوراة مشتملًا على الهدي والنور، وان يبلغ سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ القرآن العظيم المصدق لما بين يديه من

(١) الجواب الصحيح- ج ٢- ص ٤٩.

(٢) إظهار الحق- ج ١- ص ١٠٥ بتحقيق د. محمد ملكاوي.

الكتاب والمهيمن عليه.

وهذا يعني أن الكتاب لابد وان يكون وحيًا من الله إلى رسوله.

يقول الدكتور «محمد يوسف موسي»: «الدين الحق ليس في رأي الشرع إلا ما كان وحيًا من الله للمصطفين من خلقه لهداية الناس إلى الصراط المستقيم»[(١)].

كذلك يعني أن لا وصاية لأحد من خلق الله على الكتاب، فما الرسول إلا مبلغ عن الله لا يملك أن يزيد عليه أو ينتقص منه فضلًا عن أن يفتري الكذب، فامتنع أن يدعي احد الإلهام أو الرؤيا أو غير ذلك، فما الكتاب إلا وحي صادق، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[(٢)]. وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[(٣)].

وهكذا فما وظيفة الرسول مع الكتاب إلا البلاغ المبين وفقط ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾[(٤)].

بطلان دعوى الإلهام والرؤيا:

اعتمد اليهود والنصارى على الإلهام والرؤيا، وأن من امتلأ بالروح القدس من

(١) الإسلام وحاجة الإنسانية إليه.

(٢) الكهف: ١١٠.

(٣) المائدة: ٦٧.

(٤) المائدة: ٩٩.

رجالاتهم فليجهر بكلمة الله. وهذه دعوى لا أساس لها من الصحة ولا يستقيم معها حق ولا يثبت معها كتاب موحي به من الله تعالى.

ولقد صرحت بعض نصوص كتابهم المقدس بأن أرباب دعوى الإلهام والذين يتنبأون بالأحلام الكاذبة ما هم إلا كذبة ومحرفون أيضًا.

ورد في سفر أرميا: «هكذا قال رب الجنود لا تسمعوا لكلام الأنبياء الذين يتنبأون لكم. فإنهم يجعلونكم باطلًا. يتكلمون برؤيا قلبهم لا عن فم الرب»[(١)].

وفيه أيضًا «لذلك ها أنذا على الأنبياء يقول الرب الذين يأخذون لسانهم ويقولون قال. ها أنذا على الذين يتنبأون بالأحلام كاذبة يقول الرب الذين يقصونها ويضلون شعبي بأكاذيبهم ومفاخراتهم وأنا لم أرسلهم ولا أمرتهم. فلم يفيدوا هذا الشعب فائدة»[(٢)].

ويقول أبو عبيدة الخزرجي معلقًا على أن ما أصاب الأناجيل من التحريف كان بيد دعاة الإلهام: «غير أن من ضل بعده- المسيح- إلى مدة من نحو ثلاثمائة سنة كانوا مهرة في استدراك الأكاذيب، وتقفيه الإنجيل بها، فادعوا أنه يكلمهم في سحاب السماء، وفي أضغاث الأحلام، وشدوا أزر ذلك بأن نصوا في الإنجيل (أن الإيمان بعيسي لم يتم إلا بعده) ليجعلوا ما جاءوا من الكذب تمامًا لإيمانهم.

وأصل هذا النص أن عيسى قال لأصحابه أن الإيمان به لا يتم إلا بالذي بعده، وأكد ذلك في مواضع كثيرة صرح فيها بسيد النبيين والمرسلين سيدنا ومولانا محمدﷺ.

---

(١) أرميا: صح ٢٣: ١٦.

(٢) أرميا: صح ٢٣: ٣٠: ٣٢.

ولما هموا بالتحريف بعد مدة من وفاة الحواريين رضي الله عنهم وكرهوا ما ندبهم إليه عيسى وأمرهم به فانحرفوا عنه بتأويلات وضيعة اخترعوها والى شرائع مضلات شرعوها»[1].

ويعلق على ذات الدعوى صاحب الإعلام قائلًا: اعلم أيها العاقل- وفقك الله- أن النصارى اضعف الناس عقولًا وأقلهم فطنة وتحصيلًا، فهم لذلك يعتقدون في الله المحالات، وينكرون الضروريات، ويستندون في أحكامهم إلى الخرافات، فتارة يسندون قضاياهم إلى منامة رأوها أو خرافة سمعوها وما وعوها، وأخري تحكم فيهم «متقس» جاهل يمحض الجهل والهوى والأباطل، بانجيل، بل قد يعرض على نصوص الكتابيين ويتأولها تأويل منسلخ عن المليين، وربما تنزل بهم عظام النوازل فيجتمعون لها في المحافل فيتحكمون بأهوائهم ويقولون فيها بآرائهم فيحلون ما حرم الله، ويحرمون ما أحل الله ﴿ٱفۡتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ قَدۡ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ۝١٤٠﴾.

وللتأثير على العامة الأميين الذين لا يعلمون الكتاب لهم حيل وأفاعيل اشتهر بعضها في الأندلس، مثل زعمهم أن يد الله- المسيح- تظهر في يوم واحد من السنة من وراء ستر، وتعلق صليبهم بين السماء والأرض»[2].

وبالجملة فلو صحت الأخبار عنهم والقداسة لهم جل تحصيل الإلهام أو تحقيق الرؤيا بزعمهم لصاروا أنبياء، وعند اليهود لا نبوة بعد عيسي، فبطل اعتبار ذلك لعدم ما يمنع من الكذب خاصة وان نصوص كتبهم تحذر منهم وتصفهم بالدنايا، وفاقد

(١) بين الإسلام والمسيحية ص ١٧٣، راجع دعواهم الإلهام في: الكتاب المقدس في الميزان ص ٧٩: ٨٢، السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم ص ٦: ١٣، عصمة الكتاب المقدس ص ١٧: ١٩.

(٢) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام للقرطبي- ص ٣٩٣، والآية رقم ١٤٠ من الأنعام.

الشئ لا يعطيه.. فكيف يصيرون قدوة وهم أهل الخطية، صادقين وهم الكاذبون!!

بينما يحق الله الحق بكلماته ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾[1].

الخلاصة:

أن الكتاب الموحي به إنما نسبته لله تعالي كما صرح بذلك مبلغه- الرسول- وليس للرسول ولا لأتباعه عليه وصاية أو تدخل فيه. وصدق الله العظيم ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ وَلَـٰكِن جَعَلْنَـٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾[2].

فان لم يصرح بذلك رسول قامت الدلائل على نبوته ورسالته، انتفت نسبة الكتاب- سندًا- إلى الله تعالى. وهذه النسبة الثابتة لم تثبت إلا للقرآن الكريم الذي تكفل الله بحفظه إلى يوم الدين.

الدلالة الثانية:

إذا تحققت الدلالة الأولي فبلغ الرسول ما أوحي إليه من ربه، وجب أن تتحقق الدلالة الثانية، فيتلقى إتباع الرسول- أمته- ما سمعوه من رسولهم بالقبول دون

(١) الحج: ٧٥.

(٢) الشورى: ٥١-٥٣.

اختلاف بينهم فيه، فلا يعقل أن يحكم بعضهم بقداسة نص، والآخرون يحكمون بكذبه وعدم قداسته مثلًا. فهذا يعني أن احدهما كاذب والآخر صادق، أو أن الجميع لا يعرف الصدق، فما دام الرسول ليس عليه إلا البلاغ فأتباعه ما عليهم إلا السمع والطاعة والإيمان والتصديق.

ويعلق «ابن حزم» على ما بأيدي اليهود بأنه لا يمكن أن يكون وحيًا- في مجمله- لتعارضه، ووحي الله لا يتعارض، فيقول: **«أول ذلك أن بأيدي السامرية توراة غير التوراة التي بأيدي سائر اليهود يقولون أن التي بأيدي السامرية محرفة مبدلة...»**[1].

وفي هذا دليل بطلانهما معا.

وما الابوكريفا- الأسفار المتحولة أو المكذوبة- عند اليهود والنصارى، وقرارات المجامع بشأنها إلا دليل عدم الصحة، فمجمع يحكم بقداستها وآخر ينفي القداسة عنها أو العكس.

وبالجملة فان هذه الدلالة أيضًا لم تثبت إلا للقرآن الكريم المعجز المحفوظ من قبل الله تعالى، المتحدي بأقصر سورة منه، الذي أوله سورة الفاتحة وآخره سورة الناس «١١٤ سورة» والذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد. هكذا اجمع على ذلك الصحابة العدول إلى يومنا هذا وسيظل كذلك إلى يوم الدين. وكل كتاب لم تجتمع كلمة امة الرسول في زمانه على كتابهم فلن تجتمع بعده، وعليه فلا سند لهذا الكتاب بوحي السماء.

---

(١) الفصل- جـ١- ص ٩٤.

الدلالة الثالثة: توفر عوامل الحفظ للكتاب:

هذا الكتاب المنسوب إلى الله بلاغًا على لسان رسوله وتلقته الأمة بالقبول ينبغي لتظل هذه النسبة قائمة أن تتوفر له عوامل الحفظ حتى يختلط به غيره ولا ينتقص منه شيء.

وعوامل الحفظ تتمثل في:

١- الحفظ في الصدور. ٢- الحفظ في السطور.

وهذان العاملان لم يتوفر منهما شيء لا للتوراة ولا للإنجيل، حتى ولو سلمنا جدلًا نسبتهما لله ورسله.

يقول السمو أل «لا يعتقد احد من علمائهم وأحبارهم- اليهود- أن التوراة إلى بأيديهم هي المنزلة على موسى ألبتة، لان موسى صان التوراة عن بني إسرائيل ولم يبثها فيهم، وإنما سلمها إلى عشيرته وصانها عن سوي أولاد هارون، حيث لم يعط موسى بني إسرائيل إلا سورة من التوراة وقد أتي «بخت نصّر» على الذين كانوا يعرفون التوراة فقتلهم سنة ٥٨٦ ق.م»[(١)].

وليت الأمر يقف عند هذا الحد بل أن تاريخ الأتباع وسوء أحوالهم العقدية ليؤكد أن عوامل الحفظ ما توفر منها أدني عامل لهذين الكتابين. يقول ابن حزم «فاعلموا أنه كان منذ دخلوا الأرض المقدسة إثر موت موسى عليه السلام إلى ولاية أول ملك لهم وهو «شاول» المذكور سبع ردات فارقوا فيها الإيمان وأعلنوا بعبادة الأصنام، فأولها بقوافيها ثمانية أعوام، والخامسة ثلاثة أعوام وربما أكثر، والسادسة ثمانية عشر عامًا، والسابعة أربعين عامًا.

(١) إفحام اليهود للسمو آل ص ٣٥: ١٣٩ بتصرف.

فتأملوا أي كتاب يبقي مع تمادي الكفر ورفض الإيمان هذه المدد الطوال في بلد صغير مقدار ثلاثة أيام في مثلها فقط ليس على دينهم وإتباع كتابهم احد على ظهر الأرض غيرهم![1].

ومع هذه الحال الفاسدة فعامتهم أمي لا يدري عن الكتاب شيئًا، فما الذي يمنع أحبارهم- وهذه حالهم- من التحريف والكذب؟

وصدق الله العظيم: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾[2].

يقول ابن حزم: «فاعلموا الآن أن التوراة لم تكن من أول دولتهم إلى انقضائها إلا عند الهاروني الكوهن الأكبر وحده في الهيكل فقط. وأما ملوك الأسباط العشرة فلم يكن فيهم مؤمن قط ولا واحد فما فوقه بل كانوا كلهم معلنين بعبادة الأوثان مخيفين للأنبياء مانعين القصد إلى بيت المقدس، لم يكن فيهم نبي قط إلا مقتولًا أو هاربًا مخافًا»[3].

(١) الفصل جـ١- ص ١٤٣، والفترة من وفاة موسى عليه السلام إلى شاول أول ملك لهم بلغت ٤٤٢ سنة ارتدوا فيها سبع مرات، وبلغت فترة الردة ١١٤ سنة على الكفر، وأطول فترة استقاموا فيها على الإيمان بعد وفاة موسى ٥٦ سنة متصلة، وكانت فترات الردة تقارب فترات الاستقامة وبلغت أعوام الاستقامة ٣٠٣ سنوات هذا بخلاف ٢٥ سنة مجهولة. أما أسباط بني إسرائيل من بني هارون بعد سليمان فلمدة ٢٧١ سنة متصلة لم يظهر فيهم قط إيمانًا ولا يومًا واحدًا فما فوقه وإنما كانوا عبدة أوثان ولم يكن للتوراة فيها ذكر ولا اثر.

(٢) البقرة: ٧٨.

(٣) الفصل- جـ١- ص ١٤٥.

واستمر الحال بعد ذلك «إلى أن أملها عليهم من حفظه عزرًا الوراق الهاروني وهم مقرون انه وجدها وفيها خلل كثير فأصلحه وهذا يكفي»[(١)] وكتبها عزرًا على نحو ما ورد في كتبهم بعد أكثر من ١١٠ سنوات من خراب بيت المقدس!

كل ذلك أدي إلى انقطاع سند التوراة وبطلانها، وبالأخرى فهي موصولة السند بالوثنية والديانات الاخري التي عاشوا في ظلها وبخاصة «الأصول القضائية البابلية والطقوس المعمول بها في المعابد البابلية»[(٢)] التي كان لها الأثر الواضح على الشرائع العبرانية في الأصول القضائية والطقوس الدينية.

أما الأناجيل فإنهم مقرون بنسبتها إلى أربع رجال ألفوا أربعة تواريخ، وهي لمتي ومرقس ولوقا ويوحنا وبولس وغيرهما ثم ما اتفقت عليه المجامع كمجامع البطارقة والأساقفة الكبار، وعليه فقد كفونا مؤنة إثبات فقد كتبهم للسند[(٣)].

ويقول لوقا في صدر إنجيله ما يؤكد هذا المعني صراحة «إذ كان كثيرون قد اخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا كما سلمها إلينا الذين كانوا معاينين وخدامًا للكلمة، رأيت أنا أيضًا إذ قد تتبعت كل شئ من الأول بتدقيق أن اكتب على التوالي إليك أيها العزيز ثاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذي علمت به»[(٤)].

وهذا تصريح بأنه ألف قصة عمن عاين ووقف على أحوال المسيح. ويقول عنها

---

(١) المرجع السابق ص ١٤٨.

(٢) راجع إفحام اليهود ص ١٢٩، الفلسفة في الشرق- بول ماسون- ص ٤٠، ٤١، ٧١ ترجمة محمد يوسف مومي.

(٣) الفصل- جـ ٢- ص ٢ بتصرف.

(٤) إنجيل لوقا صح ١- ١: ٤.

صاحب تحفة الأريب: «وهؤلاء- أصحاب الأناجيل الأربعة- هم الذين افسدوا دين عيسى وزادوا ونقصوا وبدلوا كلام الله تعالى مثل ما اخبر عنهم سبحانه في كتابه العزيز، وليس هؤلاء من الحواريين الذين أثنى عليهم الله في القرآن وهم مجهولوا الحال مشكوك في أحوالهم وأسمائهم وأعمالهم ولم يروا المسيح ولا نقلوا عنه.....»[(١)].

وهذا الذي ذهب إليه عبد الله الترجمان- الذي كان قسيسًا واسلم- هو أحد الاحتمالين بكونهم مجهولي الحال وليسوا من الحواريين.

أما الاحتمال الثاني: فهو أنهم من الحواريين وأن ما نسب إليهم من أناجيل مفتراة عليهم لأنها لا يمكن أن تصدر عن عيسى عليه السلام ولا عن أحد حوارييه، لما فيها من كفر وتثليث نفاه عن عيسى القرآن الكريم الذي له الهيمنة على الكتاب كله وبرأه منه.

بالإضافة إلى ما ذكر فإن اللغة التي كتبت بها الكتب وتاريخ كتابتها ومطابقتها للترجمات وما يتصل بذلك كله يقع في دائرة الظن والتخمين وليس فيها يقين بعد.

ولذلك اشترط شيخ الإسلام لصحة السند «أن يعرف أن المترجم من تلك اللغة إلى هذا قد ترجم ترجمة مطابقة»[(٢)].

ويقول الدكتور «بكر زكي» «ومع أن اللغة الأصلية مجهولة إلا أن ترجمات عديدة موجودة بين أيدينا الآن، والواقف عليها يجد بينها تغايرًا وتفاوتًا بينا من حيث القبض والبسط والكم والكيف، مما يدل على عدم وحدة الأصل المترجم منه.... ونخلص من هذا إلى جهالة المصدر واللغة الأصلية وزمن الترجمة والمترجم»[(٣)].

---

(١) تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب- عبد الله الترجمان- ص ٦١: ٦٧ بتصرف.

(٢) الجواب الصحيح- جـ ٢- ص ٥٠.

(٣) اتجاهات نقد الكتاب المقدس- ص ١٦٥: ١٦٧ بتصرف.

ونستخلص مما سبق أن كتب اليهود والنصارى لم تتوفر لها عوامل الحفظ لا في الصدور ولا في السطور، وذلك بخلاف القرآن الكريم الذي تفرد بحفظه في الصدور كما تواترت دلائل حفظه في السطور كما انزل.

يقول موريس بوكاى بعد بيانه افتقار الكتاب المقدس عند اليهود والنصارى لعوامل الحفظ: «**ويختلف الأمر بالنسبة للقرآن، ففور تنزيله وأولاً بأول، كان النبي ﷺ والمؤمنون من حوله يتلونه عن ظهر قلب، وكان الكتبة من صحبه يدونون. إذًا فالقرآن يتمتع منذ البداية بعنصري الصحة- الحفظ في الصدور، الحفظ في السطور- اللذين لا تتمتع بهما الأناجيل.. وظل الأمر هكذا حتى موت النبي ﷺ وفى عصر لا يستطيع فيه الكل أن يكتب وإن كان يستطيع أن يحفظ عن ظهر قلب، تصبح التلاوة ذات فائدة لا تقدر، وذلك لإمكانياتها التحقيق العديدة التي تعطيها ساعة التثبيت النهائي للنص**»[(١)].

وبناءً عليه فكل كتاب لم تتوفر له عوامل الحفظ لا يسلم بأنه وحي الله المنزل، وإن كانت له نسبة لرسول بلاغًا عن الله تعالى.

الدلالة الرابعة: شروط النقل والتوتر:

كذلك من دلائل صحة السند توافر شروط النقل وشروط التوتر. أما شروط النقل فهي: العدالة- الضبط.

١- شروط النقل (العدالة والضبط):

إن نصوص الكتاب المقدس تنفي عن الكتبة والناقلين العدالة والضبط، وهم

(١) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة موريس بوكاى- ص ١٥٠.

عميانٌ يقودون عميانًا كما ذكر عند متى على لسان المسيح، حيث قال «اتركوهم هم عميان قاد عميان وإن كان أعمى يقود أعمى يسقطان كلاهما في حفرة»[1].

كما توعدهم بالهلاك والويل ووصفهم بأحط الصفات وورد عند متى أيضًا: «ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تغلقون ملكوت السماوات قدامى الناس فلا تدخلون انتم ولا تدعون الداخلين يدخلون. ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تأكلون بيوت الأرامل ولعل تطيلون صلواتكم لذلك تأخذون دينونة أعظم، ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تطوفون البحر والبر لتكسبوا دخيلًا واحدًا ومتى حصل تصنعونه ابنا لجنهم أكثر منكم مضاعفًا. ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تعشرون النعنع والشبت والكمون وتركتم أثقل الناموس الحق والرحمة والإيمان كان ينبغي أن تعلموا هذه ولا تتركوا تلك. أيها القادة العميان الذين يصفون فن الباعوضة ويبلعون الجمل ويل لكم أيها الكتبة والفرنسيون المراؤون لأنكم تلقون خارج الكأس والصفحة وهما من داخل مملوآن اختطافًا ودعارة. أيها الفريس الأعمى نق أولاً داخل الكأس والصفحة لكي يكون خارجهما أيضًا نقيًا. ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تشبهون قبورًا مبيضة تظهر من خارج جميلة وهي من داخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة. هكذا انتم أيضًا من خارج تظهرون للناس أبرارًا ولكنكم من داخل مشحونون رياء وإثمًا. ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تبنون قبور الأنبياء. وتزينون مدافن الصديقين وتقولون لو كنا في أيام آباءنا لما شاركناهم في دم الأنبياء فأنتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء قتلة الأنبياء فاملأوا انتم مكيال آباءكم. أيها الحيات أولاد الأفاعي كيف تهربون من دينونة جهنم»[2].

(١) مت: صح ١٥: ١٤.

(٢) راجع مت صح ٢٣- ١٣: ٢٥.

وقد ورد في كتابهم غير هذا كثير «مما يدل دلالة قاطعة على أن ناقلي هذه النصـوص قد فقدوا شروط النقل: الضبط والعدالة»[(١)].

وبفقدهم شروط العدالة يتضح «فساد نقل كتبهم وانقطاع الطريق منهم إلى من نسب إليه تلك الكتب بما لا يمكن أحدًا دفعه البتة بوجه من الوجوه»[(٢)].

٢- شروط المتوتر:

الخبر المتواتر هو: ما نقله من يحصل العلم بصدقهم ضرورة بأن يكونوا جمعًا لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم من أوله إلى آخره. وهو قسمان: لفظي: وهو ما توتر لفظه، ومعنوي: وهو ما توتر القدر المشترك فيه[(٣)].

شروط المتواتر:

١- أن يرويه جمع كثير يفيد العلم بنفسه.

٢- أن يبلغ رواته في الكثرة حدًا يحيل العقل عنده استنادًا إلى حكم العادة تواطؤهم على الكذب أو صدوره منهم اتفاقًا، أي مصادفة من غير تواطؤ.

٣- أن يستمر ذلك العدد الذي يبلغ حد التوتر من أول السند إلى نهايته بحيث يستحيل تواطؤ أي طبقة فيه على الكذب ويفيد العلم ضرورة.

٤- أن يكون مستند رواته الحس من المشاهدة، أو السماع ونحوه، إذ لا تتوتر بالعقليات

---

(١) اتجاهات نقد الكتاب المقدس- ص ١٥٥.

(٢) الفصل- جـ ٢- ص ٦.

(٣) قواعد التحديث للقاسمي- ص ١٤٦.

الصرفة لأن غير المحسوس يدخل فيه الغلط والاشتباه والتلبيس والتمويه[(١)].

وهذا النقل المتوتر لا وجود له ولا تحقيق لشروطه إلا مع القرآن الكريم فقط دون سائر الكتب المنزلة التي أصابتها يد التحريف والتبديل، يقول ابن حزم: «وهذا نقل خص الله تعالى به المسلمين دون سائر أهل الملل كلها... وليس عند اليهود والنصارى من هذا النقل شئ أصلا لأنه يقطع بهم دونه ما قطع به دون النقل... من إطباقهم على الكفر الدهور الطوال، وعدم إيصال الكافة إلى عيسى عليه السلام»[(٢)].

إن الكتاب المقدس عند اليهود والنصارى- والذي ضعف سنده وانقطع إلى هذا الحد- جدلًا يخاطب صاحب الإعلام أربابه عن عدم تواتر لفظه «وبتقدير انه معصوم فكتابكم قابل للتحريف والتغيير فإنه لم تكتمل فيه شروط التوتر فإنه راجع إلى أخبار آحاد لا تفيد علمًا، على ما نبنيه، وعلى التقريب: إن أناجيلكم إنما هي أربعة عن أربعة: متى ومرقس ولوقا ويوحنا، كل واحد منهم لا يفيد خبره العلم بأنه خبر واحد، ومع ذلك فلو توردوا على نقل خبر واحد، لكان نقلهم لا يفيد اليقين، فإن الخبر الذي يحصل به العم اليقين إنما هو المتوتر حقيقة، والخبر المفيد للعلم بالمخبر عنه الذي تحيل العادة على ناقلة الغلط والتواطؤ على الكذب»[(٣)].

خلاصة القول: إن نسبة الكتاب المقدس لدى اليهود والنصارى إلى الله تعالى بلاغًا

(١) راجع في ذلك فخر العلوم الإسلامية كتب علوم الحديث مثل: تيسير علوم الحديث محمد ندا- ص ٤٦، الباحث الحثيث لابن كثير ص ١٥٩، تبسيط علوم الحديث للمطيعي- ص ٩، تدريب الراوي للسيوطي ١٦٧- جـ ٢.

(٢) الفصل لابن حزم- جـ ٢- ص ٦٨.

(٣) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام للقرطبي- ص ٩٤.

على السنة رسله دعوى باطلة لا أساس لها من الصحة، وأشار إلى كل دلائل نقض هذه الدعوى من فساد الكتبة وتناقض الكتاب (من غير قصد) علماؤهم وكتابهم فضلًا عن علماء المسلمين، وكل ذلك دليل على انقطاع السند وبطلان الكتاب، حيث:

١- تضاريت الرواية وتحقق الجهل بالكتاب والكتّاب واللغة الأصلية وترجماتها.

٢- نسب الكتاب إلى غير موسى وعيسى عليهما السلام، ومن ثم افتقرت نسبته لله تعالى.

٣- افتقر الكتاب لشروط النقل والتواتر.

٤- افتقر الكتاب لعوامل الحفظ.

٥- فساد الكتبة وبطلان دعوى الإلهام والرؤيا.

٦- وعليه فقد فسدت التسمية وبطلت قداسة الكتاب.

القرآن الكريم:

١- فهو كلام الله لم ينسب لمحمد ﷺ ولا لأحد من صحبه الكرام، فهو كلام الله ونسبته إليه يقينية.

٢- بلغه رسول الله لصحبه وتلقوه بالقبول بصورته التي بين أيدينا اليوم.

٣- توفرت فيهم شروط العدالة والضبط والتواتر بما لا يتوفر لأحد من قبل ولن يتحقق لأمة بعد.

٤- توفرت له عوامل الحفظ في الصدور، والحفظ في السطور بما لا يسمح لأحد أبدًا أن

يزيد فيه أو ينتقص منه.

وبالجملة فهو كتاب الله الخالد الذي تكفل بحفظه فكان بحق المصدق لما قبله من الكتب والمهيمن عليها، والحمد لله رب العالمين.

ثانيًا: دلائل سلامة المتن:

لو سلمنا جدلًا بصحة سند الكتاب فإن دلائل سلامة المتن تبين صدقه من كذبه، وتحقق نسبته إلى الله من عدمه... وأهم هذه الدلائل ما يلي:

سلامته من الافتراءات على الله ورسله:

١- وصف الله بما لا يليق بكماله وجلاله:

إذ لا يتصور أن يعبد إله يعتريه العجز والضعف، والإنسان فضلًا عن الله لا يمكن أن يصف نفسه بالنقائص، وإذا كان يستحيل أن يستجيب لدعوته وتوجيهه أحد فما بالك بخالق الكون الذي له الخلق والأمر، والحق الذي لا جدال معه أن لله الأسماء الحسنى والكمالات العليا، فإن جاء في الكتاب وصف لله بما لا يليق بكماله وجلاله دلّ على تحريف الكتاب إن كانت له نسبة للسماء، أو دلّ على بلاهة واضحة إن نسب لبشر، إذ كيف يعبد ما لا يغني عنه شيئًا؟.

وعلى هذا فالكتاب المقدس لدى اليهود والنصارى نالته يد التحريف لاحتوائه- بعهديه- على أوصاف لله لا تليق بكمالاته وعظمته، منها:

- ورد في سفر التكوين «وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل، وبارك الله

اليوم السابع وقدسه لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقًا»[1]، الراحة لا تكون إلا بعد تعب ونصب، والإله الذي يعتريه التعب لا يستحق أن يكون إلهًا، لكن الحق في ذلك ما ذكره القرآن الكريم: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾[2].

- كذلك ورد في سفر التكوين: «وسمعا- أى آدم وحواء- صوت الرب الإله ماشيًا في الجنة عند هبوب ريح النهار، فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة، فنادى الرب الإله آدم وقال له أين أنت؟ فقال سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان فاختبأت. فقال من أعلمك انك عريان هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها؟ فقال آدم: المرأة التي جعلتها معي هي التي أعطتني من الشجرة فأكلت»[3].

وفى هذا النص وصف الله بصفات الحوادث من التحول والحيز والجهة مما يحقق التشبيه والمثلية بين الله وخلقه- تعالى عن ذلك- وفضلًا عن هذا فقد وصف الله بالجهل فلم يعلم ما فعل آدم ولم يعلم مكانه، فكيف يجهل وهو إله؟

لكن الحق أن الله تعالى﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[4]. وكذلك

(١) سفر التكوين صح ٢- ٢: ٣.

(٢) ق: ٣٨.

(٣) سفر التكوين صح ٣- ٨- ١٢.

(٤) الشورى: ١١.

فقد أحاط الله بكل شيء علمًا وأحصى كل شيء عددًا، لا تخفى عليه خافية والسر عنده علانية سبحانه ﴿يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾[1]. وكل الأحوال عنده سواء يعلمها ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[2]. وغير هذه الصفات كثير كالندم (تك صح ٧)، والتجسد والصمم (عدد صح ١٠)، والغفلة، وأن يعقوب صرعه (تك صح ٣٢)...الخ[3].

وفي العهد الجديد يقولون بما ورد عن متى «وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس»، وعقيدة التثليث[4] هي من عقائد النصارى رغم تصريحهم بأنه مع ذلك إله واحد! تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا.

والحق ما جاء في القرآن الكريم ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾[5]. وقوله ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[6].

فأين هذا من ذلك، وأين الثرى من الثريا؟

(١) الأعلى: ٧.

(٢) الملك: ١٣-١٤.

(٣) راجع: إفحام اليهود ص ١٢٨ وما بعدها، الإعلام ص ١٩٥ وما بعدها، الفصل ص ٩٥ وما بعدها حـ١، بين الإسلام والمسيحية ص ٣٠٧.

(٤) راجع: الإعلام ص ٦١، تحفة الأريب ص ٧٨- ٨٢، بين الإسلام والمسيحية ص ١٥٥ وما بعدها.

(٥) الإسراء: ١١١.

(٦) الإخلاص: ١-٤.

ب- وصف الأنبياء والمرسلين بما لا يليق بكمالهم البشري:

الرسل هم المبلغون لوحي السماء، وهم كذلك القدوة لمن يدعونهم، فالرسول مبلغ وأسوة حسنة، ولا يمكن أن يستقيم الظل والعود اعوج، ولا تنجح دعوة ما صاحبها يخالف عمله قوله، فإن اظهر الكتاب الرسل بصفات حسنة بلاغًا وأسوة دل ذلك على سلامته، وإن طعن الكتاب في الأنبياء ووصفهم بالدنايا والنقائص دل ذلك على تحريفه وكذبه في دعواه، وما أكثر ما ورد في كتب اليهود والنصارى من طعن وانتقاص لمقام الأنبياء!

ومن ذلك أنهم وصفوا الأنبياء بالكذب والسرقة والزنا بالمحارم وعبادة الأصنام ودعوة الأقوام لعبادتها [(1)].

فكيف بالله يكون ذلك؟ أيدعون لعبادة رب واحد مثلًا وهم يشركون به؟ إن هذا لشئ عجاب!

والحق أن الأنبياء معصومون عن كل ذلك فهم صفوة خلق الله، ولو صح فيهم ذلك ما صلحت القدوة وما جاز أن يتأسى بهم أحد أو يأخذ عنهم دينه، فكيف جاز لهم مع وصفهم لهم بذلك أن يتبعوهم أو يدعوا لأتباعهم والأخذ عنهم، فهذا خلف؟

وبالجملة فهذه افتراءات على الله ورسله لا يمكن أن تكون وحيًا، وإلا فكيف ينتقص الله من قدر نفسه أو كيف يذم رسله!

إن دلالة سلامة المتن من التحريف أن يسلم الكتاب من هذه الافتراءات ولا يرد

---

(1) راجع: تك ص ١٢: ١٣، صح ١٩: ٣٠، صح ٢٠: ٢٢، صح ٢٧: ٣١: ٣٤، خروج: صح ٣٢: ٣: ٦، صم٢ صح ١١: ٢...الخ، مل١ صح ١١: ١: ١٠.

فيه إلا ما يليق بكمال الله المطلق وكمال المرسلين البشري، وهذا لم يتوفر بأوضح بيان إلا في القرآن الكريم وحده- وغيره خلاف ذلك تمامًا- فوضح الحق من الباطل، والله المستعان.

٢- سلامة الكتاب من التناقض (الاختلافات والأغاليط):

إن كتابًا اوحاه العليم الخبير لا تتناقض أحكامه ولا تختلف أخباره ولا يحتوي على مغالطات نصوصه. جاء في إظهار الحق قوله (الفصل الثالث: في بيان أن هذه الكتب مملوءة بالاختلافات والأغاليط): (وأنا اجعل هذا الفصل قسمين وأورد في كل قسم أمثلة) يقول المحقق: أى قسم الاختلافات وقسم الأغلاط، والاختلاف هو ما كان بين سفرين أو إصحاحين في سفر واحد، وقد يكون الاختلاف بين فقرتين في نفس الإصحاح الواحد، أو في نفس الفقرة بين طبعتين أو بين ترجمتين بلسانين وهكذا، ومعرفة الاختلافات تعتمد على المقابلة بين الأسفار وإصحاحاتها، وبين التراجم المختلفة وطبعاتها- دراسة وصفية مقارنة- بغض النظر عن صحة الفقرات في ذاتها ومعانيها أو عدم صحتها، فالغالب أن الاختلاف يرجع للفظ، وأما الغلط فهو ما كان الغلط فيه يرجع إلى ذات الفقرة ومعناها، ويعرف الغلط بمناقضته للواقع أو العرف أو للتاريخ أو للعقل أو لأقوال المحققين أو لما هو معلوم من الدين بالضرورة[(١)].

أما الاختلافات فكثيرة جدًا في كتبهم منها:

أ- التناقض في الخبر الواحد في الموضوع الواحد:

ما ورد عن متى «هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم وأوصاهم قائلًا: إلى طريق أمم لا

(١) إظهار الحق- تحقيق محمد عبد القادر ملكاوي- حـ١ - ١٦٨.

تمضوا والى مدينة للسامرين لا تدخلوا بـل اذهبـوا بـالحرى إلى خـراف بيـت إسـرائيـل الضالة»[1].

ثم في نهاية انجيل متى «فتقدم يسوع وكلمهم قائلًا، دفع إلى كل سلطان في السـماء وعلى الأرض فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمـم وعمـدوهم باسـم الأب والابـن والـروح القدس»[2].

فالنص الأول يصرح أنها دعوة خاصة- وهو الصحيح- والثاني يدعى أنهـا دعـوة عامة، وكلا النصين في انجيل واحد!!.

ب- التناقض في الخبر الواحد في موضعين:

ما ورد عن نسب المسيح عند متى ولوقا:

- عند متى: لم يرد ذكر أى اسم قبل إبراهيم، بينما عند لوقا ذكر عشرين اسمًا قبل إبراهيم.
- عند متى: من إبراهيم إلى داود أربعة عشر اسما، بينما عند لوقا خمسة عشر اسما، مع ملاحظة الاختلاف بينهما في خمسة أسماء.
- عند متى: ذكر من داود إلى عيسى سبعة وعشرين اسما، بينما عند لوقا اثنين واربعين اسما، مع ملاحظة الاختلاف التام في الأسماء جميعًا وكذا ترتيبها، وكذا ملاحظة أن متى صرح بأن من نفى إلى بابل حتى المسيح أربعة عشر جيلًا كالمجموعتين السابقتين لها، ونجد أنه ذكر ثلاثة عشر جيلًا فقط!

---

(١) متى صح ١٠: ٥و٦.

(٢) مت صح ٢٨: ١٩.

أما عن مطابقة هذا كله مع ما ورد في العهد القديم من أنسال آدم فحدث عن الاختلاف والتناقض ولا حرج[1].

وفى العهد القديم أمثلة كثيرة في التناقض والتفرقة العنصرية، ومنها على سبيل المثال: ما ورد في سفر اللاويين «وإذا افتقر أخوك عندك وبيع لك فلا تستعبده استعباد عبد كأجير كنزيل يكون عندك إلى سنة اليوبيل يخدم عندك»[2].

بينما سفر التثنية «إذا بيع لك أخوك العبراني أو أختك العبرانية وخدمك ست سنين ففي السنة السابعة تطلقه حرًا من عندك»[3].

بينما لو كان غريبًا فالحكم «تستبعدونهم إلى الدهر»[4].

وقد تناقض ظاهر صريح ولو كان من عند الله ما تناقضت أخباره هذا التناقض.

جـ- التناقض في الحكم التكليفي:

أن موقف الكتاب المقدس عند اليهود والنصارى من الخمر مثلًا- وهى إما الخبائث- ليظهر هذا التناقض بوضوح، حيث ورد في سفر الأمثال «الخمر مستهزئة، المسكر عجاج، المترنح بها ليس بحكيم»[5].

وورد أيضًا: «لا تكن بين شاربي الخمر بين المتلفين أجسادهم لان السكير والمسرف

---

(١) راجع: موريس بوكاى ص ١٠٤: ١١٦- دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديث.

(٢) سفر اللاويين صح ٢٥: ٣٩، ٤٠.

(٣) سفر التثنية صح ١٥: ١٢.

(٤) سفر اللاويين صح ٢٥: ٤٦.

(٥) سفر الأمثال صح ٢٠: ١.

يفتقران»[1]. وورد «الزنا والخمر والسلافة تخلب القلب»[2].

وهذه النصوص تفيد حرمة الخمر وتنهي عن شربها، بينما يفيد كتابهم بعهدد أن الخمر نعمة، ونسبت كتبهم إلى الأنبياء والأكينة شرب الخمر بل وجعلت الخمر نعمة ومنة الله على الاسرائيلين ففي سفر التثنية «ويحبك ويباركك ويكثرك ويبارك ثمرة بطنك وثمرة أرضك قمحك وخمرك وزيتك...»[3].

وفى سفر الجامعة «واشرب خمرك بقلب طيب»[4].

وعند متى «جاء ابن الإنسان يأكل ويشرب فيقولون هو ذا إنسان أكول وشريب خمر»[5]. وقال بولس «لا تكن فيما بعد شراب ماء بل استعمل خمرًا قليلًا من اجل معدتك وأسقامك الكثيرة»[6].

وهكذا يبدو التناقض في الحكم الشرعي حلًا وحرمة، فهل يستقيم هذا بلاغًا عن احكم الحاكمين الذي لا يضل ولا ينسي؟

أما خبر الحق في هذا فهو قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ

(١) سفر الأمثال صح ٢٣: ٢٠.
(٢) سفر هوشع صح ٤: ١١.
(٣) سفر التثنية صح ٧: ١٣.
(٤) سفر الجامعة صح ٦: ٧.
(٥) مت صح ١١: ١٩، لو: صح ٧- ٣٣: ٣٥.
(٦) ١ تى صح ٥: ٢٣.

﴿وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1].

فأين الثري من الثريا؟

المغالطات:

أ- تخلف الوعود المستقبلية:

إن الكتاب الموحي به لا تتخلف وعوده، وكل ما يخبر عنه سيحدث حتمًا ولابد أن يحدث كما أخبر، أما إذا تخلفت وعوده فيدل على أنها وعود كاذب أو جاهل أو عاجز والله منزه عن كل ذلك. جاء في سفر التكوين وعدًا من الله لإبراهيم وذريته «وأعطيك ارض غربتك لك ولنسلك من بعدك جميع ارض كنعان ملكًا مؤبدًا وأكون لهم إلهًا»[2].

ويعلق د. شتيوي على النص قائلًا: «هذه الآية- الفقرة- دليل أكيد على دخول التحريف بالتبديل إلى توراة اليوم، فجميع ارض كنعان لم تعط لإبراهيم ولم يأخذ نسله ملكًا إلى الدهر لأنه كان دائمًا يعيش ما بين انقلابات واضطرابات، وتشرد وغربة، وكم من مرات قد زالت دولتهم وتضعضعت شوكتهم»[3].

وفى العهد الجديد وعد على لسان المسيح بالتلاميذ «الحق أقول لكم إن من القيام ههنا قومًا لا يذوقون الموت حتى يروا ملكوت الله»[4].

---

(١) المائدة: ٩٠.

(٢) سفر التكوين صح ١٧: ٨.

(٣) التوراة دراسة وتحليل- د. محمد شلبي شتيوي- ص ٨٧، وانظر الفصل لابن حزم- حـ ١- ص ١٢٨.

(٤) انظر: من جيل مرقس صح ٩: ١، لوقا صح ٩: ٢٧.

قال ابن حزم معلقًا على النص: «وكذب هذا المقول قد ظهر علانية، فقد استوعبوا مداين بني إسرائيل وغيرها ولم يروا ما وعدهم به من رجوعه بالقدرة علانية قبل أن يموت كل من بحضرته يومئذ، وحاشا الله أن يكذب نبي، فكيف إله»[1].

وغير هذا كثير وعود تخلفت، والله تعالى لا أحد أوفى بالعهد منهم، والحق أن الكتاب الموحي به إن جاء فيه وعد مستقبلي حتمًا يتحقق كما أخبر وهذا هو القرآن الكريم في قوله سبحانه ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[2]. فكان كما ذكر القرآن حقًا وصدقًا.

ب- مناقضة الخبر لليقين من التاريخ وما علم بالضرورة:

ومن ذلك ما ورد في سفر التكوين «فولدت هاجر لإبرام ابنة ودعا إبرام اسم ابنه الذي ولدته هاجر إسماعيل. كان إبرام ابن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجر إسماعيل لإبرام»[3]. وفيه أيضًا «وقال الله لإبراهيم ساراى امرأتك لا تدعو اسمها ساراى بل اسمها سارة. وابركها وأعطيك أيضًا منها ابنًا. أبركها فتكون أممًا وملوك وشعوب منها يكونون، فسقط إبراهيم على وجهه وضحك. وقال في قلبه هل يولد لابن مائة سنة وهل تلد سارة وهي بنت تسعين»[4].

---

(١) الفصل- حـ٢- ص ٢٧.

(٢) الروم: ١- ٦.

(٣) تك صح ١٦: ١٥-١٦.

(٤) تك صح ١٧: ١٥: ١٧.

بالنظرة السريعة للنصين: ولد إسماعيل وعمر إبراهيم ٨٦ سنة وولد إسحاق وعمر إبراهيم ١٠١ لأنه ولد بعد هذا العهد بسنة، ثم يأتي الإصحاح ٢٢ وفيه «خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحاق... الخ النص»[1].

وملخص هذا الإصحاح أن الذبيح إسحاق هو الابن الوحيد، فكيف ذلك؟ فالبكر والوحيد الذي ولد قبل الثاني إسماعيل لأنه سبق وجوده وجود أخيه إسحاق بخمسة عشر عامًا. فهذه مغالطة واضحة وبرهان كذب وتلفيق.

وهكذا فكل كتاب يحتوي هذه الأغاليط فيناقض الثبت التاريخي اليقيني والحقائق العلمية والمعلوم من الدين بالضرورة فهو كتاب ليست له صلة بوحي السماء، لأن الكتاب الموحي به إنما هو تنزيل من أحاط بكل شئ علمًا وأحصى كل شئ عددًا، يعلم ما كان وما سيكون ولا أصدق منه قيلًا. وبالجملة فلم يتفق هذا المعنى ويتحقق إلا للقرآن الكريم الذي تكفل الله بحفظه إلى أن يرث الأرض ومن عليها.

٣- اشتمال الكتاب على الغيبيات:

كالإيمان باليوم الآخر ومشتملاته وأسماء الله الحسنى وصفاته العليا، فهذا وأشبهه لا طاقة للعقل به وليس في مقدوره شئ منه. فكل كتاب يرد فيه شئ من هذا (مطابقًا لما ورد في القرآن الكريم) وهو كتاب حق وصدق، حتى ولو كان منسوبًا لغير الله فيكون النص أثرًا باقيًا من دين صحيح أوحاه الله لبعض رسله، وبالقطع معلوم أن قولنا كتاب حق وصدق المراد به هذا النص المشتمل على صفات الله وأسمائه أو ما يتصل بالملائكة والجنة والنار والحساب... الخ لا عموم الكتاب.

(١) تك صح ٢٢: ٢: ١٨.

وأعلم أن العقل مع الغيب المطلق الذي استأثر الله بعلمه عاجز تمامًا ولا حيلة له معه، فلم يبقى سبيل لمعرفة شئ منه إلا بوحي صادق من عليم خبير، فصار ورود شئ من هذا الغيب وفق ما ذكره القرآن أو في سياقه- دليلًا على أن هذا النص وحي صادق إذ لا سبيل لمعرفته من غير طريق الوحي. وصدق الله إذ يقول: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ﴿٢٧﴾ لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا﴾[1].

وخلاصة القول: إنه لابد وأن تتوفر دلائل صحة السند وكذا دلائل سلامة المتن ليعلم يقينه نسبة الكتاب لله رب العالمين، ولم تتوفر هذه الدلائل كما أشرنا إلا بالقرآن الكريم الذي أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير، ولذلك صدق الله العظيم إذ قضى بأنه المصدق لما بين يديه من الكتاب والمهيمن عليه «والمهيمن: الشاهد الحاكم المؤمن، فهو يحكم بما فيها مما لم ينسخه الله ويشهد بتصديق ما فيها مما يبدل»[2].

وعلى هذا يتبين صدق ما سلف، وأن ما صدقه القرآن حكمنا بصدقه وما حكم بكذبه كذبناه وما سكت عنه لم نصدقه ولم نكذبه!

والحمد لله رب العالمين

(١) الجن: ٢٦-٢٨.

(٢) الجواب الصحيح- جـ١- ص ٣٧١.

خلاصة الوحدة

نخلص من دراسة هذه الوحدة إلى ما يلي:

(١) الكتاب المقدس عند كل من اليهود والنصارى – بصفة عامة – لا سند له، ولا صحة لنسبته لله ورسله.

(٢) وكذلك لم تتوفر له دلائل سلامة المتن فوقع فيه التحريف عن مواضعه ومن بعد مواضعه.

(٣) لم تتحقق دلائل صحة السند ولا دلائل سلامة المتن في كتاب نسبه أتباعه للسماء فيما في أيدى البشر في زماننا هذا إلا للقرآن الكريم معجزة الله الخالدة إلى يوم الدين.

(٤) كتب القوم وصفت الله تعالى بالنقائص ووصفت الأنبياء والمرسلين بالرذائل وهذا دليل تحريفها، أما ما وافق القرآن الكريم من حق – وهو قليل – فهذا دليل بقايا حق فيه.

(٥) ما وافق من كتبهم القرآن الكريم صدقناه، وما خالف كذبناه، وما لم يرد له ذكر في القرآن الكريم لا نصدقه ولا نكذبه.

أسئلة التقويم الذاتي

أولا: أسئلة المقال:

س١: اذكر الكتب المنزلة، وعلى من نزلت، وما حالة كل منها اليوم؟

س٢: ماذا يعنى أن تكون نسبة الكتاب للرسول يقينية،وهل توفرت لغير القرآن الكريم؟

س٣: ماهى علامات حفظ الكتاب وهل توفرت بأنواعه لغير القرآن الكريم؟

س٤: اذكر شروط النقل والتواتر وما هي نتيجة تحكيمها على الكتب المنزلة؟

س٥: هل يصح الاعتماد على الرؤيا والإلهام في تحرير كلام الله لعباده وكيف ترد على من زعم ذلك؟

س٦: طبق دلالة سلامة الكتاب من الافتراءات على الله ورسله على الكتب المنزلة مصرحا بالنتيجة؟

س٧: طبق دلالة سلامة الكتاب من التناقض على الكتب المنزلة مصرحا بالنتيجة والأدلة؟

س٨: ماهى صور التناقض الواقع في غير القرآن الكريم وما الفرق بين الاختلافات والأغاليط؟

س٩: لماذا كان اشتمال الكتاب على الغيبيات أمارة صدق على أنه وحى منزل من عند الله تعالى؟

س١٠: لماذا كان القرآن الكريم معجزة الرسول الخالدة ودستور المسلمين إلى يوم الدين؟

ثانياً: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة «✓» أمام العبارة الصحيحة، وعلامة «✗» أمام العبارة الخاطئة:

١- الكتاب الموحى به لا تتناقض أحكامه التكليفية ( )

٢- الكتاب الموحى به لا تتخلف وعوده المستقبلية ( )

٣- الكتاب الموحى به لا تتناقض مع الخبر اليقين تاريخيا وما علم بالضرورة ( )

ثالثاً: أسئلة الاختيار من متعدد:

اختر الإجابة الصحيحة مما بين القوسين:

١- خصوصية دعوة النصارى وعمومها عند متى مثال لتناقض (الخبر الواحد في الموضوع الواحد – أو في موضعين – أو في الحكم التكليفي)

٢- ما ورد في حكم الخمر عند اليهود والنصارى مثال لتناقض (الخبر الواحد في الموضوع الواحد – أو في موضعين – أو في الحكم التكليفي)

٣- وصف إسحاق بأنه وحيد إبراهيم وبكره دليل (التناقض – الأغاليط – الصواب)

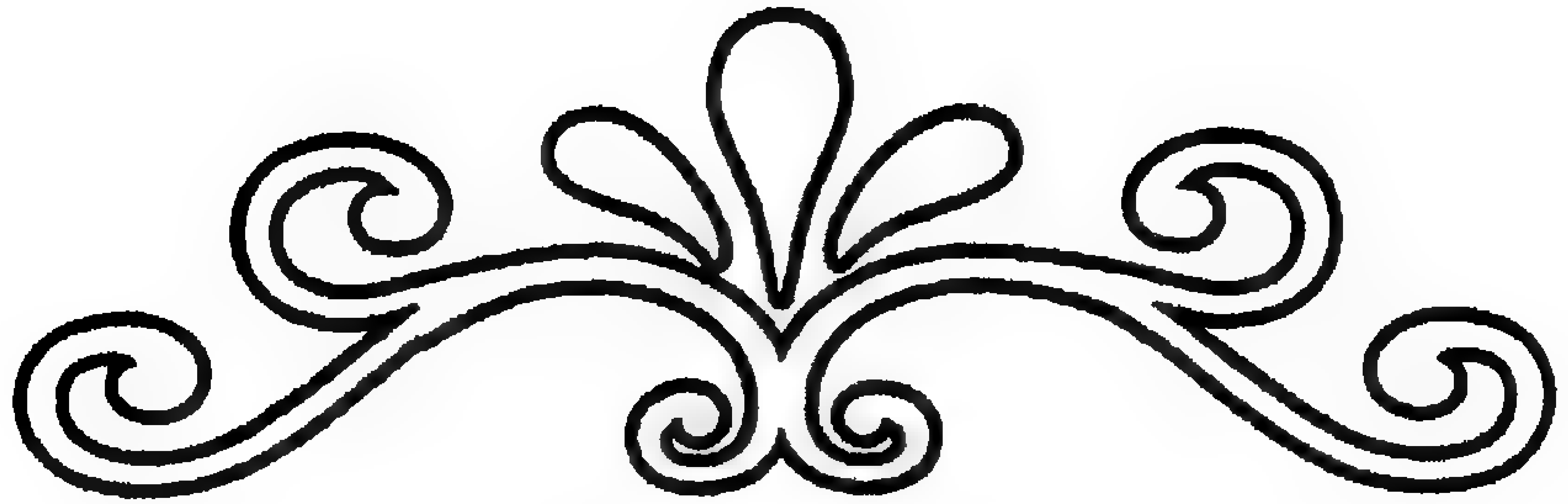
النشاط التعليمي للوحدة السابعة

عزيزي الدارس:

حتى تكتسب المزيد من المعلومات حول الموضوعات الواردة في هذه الوحدة عليك أن تقوم بإنجاز النشاط التعليمي التالي:

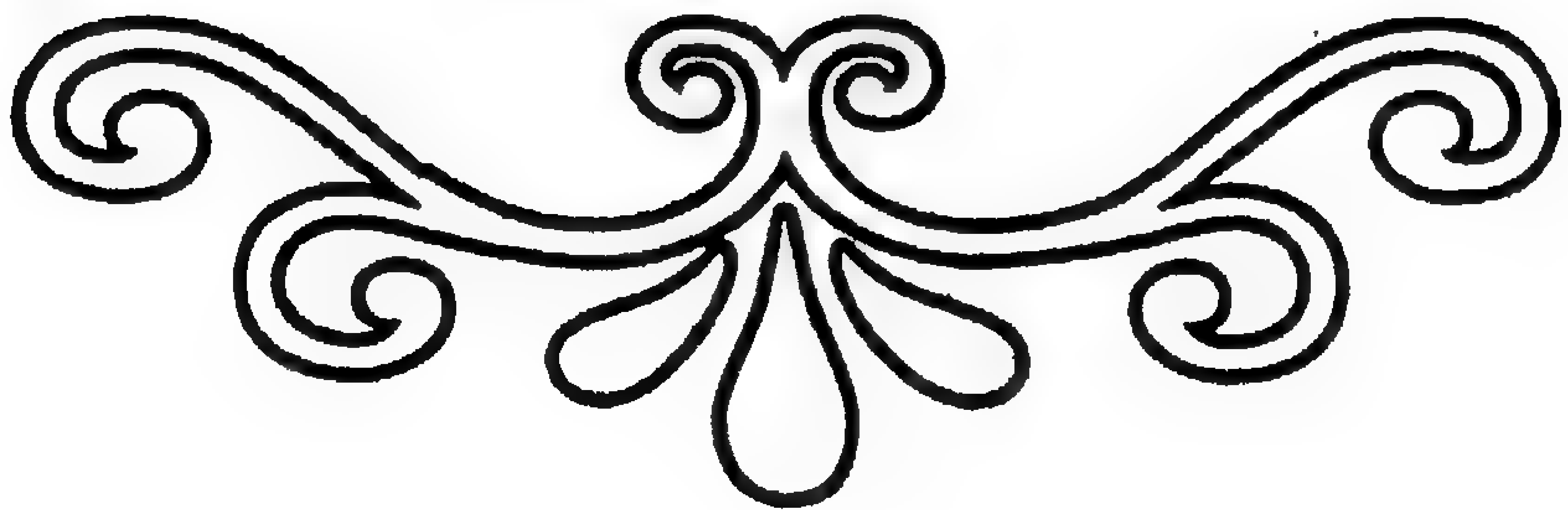
اكتب بحثًا في:

- الكتب المنزلة ودلائل صحتها سندًا ومتنًا.



الوحدة الثامنة

الفرق بين
الدين الوضعي والدين السماوي



محتويات الوحدة الثامنة

- الدين السماوي وحى من الله بينما الدين الوضعي من وضع البشر.
- الدين السماوي يدعو إلى عبادة الله وحده بينما الدين الوضعي يدعو لعبادة غير الله من المخلوقات.
- الدين السماوي ينزه الله تعالى من كل النقائص ويقرر أنه ليس كمثله شئ بينما الدين الوضعي يصف المعبود بالنقائص ومشابهة الحوادث.
- الدين السماوي عقائده ثابتة بينما الدين الوضعي تتغير عقائده من جيل إلى جيل.
- الدين السماوي كامل شامل ثابت لا يتغير بينما الدين الوضعي على نقيض ذلك.

أهمية دراسة الوحدة:



عزيزي الدارس: تعددت الأديان قديمًا وحديثًا واختلط الحق بالباطل، وضل كثيرون فعموا عن الحق والتزموا الباطل، فجاءت هذه الوحدة لتضع الفروق المحددة بين الحق والباطل، ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيّ عن بينة.

الأهداف التعليمية:



عزيزي الدارس: يُرجى منك بعد دراستك لهذه الوحدة أن تكون قادرًا على:

١- التمييز بين الدين الحق (السماوى) وبين دين غير الحق الوضعى.

٢- التمييز بين الدين الحق (السماوى) والذى لم تصله يد التحريف وبين الدين الحق (السماوى) في أصله لكن أصابته يد التحريف ونالت منه.

٣- القيام بواجبك تجاه الإسلام الحنيف دين الله الخالد لتسعد به البشرية بإذن ربهم.

الفرق بين الدين الوضعي والدين السماوي

لعله بات واضحًا الفرق بين الدين السماوي والدين الوضعي، ونستطيع أن نجمل القول بأن الدين السماوي ما توفرت له دلائل صحة سنده وسلامة متنه، بينما الدين الوضعي هو الذي لم تتوفر له دلالة صحة السند كما لم تتوفر له دلائل سلامة المتن. وعلى ذلك أرى أن الدين قد يكون باعتبار أصله سماويًا لأن له نسبة إلى الوحي مثلًا لكن يحكم على بعضه بالوضع لما أصاب المتن من تحريف وتغيير، أى لم تتوفر له سلامة المتن.

ويوجز الدكتور «عوض الله حجازي» الفروق بين الدين السماوي والوضعي قائلًا[(١)]:

١- أن الدين السماوي دين قائم على وحى الله تعالى إلى البشر، بواسطة رسول يختاره الله منهم يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[(٢)]، ويقول سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[(٣)]، ويقول سبحانه: ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾[(٤)]، أما الدين الوضعي فهو جملة من التعاليم وضعها البشر أنفسهم

(١) مقارنة الأديان- د. عوض الله حجازي- ص ١٢. بتصرف وإضافات.

(٢) المائدة: ٦٧.

(٣) الكهف: ١١٠.

(٤) الأنعام: ١٩.

واتفقوا عليها، واصطلحوا على التمسك بها، والعمل بما فيها، إنه تعاليم ناشئة عن تفكير الإنسان نفسه، وإليه يُنسب الدين فالهندوسية أو البرهمية من وضع رجال الدين طبقة البراهمة، وتعاليم البوذية نسبة إلى بوذا، وتعاليم المونفوشيوسية تُنسب إلى كونفوشيوس... وهكذا.

٢- الدين السماوي يدعو دائمًا- وباستمرار- إلى وحدانية الله تعالى، واختصاص هذا الواحد بالعبادة، فلا يخضع المرء إلا لله، ولا يستعين إلا به، ولا يذبح إلا باسمه جل شأنه يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾[1]، ويقول سبحانه: ﴿قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ (٧٥) أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ (٧٧) ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ (٧٨) وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ (٨٠) وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ (٨١) وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ (٨٢) رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ (٨٣) وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ (٨٤) وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ (٨٥) وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ (٨٦) وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ (٨٧) يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾[2]، ويقول سبحانه: ﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ (٥٩) أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ (٦٠) أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرٗا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ

(١) الأنبياء: ٢٥.

(٢) الشعراء: ٧٥-٨٩.

أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾[1]، ويقول سبحانه: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾[2] أما الدين الوضعي: فإنه يقدس الأحجار والأصنام، ويجيز تعدد الآلهة فيجعلها كثيرة ومتغايرة، بل قد تكون متنافرة، ومتخالفة، مثل إله الخير، وإله الشر، أو إله الحرب وإله السلم... الخ، ولذلك تجد في الأديان الوضعية مثلًا من يعتقد بإلهية اثنين مثل المجوس الذين أثبتوا أصلين مدبرين يقتسمان الخير والشر والنفع والضر والصلاح والفساد يسمون أحدهما النور والثاني الظلمة وبالفارسية يزدان وأهرمن.

ويعتقد الكيومرتية أن يزدان أزلي قديم وأهرمن محدث مخلوق، وممن يقول بالأصلية المزدكية والمانوية والديصانية والمرقونية... وغيرهم وهناك من يعتقد في أصول ثلاثة النار والأرض والماء مثل الكينوية وهناك عبدة النار كالمجوس والصيانية وعبدة البقرة مثل الهندوس ومن يقول بتناسخ الأرواح...

---

(١) النمل: ٥٩-٦٥.

(٢) الشورى: ١٣.

وهناك من ينكر الإله ولا يؤمن إلا بالمادة مثل الدهريين الذين يقولون نموت ونحيا وما يهلكنا إلّا الدهر.

٣- الدين السماوي ينزه الإله المعبود عن مشابهته لخلقه. فالله ﷻ لا يشبه شيئًا من مخلوقاته لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[(١)]، وتكررت كثيرًا في القرآن الكريم سبحانه وتعالى عما يشركون، عما يصفون، وتعالى الله عما يشركون...

قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝١٩٠ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝١٩١ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ۝١٩٢ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ۝١٩٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝١٩٤ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ۝١٩٥ إِنَّ وَلِۦِّىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٩٦ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ۝١٩٧ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝١٩٨ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[(٢)].

---

(١) الإخلاص: ١-٤.

(٢) الأعراف: ١٩٠-١٩٩.

أما الدين الوضعي فإنه يجيز أن يكون الإله بشرًا مثلهم، أو حيوانًا، أو حجرًا يعبدونه، ويخضعون له، ويقدمون له القرابين والهدايا، فقد عبد بعض الناس الشمس، وعبدوا العجل، واتخذوا فرعون الذي قال لهم ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[(1)] إلهًا، وعبدوا الأصنام والأوثان.

ولا يزال الناس حتى أواخر هذا القرن العشرين، عصر العلم والحضارة والمدنية يقدسون بعض الأشخاص ويتقربون إليهم، ويعبدون البقر والغنم، كما هو حاصل الآن في الهند وغيرها، مع أن هذه الآلهة كلها، التي عبدها ويعبدها البشر من دون الله لا تستطيع أن تخلق شيئًا، ولا أن توجد اضعف المخلوقات، بل إنها لا تملك لنفسها نفعًا أو ضرًا. يقول تعالى في سورة الحج ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾[(2)]، ومن طريف ما سجله غاندي رغم مكانته الثقافية والإصلاحية بالهند أنه قام بإعلان تفضيله لأمه البقرة معبودة على أمه الحقيقية التي ولدته وأرضعته وجاهر بذلك ونفى عن نفسه الحرج بإعلانه هذا بل عده مفخرة له!

وعلل ذلك بترهات منها:

أن أمه الحقيقية تلزمه برًا ووفاءًا في حياتها وتكلفه بوفاتها مصاريف باهظة لجنازتها وإحراق جثتها وما ذلك إلّا لأنها أرضعته سنتين من عمره! بينما أمه البقرة المقدسة فهي

(١) النازعات: ٢٤.

(٢) الحج: ٧٣.

معطاءة أبدًا تُعطيه لبنها في حياتها وبعد موتها ينتفع بجلدها وعظمها وقرونها!

فتأمل كيف ينتكس العقل ويتردى حين يتخلف عن نور الحق وكمال الدين الحق الموحي به من الله لرسله!

٤- الدين السماوي بالنسبة لمسائل العقيدة غير قابل للنسخ والتبديل أو التغيير، فعقيدة الرسل جميعهم واحدة فيما يتعلق بالله تعالى وصفاته، والرسل وعصمتهم، واليوم الآخر وما يكون فيه من ثواب أو عقاب. وإن الخالق عند جميع الرسل واحد، وإن هذا الخالق تجب عبادته واختصاصه جل شأنه وحده بهذه العبادة.

وأن هذه الآلهة يجب أن يثبت له صفات الكمال، وان ينزه عن جميع صفات النقص، وإنه سيحاسب الناس جميعًا على أعمالهم ويجازيهم عليها، إن خيرًا فالجزاء خيرًا وإن شرًا فيكون الجزاء شرًا. وكل هذه قدر مشترك بين جميع الأديان السماوية قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[3]، وقال سبحانه: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا

---

(١) النحل: ٣٦.

(٢) الأنبياء: ٢٥.

(٣) البقرة: ١٣٦.

يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَـٰصَـٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَـٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(1).

أما الدين الوضعي المعبود فيه قد يتغير من جيل إلى جيل، ومن قبيلة إلى أخرى وما ذلك إلَّا لأن أهواء البشر ورغباتهم لا ضابط لها وردود الأفعال ورؤية الذات وتحقيق الأنا موجهة إلى الاختلاف والتغيير والتبديل وتحقيق التميز عن الآخرين وهذا واقع بالمشاهدة والمقارنة بين الأديان الوضعية وصدق القائل:

ومن في الناس يرضى كل نفس ... وبين هوى النفوس مدى بعيد

وصدق الله العظيم حين وصف حال هؤلاء القوم فقال: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَـٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَـٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَـٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴾(2).

---

(1) يوسف: ٣٧-٤٠.

(2) الأعراف: ٣٧-٣٨.

٥- الدين الوضعي يلازمه النقص وعدم الكمال، ذلك أنه من وضع الإنسان، والإنسان لا يمكنه أن يحيط بجميع حاجات البشر ومتطلباتهم المتجددة دائمًا، ودليل ذلك حاجة الناس الملحة للتعديل والتطوير والتصحيح والتكميل والتوضيح لما بين أيديهم من أديان وضعية فيحدث هذا داخل الإطار نفسه أو باختراع دين جديد ومذهب جديد وهذا ثابت بالمشاهدة ولا يحتاج لمزيد برهان أو دليل.

أما الدين السماوي فهو كامل، إنه تام شامل، لأنه من وضع خالق السماوات والأرض، علام الغيوب الذي لا تغيب عنه صغيرة ولا كبيرة، والذي يحيط بكل شيء علمًا قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٥ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤٣ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾[3]، وقال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾[4]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ

(١) الكهف: ١.

(٢) الفرقان: ٥-٦.

(٣) الزخرف: ٤٣-٤٤.

(٤) الشورى: ٥٢-٥٣.

إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾[2].

وهكذا نلاحظ أن هذه الفروق الخمسة إما مرادها إلى دلائل السند كالفارق الأول، أو إلى دلائل المتن كالفروق الأربعة الأخرى.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الدارس للأديان الوضعية مثل أديان الهند البرهمية والبوذية والجينية مثلًا، أو الديانة الفارسية القديمة، أو ديانة قدماء المصريين- مما اصطلح على تسميته دينًا وضعيًا- يجد فيها ذكر لصفات الرب المتفرد في الكمال والجلال، أو ذكر لليوم الآخر والجزاء... مما لا إمكانية للعقل معه في علم الغيب ولا قدرة له عليه، فلا سبيل لإدراك شيء منه إلا بالسماع والنقل «الوحي».

---

(١) فصلت: ٤١-٤٤.

(٢) الشورى: ١٣-١٥.

وهذا يعني- في نظري- أنه دليل على بقاء آثار دين صحيح، وهو يتكامل مع قول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾(1)، ومثل قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾(2).

وعلى هذا أستطيع القول بأن اجتهادات الناس التي وضعت لإصلاح حياة امة بعينها- مما اصطلح عليه فيما بعد دينًا وضعيًا- إنما هي نتاج عقل موروث جمع بين حق- آثار بقايا دين صحيح- وباطل مما أسفر عنه تدخل العقول في النصوص والتحريف لهذا الدين بإتباع الأهواء، فكان هذا المزيج وإن كان لاعتبار نسبته لإنسان معين عرفناه بأنه دين وضعي.

كذلك الديانات السماوية مثل اليهودية والنصرانية مثلًا، فهي سماوية باعتبار أصلها لكن واقعها كما هي اليوم بأيدي أربابها نجد فيها أمارات التحريف والكتمان والزيادة والتغيير كما ثبت، أعني فيها أمارات للوضع... وإن كانت باعتبارها وحيًا صادقًا ودينًا سماويًا صحيحًا فهي بنصوصها شيء آخر.

ولمزيد فائدة تذكر خصائص الدين السماوي؛ الدين الحق لتكون لك زادًا ونورًا ممثلًا في الإسلام الحنيف الذي صدق ما قبله من الرسالات السماوية والكتب المنزلة على رسل الله وهيمن عليها لحفظ الله للقرآن الكريم.

وإذا كان التوحيد هو أساس الفطرة التي خلق الله الناس عليها، وأن الفطرة دين التوحيد الذي جاءت به كل رسل الله صلوات الله عليهم أجمعين، فإن الدين الخاتم

---

(1) النحل: ٣٦.

(2) فاطر: ٢٤.

يقف من الرسالات السابقة موقف المصدق لما سبق والمهيمن عليه، يتمم ما بدأ ويوضح ما خفي ويتكامل معها في دعوة الخلق إلى عبادة الخالق وحده، وإن كان لكل شرعة ومنهاجًا لكن اتفقت الشرائع كلها على الأصول العقدية والتشريعية، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ﴾[1].

هذه الدعوة للتوحيد في كل الشرائع، كذلك أصول العبادات من صلاة وزكاة.. أخبرنا القرآن بتكامل الشرائع ووحدتها في الأمر بها، وإن اختلفت شريعة عن أخرى في عدد أو كيفية!! فقال سبحانه عن شريعة بني إسرائيل: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾[2]، وقال على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ﴾[3]، ووصف إسماعيل عليه السلام بقوله: ﴿وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا﴾[4]، وعما جاء به إسحاق ويعقوب قال تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾[5]، وبالصلاة أمر الله مريم عليها السلام قال

(١) الشورى: ١٣.
(٢) البقرة: ٤٣.
(٣) إبراهيم: ٤٠.
(٤) مريم: ٥٥.
(٥) الأنبياء: ٧٣

سبحانه: ﴿ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾[1]، وبها نطق عيسى عليه السلام قال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾[2].

وهكذا فالإسلام يصدق ما سبقه من شرائع ولا يتعارض معه في الدعوة إلى التوحيد أو أصول الشرائع والعبادات، وإن كان لكل جعل الله شرعة ومنهاجًا، لكن امتاز الإسلام الخاتم بخصائص تتماشى مع طبيعته وكونه خاتم الرسالات جميعًا ومنها:

(١) التصديق لما قبله والهيمنة عليه:

القرآن الكريم كتاب الله الخالد ووحيه الصادق ونص الإسلام الباقي أبد الدهر، يصدق ما قبله من الكتب لوحدة مصدر الدين فكل من عند الله رب العالمين الذي لا يضل ولا ينسى والذي أحاط بكل شيء علمًا وأحصى كل شيء عددًا، عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم.

وهو المهيمن عليه فهو دون ما سواه اختص الله بحفظه، والله وحده الذي توافرت دلائل صدقه وصحته سندًا وسلامته متنًا قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[4].

---

(١) آل عمران: ٤٣.

(٢) مريم: ٣٠-٣١.

(٣) الحجر: ٩.

(٤) فصلت: ٤١-٤٢.

وعن هاتين الصفتين المتلازمتين يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[١].

(٢) كمال الدين وتمام التشريع:

قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ۚ﴾[٢].

وذلك أن كل رسالة سبقت كان تشريعها خاصًا موقوتًا، حتى كان التمام واكتمال الدين ببعثة سيد الأولين والآخرين محمد ﷺ إلى يوم الدين.

قال الشهرستاني[٣]: «الأسرار الإلهية والأنوار الربانية في الوحي والتنزيل والمناجاة والتأويل على مراتب ثلاث: مبدأ ووسط وكمال، والمجيء أشبه بالمبدأ والظهور بالوسط والإعلان بالكمال، عبرت التوراة عن طلوع صبح الشريعة والتنزيل بالمجيء على طور سيناء وعن طلوع الشمس بالظهور على ساعير وعن البلوغ إلى درجة الكمال والاستواء بالإعلان على فاران، وفي هذه الكلمة إثبات نبوة المسيح والمصطفى عليهما السلام. وقد قال المسيح في الإنجيل: ما جئت لأبطل التوراة بل جئت لأكملها. قال صاحب التوراة:

(١) المائدة: ٤٨.

(٢) المائدة: ٣.

(٣) الملل والنحل – جـ ١ – ص ٢١٣.

النفس بالنفس، والعين بالعين، والأنف بالأنف، والأذن بالأذن، والسن بالسن، والجروح قصاص، وأنا أقول: إذا لطمك أخوك على خدك الأيمن فضع له خدك الأيسر»[1].

والشريعة الأخيرة وردت بالأمرين جميعًا. أما القصاص ففي قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى﴾[2]، وأما العفو ففي قوله تعالى: ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[3].

ففي أحكام التوراة أحكام السياسة الظاهرة العامة، وفي الإنجيل أحكام السياسة الباطنة الخاصة، وفي القرآن أحكام السياستين جميعًا: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾[4] إشارة إلى تحقيق السياسة الظاهرة، وقوله تعالى: ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[5] وقوله: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[6]. إشارة إلى تحقيق السياسة الباطنة، وقد قال ﷺ: «هو أن تعفو عمن ظلمك وتُعطي منحرمك وتصل من قطعك».

ومن العجب أن من رأى غيره يصدق ما عنده ويكمله ويرقيه من درجة إلى درجة كيف يسوغ له تكذيبه.

---

(١) راجع إنجيل متى صح ٥: ١٧ و٣٨: ٣٩.

(٢) البقرة: ١٧٨.

(٣) البقرة: ٢٣٧.

(٤) البقرة: ١٧٩.

(٥) البقرة: ٢٣٧.

(٦) الأعراف: ١٩٩.

وهكذا فالقرآن لما توفر له من دلائل الصدق ما حكم بصدقه فهو صدق وما كذبه فهو كذب وما سكت عنه لا نحكم له ولا عليه، فهو الوحي الصادق والدين الكامل والنعمة التامة.

(٣) العمـــوم:

كانت رسالة كل نبي خاصة بقومه وأرسل الله نبينا محمدًا ﷺ رحمة للعالمين قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾[3].

وقال جل شأنه آمرًا نبيه أن يجهر في الناس: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾[4].

نعم إن الرسالة المحمدية رسالة عامة بالإنس والجن والأحمر والأصفر والأبيض والأسود، للعالمين جميعًا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولم لا وهي الرسالة الوحيدة التي حفظها الله من التحريف والتبديل؟ ولم لا وهي الرسالة الشاملة الكاملة

(١) سبأ: ٢٨.
(٢) الأنبياء: ١٠٧.
(٣) الفرقان: ١.
(٤) الأعراف: ١٥٨.

التي أكمل الله بها شريعته وأتم بها النعمة على الخلق جميعًا فنسخت ما قبلها من الشرائع، فهي المصدقة لها والمهيمنة عليها فهي البناء مكتملًا قال ﷺ: «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى دارًا فأكملها وأحسنها إلَّا موضع لبنة، فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون ويقولون: هلا وضعت اللبنة، فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين».

قال ابن الشريف: «لهذا كله كان القرآن صمام الأمن من مبادئ الهدم ومذاهب الانحراف... كان ركيزة من ركائز الوحدة والاتحاد.. ضم الصفوف وراب الصدع ووحد اللهجات والقوانين وأزال السخائم من النفوس، واستل الأحقاد وانتزع الثأرات ومحا الفوارق ووجه الخلق إلى تعاليم الخالق وهدى الناس إلى عبادة رب الناس، فتوحدت القبائل المتنافرة واجتمعت على كلمة واحدة تفيأ ظلالها الوطن العربي كله فعزّ وساد.

والقرآن دعوة عالمية يجب أن تعم المحيط الدولي وأن تصل إلى الناس كافة في مختلف البقاع والأصقاع، ولاسيما في هاتيك الأنحاء التي لا تعرف عنه إلا ما ترردده منه من كلمات أو بضع آيات ترديدًا لسانيًا فحسب من غير أن يطرق قلبها، وبدون أن يترك في تذوقها أثرًا.

إن الهيئات الدينية وأجهزة الوعظ والجامعات الإسلامية كل أولئك مرجوون الآن لأن يهموا بإمكانياتهم وطاقاتهم في نشر كتاب الله في تلك الجهات التي لما تسمع داعي الله بوساطة دعاة يدعون إلى سبيل ربهم بالحكمة والموعظة الحسنة، يحملون إلى هؤلاء كتاب الله ليخرجهم من الظلمات إلى النور ويدخلهم في دين الله أفواجًا»[1].

(١) الأديان في القرآن– ص ٢٤٤، ٢٤٥.

ودعوى عالمية الرسالة لغير رسالة سيدنا محمد ﷺ مردودة بنصوص أهلها وبالواقع التاريخي والمدلول اللفظي وفطره عن تحقيق أسباب فليس إلا الإسلام دعوة عالمية راشدة، دعوة ربانية لا دخل لحبر أو كاهن أو راهب فيها ولا واسطة فيها بين الله وخلقه فهي ربانية المصدر ربانية الغاية والوجهة. كذلك فهي دعوة شمولية ما تركت جانبًا من جوانب الحياة إلا وأنارته بنور الوحي الصادق وأحاطته بنظام إلهي يكفل سعادة الناس في الدنيا والآخرة، وهي دعوة وسيطة لا إفراط فيها ولا تفريط وإنما دعوة معتدلة ميسرة تتفق وأحوال الناس أني كانت، وهي دعوة مرنة تتماشي مع الواقع وتطابق مقتضى الحال في الفروع، ثابتة في قواعدها وأصولها وهي دعوة واضحة لا لبس فيها ولا غموض، حلالها بيِّن وحرامها بيِّن[(١)].

لكل ذلك كان الحكم بعموم رسالة الإسلام وهيمنة القرآن على ما سبقه من كتب حكمًا موضوعًا علميًا لما تفرد به من خصائص لم تتوفر لغيره. والفروق بينه وبين ما سلف كثيرة واضحة وسيأتي مزيد بيان لها فيما بعد إن شاء الله تعالى[(٢)].

ويكفي واقع الأديان السابقة على الإسلام بصورتها الحالية دليلًا على عجزها وفقرها، فهي غير قادرة على الوفاء بحاجات الناس جميعًا ولو اجتمعت.

وسندلل على هذه الدعوى بنصوص أرباب كل دين في دراسات تالية إن شاء الله تعالى.

---

(١) راجع: الخصائص العامة- د. يوسف القرضاوي، خصائص التصور الإسلامي- سيد قطب، الإسلام وحاجة الإنسانية إليه- د. محمد يوسف موسى- الفصل الثالث.

(٢) راجع: مبادئ الإسلام للمودودي ص ١٠٤: ١٠٩، ص ١٨٧، ١٨٨.

وهكذا «شاءت حكمة الله أن يكون الإسلام آخر الرسالات الإلهيـة، فلـيس لنـا أن ننتظر رسالة أخرى- فهي عامة للناس جميعًا- وأن يكون رسوله المصطفى خاتم الأنبياء والمرسلين، فما ينبغي أن نتوقع إرسال رسول آخر من لدن العليم الحكيم.

ليس علينا إذًا، لنكون خير أمة أخرجت للناس، إلا أن نؤمن به حقًا، وأن نتدين بـه في كل ما نقول ونفعل، وأن نأخذ أنفسنا- أفرادًا وجماعات- بشرائعه وتعاليمه وأخلاقه وآدابه، والله المستعان وهو الهادي إلى الطريق المستقيم»[1].

(١) الإسلام والحياة- د. محمد يوسف موسى- ص ٢٢.

خلاصة الوحدة

نخلص من دراسة هذه الوحدة إلى ما يلي:

- الدين السماوي هو ماكان وحيا من الله لرسله.
- الدين الوضعي ماكان من صنع البشر.
- الدين السماوي – باعتبار أصله – مثل اليهودية والنصرانية، فما ثبت في نصه التحريف فهو وضعى، وما بقى على أصله فهو بقايا حق من دين.
- الدين السماوي حق كامل شامل والدين الوضعي باطل ناقص جزئي.
- الدين السماوي وظيفة الرسول معه البلاغ وضرب المثل والقدوة، أما الوضعي فيكون فيه إلها أو ابن إله أو متصفا بالنقائص مرتكبا للفواحش مخالفا لما أمر به قومه.

أسئلة التقويم الذاتي

أولاً: أسئلة المقال:

س١: أقم الدليل على أن الدين السماوي قائم على الوحي وليس لأحد غير الله فيه شيء

س٢: أقم الدليل على أن الدين الوضعي قائم على وضع الإنسان وصنعه؟

س٣: أقم الدليل على أن الدين السماوي قائم على عبادة الله وحده ولا يقبل أن يشرك به

س٤: أقم الدليل على أن الدين الوضعي قائم على التعدد ولا يعرف التوحيد؟

س٥: أقم الدليل على أن الدين السماوي قائم على مباينة الله لخلقه فليس كمثله شيء؟

س٦: أقم الدليل على أن الدين الوضعي المعبود فيه أحد المخلوقات حجرا أو شجرا أو إنسانا أو كوكبا؟

س٧: أقم الدليل على أن عقائد الدين السماوي واضحة وثابتة لاتتغير؟

س٨: أقم الدليل على أن الدين الوضعي المعبود فيه متغير والعقائد متطورة؟

س٩: أقم الدليل على أن الدين السماوي (الإسلام الخاتم) كامل شامل حق صالح لكل البشر؟

س١٠: أقم الدليل على أن الدين الوضعي ناقص جزئي باطل لا يصلح لكل البشر؟

ثانياً: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة «✓» أمام العبارة الصحيحة، وعلامة «✗» أمام العبارة الخاطئة:

١- العالم اليوم أحوج ما يكون للدين السماوي الخالد ليحقق سعادته وأمنه. (   )

٢- الأديان الوضعية ردات أفعال لمجتمعات لاتصلح معيارا لصلاح كل البشر. (   )

٣- التقليد الأعمى واتباع الأهواء والخواء الروحى وراء قبول الأديان الوضعية في المجتمعات المادية. (   )

ثالثاً: أسئلة الاختيار من متعدد:

اختر الإجابة الصحيحة مما بين القوسين:

١- ماورد في الأديان الوضعية من صفات الكمال لله أو الجنة والنار دليل على أنها (عبقرية واضعها – افتراضات علمية – آثار بقايا دين سماوى حق).

٢- ماورد في الأديان الوضعية من صفات الكمال لله أو الجنة والنار دليل على أن (جميع الأمم أرسل إليها رسلا – الأفكار تتوارد – أن واضع الدين الوضعي يوحى إليه).

٣- ما كان وحيًا من الله لرسله (الدين الوضعي- الدين السماوي- الاثنين معًا).

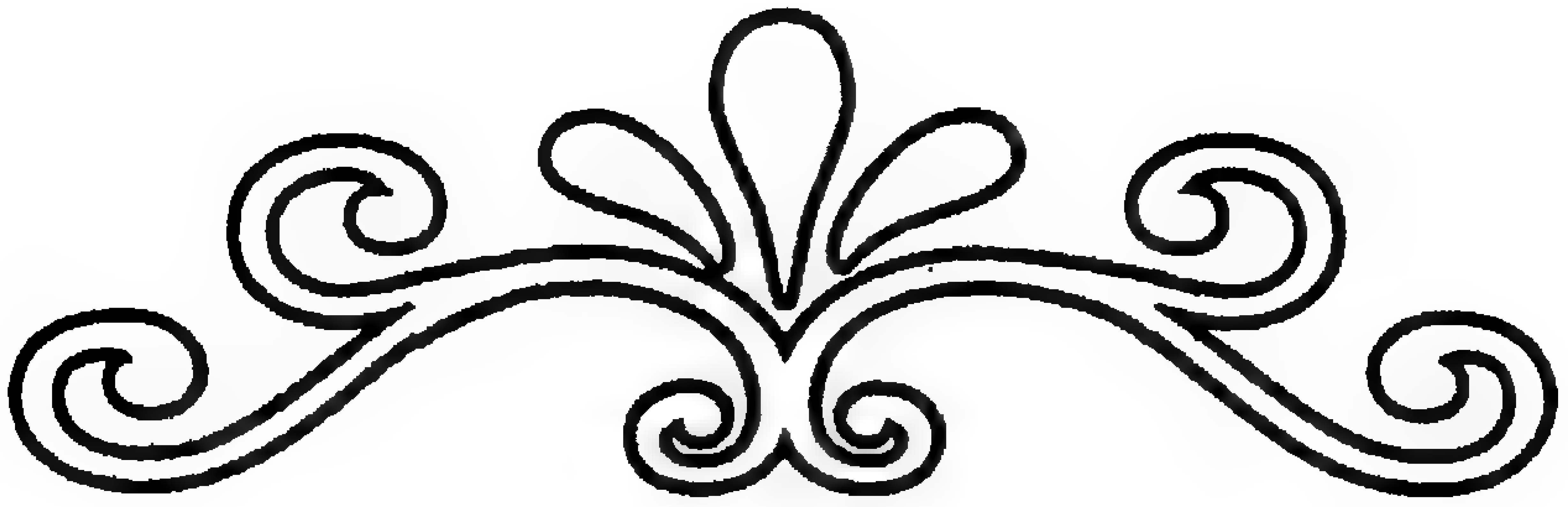
النشاط التعليمي للوحدة الثامنة

عزيزي الدارس:

حتى تكتسب المزيد من المعلومات حول الموضوعات الواردة في هذه الوحدة عليك أن تقوم بإنجاز النشاط التعليمي التالي:

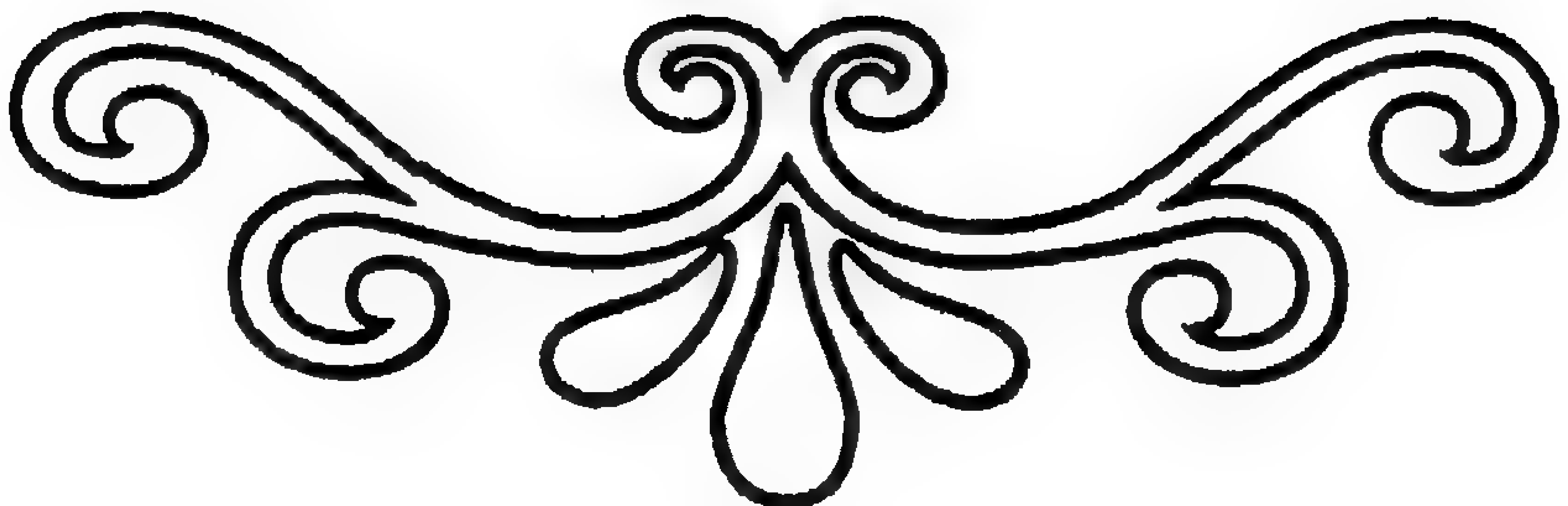
اكتب بحثًا في:

- الفرق بين الدين السماوي والدين الوضعي.



الوحدة التاسعة

أديان العرب قبل الإسلام



محتويات الوحدة التاسعة

- الحنفاء في الجزيرة العربية.
- اليهودية في الجزيرة العربية.
- النصرانية في الجزيرة العربية.
- الوثنية في الجزيرة العربية.



أهمية دراسة الوحدة:

عزيزي الدارس: تكشف من خلال هذه الوحدة الحالة الدينية لعرب الجاهلية قبل البعثة المحمدية والرسالة الإسلامية حيث كان العرب في الجاهلية في ضلال مبين، فمنهم من حاول الوصول إلى الحق بنفسه فلم يستطع، ومنهم من آمن باليهودية بعد أن أصابها التحريف، ومنهم من اعتنق النصرانية بعد أن نالها التزييف، وأغلبهم عبد الأصنام واتخذ الأوثان آلهة من دون الرحمن، وصور الوثنية كثيرًا ومظاهر الانحراف عديدة فمنهم من اشتغل بالكهانة وعبادة أرواح الموتى والجن والملائكة، وبهذا تظهر الحاجة إلى مبعث النور الذي يزيل تلك الظلمات، والدين الحق الذي يختم الله به كل الرسالات.

الأهداف التعليمية:



عزيزي الدارس: يُرجى منك بعد دراستك لهذه الوحدة أن تكون قادرًا على أن:

١ـ تُعرّف حقيقة الحنفاء العرب الباحثين عن الحقيقة.

٢ـ تقف على صلة العرب باليهودية والنصرانية.

٣ـ تُدرك طبيعة الوثنية في الجزيرة العربية.

أديان العرب قبل الإسلام

القرآن والسنة هي المصدران الأصليان للحديث عن الحالة الدينية عند العرب قبل الإسلام وفيما يلي الحديث عن أهم مظاهر الحالة الدينية:

١- الحنفاء:

الحنفي: من ألفاظ التضاد فتطلق على معنى الاستقامة والإعوجاج ويراد بها الميل من حال إلى حال[1]. وفي القرآن الكريم وصف أن إبراهيم في غايته يدافع منها قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[2]. وأمران بنيه بذلك ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾[3] كما أمر عباده المؤمنين ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾[4].

والمعنى في الآيات الميل عن الأديان إلى ظلم إلى رب التوحيد، والتمسك بالحق، والاستقامة على سلام الوجه لله تعالى وحده وبهذا كانت ملة إبراهيم عليه السلام وفي السنة النبوية «عن ابن عباس قال: قيل لرسول الله ﷺ: أي الأديان أحب إلى الله؟ قال: الحنيفة السمحة» رواه أحمد.

أما أشهر الحنفاء فهو زيد بن عمرو بن نفيل، حيث اعتزل عبادة الأصنام وامتنع عن أكل ذبائحها، وهو ابن عم سيدنا عمر بن الخطاب، وأبو الصحابي الجليل من

(١) والحنفاء هم الباحثون عن الحقيقة الذين اعتزلوا عبارة الأصنام، ولم يكونوا على دين قريش.

(٢) آل عمران: ٦٧.

(٣) يونس: ١٠٥.

(٤) البينة: ٥.

العشرة المبشرين بالجنة سعيد بن زيد.

كان زيد من الباحثين عن الحقيقة الذين رأوا قومهم ليسوا على شيء وأنهم أخطأوا دين إبراهيم وقالوا: ما حجر نطيف به لا يسمع ولا يبصر، ولا يضر ولا نفع، يا قوم التمسوا لأنفسكم دينا، فإنكم وإن ما أنتم على شيء، فتفرقوا في البلدان يلتمسوا الحنيفية دين إبراهيم.

فلم يدخل زيد في يهودية ولا نصرانية وفارق دين قومه، فاعتزل الأوثان والميتة والدم والذبائح التي تذبح على الأوثان ونهى عن قتل الموؤدة وقال: أعبد رب إبراهيم، وبادى قومه بعيب ما هم عليه تقول أسماء بنت أبي بكر: لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل شيء كبيرًا مسندًا ظهره إلى الكعبة وهو يقول: يا معشر قريش، والذي نفس زيد بن عمرو بيده، ما أصبح منكم أحد على دين إبراهيم غيري.

وفي زيد قال الرسول جيد سأل سعيد بن زيد وعمر بن الخطاب أستغفر لزيد بن عمرو؟ قال: «نعم فإنه يبعث أمة وحده».

ومما قاله زيد في فراقدين قومه:

أربا واحدا أم ألف رب ... أدين إذا تُقسمت الأمور

عزلت اللات والعزى جميعًا ... كذلك يفعل الجَلْدُ الصبور

فلا العزى أدين ولا ابنتيها ... ولا صحى بني عمرو أزور

ولا هُبَلا أدين وكان ربا ... لنا في الدهر إذا حلمي يسير

عجبت وفي الليل معجبات ... وفي الأيام يعرفها البصير

بأن الله قد أفنى رجالا ... كثيرا كان شأنهم والعجور
وأبقى آخرين ببر قوم ... فيربل[1] منهم الطفل الصغير
وبينا المرء يفتر ثاب يوما ... كما يتروح الغصن المطير
ولكن أعبد الرحمن ربي ليغفر ... ليغفر ذنبي الرب الغفور
فتقوى أن ربكم أحفظها ... متى ما تحفظوها لا تبوروا
ترى الأبرار دارهم جنان ... وللكفار حامية سعير
وخزي في الحياة وإن يموتوا ... يلاقوا ما تضيق به الصدور

أنكر زيد على قومه دينهم فكان عمه الخطاب بن نفيل ينزل به عقابه حتى أخرجه إلى أعلى مكة فنزل حراء ووكل به الخطاب شباب من شباب قريش وسفهاء من سفهائها فقال لهم: لا تتركوه يدخل مكة فكان لا يدخلها إلا سرا.. ثم خرج يطلب رب إبراهيم ويسأل الرهبان والأحبار حتى بلغ الموصل والجزيرة كلها ثم أقبل فجاء فجال الشام كله حتى انتهى إلى راهب بَميْفعه (الأرض المرتفعة) من أرض البلقاء (في الأردن) رب إبراهيم فقال: إنك لتطلب دينا ما أنت بواجد من يحملك عليه اليوم، ولكن قد أظل زمان نبي يخرج من بلادك التي خرجت منها يبع به رب إبراهيم الحنيفية فالحق بها، فإنه مبعوث الآن هذا زمانه وقد كان شامَّ (استخبر) اليهودية والنصرانية، فلم يرضى شيئًا منهما، فخرج سريعًا حين قال له ذلك الراهب ما قال يريد مكة، حتى إذا توسط بلاد لخم عدوا عليه فقتلوه.

(١) فيربل: يشب ويكبر.

٢- اليهودية:

١- هاد في اللغة بمعنى تاب ورجع قال تعالى: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾[(١)] تبنا ورجعنا بعد عبادتهم العجل. واليهود هم قوم سيدنا موسى عليه السلام.

٢- كان الوجود اليهودي في الجزيرة مركزا في منطقة: بلاد اليمن وبلاد الحجاز، كما سكن اليهود في المنطقة الواقعة ما بين فلسطين ويثرب كما سكنوا في اليمامة، ويحدثنا القرآن الكريم عن قصة ملكة سبأ التي أسلمت مع سليمان لله رب العالمين وذلك في القرن العاشر قبل الميلاد، وحكاية سليمان في هذا الشأن مذكورة في سورة النمل من قوله تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾.... إلى قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[(٢)] وقد ذكر الكتاب المقدس الأقسام الشمالية من الجزيرة العربية أكثر من الأقسام الجنوبية (اليمن)، وكانت كلمة أعرابي تعني لليهود سكان الصحراء المتنقلين أكثر مما تعني سكان المراعي المستعربة، وكثيرًا ما كانت القبائل العربية تتصل بالعبرانية، وكان سليمان يستورد منهم الذهب والفضة، وقدمت القبائل ليهود شافاط (رابع ملوك يهوذا بعد انقسام مملكة سليمان) الضرائب من الغنم والتيوس والكباش كل هذا يؤكد وجود علاقة قوية بين اليهود والعرب قبل الإسلام وتعد مملكة حمير في اليمن والمركز الرئيسي في الجنوب، من الملوك الحميرية الذين اعتنقوا اليهودية ذو نواس: زرعة بين زيد بن كعب الذي يعد آخر ملوك حمير وقد اجتمعت عليه قبائل اليمن.

---

(١) الأعراف: ١٥٦.

(٢) النمل: ٢٠- ٤٤.

أما وجود اليهود في يثرب خاصة وفي بلاد الحجاز عامة، فهو وجود قديم دفعت إليه العوامل الجغرافية والسياسية، حيث إن الامتداد الجغرافي ساعد على إيجاد علاقة قوية واتصال وثيق بين فلسطين والجزيرة العربية، ولا ريب أن الأحداث السياسية التي انتهت بتشريد اليهود على يد تيطش سنة ٧٠ م وعلى يد أدريان سنة ١٣٥م كل ذلك جعل الهجرة اليهودية وتشتتهم في جميع أنحاء العالم لاسيما المناطق المجاورة أمرًا مقبولًا وقد تجمع اليهود في مناطق متنوعة في يثرب وخيبر وتيماء وفَدَك ووادي القرى وتبوك والطائف، ومن أشهر القبائل اليهودية التي سكنت في تلك القبائل: بني قينقاع – بنو النضير – بنو قريظة.

ومن أشهر البطون اليهودية:

فبنو مريد– وبنو معاوية– وبنو ثعلبة.

وقد اشتهرت التجمعات اليهودية بالحصون الاهتمام بالصناعة(١) والتجارة(٢) والزراعة لاسيما زراعة النخيل مع تربية الماشية وقد عقد بنو قينقاع حلفا مع الخزرج، بينما عقد بنو النضير وبنو قريظة حلفا مع الأوس.

لكن اليهود عملوا على إذكاء روح العداوة بين الحيين العربيين.

أما الحالة الدينية فقد طرأ الانحراف على المصادر الدينية وفي هذا المعنى يقول الله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾(٣)، ﴿فَبَدَّلَ

(١) مثل الصباغة والصياغة والآلات الحربية وأدوات الحفر ونسج الأقمشة.

(٢) لاسيما تجارة التمر والشعير والخمر.

(٣) المائدة: ١٣.

ﭐلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴾[1]. ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[2]، ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[3]، ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾[4] وقد ترتب على انحراف المصادر الدينية انحراف العقيدة والتشريعات اليهودية وقد جاءت توارتهم تصف الإله بصفات لا تليق فهو إله خاص بشعب الله المختار، وهو إله يشبه المخلوقين يتعب ويستريح، ويأكل ويشرب، ويخطأ ويندم.

وقد جاء القرآن الكريم يبين بعض قبائحهم.

- ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ ﴾[5].
- ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴿٣٠﴾ ﴾[6].
- ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ﴾[7].

---

(١) البقرة: ٥٩.

(٢) البقرة: ١٤٦.

(٣) آل عمران: ٧٨.

(٤) البقرة: ٧٩.

(٥) المائدة: ٦٤.

(٦) التوبة: ٣٠.

(٧) المائدة: ١٨.

كما لم تسلم النبوة في التوراة الحالية من التحريف حيث نسبت إلى الأنبياء الكذب والزنا وشرب الخمر إلى آخر تلك القبائح وقد ذكر القرآن الكريم ما فعلوه بأنبيائهم. ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[1].

خلاصة القول: لم تأت رسالة الإسلام إلا بعد انحراف اليهودية ومن دان بها من العرب أو من اليهود أنفسهم لم يكونوا على موقف واحد من الإسلام فمنهم من آمن مثل عبد الله بن سلام وكان اسمه الجعبة جبر بني قينقاع فلم أسلم سماه رسول الله ﷺ (عبد الله) ومنهم مخيريق من بني ثعلبة أما أكثر اليهود فمنهم من أضمر العداوة ومنهم من أظهرها قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قال تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (١١٣) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[2]

وبعد أن ذكران أهل الإيمان من أهل الكتاب، أخبر عن الكافرين منهم بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[3].

---

(١) النساء: ١٥٥.

(٢) آل عمران: ١١٣ – ١١٤.

(٣) آل عمران: ١١٦.

برزت مظاهر التأثر والتأثير بين العرب واليهود في مجالات متعددة منها:

محاولة التعايش بين الفريقين بحكم البيئة العربية بالالتزام بالنظام العربي في المعيشة واللغة، فاليهود لم يخرجوا على الحياة العربية فيما يتعلق بالحياة الاجتماعية بشكل عام فلبسوا اللباس العربي وتزوجوا عربًا وتكلموا باللسان العربي مع احتفاظهم بلغتهم العبرية فكانوا يقرؤون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله ﷺ: «**لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولًا:** ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾[1]» رواه البخاري. وقد أمر سول الله ﷺ زيد بن ثابت بتعلم لغة اليهود فلم يمر عليه إلا نصف شهر حتى تعلمها ﷺ، وبرز شعراء من اليهود قبل السمو آل بن عادياء وغيره، كما كانت غالبية أسماء اليهود عربية مثل كعب وشرع درهم ومنهم من عرف بكنية كأبي رافع وأبي قيس بن رفاعة أما جانب تأثير اليهود في العرب فقد قام على أساس التفوق من جانب اليهود باعتبارهم أهل كتاب، على علم بالقراءة والكتابة بينما نظروا إلى العرب نظرة احتقار باعتبارهم أميين، وعمل اليهود على ترسيخ هذه النظرة من خلال إشاعة عقيدة النبي المنتظر الذي يستنصروا- بمجيئه على العرب- الأوس والخزرج إذا قاتلوهم ويقول اليهود: إنه سيبعث نبي في آخر الزمان نقتلكم معه قتل عاد وإرم، فلما بعث الله سيدنا محمد كفروا به، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا

(١) البقرة: ١٣٦.

عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[1].

- كما تأثر العرب باليهود في بعض الأحكام ومنها اعتزال النساء في كل شيء في حال الحيض وبعد الهجرة أجاب النبي أصحابه عن ذلك بقوله: «اصنعوا كل شيء إلا النكاح، فبلغ ذلك اليهود فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئًا إلا خالفنا فيه» رواه مسلم.

يبقى أن نختتم بكلمة هامة: لم يكن انتشار اليهودية في الجزيرة العربية واسعا بسبب قسوة وصعوبة الأحكام الدينية اليهودية ولم يكن اليهودي كذلك- يمثل الصورة المشرفة أو الأسوة الحسنة فقد تعامل بالربا وعرف عنه الكيد وتدبير المؤامرات، وأخيرا، فلم يملك اليهود ما يمكنهم من نشر دينهم؛ مما جعل دينهم محصورًا في بعض المناطق مع ما عرف عن اليهود من الحياة في تجمعات خاصة بهم.

ثالثًا: النصرانية:

١- نسبة إلى النصارى وهم قوم عيسى عليه السلام، واشتقاق الاسم من الناصرة في فلسطين موطن المسيح عليه السلام، وإمامه النصرة عناصرة الحواريين له ﴿ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[2].

كما يلقب النصارى بالمسيحيين نسبة إلى المسيح عليه السلام، وسمي المؤمنون به بهذا الاسم في أنطاكية سنة ٤٢م تقريبًا.

(١) البقرة: ٨٩.

(٢) آل عمران: ٥٢.

٢- حكى القرآن الكريم تاريخ النصرانية من ولادة مريم أم المسيح إلى رفع عيسى عليه السلام ثم نزوله ليكون من أشراط الساعة وفي هذا يقول ربنا عن الحمل بمريم وولادتها: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (٣٥) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ (٣٦) فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[١].

أما عن الحمل بعيسى ودعوته فنقرأ هذه الآيات ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا .... وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾[٢].

أما عن معجزاته فنقرأ هذه الآيات: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَدٌ........ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾[٣]، ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ (١١٤) قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٤].

(١) آل عمران: ٣٥ – ٣٧.

(٢) مريم: ١٦ – ٣٦.

(٣) آل عمران: ٤٩ – ٥١.

(٤) المائدة: ١١٤ – ١١٥.

أما عن مؤامرة اليهود ضده فنقرأ قوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[(١)].

أما عن نزوله باعتباره من أشراط الساعة وعلاماتها الكبرى فنقرأ قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾[(٢)].

رغم أن عيسى عليه السلام دعا إلى عبادة الله وحده، وقد جاء بهذا صريحا في العهد الجديد «اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد»[(٣)].

«وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنك الإله الحقيقي وحدك والذي أرسلته يسوع المسيح»[(٤)].

ومع دعوة عيسى التسامح والتبشير بنبوة سيدنا محمد ﷺ.

في الدعوة إلى التسامح «أحبوا أعداءكم، باركوا لأمنيكم، أحسنوا إلى بغضيكم، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السماوات»[(٥)].

وفي التبشير بنبوة سيدنا محمد «إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطي لأمه تعمل أغاره

(١) النساء: ١٥٧ – ١٥٨.
(٢) الزخرف: ٦١.
(٣) مت ١٢: ٢٩.
(٤) يو ١٧: ٣
(٥) مت ٥: ٤٤-٤٥.

دن سقط على هذا الجمر يترفض، ودن سقط هو عليه سجته»[1]، وقد سمي في الطبقات المتعددة تارة باسم النار قليط والمغرى وروح الحق والمؤيد كما هو واضح في إنجيل يوحنا ١٥: ٢٦ «ومتى جاء المعزى الذي سأرسله أنا إليكم من الأب، روحُ الحق الذي من عند الأب ينبثق فهو يشهد لي، وتشهدون أنتم أيضًا..».

رغم هذا كله فإن النصرانية انحرفت بعد المسيح عليه السلام حتى انتهت إلى العقائد التالية:

١- عقيدة الثالوث أو التثليث:

«اذهبوا وتتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس»[2]

يعتقد النصارى بثلاثة أقانيم[3] تشترك معا في جميع خواص الجوهر الإلهي الواحد وتتميز فيما بينها بالخواص الأقنومية. فالأب هو الأصل والابن مولود من الأب والروح القدس ينبثق من الأب وحده أو من الأب والابن معا.

قانون الإيمان عند المسيحيين: (بالحقيقة نؤمن بإله واحد الله الأب ضابط الكل في مؤمن برب واحد يسوع المسيح أن الله الوحيد المولود من الأب قبل كل الدهور، ونؤمن بالروح المقدس الرب المسمى المنبثق- الأب تسجد له ونمجده مع الأب والابن).

٢- التجسيد والغداء أو الصلب:

لقد أخطأ الإنسان لأن الله قال لآدم وحواء: يوم تأكلان من هذه الشجرة موتا

(١) مت ٢١: ٤٤-٤٥.

(٢) مت ٢٨: ١٠

(٣) الأقنوم: كلمة غير عربية ولكنها سريانية تعني خاصية أو خطة ذاتية من اسم أي صفة تقوم بها الذات الإليهة، وبدونها تنعدم الذات الإلهية.

تموتا، وبسبب الخطيئة المتوازنة استحق الإنسان العقوبة الإلهية، وما دامت الخطيئة ضد الله، وإن غير محدود، ويأت لي عقوبتها غير محدودة فلابد) وتكون الكفارة غير محدودة، ولأنها ضد إنسان فلابد أن يتجسد اللامحدود في صورة المحدود، حيث تجسد إلهين زعمهم في صورة الإنسان، ورضي أن يصلب على خشبة الصليب كفارة عن خطيئة الإنسان (آدم وحواء) ونداء للإنسانية كلها.

٣- القيامة والتمتع بالأبدية والخلود:

قام السميح من بين الأموات ولم يتمكن إلا أربعين يوما ثم ارتفع بعدها إلى السماء. وفي إنجيل يوحنا ٥: ٢٤- ٣١ (الحقَّ الحقَّ أقول لكم إن من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية ولا يأتي أبدية ولا يأتي إلى دينونة. بل قد انتقل من الموت إلى الحياة. الحق الحق أقول لكم إنه تأتي ساعة وهي الآن حين يسمع الأموات صوت ابن الله والسامعون يحيون. لأنه كما أن الأب له حياة في ذاته كذلك أعطى الابن أيضًا أن تكون له حياة في ذاته، وأعطاه سطانًا أن يديه أيضًا لا تتعجبوا من هذا، فإنه تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذي في القبور صوته، فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين عملوا السيئات إلى قيامه الدنيوية. أنا لا أقدر أن أفعل من نفس شيئًا كما أسمع أدين، ودينونتي عادلة لأني لا أطلب مشيئتي بل مشيئة الأب الذي أرسلني).

أما العبادات عند النصارى فهي على النحو التالي:

١- الصلاة ليس للصلاة عند النصارى طريقة خاصة بل هي مجرد ألفاظ وأدعية يتوجه بها المصلي باسم الأب والابن والروح القدس في أي وقت وفي أي مكان وبأية طريقة فردية أو عائلية أو اجتماعية، رغم أن الصلاة لا تنحصر في موضع

ولا في زمن بل يجوز أن يصلي في أي موضع على أنه يليق حفظ أوقات معينة للصلاة فكان اليهود والرسل يصلون عند الساعة الثالثة والسادسة والتاسعة من النهار وعند بداءة الليل ونهايته وعند مناولة الطعام، وألف المسيحيون هذه الصلاة والشكر عند تناول الغداء، وقد أحدث بعض الثنائي عن اليهود تلاوة مزايد وصلوات خاصة.

٢- فأعظم صلاة عند النصارى تلك الصلاة التي علمها الرب تلاميذه ولذلك سميت الصلاة الربانية:[١] **«فصلوا أنتم هكذا: أبانا الذي في السموات لتقدس اسمك. ليأت ملكوتك. لتكن مشيئتك كما في السماء وكذلك على الأرض خبز ناكفا فنا أعطنا اليوم. وأغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضا للمذنبين إلينا ولا تدخلنا في تجربة لكن نجينا من الشرير، لأن لك الملك والقوة المجد الأبد أمين».**

٣- أما الصيام: فقد اختلفت حول طبيعته وأيامه الطوائف النصرانية لكن ورد في متى ٦: ١٦-١٨ (ومتى صمتم فلا تكونوا ما بين كالمرائين فإنهم يغيرون وجوههم لكي يظهروا الناس صائمين، الحق أقول لكم إنهم قد استوفوا أجرهم، وأما أنت فمتى صمت فأوهن رأسك واغسل وجهك لكي لا تظهر للناس صائما بل لأبيك الذي في الخفاء فأبوك الذي يرى في انحناء يجازيك علانية) وأبرز أنواع الصيام، الصوم المقدس وأيامه خمسون يوما وهي عبارة عن الأربعين يوما صامها المسيح مضافا إليها أسبوع الاستعداد والآلام ويمتنع فيها أكل اللحوم ويقتصر على البقول، وصوم الميلاد وعدده ثلاثة وأربعون يوما نسهي بعيد الميلاد.

---

(١) مت ٦: ٩- ١٣.

أما الزكاة فالظاهر عدم وجود نصوص دالة عليها تفرضه نصيبا معلوما في أموال الأغنياء بل كانت دعوة المسيح واضحة في الزهد (لا تقدرون أن تخترموا الله في المال)[1]. ولا يرون الحج إلا زيارة المشاهد المقدسة في فلسطين أو في روما أو أماكن القديسين.

صلة النصرانية بالعرب:

ظهرت النصرانية في فلسطين العربية وتنقل المسيح عليه السلام في مدنها وفي يوم الخميس يوم حلول روح القدس على تلاميذ المسيح اجتمع الجمهور وتحيروا لأن كل واحد كان يسمعهم يتكلمون بلغته، وكان من الجمهور عرب سمعوا بلغتهم العربية ما تكلم به التلاميذ الاثنا عشر في أورشليم (راجع أعمال الرسل الاجماح الثاني) وقد تنقل بعض التلاميذ كما قام بولس وغيره بالتبشير بالمسيحية في البلاد العربية، وبعد تجاوز النصرانية مرحلة الاضطهادات العنيفة، انتقلت إلى مرحلة الانتشار لاسيما بعد اعتبار النصرانية الدين الرسمي للامبراطورية الرومانية على يد قسطنطين في القرن الرابع الميلادي.

ويرجع بيان الوجود النصراني في شبه الجزيرة العربية إلى عوامل منها:

١- العامل الجغرافي والتاريخي:

فالجزيرة العربية وفلسطين منطقتان متصلتان ببعضهما اتصالا جغرافيا واضحا والبدو على اتصال وثيق بغيرهم وعلى أطراف الجزيرة كانت دولة الغساسنة العربية في الشام على مقربة من بلاد الروم، وفي العراق دولة المناذرة وأصبح أكثر أهل الدولتين بالنصرانية فيما بعد، فإذا أضفنا إلى العامل الجغرافي العامل التاريخي فإن ما نزل بهم من

---

(١) متى ٦: ٢٤.

اضطهادات دفعتهم إلى الفرار، ولم يكن إلا أرض العرب ليفروا إليها ويستقروا بها وكان لهؤلاء أثر الواضح في انتشار النصرانية.

٢- التبشير:

النصرانية دين تبشيري حمله الرهبان ونشروه في أرض العرب ومنهم من رافق الأعراب وعاشوا عيشتهم فسكنوا معهم الخيام حتى عرفوا بأساقفة الخيام، وأساقفة العرب السامية وقد عززته نشاط المبشرين وشد أزرهم النفوذ السياسي للدولتين المسيحيتين المجاورتين لجزيرة العرب، الدولة الرمانية في الشمال والدولة الحبشية في الجنوب.

وكان من وسائل التبشير: الطب، وفي تواريخ الكنيسة ما ينسب إلى نشاط القديسين في هذا الجانب مثل: علاج الراهب مارايشو عزخا للنعمان ملك الحيرة كما نصر القديس أفتحيوس جمعان الأغراب يفضل مهارته الطبية.

كما أنشأ النصارى الأديرة فكانت ملاجئ يرتاح فيها التجار من وعساء السفر وفرصة المبشرين للدعوة، وقد تأثر بعض العرب بهذه الأديرة فيذكر أهل الأطار: أن إياس بن قبصية أحد ملوك الحيرة بني دير عرف به، ومن أشهر الأديرة: دير حنة، حنظلة اللج ومارت مريم وهند الهند الكبرى وعبد المسيح وكلها بالحيرة، ودير الرُّها بين المرحل ودمشق.

٣- التجارة:

كان النصارى حريصين على التبشير من نبيهم مع تجارتهم، كما دخلت النصرانية الجزيرة العربية مع تجارة الرقيق من الجنسين.

أما عن الوجود النصراني فظهر في الأماكن التالية:

١- بلاد الشام: قامت علاقة وطيدة بين الغساسنة والدولة الرومانية والنصرانية، حيث اتخذ الروم الغساسنة حراسًا لحدودهم الشرقية ضد غارات البدو من ناحية وفي حروبهم ضد الفرس وحلفائهم العرب المناذرة من ناحية أخرى، وبعد ظهور الإسلام وقف الغساسنة بجانب الروم في حروبهم ضد المسلمين بجانب قبائل عاملة ولخم وجذام المتنصرة، وأصبحت بلاد الشام قاعدة إنطلاق النصرانية في الجزيرة العربية وانتشرت النصرانية في قبائل العرب مثل تغلب وقضاعة بهراء وسليم وإياد وطيء.

٢- بلاد العراق: لم تكن النصرانية في بلاد العراق كبلاد الشام، وتعد الحيرة من أهم مراكز النصرانية وأول من تنصر من ملوكها امرئ القيس الأول، فزادت نفوذ النصرانية وزادت الأديرة بين عرب الحيرة وانتشرت بين قبائلها ومنها قبيلة ربيعة وتنوخ وكندة.

٣- بلاد اليمن: تعد نجران من أهم المراكز النصرانية في اليمن وكان للأحباش وبين بحيرة في ترخ النصرانية في بلاد اليمن، ولما ملك أبرهة اليمن بنى كنيسة وسماها القليس ليصرف العرب عن الحج إلى الكعبة بمكة المكرمة مما أثار بعض العرب واسمه نفيل الخثعمي فخرج حتى أتى القليس فأحدث فيها (نجاسة)، فغضب إبرهة غضبًا شديدًا دفعه إلى أن يُسِّير حملة عظيمة على مكة وهزيمة كل من يقف أمامه من قبائل العرب وفي هذا نزل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ بِٱلْحَقِّ .....﴾[1] السورة.

(١) الفيل: ١ – ٢.

٤- بلاد الحجاز: وجدت في مكة جالية من النصارى الروم بجانب بعض العرب الذين تنصروا ومنهم ورقة بن نوفل، وعثمان بن الحويرث، وعبد الله بن جحش، وطائفة الأحابيش وهم بنوا الحارث وبنوا المصطلق تحالفوا فيما بينهم على أن يكونوا يدا واحدة، وكانوا يملئون شعاب مكة وأحياءها وكانوا يجيدون القتال والأعمال الشاقة بالإضافة إلى بعض الموالي مثل فسطاس مولى صنوان بن أمية ويوحنا مول صهيب بن سنان، وفي الطائف كان عداس من نينوى أما يثرب فلم يكن للنصرانية انتشار فيها بالإضافة إلى تلك البلاد ظهرت النصرانية.

٥- البحرين: بنو عبد القيس واليمامة ودومة الجندل وأيلة ووادي القرى ومعان وتبوك وانتشرت في قبيلة تميم.

أشهر المذاهب النصرانية في الجزيرة العربية:

١- المذهب النسطوري: وكان شائعًا بين المناذرة في الحيرة بالعراق، وينسب هذا إلى بطريرك القسطنطينية ٤٣١م وينادي بأن مريم لم تلد إلها وإنما إنسانا وجاء اللاهوت لعيسى بعد ولادته.

٢- المذهب اليعقوبي: نسبه إلى يعقوب البرادعي، والعاقبة منه هي السريان الأرثوذكسي شاع بين الغساسنة وفي بلاد الشام ويقوم هذا المذهب على الإيمان بأن المسيح ذو وطبيعة واحدة.

وقد وفدت على جزيرة العرب كثير من الأفكار النصرانية الأخرى كالقول بألوهية مريم وقد عرف أصحاب ذلك (بالكليويين).

ونختم بالقول بأن النصرانية اقترحت بالوثنية العربية حيث أصحاب النصرانية

كثير من مظاهر الانحراف، ولم يظهر أثر النصرانية على العرب إلا في جوانب محدودة قبل الإنتاج عن الزواج والرهبنة، وأكل لحم الخنزير وعبادة الصليب وعبادة الأب والرهبان. كما سنتاول ذلك بالتفصيل في موضع آخر.

٤- الوثنية:

التعريف: الوثن هو ماله صورة كصورة الإنسان، ذو جثة معلولة من جواهر الأرض أو الحجارة، أو الخشب.

والوثن في اللغة يطلق على معان كثيرة منها:

- الشيء المقيم الراكد الثابت الدائم يقال: وثن الماء إذا ركد ورام.
- الصنم.

أما في الاصطلاح فالوثنية هي: عبادة الأصنام.

النشأة: نشأت الوثنية قديمًا فكانت رسالة نوح ﷺ وهو أول الرسل الذين أرسلهم الله تعالى لتصحيح المسيرة الإنسانية التي انحرفت عن التوحيد الذي نزل به آدم ﷺ، ومع تقادم الزمن وطول الأمد طرأت الوثنية وكان لظهورها سبب دلت عليه النصوص القرآنية والنبوية قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[1] ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ إلى قوله تعالى:.... ﴿وَقَدْ

(١) الأعراف: ٥٩.

أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴾(1) عن ابن عباس رضي الله عنهما: صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد، أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع فكانت لهذيل وأما يغوث فكانت لمراد ثم بني غطيف بالجرف عن سبأ، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع(2) أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قولهم أن انصُبوا، وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت» رواه البخاري.

دخول الوثنية إلى الجزيرة العربية:

دخلت الوثنية إلى الجزيرة العربية بمجاورة العرب لأهل الملل والأديان المجاورة لاسيما بلاد الشام وفارس.

---

(1) نوح:١- ٢٤.

(2) أقوال العلماء في تعريف الصنم:

الصنم:

١- ما اتخذ إلها من دون الله تعالى: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

٢- ما كان له جسم وصورة. ٣- أو العكس. ٤- أو المتخذ من الجواهر المعدنية.

الوثنية:

١- ما لم يكن له جسم وصورة.

٢- أو العكس.

٣- أو المتخذ من الحجر والخشب.

وقد قال: ﴿إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [العنكبوت: ٢٥].

النصب: الحجارة التي تذبح عليها القرابين ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ [المائدة: ٣].

والصواب:

أنه لا فرق يبين الأصنام والأوثانمن المذكورتان جاءتا على لسان إبراهيم عليه السلام.

فدل ذلك على أن ما دعا إليه إبراهيم من اجتناب عبادة الأصنام هو نفسه الذي اتخذه قومه من الأوثان.

وأول من أدخل الأصنام عمرو بن لحيي وهو أول من غَيَّر دين إسماعيل فنصب الأوثان، فقد خرج عمرو من مكة إلى الشام فلما قدم من أرض البلقاء، وبها يومئذ العماليق رآهم يعبدون الأصنام فقال لهم: ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدون؟ قالوا له: هذه أصنام نعبدها فنستمطرها فتمطرنا، ونستنصرها فتنصرنا، فقال لهم: أفلا تعطوني منها صنما فأسير به إلى أرض العرب فيعبدوه؟ فأعطوه صنما يقال له: هبل، فقدم به مكة فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه، وقد كان عمرو بن لحيي يتمتع بمكانة عظيمة عند العرب لأنه كان يطعم الطعام ويكسو في الموسم لذا كان قوله وفعله كالشرع المتبع.

٥- أصنام العرب:

شاعت الأصنام عند العرب شيوعًا كبيرًا فلم يخل بيت من صنم يعبد يلتمس نفعه ويدفع ضره، وكانت صناعة الأصنام تجارة رائجة فكانت الأصنام تباع في الأسواق في مكة وغيرها وحسبنا أن نعلم أن النبي ﷺ دخل مكة يوم الفتح. وحول البيت ستون وثلثمائة نصب.

ومن أشهر الأصنام ما يلي:

- ود: تمثال رجل عظيم، عليه حلتان، متزر بحلة، ومرتد بأخرى، وعليه سيف قد تقلده، وقوسا قد تنكبه، وبين يديه حربة فيها لواء، وجعبة سهام فيها نبل.
- سواع: عبدته بنو كنانة وهذيل ومزينة وعمرو بن قيس.
- يغوث: كان بأرض اليمن.
- يعوق: عبدته هَمْدان باليمن.

- نسر: عبدته ذو القلاع من حمير باليمن.
- ذو الخُلصة: عبدته خثعم وباهلة وبجبلية وروس، وكان نيانه في (تبالة) بين مكة واليمن.
- ذو الكفين: كان لدوس.

أما أصنام قريش خاصة فأعظمها عندهم:

- **اللات:** صخرة مربعة، وكان سدنتها من ثقيف.
- **العزى:** أعظم الأصنام عند قريش وسدنتها بنو شيبان من بني سليم.
- **مناة:** كانت منصوبة على ساحل البحر، وكانت معظمة عند الأوس والخزرج يحلقون رؤوسهم عندها ويذهبون إليها عند حجهم.
- **هبل:** من أعظم أصنام العرب وكان من العتيق الأجر على صورة إنسان مكسور اليد اليمنى، فجعلت له قريش يدا من ذهب وكان في جوف الكعبة قدامة سبعة أقداح يستقسمون بها عنده إن أرادوا شيئًا.
- إساف ونائلة.

العقائد الوثنية:

أ- عقيدتهم في الله تعالى:

توضح لنا آيات القرآن الكريم طبيعة العرب في الإيمان على النحو التالي:

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾[2]، وقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[3]، وقوله ﷻ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[4]، وقوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾[5]، وقوله: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾[6].

ب- الإيمان باليوم الآخر:

﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾[7]، وقوله تعالى: ﴿وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾[8]، وقوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾[9]، وقوله: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ

(١) الزمر: ٣.
(٢) يونس: ١٨.
(٣) الزخرف: ٨٧.
(٤) العنكبوت: ٦١.
(٥) يوسف: ١٠٦.
(٦) يس: ٧٤.
(٧) النحل: ٣٨.
(٨) هود: ٧.
(٩) النمل: ٦٧ – ٦٨.

مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ﴿٧٨﴾ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ
﴿٧٩﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارٗا فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ
شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾[(١)].

قال مجاهد وعكرمة وعروة بن الزبير والدى وقتادة: جاء أُبيّ بن خلف لعنة الله إلى رسول الله ﷺ وفي يده عظم رميم وهو يفته ويذروه في الهواء وهو يقول: يا محمد أتزعم أن الله يبعث هذا؟ قال ﷺ: «نعم يميتك الله تعالى ثم يبعثك ثم يحشرك إلى النار».

دلت عقيدتهم في إنكارهم للبعث أنهم عاشوا لدنياهم ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ﴾[(٢)]، فكان أهل الجاهلية يقفون بعد قضاء مناسكهم ويقولون اللهم أرزقنا إبلا، اللهم أرزقنا غنما.

عبادتهم:

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمۡ عِندَ ٱلۡبَيۡتِ إِلَّا مُكَآءٗ وَتَصۡدِيَةٗ﴾[(٣)] أي ما كان دعاؤهم أو ما يسمونه صلاة إلا أنهم كانوا يصغرون بألسنتهم، ويصفقون بأيديهم ويضعون خدودهم على الأرض وكانت تشيع بين العرب صفات البذل والسخاء والكرم، وكان الصيام عندهم إمساك عن الكلام وهو الصمت طول النهار، وقد حجت امرأة مصمته فقال لها أبو بكر تكلمي فإن هذا لا يحل هذان عمل الجاهلية

(١) يس: ٧٨ - ٨٣.
(٢) البقرة: ٢٠٠.
(٣) الأنفال: ٣٥.

فتكلمت، رواه البخاري وروي أيضًا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينا النبي ﷺ يخطب إذا هو برجل قائم، فسأل عنه فقالوا أبو إسرائيل نذر أن يقوم ولا يباع ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم فقال النبي: مره فيتكلم وليستظل وليقعد وليتم صومه كما كانت قريش تصوم عاشوراء، وكانوا يختلفون فيه بكسوتهم للكعبة ويرون أن الله لا يقبل عملهم إلا وهم صائمون.

أما الحج فكان العرب إذا أردوا الحج تقلدوا قلادة من شعرهم، وكانوا يشركون في التلبية ويطوفون بالبيت سبعا ويمسحون البحر الأسود وكان الحمس يطوفون بالكعبة بثيابهم، ويطوف غيرهم عراة، إلا أن يمنحهم الحمس ثوبًا، ويسعون بين الصفا والمروة ويتمسحون بإساف ونائلة، ويقفون بمعرفة يوم التاسع من ذي الحجة، وكانت قريش ومن دان بدينهم تقف بالمشعر الحرام بالمزدلفة، ولا تذهب إلى عرفة كسائر العرب، الذين كانوا يدفعون من عرفة قبل الغروب، ويبتون بالمزدلفة ثم ينزلون بمنى ويرمون الحجارة وينحرون ويحلقون ثم يطوفون بالبيت ثم يحلون.

وكان الإعتكاف معروفا عند العرب سواء في المسجد الحرام أم في غيره في غار حراء ونحوه.

ولقد أمر سول الله ﷺ حمر الوفاء ينذره حين قال لم: يا رسول الله إني نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام، قال: «أوف بنذرك» رواه مسلم.

وكان العرب في عبادتهم يواظبون على بعض الشعائر مثل:

الطواف حول الأقسام والأنصاب، والنذر لها، وتقديم الذبائح والقرابين لها لاسيما في شهر رجب ويعرف بالترحيب، ومن ذبائحهم الفرع: أول نتاج الإبل والغنم،

والبحيرة: الناقة إذا نتجت خمسة أبطة نظروا إلى الخامس فإن كان ذكرا ذبحوه، فأكله الرجال دون النساء، وإن كان أنثى جدعوا أي شقوا أذنها وجعلوها لآلهتهم وقالوا هذه بحيرة.

والسائبة: الناقة إذا ولدت عشر إناث ليس بينهم سُيِّبَتَ فلم تركب ولم يجر ويرها ولم يحلب لبنها إلا لضيف.

والوصيلة: الشاة إذا ولدت عشر إناث في خمسة أبطن توأمين في كل بطن سميت وصيلة وتركت فما ولدت بعد ذلك من ذكر أو أنثى جعل للذكور دون الإناث، وإن كان ميتة اشتركوا فيه ﴿وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾[1] الحام: فحل الإبل يضرب الضراب المعدود أي ينكح الناقة والنوق عددا محدداً فإذا قضى ضرابه دعوه لأصنامهم وأعفوه من الحمل فلم يحمل عليه شيء وسموه الحامي. وفي القرآن الكريم ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ۙ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[2].

كما كان العرب يستسقمون بالأزلام من أجل معرفة الغيب واستقبال الأمر ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[3].

---

(١) الأنعام: ١٣٩.

(٢) المائدة: ١٠٣.

(٣) المائدة: ٩٠.

ويحلقون بالأصنام ويتسمون بأسمائها ويعظمونها ويقسمون بها إلا الحائض، ويقيمون لها الأعياد.

عبادة الأرواح:(١)

كان العربي يؤمن بوجود قوى روحية كامنة في بعض الموجودات وعبادة الأرواح برزت في أشكال متعددة منها:

- **الشامانية**: الكاهن الذي يعتقد فيه أنه يملك قوة خفية تمكنه من الاتصال بالأرواح وبما وراء الطبيعة للتأثير فيها(٢).
- **الطوطمية**: حيوان أو نبات يعتقد فيه قوة روحية خفية، فتطلق على كل أصل

(١) الروح: التي بها حياة الشيء ولا تقبض إلا عند موته، والروحاني يقابل الجسماني، والإنسان روح وجسم.

(٢) الكهانة: تعاطي الكاهن الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان يقول النووي: كانت الكهانة في العرب ثلاثة أضرب:

أحدها: يكون للإنسان رئي من الجن يخبره بما يتركه من السماء، وهذا القسم بطل من حيث بعثة النبيﷺ.

والثاني: أن يكون للإنسان رئي من الجن يخبره بما يطرأ أو يكون في أقطار الأرض، وما خفي عنه مما قرب أو بعد، وهذا لا يبعد وجوده.

والثالث: المنجمون وهذا الضرب الكذب فيه أغلب.

وقد كان الناس يفزعون إلى الكهان لاستشارتهم في جميع أمورهم الخطيرة ومن أشهر من عرف به الكهانة إسلمة الكاهن وطريقة الكاهن وقد رد القرآن على من نسب الكهانة إلى رسول الله ﷺ قال تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾ [الطور: ٢٩].

وحرم الإسلام حلوان الكاهن أي ما يعطاه من أجر وشبه الرسول بالشيء الحلو الذي يأخذه الكاهن سهلًا دون تكلفة ومما يتعلق بالكهانة العرافة فالأولى بواسطة تابع والأخرى على سبيل التنبؤ والإستنتاج ومن أهش العرافين الأبلق الأزدي ورياح بن عجلة عراف اليمامة.

حيواني أو نباتي أو جمادي تتخذه عشيرة -ما- رمزًا ولقبا لجميع أفرادها.[1]

- الفسّية: السحر الذي يقوم على تقديس بعض الأشياء باعتبار أن بها قوة سحرية ملتصقة بها على الدوام، وقد اشتغل به اليهود في الجزيرة.[2]
- عبادة المظاهر الطبيعية: الاعتقاد بوجود أرواح لها تأثير فعال في كل الكائنات الطبيعية.

رابعًا: الإسلاف: تمجيد الأبطال والزعماء وتقديسهم واتخاذ القباب على المقابر وتزمنها وكسوتها وقصد القبور والترك بها والعقر عليها.[3]

---

(١) وتتمثل الطومية في كثير من مظاهر الحياة الجاهلية ومنها:
أسماء الأفراد والقبائل: (حنظلة، صخر، فهد، بنو أسد، بنو كلب) واستصحاب الطوطم في الحروب، وتقديس بعض الأسماء وقصة ذات أنواط. جاءت في السيرة النبوية أن الحارث بن مالك قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى جنين ونحن حديثو عهد بالجاهلية قال نسرنا معه إلى حنين قال، وكانت كنار قريش ومن سواهم من العرب لهم شجرة عظيمة خضراء يقال لها (ذات أنواط) يأتونها كل سنة فيعلقون أسلحتهم عليها ويذبحون عندها، ويعكفون عليها يوما قال فرأينا ونحن نسير مع رسول الله سدرة خضراء عظيمة قال: فتنادينا من حينات الطريق: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، قال رسول الله ﷺ: الله أكبر قلتم والذي نفس محمد بيده كما قال قوم موسى لموسى ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨] وقد قطع عمر شجرة بيعة الرضوان عام الحديبية حين بلغه أن الناس يأتونها ويصلون عندها.

(٢) كما استغل بالسحر بعض العرب، وقد استخدم السحر للعلاج من الأمراض أو التأثير على قلب الرجل. أو التفريق بينه وبين امرأته أو إشعال نار الغضب في النفوس أو إخراج الجن من المجانين ومن الطرائق التي أشار إليها القرآن.
﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ﴾ [الفلق: ٤] أي من شر السواحر اللاتي ينفثن في عقد الخيط حين يرقين عليها.

(٣) واتخاذ حمى لها لا يسلكه راكب أو ماشي ولا ترعى فيه ماشية ولعل تشديد الإسلام في مسألة العشور والأمر بتسويتها والنهي عن البناء عليها واتخاذها مساجد والنهي عن التربح عليها يدل على ما كان عليه أهل الجاهلية من تقديس للآباء والأجداد وكل من له مكانة عندهم.

عبادة الجن والملائكة:

أما الجن عند أهل الجاهلية فمراتب، فإذا ذكروا الجن خالصًا قالوا جني، وإذا أسكن مع الناس قالوا عامر، وإن كان مما يعرض للعبيان قالوا أرواح فإن خبث قالوا شيطان فإن زاد على ذلك فهو به رد، فإن زاد على ذلك وقوى أمره فهو عفريت فإذا طهر ولطف وصار خيرًا كله فهو ملك.

أهم مواطنهم:

الأماكن الموحشة المظلمة، والأماكن التي لا يسكنها أحد ولا يمشي فيها إنسان (نادرًا، والمقابر وقد زعمت العرب أن بعض الأماكن مساكن للجن منها:

قربار ويبرين وعبقر وديار ثمود، ويلاحظ أنها أماكن صحراوية في عقر البادية أو في الأماكن التي باد سكانها ومن العرب الذي عبدوا الجن بنو مليح من خزاعة، وهم شر ذمه قليلون من أهل البوادي.

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾[1].

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[2]. ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ

(١) سبأ: ٤٠ – ٤١.

(٢) الأنعام: ١٠٠.

خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾[1]. وسبب العبادة يرجع إلى الخوف ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾[2].

ومما يروى أن العرب كانوا إذا نزلوا واديا ليلا خافوا عيش الجن يرفع أحدهم صوته «إنا عائذون بسيد هذا الوادي» فلا يؤذيهم أحد وتصير لهم الحفاوة بزعمهم. كما كانت لهم استعانة بالجن على زعم أنهم يعرفون الغيب ﴿ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ﴾[3]. وقد حاك العرب أساطير كثيرة حول الجن، فصوروها ضربا من الحيات وأنها نبات الجن، وأن الجن تحل في بعض الحيوان مثل القنفذ، واعتقدوا أن للجن صوتا سموه الأتف، به تنقل الأخبار، واعتقدوا إمكان الأرواح من الجن، وزعموا أن عمر بن يربوع الحنظلي التميمي كان متزوجان الغول وله فيها بنون، وأن الجن يتألف من عشائر وكبائر وهم مثل البشر وإلى الجن يتسبب كثير من الأمراض والأوبئة مثل الطاعون والجنون.

كان لدى العرب وسائل للوقاية من أذى الجن منها:

- التغير أي اتخاذ ما ينفر ويقزز ويعلق على الصبي خوف الخطفة والنظرة، ومما ينفر الأقذار وعظام الموتى، ومن طريف ما يمكن أن امرأة نجست ولدها فمات فقالت:

نجسته لا ينفع التنجيس ... والموت لا تفوته النفوس

- أو يسمي العرب أولادهم بأسماء بعض الحيوانات.

(1) الأنعام: ١٢٨.
(2) الجن: ٦.
(3) الجن: ٩.

الاستعاذة بالجن:

وكان أول من تعوذ قومه من أهل اليمن ثم من بني حنيفة ثم نشأ ذلك في العرب فلما جاء الإسلام عاذوا بالله وتركوهم ومن صور الاستعاذة: أن الرجل كان إذا أراد دخول قرية فخاف أمرها أو جنها وقف على بابها قبل أن يدخلها فنهق نهيق الحمار ثم علق عليه كعب أرنب كأن ذلك رقية من الرباء والجن.

الذبح للجن:

لاسيما إذا اشترى الرجل دارا أو بنى بنيانا ذبح ذبيحة عرفت بـ (ذبائح الجن).

النشرة:

كشف الآراء وإزالة مما به مس- الجن بضرب من الرقية وهي من عمل الشطان.

الرقية:

قراءة شيء على المريض ثم النفث عليه، أو يحمل شيء مكتوب، ومما حفظته لنا كتب الأرب في إسناد نار الجن (هدابه هدابه، البرق والسحابة، أخذته تمركن، تخطبه تمكن أخذته بإبره فلا يزال في عبرة، جلبته بأرشفي فقلبه لا يهدا جلبته بمبرد فقلبه لا يبرد).

العزيمة:

نوع من الرقي يعزم بها على الجن والأرواح: أي يقسم عليهم.

التمائم:

خرز تنظيم وتعقد في العنق ومنها سن التغلب، والهرة (القطة) ومن الخزرات في استجلات عطف الرجال: التولة، والتنجلب، والدرديس والقبلة، والعُقرة، والخصيمة والكَحْله. وفي الحديث «من علق قيمة فلا أتم الله له، ومن علق ودعه فلا ودع الله له».

ويقول أبو ذؤيب:

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل غيمة لا تنفع

عبادة الملائكة: فقد زعموا أنها إناث ﴿لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ﴾[1]، وأنها بنات الله ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا﴾[2]، ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ﴾[3].

(١) النجم: ٢٧.

(٢) الصافات: ١٥٨.

(٣) الصافات: ١٤٩.

خلاصة الوحدة

نخلص من دراسة هذه الوحدة إلى ما يلي:

(١) الحنفاء هم الباحثون عن الحقيقة الذين اعتزلوا عبادة الأصنام، ورأوا أن قومهم أخطأوا دين إبراهيم، ومن أشهرهم: زيد بن عمرو بن نفيل.

(٢) آمن بعض العرب باليهودية، حيث كان الوجود اليهودي مركزًا في منطقتين: بلاد اليمن وبلاد الحجاز (المدية المنورة) ومن أشهر البطون اليهودية: بنو مريد، وبنو معاوية، وبنو ثعلبة وقد برزت مظاهر التأثر والتأثير بين العرب واليهود في مجالات متعددة.

(٣) اعتنق بعض العرب النصرانية، حيث كان الوجود النصراني في فلسطين العربية ومنه انتقل على الجزيرة العربية حيث كانت دولة الغساسنة في الشام ودولة المناذرة في العراق على أطراف الجزيرة بالإضافة إلى عوامل التبشير النصرانية والتجارة فزاد نشاط النصارى واعتنقت قبائل عربية النصرانية مثل تغلب وعاملة ولخم وجزام وقضاعة وربيعة وتنوخ وكندة وفي بلاد اليمن والبحرين ووصلت النصرانية مكة ومن أشهر من دان بها ورقة بن نوفل.

(٤) الوثنية: هي عبادة الأصنام وقد ظهرت قديمًا قبل رسالة نوح عليه السلام، وأول من أدخل الأصنام عمرو بن لحى، وهو أول من غير دين إسماعيل، وقد شاعت الأصنام عند العرب شيوعًا كبيرًا، فلم يخل بيت من صنم يُعبد، يلتمس نفعه، ويدفع ضره.

(٥) من أشهر الأصنام: وسواع، ويعوث، ويعوق، ونسر، وأعظم أصنام قريش: اللت والعزى ومناة وهبل، واتخذ العرب تلك الأصنام آلهة من دون الله،

وقصدوها بالعبادة والتعظيم.

(٦) كان العربي يـؤمن بوجـود قـوى روحيـة كائنـة في بعـض الموجـودات، وعبـادة الأرواح برزت في أشكال متعددة منها: الكهانة (الشـامانية)، والطوطميـة (كـل أصل حيواني أو نباتي يتجه إليه بالعبادة)، الفتشية (السحر) عبادة المـوتى، عبـادة الجن والملائكة، ومنهم من أسند الحوادث إلى الدهر وقـالوا: مـا هـي إلّا حياتنـا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلّا الدهر، ومـا لهـم بـذلك مـن علـم إن هـم إلّا يظنون.

أسئلة التقويم الذاتي

أولاً: أسئلة المقال:

س١: من هم الحنفاء؟ وما سيرة أشهرهم؟

س٢: هل حافظت اليهودية على شريعة موسى؟ وما أبرز أماكن الوجود اليهودي في الجزيرة العربية؟

س٣: ما مظاهر التأثر بين اليهود والعرب؟

س٤: ما مظاهر التأثير بين اليهود والعرب؟

س٥: اذكر أهم العوامل التي ساعدت على انتشار النصرانية في الجزيرة العربية.

س٦: شاعت الأصنام عند العرب شيوعًا كبيرًا. اشرح تلك العرب.

س٧: تحدث عن العقائد والعبادات الوثنية في الجزيرة العربية.

س٨: اذكر أبرز أشكال عبادة الأرواح إجمالًا.

س٩: ماذا تعرف عن الكهانة عند العرب؟

س١٠: تحدث عن عبادة الجن، وعلاقة العربي بالجن.

ثانياً: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة «✓» أمام العبارة الصحيحة، وعلامة «✗» أمام العبارة الخاطئة:

١- من أشهر الحنفاء ورقة بن نوفل. ( )

٢- أول من أدخل الأصنام عمرو بن لحى. ( )

٣- من الذين آمنوا بالنصرانية زيد بن عمرو بن نفيل. ( )

ثالثاً: أسئلة الاختيار من متعدد:

اختر الإجابة الصحيحة مما بين القوسين:

١- الحنفاء هم الذين (آمنوا بالنصرانية – اعتزلوا عبادة الأصنام).

٢- تركز الوجود اليهودي في (مكة المكرمة – المدينة المنورة).

٣- من أشهر أصنام قريش (سواع – هبل).

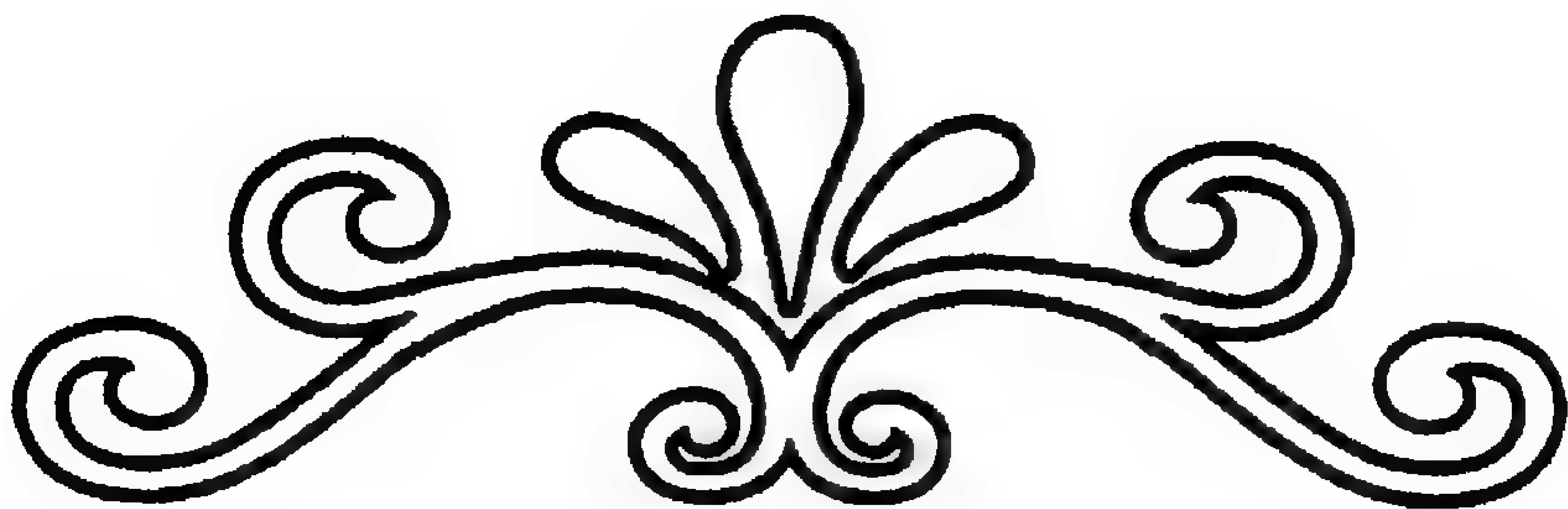
النشاط التعليمي للوحدة التاسعة

عزيزي الدارس:

حتى تكتسب المزيد من المعلومات حول الموضوعات الـواردة في هـذه الوحـدة عليـك أن تقـوم بإنجـاز النشاط التعليمي التالي:

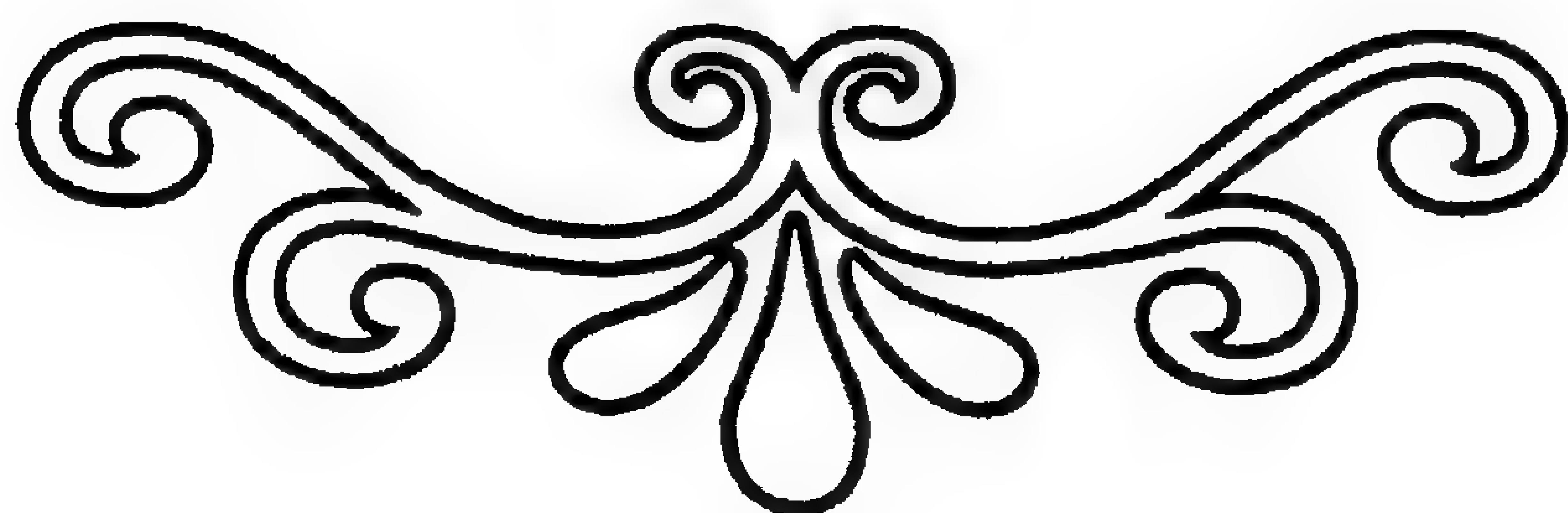
اكتب بحثًا في:

- مكانة المرأة في الجاهلية.



الوحدة العاشرة

الأديان الوضعية قبل الإسلام



محتويات الوحدة العاشرة

- أديان الفرس.
- أديان الهند.
- أديان الصين.
- أديان اليونان.
- أديان المصريين القدماء.



أهمية دراسة الوحدة:

عزيزي الدارس: تبرز أهمية دراسة هذه الوحدة من خلال تناولها لجملة من الأديان الوضعية في بلاد الشرق وفي بلاد الغرب، فتدرس أديان بلاد فارس والهند والصين ومصر كما تدرس أديان بلاد اليونان، ولعلنا في صفحات تلك الوحدة نُدرك فشل الإنسان بعيدًا عن الوحي الإلهي في إيجاد دين صحيح، يُقيم العدل ويُقرر المساواة، فالأديان الوضعية – في جملتها – دعوة إلى الطبقية، وصورة من صور الخرافة والوثنية.

والمسلم حين يُطالع تلك الأديان لا يملك سوى شكر الرحمن، الذي هداه للإيمان.

الأهداف التعليمية:



عزيزي الدارس: يُرجى منك بعد دراستك لهذه الوحدة أن تكون قادرًا على أن:

١- تُعرِّف أديان الفرس.
٢- تُعرِّف أديان الهند.
٣- تُعرِّف أديان الصين.
٤- تُعرِّف أديان اليونان.
٥- تُعرِّف أديان المصريين القدماء.

أولاً: أديان الفرس:

انحرفت فارس عن عبادة الله تعالى التي أرسل بها رسله، وكانت المجوسية أو المثونية هي العبادة السائدة التي تقوم على الإيمان بإله للنور وإله للظلام، ومسائل المجوس تدور على قاعدتين:

إحداهما: بيان سبب امتزاج النور بالظلمة (المبدأ).

الأخرى: سبب خلاص النور من الظلمة. (المعاد).

لقد اعتقدت فارس في إلهين أصليين اثنين مدبرين قديمين خالقين تقسمان الخير والشر يسمون أحدهما النور (يزدان) والآخر الظلمة (أهرمن) بامتزاجهما نشأ الكون، وبإفتراقهما ينتهي.

وقد انتشرت في فارس مذاهب دينينة متعددة منها:

١- **الزرادشتية:** نسبة إلى زرادشت بن يورشب الذي عاش في القرن السادس قبل الميلاد، ت ٥٨٣ ق. م، وهو شخصية رئيسية في الجانب الديني الفارسي القديم، وقد اختلف الباحثون حولها اختلافًا كبيرًا، لكن الشاهد أن طبيعة مذهبه الديني في تلك الفترة التي سبقت ظهور الإسلام قد انحرفت انحرافا كبيرا حيث قدست النار واتخذت قبلة، وبنيت لها الهياكل والمعابد، ولما أمر زرادشت بعدم تدنيس العناصر الأربعة: النار والهواء والتراب والماء، فمن الطريف أن إنتاجه حتى اليوم عندما يموت أحدهم لا يحرقونه لأن النار مقدسة، مع اعتقادهم بنجاسة الجسد، ولا يلقونه في الماء حتى لا يدنس، ولا يدفنونه في التراب مخافة تدنيسها فهي مصدر أرزاقهم وأقواتهم ولا يجوز أن تودع في بطنها تلك الجثث الملوثة.

من أجل ذلك يضعون أجسادهم حين الموت على قمم أبراج عالية (أبراج الصمت) وتحمل هذه الجثث نهارا على نعوش من حديد ثم تلقى فيها لتأكلها الطيور، ويقوم بهذا العمل طائفة معينة.

٢- المانوية: أصحاب ماني بن فاتك الذي ظهر في القرن الثالث الميلادي، أحدث دينا بين المجوسية والنصرانية، وكان ظهوره رد فعل عنيف للحياة الماجنة في المجتمع الفارسي، وحاول أن يستعجل فناء العالم وتخليص النور من الظلام ورجوع كل شيء إلى أصله؛ فدعا إلى تحريم النكاح وقطع النسل؛ فحرض الكهنة بهرام الأول على قتله نحو سنة ٢٧٧م، فقتله بهرام قائلًا:

«إن هذا خرج داعيًا إلى تخريب العالم فالواجب أن يبدأ بتخريب نفسه قبل أن يتهيأ له شيء من مراده، ولكن تعاليمه لم تمت بموته، بل عاشت إلى ما بعد الفتح الإسلامي، وزعم أبو سعيد المانوي من رؤساء المانوية سنة ٢٧١هـ (القرن الثالث الهجري) أن مدة المراج (بين النور والظلمة) اثنتا عشرة ألف سنة، مضى منها أحد عشر ألفًا وسبعمائة سنة، وأن الذي بقي إلى وقت الخلاص ثلاثمائة سنة!!! ».

٣- المزدكية: أصحاب مزدك الذي ظهر في القرن الخامس والسادس الميلاديين وكانت دعوته رد فعل لدعوى ماني، وأعاد الزرادشتية، وكان ينهي الناس عن المخالفة والمباغضة والقتال، ولما كان أكثر ذلك إنما يقع بسبب النساء والأموال، فأحل النساء وأباح الأموال، وجعل الناس شركة فيها كاشتراكهم في الماء والنار والكلأ، وحظيت هذه الدعوة بقبول عام وخاص في المجتمع الفارسي حتى انقسمت فارس (إيران) كلها في فوضى جنسية وصار الرجل لا يعرف ولده، ولا المولود أباه وفسد الحياة حتى قام كسرى أنو شردان بقتل مزدك سنة ٥٢٩م تقريبا.

خلاصة القول: أن الدين الفارسي في أشكاله المختلفة ومذاهبه المتعددة لم ينجح في صياغة الحياة الفارسية بشكل جيد بقبول، فقد فشل في إيجاد نظام للأسرة، ودستور للأمة، وأصبح أهل فارس لا فرق بينهم دين الوثنيين والإباحيين في الأخلاق والأعمال!

ثانيًا: أديان الهند:

كانت الهند من مستهل القرن السادس الميلادي تساهم مع جاراتها في الانحراف الديني والتدهور الأخلاقي والاجتماعي الذي عمَّ العالم قبل ظهور الإسلام، وامتازت الحياة الهندية عن غيرها بالآلهة الكثيرة التي لا نظير لها والشهوة الجنسية الجامحة ونظام الطبقات المقدس الجائر.

١- أما عن تعد الآلهة فقد أصبح كل شيء في الحياة إلهًا يعبد، وارتقت صناعة نحت التماثيل في ذلك العصر وعكفت كل الطبقات على عبادة الأصنام التي تختلف قيمتها بما يتناسب مع إمكانات المشترين، فالآلهة في الأسواق تباع ويفاصل في أثمانها إلى اليوم في جميع البلاد، والمعتقدات الهندية في الهند وإندونسيا وماليزيا وسنغافورة.. ولكل شخص الحق في اختيار صنمه ومن أعظم العبودات في بلاد الهند (البقرة) وفي الكتب المقدسة (الويدات) حديث عن قدسية البقرة والصلاة لها، ومن الطريف أن أعظم شخصية هندية معاصرة وهو المهاغا غاندي عندما يرى بقرة لا يعدها حيوانا لأنه يعبد البقرة وسيدافع عن عبادتها أمام العالم أجمع ويذكر أن أمه البقرة تفضل أمه الحقيقية من عدة وجوه، فالأم الحقيقية ترضعنا مدة عام أو عامين وتتطلب منا خدمات طول العمر نظير هذا، ولكن أمنا البقرة تمنحنا اللبن دائمًا، ولا تتطلب منا شيئًا مقابل ذلك سوى الطعام العادي، وعندما

تمرض الأمر الحقيقية تكلفنا نفقات باهظة، ولكن أمنا البقرة فلا نخسر لها شيئًا ذات بال، وعندما تموت الأم الحقيقة تتكلف جنازتها مبالغ طائلة، وعندما تموت أمنا البقرة تعود علينا بالنفع كما كانت تفعل وهي حية، لأننا ننتفع بكل جزء من جسمها حتى العظم والجلد والقرون.

ويمضي غاندي قائلًا:

«أنا لا أقول هذا لأقلل من قيمة الأم، ولكن لأبين السبب الذي دعاني لعبادة البقرة، إن ملايين الهنود يتجهون للبقرة بالعبادة والإجلال، وأنا أجد نفسي واحدا من هؤلاء الملايين».

٢- أما الشهوة الجنسية الجامحة فلقد ارتبطت بالفكر الديني وتزاوج الآلهة واختلاط الجنسين من الآلهة، إضافة إلى عبادة آلهة التناسل لبعض الآلهة وتصويرها في صورة بشعة واجتماع أهل البلاد عليها من رجال ونساء، ويضاف إلى هذا أن بعض الفرق الدينية دعت إلى عبادة النساء العاريات، وعبادة الرجال العراة، وكانت المعابد أماكن للدعارة بين الكهنة والراهبات والزائرات، وتنافست قصور الأغنياء ي هذا المجون وركوب كل فاحشة، وعمت الخلاعة والفجور الحياة الهندية.

٣- أما نظام الطبقات فقد قسم قانون (منوشاستر) أهل البلاد إلى أربع طبقات على النحو التالي:

الطبقة الأولى طبقة البراهمة: وقد خلقت من فم الإله برهى ولهذه الطبقة امتيازات خاصة لأنهم أفضل الخلق وسادة الأرض وهم طبقة الكهنة ورجال الدين الذين لهم

كل الحقوق وليس عليهم واجبات سوى تقديم النذور للآلهة وأخذ الصدقات وتعليم الكتب المقدسة.

الطبقة الثانية طبقة سزي (الكاشتريا): خلقت من ذراع الإله برهما وساعده فهم رجال الحرب والدفاع عن أمة البلاد الداخل والخارج والتصدق وتقديم النذور مع حراسة الناس.

الطبقة الثالثة (ويش): الذين خلقوا من فخذ الإله برهما، وعليهم القيام بأعمال التجارة والزراعة والرعي.

الطبقة الرابعة طبقة الشودرا: الذين خلقوا من رجل برهما وليس لهم إلا الخدمة فهم طبقة المنبوذيين الذين لا عمل هلم إلا خدمة البراهمة بالإضافة إلى الطبقات الأخرى، وتعد طبقة المنبوذيين أحط من البهائم وأذل من الكلاب وليس لتلك الطبقة حق التملك، وقد جاء في قانون منو **«إذا مدَّ أحد من المنبوذيين إلى برهمي يدا أو عصا ليبطش به قطعت يده.. وإذا همَّ أحد من المنبوذين أن يجالس برهميا فعلى الملك أن يكون إسته وينفيه من البلاد..»**.

إن نظام الطلقات في الفكر الهندي من صنع الإله، وتبعا لهذا فهو نظام مقدسي فلا يجوز لأحد أن يخالفه، أو يحاول تغييره، بل على كل فرد الالتزام به (في الحقوق والواجبات والزواج والتعليم والخدمة والعمل..). ولقد حاولت بعض العقول الهندية الثورة على نظام الطبقات، ففي القرن السادس قبل الميلاد ظهرت الجنية والبوزية كرد فعل لهذا النظام الجائر لكنه العجيب أن المعركة انتهت في نهاية الأمر لقبول نظام الطبقات الهندوسي حيث فشلت الجنية في مقاومتها لهذا النظام واضطرت لقبوله بشكل

- ما- أما البوذية فقد غادرت الهند ثمنا لتلك الثورة، وقد دخلها فيها بعد هـذا النظـام بشكل عملي وإن أنكرته نظريًا.

إن الحياة الهندية ذات طبيعة خاصة يعتقد أصحابها أن الحياة الدنيا تعاسة، والعيش فيها عذاب، ولأن من الخلاص عن طريق الزهد حتى ينمو الإنسـان مـن آلام وجـوده على ظهر هذه الحياة الدنيا!!!

ثالثاً: أديان الصين:

كانت الصين وسائر البلاد الأسيوية عموما في عصر التكوين السياسي، فقد أثـرت بلاد الثبت الواسطة سنة ٦٠٧م، أما الصبية فتعود وحدتها تحت لـواء أسرة سـوى تـم تصيبها الفوضى حتى حكمت أسرة تاريخ الصين من سنة ٦١٨ إلى ٩٠٦م وحملت هذه الأسرة البوذية والكونفوشيوية والطادية (الداوية) إلى اليابان وكوريا، وقد بذلت هـذه الأسرة جهدا كبيرا في إدخال المغول تحت سلطان العين، وضمت إليهـا أراضي واسـعة في وسط آسيا، انتشرت في العين معبودات كثيرة يأتي على قمتها:

أ- **عبادة الآلهة الأسمى:** الإله السقامي الذي كان يعبده الإمبراطـور العينـي وحـده ثانيا عن أفراد الشعب، وهم بدورهم يعبدون الإمبراطور، وقد انتقل ذلك أيضا إلى بلاد اليابان التي انتشرت فيها الداوية وعبادة الشتنتو (عبادة الإمبراطور).

ب- **عبادة الأرواح:** حيث عبد العينون كل شيء له روح أو ما يعتقد أنه رمـز لـذلك، نعبدوا الشمس والقمر والنجوم إلى آخر الكواكب التي في السماء، وعبدوا الجماد والأحجار والأشجار التي في الأرض، كما أخذتها آلهة ذكورًا وإناثا.

ج- **عبادة الأسـلاف:** مـن الآبـاء والأجـداد والأبطـال والراحليـة السـابقين، وقـام

الصينيون بطاعة لوحة ينقش على وجهها اسم الشخص الذي تمثله، ونحفظ هذه اللوحة في دار الأسرة عقب الوفاة ثم تنتقل بعد ذلك إلى هيكل أسلاف القبيلة أو الأسرة وتقدم لها القرابين والطقوس الخاصة.

وقد حملت أسرة تانج على إشاعة السحر والشعوذة لكسب التأييد الشعبي وهي تحمل رعاية وحماية الأديان التالية:

البوذية:

تنسب البوذية إلى أحد أفراد طبقة الكشتريا ويعرف باسم سذهاتا (نموتاما) الذي نشأ في أسرة غنية مترفة لكنه لم يستسلم للشهوات، وحاول أن يصل إلى معرفة سر الكون فودع الحياة الناعمة ولجأ إلى التقشف وألقى بجسمه بين الحرمان لعله يصل إلى غايته لكنه لم يحقق مراده فعاد إلى طعامه وشرابه وكسائه والعناية ببدنه دون أن يعدل عن تفكيره، وبينما كان يمشي وحيدًا مال إلى شجرة في إحدى الغابات؛ طاب له المقام في ظل الشجرة؛ فحدث ما كان يتمناه، وأشرقت عليه أنواع المعرفة وأبصر ينابيع الحياة، وصار يعرف (بوذا) أي العارف المستيقظ والعالم المستنير! يقول عن نفسه: «لما أدركت هذا تحررت من الهوى، تحررت من شرور الكون الأرضي، تحررت من شرور الخطأ، تحررت من شرور الجهل، وتيقظ في التحرر شعور التحرر وشعور عدم تكرار المولد...».

لقد نال بوذا النجاة (البر فانا) وأحدث له الخلاص والوصول إلى أعلى درجات الصفا والروحاني، وإنقاذ نفسه من تكرار المولد (تناسخ الأرواح). ونجح بوذا في نشر دعوته داخل الهند وخارجها فآمن بها الصينيون واليابانيون وكثير من شعوب جنوب شرق آسيا ولا تزال البوزية قائمة حتى اليوم.

تقوم الفلسفة البوذية- مع تطورها- على القواعد التالية:

- لم يعن بوذا بالحديث عن الآله، ويرى بوذا أن الإنسان صانع حياته، وينصح اتباعه بقوله: (لا تعتصموا بملاذ خارجي، ولا تحتموا بغير أنفسكم).
- لقد أهمل بوذا عقيدة الألوهية، لكن اتباعه من بعده اعتقدوا ألوهيته وصار تمثال بوذا إلها يضاف على الآلهة المتعددة في الهند والصين واليابان وبلاد جنوب شرق آسيا في تايلاند وسنغافورة وإندونيسيا وماليزيا ونيبال.. فالبوذية وثنية في مجال العقيدة، ملحدة في جانب الإيمان.
- التخلص من التناسخ وتكرار المولد عن طريق التطهير واتباع الشعب النجاني التي ذكرها بوذا وهي (الاعتقاد- العزم- القول- العمل- العيش- الحمد- الفكر- التأمل) موصوفة بلفظ (الصحيح) أي الاعتقاد الصحيح ولا ندري أي اعتقاد هذا، ينكر الألوهية، أو يتخذ صاحب المذهب إلها بعد وفاته ويضع له تمثالًا، أن يكون اعتقادًا صحيحًا.

البوذية ثورة على الهندوسية، وليس فيها إلا كاهن معلم له وظيفة الوعظ والإرشاد فقط، والبوذية سلبية بكل ما تحمله الكلمة به معنى فليست مهتمة بشئون الحياة، وليس فيها نظام دولة أو أسرة أو قانون، وليس فيها نظام للصلاة أو العبادات بوجه عام، وهي تشجع العزلة، وتبني المعابد من أجلها، التي لا يمارس فيها شيء من العبادات سوى الزهد والحرمان من متع الحياة.

الكونفو شيوسية:

نسبة إلى كوتفوشيوس الذي ظهر ف يالقرن السادس قبل الميلاد ٥٥١ ق. م في بلاد الصين في ولاية (شانبتونج) وتبرز أهم أفكار الكونغوشيوسية فيما يلي:

أ- صرف النظر من الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بالدنيا، وتجنب البحث عن الأمور الغيبية (الميتافيزيقا)، والتركيز في البحث عن الإنسان وسعادته في الأرض.

يقول كونفوشيوس في تعاليمه: «لا حاجة بالناس أن يشغلوا أنفسهم بالله في سمائه أو بالحياة الأخرى».[1]

ب- لأن التدين فطرة، فقد اعتقد الصينيون بوجود الإله الأعظم وغيره من الآلهة الأخرى من مظاهر الطبيعة كالسماء والأرض وغيرها وتقديس الأرواح للآباء والأجداد وتجاوزوا فكر كونفوستيوس فقدسواه وعبدوه وقدموا إليه القرابين وأقاموا له المعابد، ويوجد في كل بيت من بيوت الكونفوشيوسية معبد لأرواح الأموات وآلهة المنزل ومن أصول الأديان الصينية عبادة الملائكة وهم عند الصنين كثيرون جدا فالشمس والقمر والسحاب والمطر والجبال والأنهار ونحو ذلك من الكائنات يكون لكل واحد منها ملك يعبده الناس ويستعينون به، ولكن عبادة ملائكة الأرض والجبال والأنهار مخصوصة بالأمراء وحدهم، كما أن عبادة السماء مخصوصة بالملك وحده.

ج- الحاكم مفوض من قبل الله أو السماء، ورغم تأكيد كونفوشيوس على أن هذا التفويض ليس أبديًا وإنما هو مرتبط بصلاح الحاكم وعدله، إلا أن فكرة التفريض الإلهي دفعت الحكام إلا إخضاع الشعب وعدم خروجه عليهم.

د- تختلف الطقوس والعبادات باختلاف من يقوم بها فلا مساواة بين الجميع في

(١) اسم كونفوشيوس: كونج جيو Kung chiu ولقبه جونج ني Chung Ni وهو مشهور عند عامة الصينية بـ كونج نو تس Kung Fu Tsze أي الأستاذ كونج وحرفه الغربيون فصار شهورا عندهم بـ كونفوشيوس Confucius.

أدائها واحتلت الموسيقى مكانا بارزًا في فكـر الكونفوشيوسـية وتنفـق عـلى الموسـيقى أموالًا طائلة.

هـ- التركيز على الإصلاح السياسي والاجتماعي والأخلاقـي لإقامـة مجتمـع تسـوده الفضـيلة، ويتبـادل أفـراده الحقـوق والواجبـات، لكـن بمـرور الوقـت غـدت الكوتفوشية ديانة بعد أن كان مذهب للإصلاح في الأساس.

و- بالتأمل في ذلك المذهب الإصلاحي- مع تقديرنا واحترامنا لكثير من مبادئه التي تقوم على الإحسان إلى الوالدين واحترام الكبار والمروءة ومكـارم الأخـلاق إلا أنه مذهب قاصر مبتـور يفصـل بـن عـالمين، أو بـين الـدنيا والبعـث والآخـرة، فالكونفوشوسية تعتقد الجزاء في الدنيا، ولا يسألون عن مصير الروح بعد الموت حيث لا تعتقد بالجنة والنار، وإنما تبقى الأرواح مع أفرادها أسرتها، وحين سـأل أحد تلامذة كونغوسوس عن الأرواح والممات، أجابه بقوله: لم نقدر عـلى خدمـة الأحياء فكيف نقدر على خدمة الأموات؟ ولم نعلم الحياة فكيف نعلم الممات؟!

وحين حاول اللاحقون معالجة هذا القصـور بعيـدا عـن هدايـة الـوحي اخترعـوا عبادات وطقوسا وثنية قدست التماثيل، وعظمـت الأصـنام وصـارت الآلهـة تبـاع في الأسواق، تتفاوت أثمانها بتفاوت أحجامها ونوعها وقيمتها!!!

الطاوية (الداوية) (التاوزمية) (التاوية):

لا يزال في الصين بضعة ملايين من البيوت، لا يستطيع الإنسان أن يـدخلها إلا إذا مرَّ في ممرات ملتوية قبل أن يجد أول حجـرة مـن حجـرات البيـت، أو إلا إذا التقـى في واجهة البيت بغابة كثيفة الأشجار قائمة، حتى ولو كانت مرسومة على لوحة عريضـة؛ لينحدر بعدها في الممرات الجانبية للبيت، وأصحاب هذه البيوت يسـمون (الـداويين)

والسر في عملهم هذا هو صد الشياطين والجن والمردة وأرواح الشر عن دخول البيت.

وفيما يلي تعريف بهذا الدين:

١- أسسه لاو- تس (تزو) Lao- Tsu، ومعناه الفيلسوف الكبير أو (المعلم القديم) في القرن السادس قبل الميلاد وكان معاصرًا لكونفوشيوس، إلا أن (لاو) ولد قبله وقد تأثر به كونفوشيوس واستفاد منه ووصفه بالتنين!

وقد عمل لاو أمينا للمحفوظات في المكتبة الامبراطورية حتى قرر الهجرة والعزلة وهو في التسعين من عمره، لكن حارس الإقليم في (لوريانج) لم يسمح له بالعبور- وقد عرف مكانته- إلا إذا سجل أفكاره، فاستجاب لاو- تس له، وألف كتابه (داو رتبه- كينج) أي كتاب العقل والفضيلة في خمس وعشرين صفحة.

٢- ومن أهم الأفكار التي تؤمه بها الداوية ما يلي:

أولاً: (داوTao) هو البداية العظمى لجميع الأشياء في العالم، ومعنى Tao طريقة التفكير أو الامتناع عن التفكير، ذلك أن الداويين يرون أن التفكير يفيد الحياة أكثر مما ينفعها، وأن الالتجاء إلى العزلة والتقشف والبساطة والتأمل الهادئ في الطبيعة هي الطريقة المثلى في الحياة.

ثانيـاً: ليس العلم فضيلة، بل إن السفلة قد زاد عددهم من يوم أن انتشر العلم، وليس العلم هو الحكمة، وشر أنواع الحكومات حكومة الفلاسفة، والعاقل من يتبعد عن التعقيد الحضاري، ويختفي بين أحضان الطبيعة.

ثالثًا: إن أول واجب على الناس الذين يريدون أن يحييوا حياة فاضلة هو الإيمان بـ (داو) أي طريقة الله، وأن الدنيا هي التي ستعنى بنفسها بعد ذلك.

رابعًا: تحريم القتل على وجه الإطلاق، وقتل المجرمين لن يكون طريقًا للقضاء على الجريمة، والطريقة الوحيدة لجعل الناس خيرية صالحين هي بمعاملتهم برفق في كل وقت، والرجل الصالح حقا يحب جميع الناس ولا يكره أحد قط.

خامسًا: الإيمان بمعبودات لم يذكرها لاو- تس، كعبادة التنين والفئران والثعابين، والإيمان بالسحر، والاعتقاد في كل أرواح (الشياطين...) الشر وأصبح للسحرة والكهنة سلطان كبير.

سادسًا: الاهتمام بإطالة العمر، والإبقاء على الشباب، والإسراف في استعمال نوع من الشراب (أكسير الحياة) لتحقيق ذلك، والعجيب أن المداويين لا يزالون يعبدون الرجل الذي اخترع ذلك الشراب واسمه (تشانج – تاو- لينج) حتى اليوم، وقد كان البحث عن وسيلة للإبقاء على الشباب سبب في تقدم الطب العيني قصر عن السحر والشعوذة والدجل.

ثالثًا: أديان اليونان:

الحديث عن الرومان مرتبط بالوقوف على معرفة اليونان وإذا ذكرنا اليونان، ذكرنا الفلسفة، حيث يزعم كثير من الباحين أن اليونان هم أساتذة العالم القديم والأوسط والحديث، وهم رواد النزعة العقلية في العالم وطلائعها، وأن ما ابتدعه العقل اليوناني هو معجزة خارقة للعادة وعبقرية فذة لا نظير لها.

ويؤكد الباحثون أن الرومان رغم انتصارهم على اليونان، إلا أن اليونان احتفظت بها زمنًا أسرا، ومع ظهور النصرانية أصبحت الفلسفة اليونانية سندًا للتعاليم النصرانية، واللغة اليونانية أداتها المعبرة عنها في جميع أنحاء العالم.

والمنصف لأحوال اليونان الدينية والعقلية لا يجد هذا الإعجاب المبالغ فيه فإن أحوال اليونان الدينية تمثل سذاجة العقلية اليونانية وتفاهتها وطرافها حيث ساءت الوثنية، وعمت مظاهر الألوهية سائر الحياة اليونانية، فلكل أسرة يونانية إلهها الخاص توقد له في البيت النار، وتقرب له القربان من الطعام والخمر قبل كل وجبة، كما كانت لكل جماعة إلهها الخاص وكانت كل مدينة تحتفظ على الدوام بنار مقدسة موقدة عند مذبح عام في بهو المدينة، ولكل شيء إله، فالآلهة في بلاد اليونان تشغل كل شيء، ولها مكانة عظيمة في حياة اليونان، وليس هناك دين يقرب آلهته من البشر قرب آلهة اليونان فطبيعة الآلهة كطبيعة البشر، لا يختلفون عنهم إلا في القدرة والخلود، ومع ذلك فليس للآلهة دخل بخلق الكون، فالكون مخلوق من قبلهم، والآلهة يتزاوجون ويتناسلون، ومنهم الذكور ومنهم الإناث وغالبًا يحدث غرام بين الآلهة والبشر، ويثمر عنه أولاد سفاحًا فهذه ربة الجمال وإلهة الغرام (فينوس) تهيم حبا وغراما بالشباب الصغير (أدونيس)، وقد ينشأ بين الآلهة خلافات وخصوصيات، والآلهة اليونانية تختلف وظائفهم وتتنوع أعمالهم، ولكل إله مزية خاصة، وعمل تتميز، وهناك آلهة السماء، وآلهة الأرض، وآلهة الخصب، والآلهة الحيوانية وآلهة ما تحت الأرض، وآلهة الأسلاف والأبطال وعبادة الموتى، والآلهة الأوليمبية وكان على رأس تلك الآلهة زيوس (زفس)، وهيرا زوجة وبنتون وهيديز (بلوتو) وأطلس وفولكان وهرقل وباخوس ومارس وأبوللو وديانا وأثينا وفينوس.

وعمت الأساطير معتقدات اليونان، فلكل إله عندهم أسطورة، ولكل حدث عندهم حديث مستملح وخبر عجيب.

كما عمت الخرافات والسحر والأباطيل حياة اليونان، فاعتقد اليونان في الأرواح والشياطين والعفاريت التي لا حصر لها وكان عليه أن يقيم الاحتفالات السحرية ليتقي شرها، كما كان التخفي والأسرار من أقوى عناصر الدين عند اليونان وتميزت عبادتان بالأسرار التي لا يعرفها إلا المطلقون العارفون بها وهي عبادة اليوسيس، وعبادة أورفيوس.

ومما قريب من الأساطير والأسرار العرافة، حيث كان العرافون يتنبأون بالمستقبل بالنظر في النجوم وتأويل الأحلام وبحث أحشاء الحيوان وزجر الطيور هذه هي أحوال اليونان الدينية: وثنية وأساطير، وخرافات وأباطيل، وأسرار وتنجيم.

فإذا أدركنا أن الفلسفة ولدت في أحضان الدين، ومنه انبعثت أدركنا أن أهل اليونان لم يكن لهم أن يفكروا فيما يغضب الآلهة أو يخرج على مألوف الناس الديني!

آلهة في الأسواق:

يقول الدكتور رؤوف شلبي رحمه الله في كتابه: «مر تاريخ مصر بمراحل عدة وتبعا لتبادل الغلبة بين الكهنة والملوك فقد حدثت أنواع من المد والجزر فيما يتعلق بأنماط التدين، فكان للدين أثر في السياسة حينا، كما كانت السياسة ذات أثر في نوع التدين أحيانًا كذلك..»

ويمكن أن نقسم الصراع بين أنماط التدين والتعبد في مصر القديمة إلى أربعة أنماط:

النمط الأول: الطوطمية.

النمط الثاني: التثليث الإنفرادي.

النمط الثالث: الصراع بين الآلهة: رع- آمون- أتون.

النمط الرابع: التوحيد.

أولاً: الطوطمية:

الطوطمية: كلمة لاتينية أصلها Totem نسبة إلى هذا النظام الذي يسمى Totemisme وهو نظام تديني يرجع إلى تقاليد بدائية اتخذتها الأمم الغائرة في بطون التاريخ لها نظاما.. إذ جعلت بعضا من الحيوانات أو النباتات رمزًا لها ثم لقبًا لجميع[1] أفرادها ثم قدسته وعبدته.

وقد عنى المستشرقون بهذه الدراسة فصدر أول كتاب بالإنجليزية عام ١٧٩١م ألفه في لندن الكاتب الإنجليزي Johmlong الذي كان يعمل مترجما في الشركة الهندية.

والطوطمية سواء كانت تقديسًا أو رمزًا وشعارًا فهي عبارة عن تصور خاطئ مفهوم الأولوهية في صورة مادية سواء كانت نباتا أو حيوانا أو طيرا..

وقد أراد الدكتور «محمد غلاب» رحمه الله تعالى أن ينفي عن التدين المصري قبل الأسرات مفهوم الطوطمية، فأتعب نفسه كثيرًا وأطال الحديث بين مناقشات ومجادلات ليفسر وجود عجل أبيس والقط، ولكن الاكتشافات الحديثة التي قام بها العلماء لا يجعلون للغة قدرة على تأويل تلك الأنماط الطوطمية.

---

(١) القاموس المصري ص ٧٤١ راجع نشأة الدين دكتور علي سامي ص٩٠- ١٥١ راجع كذلك دكتور علي عبد الواحد في كتاب الطوطمية ص ٧- ٩ نشر دار المعارف.

ففي أكتوبر سنة ١٩٣٧م اكتشفت في منطقة «أبويس» مقبرة عظيمة للعجول المقدسة وبجوارها مقبرة أخرى تحتوى على نحو ٦٠ حجرة للطيور المقدسة: كالصقر، وأبي قردان، وقد وجد أن توابيت العجول مصنوعة من الجرانيت وعليها نفوش.

ولقد سبق أن اكتشفت مقابر للعجول في سقارة وأرمنت غير أن توابيتها لا تحمل نقوشا فهذا يكشف الأخير في منطقة «أبويس» يفيد أن المصرية القديمة كانت يسلك في بعض أنماط تدينها الطوطمية.

ولقد عثر في هذه المقبرة كذلك على تابوت باسم الملك «نختا نيبو» أحد ملوك الأسرة الثلاثين وهي الأسرة الفرعونية الأخيرة.. مما يدل على أن الطوطمية حلب مرة أخرى بعد التوحيد الذي دعا إليه أمنحتب الرابع في الدولة الحديثة- الأسرة الثامنة عشرة.

بل إنه وُجد في شمالي المقبرة مقبرة أخرى تحتوي على عدة حجرات منها نوابيت صغيرة من حجر خير الأبيض وبها مومياء للطيور المقدسة، ومعها أوان فخارية بها بيض محنط، وقد عثر داخل تلك الطيور على تمائم وعقود مصنوعة من الذهب والأحجار الكريمة النادرة، وهي ما كان يقدمه أفراد الشعب قربانًا لها، وهي لا شك تدل على درجة تقديس هذه الطيور في نفوس القدماء المصريين.

إذن الطوطمية كانت نمطًا من أنماط التدين المصري القديم وشأن مصر القديمة في ذلك شأن الإنسان القديم في أي بقعة من العالم.

وليس يلازم أن ينبري الدكتور محمد غلاب رحمه الله للدفاع عن هذا النمط بتفسيرات لا تسعفها حقائق الاكتشافات الحديثة[(١)].

(١) راجع الفلسفة الشرقية للدكتور محمد غلاب ص ٢٧- ٣٤.

عجل أبيس:

عجل أبيس هذا من أهم معبودات القدماء المصريين، كانت مواصفات خاصة: كان يشترط فيه أن يكون أسود الجلد، فيه نقط بيضاء وفي جبهته شامة بيضاء مثلثة الشكل.

يوم أن يعثروا عليه يعتبرونه عيدًا، كما أن موته يشكل حزنًا عامًا ويستمر مهما طال الزمن إلى أن يجدوا غيره. وتقديسه جعلوا له كهنة وخدامًا يقومون بنظافته وإعداد فراشه وفي أيام عيده يخرج وسط الكهنة ليتبرك الناس به. ولهذا العجل مقبرة هائلة بسقارة تعرف باسم «السرابيوم» وهي مقبرة تحتوي على توابيت ضخمة دقيقة الصنع وقد يدهش الإنسان لما يجده فيها من طوطمية بالغة الحد في الإسراف التديني.. وما هو بدين.

ولقد نشأت هذه الطوطمية بعد توحيد سابق وقد تعددت الطوطمية نظرًا لتعدد الإمارات والمقاطعات والمدن قبل توحيد مينا قطري الوادي. فإن مصر قبل تأسيس الأسرات كانت مفككة ثم تجمعت في مملكتيه: العليا والسفلى.. وكانت المملكة السفلى تتخذ رمزها حزمة من نبات البردي وكانت النحلة رمزًا للملك وكان تاجه أحمر.. وكانت عاصمة هذه المملكة بوتو في شمال الدلتا.

وكانت المملكة العليا قد جعلت الزنبق رمزًا لها ورمز الملك نوع من النبات الجنوبي وتاجه طويل أبيض.. وكانت عاصمتها نخب. وتاريخ هذه الحقبة مجهول تمامًا.. اللهم إلا بعض النقوش التي وجدت على حجر «بلرم» خاصة بأسماء الملوك الذين حكموا هذه الممالك قبل عصر الأسرات.

وحول التدين في هذه المرحلة يقول الدكتور محمد غلاب:

كان المصريون في عصور ما قبل التاريخ يعبدون آلهة كثيرة، كان لكل جهة إله خاص تصوره كيفما شاءت لها عقليتها.. وتقدم إليه القرابين ما تستطيع تقديمه[1].

من كل هذا نخلص إلى:

- أن الطوطمية كانت مظهرًا من مظاهر التدين المصري القديم.
- أن الطوطمية كانت بعد التوحيد القطري ثم التوحيد الذي دعا إليه أخناتون.
- أن الاكتشافات الحديثة تؤكد علميًا أن الطوطمية المصرية كانت مظهرًا من مظاهر التعبد الصناعي الذي يرتضيه أي إنسان حُرم من الوحي المعصوم.

ثانيًا: التثليث الانفرادي:

ليس المقصود بالتثليث هنا اتحاد الثلاثة في واحد، بل المقصود هو اعتقاد تعدد الآلهة في ثلاثة لكل واحد منهم وظيفة، ولهذا أطلقت عليه اصطلاح: التثليث الانفرادي.

والتثليث المصري القديم أسطورة خيالية ملخصها:

أن «هوروس» تمكن من السيطرة على جميع المعبودات حتى صار إله وادي النيل، وأسكنته الأسطورة في السماء وجعلت له عينين: الشمس عينه اليمنى والقمر عينه اليسرى.. ولم تترك الأسطورة الإله بعينيه الجميلتين بل أوجدت له ندًا يلاحقه هو «سيت» إنه إله الشر فهو دميم الشكل مخيف المنظر، وبالطبع هو يحقد على هوروس صاحب العينين الجميلتين: الشمس والقمر لأنه يضيء العالم ليلًا ونهارًا.

(١) بتصرف الفلسفة الشرقية، ص٣٤.

ولذا فقد أحس «سيت» بالحقد عليه فراح يطارده ويطعنه في عينيه وكان من أثر تلك الضربات خسوف الشمس وكسوف القمر.. وظل الإلهان يتصارعان حتى ضعف سلطانهما.. وظهرت أسرة مثلثة هي:

توت إيزيس أوزيرس

فقطعت هذه الأسرة على الإله «هوروس» فكونت نظامًا ألوهيًا يرد له هيبته فجعلته ولدًا لأوزويس، وصارت إيزيس بذلك زوجة لأوزيريس وصار توت وزيرًا.

خصصوا لكل إله وظيفة:

أوزيريس: وظيفته الإنبات والخصوبة فهو إله النيل.

إيزيس: وظيفتها الحكمة والتشريع والسحر والوفاء والإخلاص.

توت: وظيفته العلم والتدبير.

لم تنشأ الأسطورة أن تترك هذا المثلث أن يعيش، بل أوجدت له عدوًا هو «سيت» إنه أخ وشقيق لأوزيريس، ولكنه يكرهه لأنه إله القحط والجدب والشر.

غير أن سيت لا يستطيع مجابهته وجهًا لوجه، فاحتال عليه وأدخله في تابوت صنعه خاصة لهذا العرض الشرير، وأدخله في هذا التابوت بأسلوب شيطاني ثم أقفل عليه وقذف به في النيل.

ولما طال غيابه افتقدته زوجته فراحت تبحث عنه فلما لم تجده صممت على أحد أمرين:

- إما أن تلحق به.
- وأما أن توجده.

وتجعلها الأسطورة قادرة على الحصول عليه.. لكنها قبل أن تفتح التابوت يلحقها «سيت» ويتغلب عليها ويمزق جسد أخيه إربًا إربًا وأشلاء أشلاء... وقطعًا قطعًا بلغ عددها اثنين وسبعين شلوًا.. ثم ألقى بكل شلو من هذه الاشلاء في مقاطعة من مقاطعات مصر.

ولكن إيزيس قد قطعت على نفسها عهدًا أن تعيده إلى الحياة، فلم يفت ذلك في عزيمتها وراحت تجمع هذه الأشلاء المتناثرة مستعينة بإله العلم والتدبير «تـوت»، وبتفتيش زوجة سيت وأنوبيس ابنها من أوزيريس عن طريق الخطأ... وبعد أن تمكنت «إيزيس» من جمع أشلاء «أوزيريس» تلت عليه بعض ما تعرفه من الرقي والتعاويذ السحرية فعاد إلى الحياة... غير أنها حياة لا تشبه الأولى، فلم يلبث على الأرض إلا بقدر ما أنجب ولده، «هوروس» ثم غادرها وإستبدلها بمملكة الأموات العظيمة...

ثم استخلف من بعده ولده «هوروس» الذي راح يأخذ بثأر أبيه من عمه «سيت» فظل يقاتله حتى هزمه شر هزيمة ولكن أمه «إيزيس» لم تسمح لولدها «هوروس» الملك أن يقتل عمه «سيت» لأنها رأت أن الشر ضروري للخير.. والظلام لازم للنور.

وانتهزها «سيت» فراح يشاكس قانونيًا فادعى أن «هوروس» ليس ابنًا شرعيًا لأخيه «أوزيريس» لأنه غير ممكن أن ينجب في الفترة الضعيفة التي عاد إلى الحياة فيها.. فهو ابن غير شرعي، وإذن فهو لا يستحق أن يكون ملكًا.. وهنا هبت «إيزيس» للدفاع عن شرفها واستشهدت بالإله «توت» الذي شهد بشرف الوالدة وشرعية الولد فحكمت المحكمة بالعرش المقدس لذلك الإله الصغير[(١)].

---

(١) نقلًا عن الفلسفة الشرقية دكتور محمد غلاب ص٣٦/ ٣٧ راجع [الله] للعقاد ص٤٩/ ٥٢.

ولم تكن هذه وحدها هي صورة التثليث في التدين المصري القديم.. فهناك صور متعددة في التدين المصري تفيد الإثنينية أو التثليث ومن ذلك:

- أن رع هو إله الشمس الساطعة يقابل تيمو Temiu إله الشمس الغاربة وهو الموكل باختتام النهار. وتعتقد الأسطورة المصرية أنه خلق نفسه.
- وأن موت Mut هي روح آمون المقدسة وإذا وضع تمثالًا مع الميت حفظ لحمه وسلمت عظامه وأعطيت له حقول يزرعها في الجنة.

والذي يلاحظ في هذه الأساطير هو التعدد في التثليث دون توحيد لهذه الأسرة في الذات فهو تعدد إفرادي أو هو تثليث متفرق:

- متفرق في الذات.
- متفرق في الوظائف.
- متفرق في الغايات.

وهذا التفرق يفسد مفهوم الألوهية وصفًا، ويفسدها طبعًا، ويفسدها تعقلًا، وتبقى الأسطورة كما هي أسطورة، وتبقى الفطرة في حاجة ماسة إلى دين قويم من عند الله الحق المبين.

ثالثًا: الصراع بين الملوك والكهنة:

أولاً: عبادة رع:

أساطير التثليث التي مرت يرجح أنها كانت قبل عصر الدولة الموحدة أو قبل عصر مينا. أما بعد مينا فقد صار هو رمزًا للآله وانتقلت بهذه الخطوة السياسية مفاهيم التدين إلى نقلة جديدة هي: أن رع هو صاحب السيادة على جميع الأرباب. وقد صاغ الكهنة

لهذا الإله الأكبر مجلسًا هو الذي يحكم العالم العلوي والسفلي.. وهـذا المجلس يسمى التاسوع المقدس: ثمانية من الآلهة يعملون تحت سلطان التاسع الأعظم الذي هو: رع.

- رع: الشمس.
- سو: الهواء.
- نفنيت: الفراغ.
- جيب: الأرض.
- نوت: السماء.
- أوزيرس: النيل.
- إيزيس: الخصب.
- سيت: الصحراء.
- مآت: روح التاسوع.

ذلك التاسوع هو الذي نسجته أخيلة سكان هليوبوليس، أما مدينة هيرمويوس فكان لهم تاسوع آخر يرأسه (توت).

ويفسر الكاتبون هذا التاسوع بأن رع اتحد مع توم ذلك الذي لا يمكن تعقل أثره فسمي: بعقل الشمس ثم نسبوا إلى رع نشوء الفراغ والهواء ثم تزوجها فولدت منهما الأرض والسماء ثم زوجتا: الأرض والسماء فالتصقتا فاجتهد الهواء في تفريقهما فرقع السماء إلى أعلى فغضب الزوجان.. وكانت الجبال من أثر المجهود الذي فعله الهواء للتفرقة بين السماء والأرض ولكن سطوع الشمس أذهب غضب الزوجين.

(رع) هو الذي خلق هذه العناصر وهو الذي سمى هذه الآلهة وقد بلغ من تعظيم رع أن نسب الملوك الفراعين أنفسهم إليه مثل: خفرع، منقرع. وقد جعل تمثال (أبو

الهول) رمزًا للآله رع ففي ١٩٣٦م اكتشف العالم الأثري الدكتور سليم بك حسن في منطقة الأهرام لوحة تذكارية ترجع إلى عهد أمنحتب الثاني من ملوك الأسرة الثامنة عشرة طولها أربعة أمتار وعرضها متران ونصف وعليها نقوش تتألف من ٢٧ سطرًا تقول السطور: «إن الملك آمنحتب الثاني زار أهرام أجداده وتمثال الإله الأكبر (رع) إله الشمس» ووجد على هذه اللوحة رسم يمثل الملك أمنحتب وهو يقف أمام تمثال أبي الهول يقدم إليه شراب الآلهة وهذا يدل دلالة قاطعة على أن تمثال أبو الهول يرمز إلى الإله رع ذلك الذي كان معبودًا للمملكة كلها إبان الأسرة الرابعة بالدولة القديمة.

فإذا أضيف إلى هذا أن ملوك هذه الأسرة نسبوا أنفسهم إليه فيكون وضع أبي الهول وسط أهراماتهم معناه أنهم وضعوا رمزا الإله الذي يعظمونه بين مقابرهم المقدسة.

وقد ظلت عبادة رع هذه عامة في أنحاء البلاد حتى نهاية الأسرة الخامسة تلك الأسرة التي أسسها كهنة رع فظهرت في عهدهم نهضة دينية ليس لها مثيل، ولكن أمراء الأقاليم انتهزوا فرصة انصراف الكهنة الملوك عن الساحة فراحوا يعملون على وراثة الحكم فضعف بذلك سلطان الدولة مما أدى إلى سقوطها بعد الأسرة السادسة.

أما الأسرة السابعة والثامنة فلم يعرف التاريخ عنهما شيئًا.. وهكذا ظل رع إله منف مسيطرًا إلى رب سقوط (منف) وتكوين دولة الإقطاع في طيبة[1] . على أن شكل أبي الهول ليس هو وحده رمز رع، بل كانت له صور شتى حسب تصور الأقاليم والمقاطعات، منها صورة على شكل أسد أو قط أو صقر وعلى رأسه قرص الشمس وفي مقدمة القرص رأس ثعبان.

---

(١) الدولة القديمة تبدأ من ٣٠٠٠ ق. م إلى ٢٥٠٠ ق. م.

وكان الاعتقاد السائد في (رع) أنه أثناء الليل يقابل الشياطين فينتصر عليهم ولذا فهو يشرق ثانية في الصباح. وهذا مما يقوي أن تمثال أبي الهول صورة للإله (رع) فهو واحد من الصور التي تشكلها الأهواء لذلك الإله الموضوع[1].

ثانيًا: آمون:

كان آمون إلها محليًا في صعيد مصر (طيبة) وذلك عندما كان الأمراء هم ملوك المقاطعات، فلما سقطت الدولة القديمة استطاع ملوك (طيبة) أن يعلنوا استقلالهم أولاً ثم أخذوا في توسيع نطاق مملكتهم حتى زحفوا بها من الجنوب إلى الشمال، وبهذا فقد سادت عبادة آمون إله طيبة.

أ- أن الكهنة في الدولة القديمة سلبوا الملوك الحكم لإشاعة عبادة رع، بينما كان الملوك القدامى يتسمون به: خفرع.. منقرع: مثل.

ب- أن الكهنة لم يأخذوا في حسابهم أن تناسي العمل السياسي سوف يمحق أساليبهم الدينية فحدث أن استقل الأمراء بالملك حتى ورثوا أبناءهم صنعوا لهم آلهة خاصة.

ج- أن آمون هو إله باطل مثل رع كل منهما قد خلقته الغواية والهوى.

وقد دام آمون هذا مسيطرًا إلى أن جاء عهد الهكسوس ودخل أنبياء الله إلى مصر: سيدنا إبراهيم، وسيدنا يوسف، ثم سيدنا يعقوب[2]. لكن الذين استفادوا من تعميم

(١) راجع تاريخ مصر القديمة للمرحوم الأستاذ السرنجاوي.

(٢) الدولة الوسطى من ٢٥٠٠ إلى ١٥٨٠ ق. م إلى نهاية الأسرة السابعة عشرة حتى خرج هكسوس من مصر.

(آمون) هم الكهنة لا الملوك، فقد تقرر نصيب من غنائم الحرب لهذا الإله.

ومعروف في التاريخ السياسي أن ملوك أسرات الدولة الوسطى قد وسعوا مملكتهم حتى وصلت إلى الصومال (بونت) وحدود مستنقعات آسيا شرقًا وجبال مانوا غربًا. لقد كانت قادش وسوريا، أرواد.. كلها تحت السلطان الفرعوني مما جلب ثروات كبيرة كان لآمون نصيب موفور منها وبالطبع فإن المستفيد مما ينذر لآمون هم الكهنة الدجالون[1].

مجد لم يدم: لكن مجد آمون لم يدم طويلا فقد افتعل تحتمس قصة مؤداها: أنه رأى في منامه أنه أمر بإزالة الرمال المكدسة حول تمثال أبي الهول- رمز الإله رع- وأمر كذلك بإعادة عبادته فنفذ رؤاه في الحال.

ثالثًا: آمون- رع:

ولم يدع لرع زهوه من جديد ولم يستمر خوف آمون إلى الأبد فلما جاء الملك أمينوفيس الثالث الذي هو: أمنحتب الثالث الذي أسس معبد الأقصر وزاد في معبد الكرنك ووصل بينهما بحديقة وضع على جانبيها أصناما على شكل الكباش سمى ذلك الطريق فيما بعد بطريق الكباش[2]. لما جاء هذا الملك مزج بين الإلهين (رع وآمون) وقدم آمون في اللفظ على رع فسمي آمون- رع. وبذلك تقلص ظل الكهنة وأصبح سلطان الملوك قويًا.. وظلت البلاد هادئة إلى أن جاءها غزو من الحيثيين فلم يتمكن أمنحتب الثالث أن يصده فقد مات إبان الزحف الغازي على البلاد.

---

(١) راجع تاريخ حتشبسوت وتحتمس الثالث من ملوك الأسرة الثانية عشرة.

(٢) كان ذلك عام ١٤ ق. م.

وتعتبر الفترة من حكم امنحتب الأول ٢٠٠٠ ق. م- ١٩٧٠ ق. م إبان الأسرة الثانية عشرة في الدولة الوسطى إلى دخول الهكسوس في الفترة من ١٦٧٥- ١٥٨٠ ق. م. ولما عاد الحكم إلى طيبة في الأسرة الثامنة عشر عادت عبادة رع بناء على حكم من تحتمس الرابع وذلك لإجهاض سلطة الكهنة ثم جاء من بعد امنحتب الثالث ليمزج بين آمون ورع وذلك في الدولة الحديثة. وكان هذا التدرج في التدين نتيجة الصراع بين الكهنة والملوك.

رابعًا: التوحيد:

أتون:

الظاهرة التاريخية بعد الهكسوس وهو العهد الذي جاء فيه الأنبياء إلى مصر: أن الكهنة لم تعد لهم قداسة عند الملوك. فبينما أسس الكهنة الأسرة الخامسة في الدولة القديمة وبينما هم أصحاب العز والرفاهية في عهد أمنحتب الأول مؤسس الأسرة الثانية عشرة في عهد الدولة الوسطى... نجد الكهنة في الدولة الحديثة التي جاءت بعد حكم الهكسوس محل هجوم عنيف من الملوك والحكام.

والعلة في نظري أن الكهنة وهم القائمون على شأن العادات والتقاليد الدينية كانوا أسرع استجابة للأنبياء، فهم الذين آمنوا برسالة التوحيد التي جاء بها سيدنا إبراهيم، وهم الذين استمعوا إلى التوحيد الذي دعا إليه سيدنا يوسف عليه السلام، وهم الذين خرجوا على فرعون لما بطل السحر وقالوا له: ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا﴾[1].

---

(١) طه: ٧٢.

ومن هنا نستطيع أن نقول: إن الثورة التي قام بها أمنحتب الرابع ١٣٧٥ - ١٣٥٨ ق. م على الآلهة كلها كانت صدى لتلك الدعوات الربانية التي بلغها الأنبياء عن الله تعالى واستجاب لها من أهل مصر المخلصون للفطرة ولذاتهم الإنسانية.

يقول المؤرخون: شغل إخناتون طول حياته بالسعي وراء توحيد الديانة المصرية، وحمل الأمة على معبود واحد... وكان هذا الملك يرى خطأ تعدد الآلهة، ويعتقد بوجود إله معبود واحد مسيطر على العالم بأسره[١].

ثم يلحقون بهذا التوحيد الناصع شركا فيقولون: وقال إنه روح الشمس التي تتوقف عليها الحياة... وأطلق عليه اسم (آتون). ولهذا فإن إخناتون الملك نقل عاصمة بلاده من (طيبة) محل عبادته (آمون) وشيد مدينة خاصة للإله الجديد (أتون) وسماها: (إخناتون) ويقع محلها الآن في: (تل العمارنة)[٢].

ثم سمى نفسه إخناتون بدل أمنحتب، وعمل بعد ذلك على محو النقوش التي تحمل كلمة آمون حتى تلك التي نقش عليها اسم والده. ويقال إن إخناتون: ادعى أنه نبي من قبل (أتون) وأنه وحده الذي يملك وضع الطقوس والأناشيد، ولذا فهو يدعو جميع المصريين، بل جميع من هم في أنحاء الأرض إلى أن يؤمنوا بهذا الإله الواحد العام الذي خلق العالم والكون كله والذي لم يعد خاصًا بوادي النيل كما كان الآلهة السالفون. ووضع لذلك أنشودة ذكرها كثير من الكتاب في الحديث عنه[٣].

(١) تاريخ مصر إلى الفتح العثماني ص٢٤.
(٢) مكان يوجد بمحافظة أسيوط.
(٣) راجع تاريخ مصر إلى الفتح العثماني ص٥٠/ ٩٨.

انتكاسة:

عودة إلى آمون ثم ضعف وغزو:

بعد أن مات الملك أخناتون سنة ١٣٥٨ ق. م لم يستطع الملوك من بعده أن يصونوا عقيدة التوحيد التي دعا إليها، بل عاد الناس في مصر إلى معبوداتهم عام ١٣٥٠ ق. م إثر سقوط الأسرة الثامنة عشرة وقيام الأسرة التاسعة عشرة ١٥٠- ١٢٠٥ ق.م.. فمحيت النقوش الخاصة بالإله (أتون) وأعادوا اسم (آمون) وبذلك خمدت العاطفة الدينية، وجاءت الأسرة التاسعة عشرة لإصلاح شئون الملك السياسية، وقد ألقت من حسابها العامل الديني، فجهزت الجيوش إلى فلسطين ولبنان لإخضاع الفينيقيين.

وكانت نكسة البلاد على يد رمسيس الثاني ١٢٩٢- ١٢٢٥ ق. م الذي حاول أن ينتصر على الحيثيين الذين أغاروا على أملاك مصر، ولقد كان رمسيس هذا غرًا مثل جمال عبد الناصر الذي لا يدرك الخدعة في الحروب، فعندما وقف جيش رمسيس عند قادش حوالي سنة ١٢٨٨ ق. م أغراه ملك الحيثيين برجلين من البدو ذكرا لرمسيس أن الحيثيين قد فروا فصدقه، وسار رمسيس في خطته العسكرية على صدق هذه الأخبار، ثم فوجئ بالحيثيين يعزلونه عن جيشه، ولم يستطع أن فعل شيئًا أكثر من أن ينجو بنفسه.

إنه تمامًا مثل عام ١٩٦٧م عندما صدق عبد الناصر أن إسرائيل ستضرب سوريا ثم راح يجهز جيشه ثم انتكس، وراح يسمي هذه النكسة انتصارًا لأنه نجا، فما أقرب الشبهين طولا ونكسة. بل إن الحيثيين استطاعوا مع طول الحرب أن يعقدوا مع رمسيس الثاني صلحًا وزوجوه من إحدى بنات ملكهم فنام واستراح ولم ينظم بعد ذلك حملة عسكرية حتى مات.

ولذا فإن كثيرًا من كتاب التاريخ يصفونه بأنه مغالٍ في النقوس التي كتبها عن حياته، لأنه لم يفعل أمجادًا مثلما فعل جده تحتمس الثالث. بل إن التاريخ ليحزن لأن المصريين فقدوا بالتدريج من عصر رمسيس الثاني تلك المملكة العسكرية التي انطبعوا عليها منذ تحتمس الثالث.. مما أدى إلى استخدام جنود مرتزقة، وذلك من بوادر الإنحلال من الأمم، وساعد ذلك الكهنة في عهد رمسيس الثالث فصار لهم ١٥٪ من الممتلكات وكان لهم ١٦٩ مدينة في مصر وسوريا، وجل هؤلاء الكهنة كانوا من كهنة (أمون).

ولقد ساعد هذا الوضع هو الآخر على تدهور الدولة سياسيًا ردحًا طويلا من ١٠٩٠- ٩٤٥ ق. م ثم الإغريق الأوائل ٦٦٠- ٥٢٥ ق.م. ولم يقم بعدها لمصر قائمة حتى جاء الإسلام الحنيف.. فأعاد إليها مركزها كقلب نابض للحياة الإنسانية كلها. لقد كانت وقفة رمسيس الثاني في ميدان من ميادين مصر إرهاصًا بنكسة عام ١٩٦٧ م من حيث لا ندري، فانظر يرعاك الله كيف تتكرر الحوادث يوم أن يعتدي على دين الله الحنيف. لقد كان أمنحتب الرابع صادقًا في دعوته إلى التوحيد ولكن الذين جاءوا من بعده غلبت عليهم شقوتهم، وألهتهم مبادئ قوميتهم، وحنوا لوساوس شيطانهم فرجعوا إلى الأصنام والكفر فأذاقهم الله عذاب الخزي في الدنيا والآخرة.

توحيد إخناتون ودعوة الأنبياء:

الظاهرة في التدين المصري القديم هي دعوة إخناتون (أمنحتب الرابع) إلى توحيد الله الأحد، ومحور الظاهرة هو تسميته للتماثيل والهياكل أصنامًا وكفره بها وبالكهنة، وجلاء الظاهرة في اعتقاده أن الله الأحد ليس للمصريين كما هو الحال فيما يعبدونه من رع وآمون، بل هو إله العالمين.

والذي يلاحظ أن هذه الدعوة لم تأت إلا في ظل الدولة الحديثة (الأسرة الثامنة عشرة) مما يؤكد أنها دعوة لها أصول من عمل الأنبياء. فإذا ما سرنا مع التاريخ وجدنا أن سيدنا يوسف عليه السلام كان وزيرًا لأحد ملوك الهكسوس يدعى: أوكن رع- ملك من ملوك الأسرة السادسة عشرة. وإذا كان الهكسوس قد غزوا مصر وأسسوا فيها ملكا من الأسرة الرابعة عشرة إلى نهاية السابعة عشرة بما يفيد أن سيدنا إبراهيم عليه السلام قد وفد إلى مصر في هذا العهد ودعا إلى التوحيد... وهذا يصح شاهدًا ودليلا على أن دعوة التوحيد وعموم الإيمان بالله الأحد التي دعا إليها أخناتون لم تكن من منطلق الكهنوت ولا من منطلق الصراع السياسي بين الملوك والكهنة، وإنما كان منطلق هذه الدعوة: دعوة الأنبياء السالفين سيدنا إبراهيم وسيدنا يوسف عليهما السلام.

ولقد كان على أثرهما سيدنا موسى عليه السلام فهو واحد من سلالة سيدنا إبراهيم، تلك الأمة التي اصطفيت لتبليغ رسالة الله ودعوة الله الأحد إلى من بعثوا إليهم من الأقوام والبشر في الزمان والمكان الذي خصصه الله لهم.

ولهذا فإن ما ادعاه الدكتور محمد جابر عبد العال: أن موسى تأثر بتوحيد دين مصر الفرعونية غير مقبول علميًا، لأن التوحيد في التدين المصرين كان بقية مما دعا إليه سيدنا إبراهيم جد الأنبياء وسيدنا يوسف عليهما السلام[1]. والأنبياء لا يصدرون عن عقل محض وإنما هم يتلقون الوحي من عند الله.

هذا:

ولا يفوتني في هذا المقام أن أوضح حقيقة تاريخية طالما خدع بها الناس لأمور اعتبارية، هذه الحقيقة هي: أن سيدنا عيسى عليه السلام لم يدخل مصر، وليس هناك دليل على

(١) راجع في العقائد والأديان ص٥٤.

صحة الدعوى القائلة أن النجار أخذ مريم والطفل وهرب بهم إلى مصر خوفًا على الطفل، ذلك: لأن ثلاثة أناجيل هي: إنجيل يوحنا، لوقا، مرقص وهي أناجيل معتمدة لدى الكنائس كلها قد أجمع هؤلاء الثلاثة على عدم ذكر رحلة النجار ومريم مع طفلها إلى مصر، ولكن القصة ذكرها برنابا في الفصل الثامن قال: «ولكن بينما كان يوسف نائما ظهر له ملاك الرب قائلًا: انهض عاجلًا وخذ الطفل وأمه واذهب إلى مصر لأن هيرودس يريد أن يقتله، فنهض يوسف بخوف عظيم وأخذ مريم والطفل وذهبوا إلى مصر»[1]. وأنا مع الكنيسة في رفض إنجيل برنابا، إنه ليس الإنجيل المعتمد سماويًا ليس هو الذي نزل على سيدنا عيسى مهما كانت محتوياته، فهو قسيم كل الأناجيل التي نسبت إلى مؤلفيها.

وإذا كان إنجيل برنابا مرفوضًا كله وبخاصة في هذه الجزئية، فلم يبق عندنا إلا الأناجيل الأربعة المعتمدة في قولها.. وإذا كان الأمر كذلك وقصة هروب النجار ومعه مريم والطفل لم يذكرها إلى متى وهو الإنجيل الأول المعتمد ضمن الثلاثة الباقية، قال متى: «إذا ملاك الرب قد ظهر ليوسف في حلم قائلًا: قم وخذ الصبي وأمه واهرب إلى مصر وكن هناك حتى أقول لك، لأن هيرودس مزمع أن يطلب الصبي ليهلكه، فقام وأخذ الصبي وأمه ليلا وانصرف إلى مصر»[2].

فهناك اتفاق تام بين رواية برنابا ورواية متى، فلو كانت المسألة صحيحة تاريخيًا أو دينيًا ألا يذكرها الثلاثة الذين جاءوا من بعد متى؟ لو كان الذي ذكر القصة إنجيلا

---

(١) راجع إنجيل برنابا ص٩ الفصل الثامن.

(٢) راجع متى الإصحاح الثامن.. راجع كذلك كتاب قصص الأنبياء للدكتور عبد الوهاب النجار ص٣٨٦.

متأخرا عن متى: لقلنا إنه أكمل ما تركه متى، لكن كون متى هـو الـذي يـذكرها وهـو المتقدم في التأليف زمنًا ووضعًا، ولم يذكرها الثلاثة الذين جاءوا من بعده دليل عـلى أن متى تابع برنابا، ودليل على أن الثلاثة تركوها لعدم اقتناعهم بها.

وإذا دار الأمر حول صحة معنى ديني بـين رأي لواحـد منفـرد ورأي يجمـع عليـه ثلاثة فإن الأليق هو الميل إلى الأخذ برأي الثلاثة، فإذا ما أنضم إلى هذا أن الرأي المنفرد يشترك فيه رأي لواحد مرفوض، كان الرأي المنفرد مرفوضًا من ناحيتين:

الأول: أنه رأي منفرد في مقابل ثلاثة مجتمعين.

الثاني: أنه رأى منفرد متفق مع رأي مرفوض صاحبه هو وإنجيله..

ولهذا فإن الحق الذي يجب أن يتعـرف عليـه طـالبو دراسـات مقارنـة الأديـان أن عيسى عليه السلام ونحن نكن له كل التقدير والاحترام ونشهد أنه نبي الله إلى بنـي إسرائيـل- أنه لم يدخل مصر وليس هناك دليل ديني أو شاهد تاريخي سليم من الطعـن يـدلنا عـلى صحة هذه الواقعة.

كما لا يفوتني أن أشير إلى أن الدراسات التي يقوم بها جماعة من علماء أوربـا حـول تشخيص مومياء منفتاح: فرعون موسى حول إصابته بأنواع من التلف لم تصبه غـيره من المومياء الأخرى ويعزى ذلك مبدئيًا إلى أن جسد فرعون قد أشيع بالماء من الغـرق، أو تسبب له رضوض عنيفة سبقت ابتلاع البحـر لـه، أو ربـما كانـت هـذه الرضـوض عندما ألقاه البحر خارج الموج العاتي ورمى به على الشاطئ.

وسوف تؤكد هذه الدراسة أن القرآن الكريم وحده هو أصدق الأدلة على أحداث ما قبل التاريخ[1].

---

(١) راجع دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة: موريس بوكاي ص٢٧١.

وهكذا ترى أن التوحيد في مصر القديمة كان نتيجة لدعوة هذه الجماعة الطاهرة النقية من الأنبياء وهي دعوة منسجمة مع الفطرة النقية التي فطر الله الناس عليها.

فهل ستفيق الفئة المتربصة بالمؤمنين الدوائر؟

وهل سيفيق المؤمنون الذين يغطون في نوم راحة البال من الجهاد المقدس؟

ثانيًا: اليوم الآخر:

قال هيرودوت المؤرخ اليوناني: إن المصريين هم أول الشعوب التي اعتقدت بخلود النفس، فقد عثر على نقوش مدونة على الأهرامات: أن النفس خالدة لا تموت. وتبعًا لهذا النشاط الاعتقادي كان النشاط الذي بقيت آثاره إلى اليوم، فقد شيدوا قبورهم لاعتقادهم أن الروح ستبعث من جديد، وحتى تتعرف الروح على الجسد وصنعوا تماثيل في غرفة الميت لإرشاد الروح إلى مكان الجسد أو لتحل الروح فيها إذا تلف الجسد.

ولما كانت الروح لا تعود إلى الجسد إلا إذا كان سليمًا فعمدوا إلى تحنيط الجثث قبل دفنها.. ودفعت هذه العقيدة إلى اعتقاد الحساب بعد الموت... وكان تصورهم عن الحساب: أن الميت يُستدعي إلى قاعة العدل تلك التي بها اثنان وأربعون قاضيًا برياسة «أويزيريس» وهناك يُسأل عما جنته يداه.

غير أن الميت لا يجد محاميًا يترافع عنه، فيترافع هو عن نفسه،ولتلك المرافعة نصوص يجب أن يحفظها الإنسان قبل أن يموت وهي:

«سلام عليك أيها الإله الأعظم صاحب الحق لقد جئت إليك يا رب خاضعًا لأعاين مجدك إني أعرف اسمك وأسماء الاثني والأربعين قاضيًا الجالسين معك في قاعة الحق

والعدل لقد أتيت إليك يا إلهي بالحق متخليًا عن كل خطيئة، فإني لم أظلم أحدًا، ولم أخنث في يميني ولم أشته إمرأة قريبي ولا مال غيري، ولم أكذب قط ولم أخالف الأوامر الإلهية؛ ولم أسرق خبز المعابد ولم أنتهك حرمة جثث الموتى ولم أرتكب الفحشاء ولم أبع القمح بثمن باهظ ولم أطفف الكيل ولم أقتنص طيور الآلهة ولم أطارد حيواناتها ولم أصطد الأسماء المقدسة من بحيراتها ولم أخالف نظام الري، ولم أتلف الأراضي الزراعية ولم أكن قوالًا ولا نمامًا، أنا طاهر وبما أني مبرءا من الذنوب فأرجو أن أكون من الفائزين».

الحكم على الميت:

بعد هذه المرافعة يناقش القضاة الميت ثم يُوضع قلبه في الميزان فإذا ثبت للقضاء أنه بريء صاح «أوزيريس» قائلًا: فليخرج الميت فائزًا من قاعة العدل، وليذهب حيثما شاء ولتفتح له أبواب الجنة، ولتوهب له حياة جديدة، وليجلس عن يميني في الفردوس السماوي.

أما إذا تبين للمحكمة أنه شرير فإن «أوزيريس» يصيح قائلًا: أذهب عني أيها الشرير إلى الجحيم لتلاقي أشد العذاب والنكال، وأنتم أيها القضاة اقتلوه بسيوفكم وتغذوا الآن بلحمه واشربوا من دمه، وأنتم يا زبانية جهنم: اسحبوه على وجهه إلى الجحيم، واقطعوا رأسه على خشية العار، ومزقوا جسمه كل ممزق وألقوه في النار[1].

فالمصريون القدماء يعتقدون بخلود الروح ويعتقدون بالثواب والعقاب والجنة والنار... وهي عقائد فطرية من جانب ثم هي بقية من دعوة الأنبياء الذين شرفوا مصر في فترات تاريخها الطويل...

---

(١) راجع كتاب مصر وعلاقتها بالشرق القديم للمرحوم الأستاذ عبد الفتاح السرنجاوي ٩٩/ ١٠٠ راجع كتاب الموتى.

خلاصة الوحدة

نخلص من دراسة هذه الوحدة إلى ما يلي:

- انحرفت فارس عن عبادة الله تعالى، فظهرت فيها المجوسية، وسادت فيها الثنوية وهي القول بإلهية (إله النور وغله الظلمة)، كما انتشرت فيها مذاهب دينية متعددة منها:

  الزرداشتية والمانوية والمزدكية.

- وقد أثرت الحالة الدينية يف الأوضاع الاجتماعية فظهر تقديس نظام الطبقات كما أثر الدين في الحياة السياسية فنظر الفرس إلى حكامهم الأكاسرة على أنهم فوق البشر.
- امتازت الهند عن غيرها بالآلهة الكثيرة والشهوة الجنسية الجامحة ونظام الطبقات المقدس الجائر بشكل واسع.
- لقد أصبح كل شيء في الحياة الهندية إلهًا يُعبد، ولكل شخص الحق في اختيار صنمه، ومن معبودات الهند البقرة. كما ارتبطت الشهوة بالدين حيث تتزوج الآلهة بالإضافة إلى عبادة إله التناسل، وعبادة النساء العاريات والرجال العراة.
- نظام الطبقات من صنع الإله فلا يجوز لأحد أن يُخالفه، وتُعد الهندوسية من الأديان التي تهتم بقضية الخلاص عن طريق الزهد حتى يصل إلى الإنسان.
- انتشرت في الصين معبودات كثيرة منها: عبادة الإله الأسمى وعبادة الأسلاف من الآباء والأجداد والأبطال الراحلين.
- كما سادت فيها البوذية وهي ثورة على الهندوسية التي سارت في بلاد الهند، كما

برزت في الصين الكونفوشيوسية والطاوية (الداوية).

- لا تختلف بلاد اليونان عما سبقها من بلاد في تعدد الآلهة ففي كـل بيـت إلـه يُعبـد، والآلهة كثيرة وهي في جملتها لا تختلف عن الـبشر إلَّا في الخلـود، وللآلهـة وظـائف متعددة، فهناك آلهة الأرض، وآلهة السماء...، ولكل إله عمل خاص.

أسئلة التقويم الذاتي

أولاً: أسئلة المقال:

س١: اذكر ما تعرفه عن الثنوية؟

س٢: اذكر ما تعرفه عن الزرادشتية؟

س٣: اذكر ما تعرفه المانوية؟

س٤: ما تميزت المزدكية عن المانوية؟

س٥: من هم عُبَّاد البقر؟ وماذا تعرف عن دينهم؟

س٦: ما قواعد الفلسفة البوذية؟

س٧: ما أهم أفكار الكونفوشيوستية؟

س٨: ماذا تعرف عن الطاوية؟

س٩: اذكر أبرز آلهة اليونان.

س١٠: ماذا تعرف عن عقيدة أخناتون؟

ثانياً: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة «✓» أمام العبارة الصحيحة، وعلامة «✗» أمام العبارة الخاطئة:

١- الزرداشتية هم عُبَّاد النار. (   )

٢- الصين هم عُبَّاد البقر. (   )

٣- تُنسب البوذية إلى أحد أفراد طبقة البراهمة. (   )

ثالثاً: أسئلة الاختيار من متعدد:

اختر الإجابة الصحيحة مما بين القوسين:

١- الطبقة الأولى الممتازة في الهند هي (الكاشتريا - البراهمة).

٢- من الآلهة المصرية القديمة (أبوللو - آتون).

٣- تُعرف طريق الخلاص عند الهندوسية باسم (اليزقانا - الكارما).

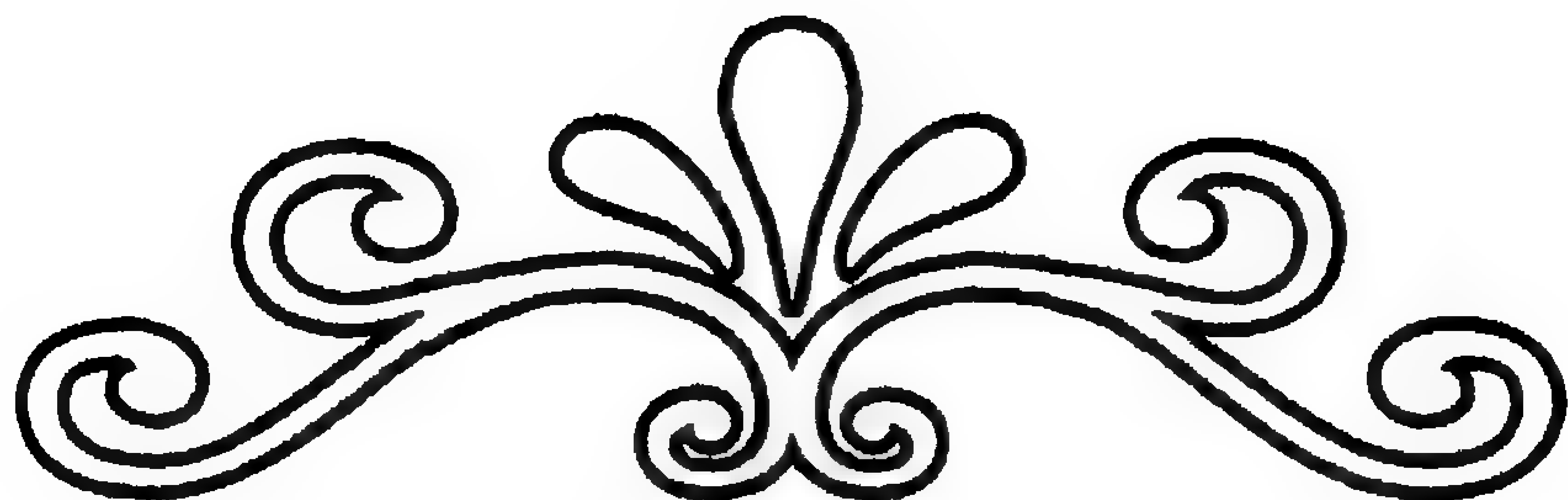
النشاط التعليمي للوحدة العاشرة

عزيزي الدارس:

حتى تكتسب المزيد من المعلومات حول الموضوعات الـواردة في هـذه الوحـدة عليـك أن تقـوم بإنجـاز النشاط التعليمي التالي:

اكتب بحثًا في:

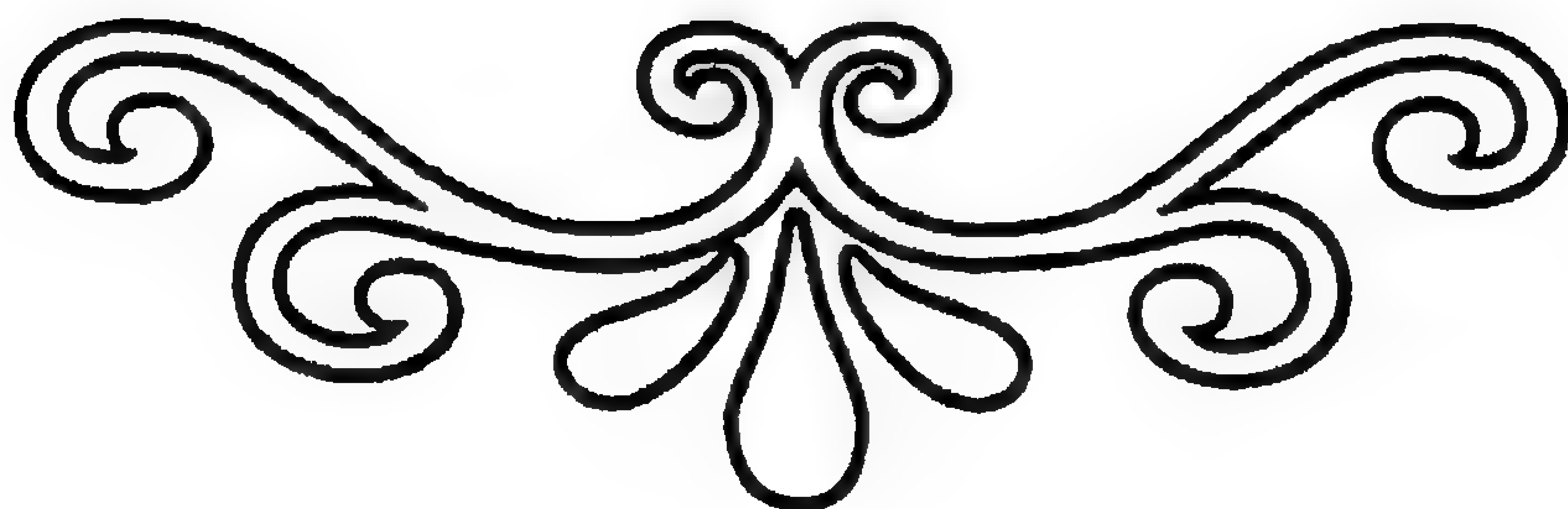
- كتاب الموتى عند المصريين القدماء.



الوحدة الحادية عشر

الأديان السماوية قبل الإسلام

اليهــــوديــة



محتويات الوحدة الحادية عشرة

- الألقاب العامة لأتباع هذه الملة.
- التاريخ اليهودي.
- من كتب اليهود «التوراة».



أهمية دراسة الوحدة:

عزيزي الدارس: تتركز أهمية هذه الوحدة في تعريف الطالب بألقاب ومصطلحات أتباع هذه الملة والتعرف على التاريخ اليهودي، وعلى حكم كتابهم «التوراة»، ومن هنا تكمن أهمية هذه الوحدة، وهذا ما ستتعرف عليه خلال الصفحات التالية.

الأهداف التعليمية:



عزيزي الدارس: يُرجى منك بعد دراستك لهذه الوحدة أن تكون قادرًا على أن:

١- تقف على الألقاب العامة لأتباع الملة اليهودية.

٢- تعرف التاريخ اليهودي في أدواره المختلفة.

٣- تحيط علمًا بالتوراة- تعريفًا وتأليفا وتاريخًا وتعاليم.

الملة اليهودية

الألقاب العامة لأتباع هذه الملة:

أولاً: العبريون «العبرانيون»[1]:

جمع عِبْري نسبة إلى عِبْر- بكسر الأول والثاني متوسط ومد الأول في العبرية وفي العربية نسبة إلى عابر كما جاء في ترجمة العربية، أن عَابَر أجداد إبراهيم الذي أتى بهم إلى فلسطين وقد منحهم اللقب الكنعانيون، إذ سموا إبراهيم إبرام العبراني- جاء في سفر التكوين «فجاء من أفلت وأخبر أبرام العِبْراني...»[2]، كما جاء سفر التكوين «وولد لسام أيضًا بنون وهو أبو جميع عَابَر أخو يافث الأكبر»[3].

ودل هذا على أن عابر ينتهي نسبه إلى سام أحد أبناء نوح ﷺ ويذكر سفر التكوين أن عابر عاش أربعًا وثلاثين سنة وولد فالج، وعاش عابر بعد ما ولد فالج أربعمائة وثلاثين سنة ولد فيها بنين وبنات[4].

وقد كان إبراهيم أول من ذكر بالانتساب إلى جده أو عِبْر أو عابر، كان أعظم أولاد سام وأكرمهم، كما يذهب إلى تعليل ذلك إلى معنى البر أي: إلى إبراهيم نهر الفرات إلى فلسطين[5] وقال البعض: عبري، لأنه من عِبْر، وسائر العالم من عِبْر آخر، معني

---

(١) راجع القراؤن والربانون: مراد فرج «مصر: شركة مطبعة الرغائب»- «١٠، ١٧٧».

(٢) تك: ١٤: ١٣.

(٣) تك: ١٠: ٢١.

(٤) تك: ١١: ١٦- ١٧.

(٥) القراؤن والربانون: ص١٠.

الكلمة: الشاطئ والناحية وجانب النهر، وعِبره: شاطئه وناحيته[1] والمعنى أن إبراهيم عليه السلام انفراد عن سائر الأمم بمعرفته الله أي: هو في ناحية وهم في ناحية، وهذا تأويل بعيد، ويذهب البعض أن كلمة عبري لا ترجع إلى شخص بعينه، أو حادثة بعينها، وإنما ترجع إلى الموطن الأصلي لبني إسرائيل وذلك أن بني إسرائيل كانوا في الأصل من الأمم البدوية الصحراوية التي في الأصل لا تستقر في مكان،بل ترحل من بقعة إلى أخرى للبحث عن الماء والمرعى، وكلمة عبري في الأصل مشتقه من الفعل الثلاثي عبر بمعني قطع مرحلة من الطريق أو الوادي أو لنهر... وهذا المعني موجود في هذا الفعل سواء في العبرية وهي في مجملها ويذهب البعض إلى أن الكلمة منسوبة إلى طائفة من المعارضين لفرعون مصر عرفت باسم «عابروا- عبيروا» Apiru. أو «هابيروا» Habiru. وهي طائفة من العمال كانوا يستخدمون في أعمال الزراعة وغيرها البناء وسيَّاسيًا للخيل والدواب، وفي أعمال الزراعة وغيرها وكانت هذه الطائفة مزيجًا مختلطًا من عناصر يدوية مختلفة أخذت من الكنعانية لغتهم وكانوا جزءًا من الهجرات اليدوية الكبرى، حيث هاجرت إلى مصر ثم هربت منها لسوء ما لقته من معاملة الفراعنة، وقد كان رمسيس الثاني بصورة خاصة يضطهد العبيرو[2].

كما عرف العبريون بذلك عرفت لغتهم بالعبرية، وانتشر هذا اللقب بين الأمم واستعمله المصريون والفلسطينيون كما استعمله العبريون أنفسهم، وإن كانوا يفضلون عليه لفظة «إسرائيل»[3].

---

(١) قاموس الكتاب المقدس: ٥٦٩.

(٢) المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم: محمد علي البار- ط١ «دمشق: دار القلم، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م»، «٣١-٣٨».

(٣) قاموس الكتاب المقدس ٥٩٦ وراجع سفر التكوين ١٤٠ : ١٥ : ٤٠، ٤١ : ١٢، وسفر صمويل الأول ٤ : ٦، وسفر الخروج ٢ : ٧.

ثانيًا: الإسرائيليون «بنو إسرائيل».

نسبة إلى إسرائيل بالعربية، ويسرائيل بالعبرية، وهي كلمة مركبة من كلمتين «يسر- إيل» ويسر من مصدر «سَرُه» بفتح فضم متوسطًا ممدودًا، والهاء كرم، شرف، وإيل بمعني: القادر، وتأتي بمعني الملك استعارة، ومن أسماء الله الحسني، فإنه القادر على كل شيء ويِسْرائيل: كسر فسكون ففتح وتوسط- كسر الهمزة ممدودًا هو الاسم الثاني ليعقوب جد اليهود ﷺ، ولذا قيل لهم إسرائيليون نسبة إليه، كما قيل بنو إسرائيل لأنهم بنوه[(١)] وللبعض أن معني الاسم العبري إسرائيل «يجاهد مع الله» أو «الله يصارح»[(٢)] أو بمعني «القادر بالله»[(٣)] أو بمعني «عبد الله»[(٤)] وقد جاء ذكر إسرائيل في الكتاب المقدس على ما يأتي:

يعقوب والسبب في تسمية يعقوب بإسرائيل ما جاء بيانه في سفر التكوين، حين ذكر بأن حاشاه يعقوب الذي تصفه التوراة بأنه ضعيف الجسد ومخادع- رأى الله على هيئة رجل- تعالي الله عما يقولون علوًا كثيرًا- فصارع الله طول الليل حتى طلع الفجر، فقال له الرب: أطلقني لأن الفجر قد طلع، ولكن يعقوب أبى أن يطلقه حتى يأخذ العهد من الله ولبنيه أبد الدهر... عهدًا بأن يأخذ أرض فلسطين ملكًا أبديًا له ولنَسلِهِ، فأعطاه الله هذا العهد وباركه.

(١) القراؤن والربانون ص١١، ١٧٧- ١٧٨.

(٢) قاموس الكتاب المقدس: ٦٩.

(٣) خطط المقريوي:٢.

(٤) بنو إسرائيل في القرآن والسنة: محمد سيد طنطاوي، ط١ «١٩٦٨م» ١/ ٦.

وإليك ما جاء في سفر التكوين:

«وبقي يعقوب وحده مصارعه رجل إلى مطلع الفجر، وأي أنه لا يقدر عليه فلمس حُق وركه، فانخلع حق ورك يعقوب في مصارعته له. وقال أطلقني لأنه قد طلع الفجر، فقال لا أطلقك أو تباركني... فقال له ما اسمك؟ قال: يعقوب. قال: لا يكون اسمك يعقوب فيما بعد، بل إسرائيل لأنك إذ رَؤست عند الله فعلى الناس أيضًا تستظهر يعقوب وقال: عرفني اسمك؟ المسؤالك عن اسمي وباركه هناك، وسمي يعقوب الموضع فنو إسرائيل قائلًا: إني رأيت الله وجهًا إلى وجه ونجت نفسي» [(١)] وجاء أيضًا «وظهر الله ليعقوب أيضًا بعد ما رجع من فدان أرام فباركه». وقال له الله: اسمك يعقوب، لا يكون بعد اسمك يعقوب بل إسرائيل يكون اسمك. فسماه إسرائيل. وقال له الله: أنا الله القدير أثم وأكثر. أمه وجماعة أمم تكون منك وملوك من صلبك يخرجون، والأرض التي جعلتها لإبراهيم وإسحاق، ولك أجعلها، ولنسلك من بعدك اجعل الأرض، ثم ارتفع الله عنه في الموضع الذي خاطبه فيه. فنصب يعقوب عليه سكيبًا وصب عليه وهنًا، وسمي يعقوب ذلك الموضع الذي كلمه الله فيه بيت إيل» [(٢)].

وأطلق إسرائيل أيضًا على نسل يعقوب جميعًا فاستعمل كمرادف لبني إسرائيل، وقد بدأ بتسمية نسل يعقوب بهذا حتى في حياة يعقوب [(٣)]. كما يطلق على العشرة الأسباط الذين انشقوا وانفصلوا عن يهوذا وبنيامين، وأصبحوا مملكة إسرائيل في الشمال مقابل مملكة يهودا [(٤)] في الجنوب.

---

(١) تك ٣٢: ٢٤- ٣١.

(٢) تك ٣٥: ١٩- ١٥، ٣٣: ٥.

(٣) تك ٣٤: ٧، عدد ٢٣: ٢٧، مرتدر ١٤: ٧، خروج ٣٢: ٤.

(٤) راجع قاموس الكتاب المقدس ٦٩.

ويستعمل الاسم «إسرائيل» و «إسرائيليون»، بمعني روحي باعتبارهم شعب الله الروحي الأمين ولهم والمجد والعهود والاشتراع والعبادة والمواعيد كما ذكر بولس لأهل رومية «٩: ٤» فهم موصوفون بامتيازات عديدة [١] أما ذكرهم في القرآن الكريم فقد تكرر ذكر «إسرائيل» في ثلاثة وأربعين موضعًا [٢] كلها في بني إسرائيل وهو نبي الله يعقوب، فيذكر القرآن الكريم أن كل الأطعمة الطيبة كانت حلالًا لأبناء يعقوب عليه السلام إلا ما حرم يعقوب على نفسه لمرض نزل به، وذلك من قبل أن تنزل التوراة ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۚ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ﴾ [٣]، أما في الموضع الآخر، فإن الله يقص على نبيه محمد ﷺ خبر بعض الأنبياء ذرية يعقوب ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [٤]، وعدا هذين الموضعين فقد ذكرهم القرآن ﴿بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ ولقد بين الله في كتابه ما أنعم به عليهم من نعم كثيرة إذا نجاهم من عدوه، وأنقذهم من العذاب المهين، وخلصهم من فرعون وجنوده وأورثهم الكتاب والحكم والنبوة، وبوأهم مبوأ صدق ومنزلًا صالحًا في الشام ومصر، ورزقهم من الطيبات وفضلهم على عالمي زمانهم.

أما نبي الله يعقوب فقد جاء القرآن مصرحًا باسمه في ستة عشر موضعًا [٥]. وفرق

---

(١) راجع قاموس الكتاب المقدس ٦٩.

(٢) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص ٣٣.

(٣) آل عمران: ٩٣.

(٤) مريم: ٥٨.

(٥) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص٧٧٣.

عظيم بين ما ذكره القرآن الكريم والعهد القديم في شأن يعقوب، فهو في القرآن الكريم من عباد الله الصالحين المهديين الموحدين، وجعل الله في ذريته النبوة والكتاب، وأتم نعمته عليه وعلى آله ﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾(1)، ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾(2)، ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلًّا هَدَيۡنَاۚ﴾(3). ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا صَٰلِحِينَ﴾(4).

أما العهد القديم فإنه يحكي عن يعقوب «حاشاه» نقائص كثيرة منها:

- أن يعقوب كان أنانيًا فاتخذ فرصة جوع أخيه عيسو فاشتري منه بكورتيه «وكأنها تشتري!» لأنهما كانا توأمين، لكن عيسو خرج قبل أخيه يعقوب(5).
- أن يعقوب «حاشاه» كان محتالًا مخادعًا، لأنه أخذ بركة أبيه إسحاق بدلًا من أخيه عيسو عن طريق الاحتيال مع أمه، وكأن النبوة تنال بهذا الطريق! ويبدو أن الخداع والاحتيال والدعاء كان أبرز صفاته مع الآخرين(6).
- أن الله «تعالى» ظهر له مرتين، وأن يعقوب صرعه في المرة الأولي، ودعا المكان الذي صرعه فيه «فنيئيل» أي: وجه الله، أنه قال: إني نظرت إليه وجهًا لوجه ونجيت نفسي(7).

---

(1) ص: ٤٥.

(2) البقرة: ١٣٢.

(3) الأنعام: ٨٤.

(4) الأنبياء: ٧٢.

(5) راجع تك ٢٥: ٢٤- ٣٤.

(6) راجع الإصحاح السابع والعشرين سفر التكوين، وراجع الإصحاح الواحد والثلاثين السفر نفسه.

(7) راجع الإصحاح الثاني والثلاثين، والخامس والثلاثين سفر التكوين.

- أن بيت يعقوب كان مسرحًا للشرك والوثنية من زوجته، والحقد والزنا منه أولاده.

يقول محررو قاموس الكتاب المقدس ما نصه: «وكانت ليعقوب نقائص ظاهرة في طباعه، دفعته إلى ارتكاب أخطاء فاحشة، كان يجب أن يتحمل تبعاتها ونتائجها»[1].

فأين هذا الكلام من كلام الله تعالى في كتابة الكريم القرآن الحكيم؟ لكن «علي أية حال يري اليهود أن خير مسميتهم هو اسم إسرائيل أو بني إسرائيل لما في ذلك من الدلالة علي أن أباهم يعقوب قد جاهد مع الله وقدر وأخذ منه البركة عنوة، كما أخذ من العهد الأبدي له ولنسله بجعلهم ملوكًا وسادة علي جميع البشر، وأعطاهم أرضًا تفيض لبنًا وعسلًا، هي أرض فلسطين، لهذا يصر اليهود على هذه التسمية المرتبطة بالاصطفاء والاختيار، والقرب من الله والمكانة الرفيقة لديه، لأن أباهم -حسب زعمهم- جاهد مع الله وقدر»[2].

ثالثًا: اليهود:

نسبة إلى يهودا رابع أولاد يعقوب من زوجته ليئة، من مصدر «يَدُه» بفتح فضم متوسطًا ممدودًا، والهاء لا تنطق، بمعني الحمد والشكر، وقيل ذلك، أن والدته حين جاءها حمدت وشكرت، وقالت: الآن «أده» بضم الأول وكسر الدال متوسطين، والهاء لا تنطق، أي: احمد وأشكر، فلما كبر ألاثني عشر أولاد يعقوب، قَدَّم عليهم يهودا وجعله حاكمًا على إخوته الأحد عشر سبطًا[3]، فاستمر رئيسًا وحاكمًا عليهم إلى أن

(١) قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٧٥.

(٢) المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم ص ٤٠.

(٣) سبط «شبط» معناها: عصا أو جماعة يقودها رئيس بعضا، وكانت تطلق على كل من أولاد يعقوب وكذلك على كل من أفرايم وقَنَيذَ ابني يوسف، وكان عدد الأسباط اثني عشر سبطًا تقسمت عليهم

مات، فآلت الرئاسة من بعده إلى أولاده، إلى أن أرسل الله موسى ﷺ، فلما نجاه وقومه من فرعون، رتب ﷺ بني إسرائيل الاثنى عشر سبطًا أربع فرق، وقدم علي جميعهم سبط يهودا، فلم يزل مقدمًا علي سائر الأسباط إلى أن ملك داود ثم سليمان، فلما مات سليمان افترقت الدولة إلى مملكتين،أحدهما: سبط يهودا لأن أكثرهم كان من سبطه.

والمملكة الثانية: هي العشرة الأسباط الباقة، وقد صارت لمدينة شمرون «نابلس»، وكان يقال لهم بنو إسرائيل، إلى أن انقرضت هذه المملكة الثانية، فصاروا كلهم بالقدس تحت طاعة الملوك من بني يهودا إلى أن قدم «بخت نصر» وخرب القدس، وجلاهم جميعًا إلى بابل، فرفعوا هناك بين الأمم ببني يهودا، واستمر هذا سمة لهم، وكان يقال للواحد منهم: يوهذي «بالذال المعجمة» إلى أن رجع الاسم إلى أصله العبري، فقيل: يهودي[(١)].

ويرى بعض الباحثين أن اليهود سموا بهذا لأنهم كانوا يتهودون عند قراءة التوراة، أي: يتحركون ويتمايلون[(٢)]. فإذا رجعنا إلى القران الكريم نجده ذكرهم[(٣)] بلفظ: ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا۟﴾ عشر مرات، وبلفظ: ﴿هُدْنَا﴾ مرة واحدة، و ﴿هُودًا﴾ ثلاث مرات،

أرض كنعان، وكان لكل سبط رئيس واستقلال ذاتي، ولكن كان يرتبط بمعاهدة مع باقي الأسباط حتى حدثت خصومة بين يهودا وأفريم انتهت إلى انقسام المملكة، وأسماء الأسباط أبجديًا هي: أشي، أفرايم، بنيامين، جادهوان، راوبين، زبولون، شمعون، لاوى، منسى، نفتالي، يَسّاكر، يهوذا.

«راجع قاموس الكتاب المقدس ص٤٥٥ - ٤٥٦».

(١) القراؤن الربانون ص١١ - ١٢. وراجع: قاموس الكتاب المقدس ص١٠٨٤.

(٢) المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم ص٤٣.

(٣) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص٧٣٩، ص٧٧٥.

وبلفظ: ﴿الْيَهُودُ﴾ ثماني مرات، وبلفظ: ﴿يَهُودِيًّا﴾ مرة واحدة، ومما يلاحظ في كل هذه المواضع ما يلي:

- أن اليهود سموا بهذا لأنهم قالوا علي لسان موسى عليه السلام: إنا هدنا إليك، أي: تضرعنا وتبنا ورجعنا بعد ما صدر منهم من أفعال منكرة مستبشعة كقولهم لموسى: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾[1]، ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ۚ﴾[2]. ﴿ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾[3]، ثم يحكي الله عنه: ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ۚ﴾[4].

- اليهود ليسوا سواء فيهم أمة، منهم المؤمن، ومنهم الكافر، لكن الغالب عليهم الصفات القبيحة كالظلم، وأكل أموال الناس بالباطل، وتحريف الكلم عن مواضعه، وسماع الكذب، وصدهم عن سبيل الله، والغرور والتمثل في قولهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ۚ﴾[5]، وأنهم: ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ﴾[6]، ﴿كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا ۗ﴾[7]، وأنهم: ﴿أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ

---

(١) البقرة: ٥٥.
(٢) الأعراف: ١٣٨.
(٣) النساء: ١٥٣.
(٤) الأعراف: ١٥٦.
(٥) المائدة: ١٨.
(٦) البقرة: ١١١.
(٧) البقرة: ١٣٥.

ٱلنَّاسِ﴾[1] أضف إلى هذا ما زعموه كفرًا بقولهم: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ﴾[2] ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ﴾[3] ﴿عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ﴾[4] وبسبب هذه الصفات القبيحة وغيرها من الأخلاق المذمومة وذنوبهم العديدة حرم الله عليهم طيبات أحلت لهم، وعذبهم ولعنهم في الدنيا والآخرة.

نفي الله سبحانه وتعالى أن يكون إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط هودًا أو نصارى، وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾[5]. ﴿أَمۡ تَقُولُونَ إِنَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ قُلۡ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ ...﴾[6].

رابعًا: أهل الكتاب:

نسبة إلى التوراة، وهو الكتاب الذي أنزله الله على نبيه موسى عليه السلام، وقد ورد التنويه بشأن هذا الكتاب في مواضع كثيرة من كتاب الله تعالى منها:

- ﴿وَءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلۡنَٰهُ هُدٗى لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾[7].
- ﴿قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ﴾[1].

---

(١) الجمعة: ٦.

(٢) آل عمران: ١٨١.

(٣) المائدة: ٦٤.

(٤) التوبة: ٣٠.

(٥) آل عمران: ٦٧.

(٦) البقرة: ١٤٠.

(٧) الإسراء: ٢.

- ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾[2].
- ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا﴾[3].
- ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾[4].

ومن الواضح أن أهل الكتاب، وإن كانت تطلق على اليهود والنصارى جميعًا إلا أنها تطلق علي اليهود خاصة، فمن الإطلاق الأول قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾[5]. ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾[6].

أما إطلاقها على اليهود خاصة: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ﴾[7].

خامسًا: بني صهيون «الصهاينة»:

نسبة إلى صهيون، وهو اسم عبري معناه على الأرجح «حصن» وهو[8]: اسم رابية

(١) الأنعام: ٩١.
(٢) الأنعام: ١٥٤.
(٣) الفرقان: ٣٥.
(٤) غافر:٥٣.
(٥) آل عمران: ٦٤.
(٦) المائدة: ٦٨.
(٧) آل عمرن: ٧٥.
(٨) اتسع نطاق صهيون حتى شملت الهيكل.

من الروابي التي تقوم عليها أورشليم، ورد ذكرها للمرة الأولي في العهد القديم كموقع لحصن يبوسى، واحتل داود الحصن وسماه مدينة داود، وإليها أتى بالتابوت فمنذئذ صارت الرابية مقدسة، ثم نقل سليمان التابوت إلى هيكل الذي أقام على جبل المريّ. اتسع نطاق صهيون حتى شملت الهيكل. يطلق كثيرًا اسم صهيون على أورشليم كاملة، كنيسة اليهود وأمتهم.

فالأمة اليهودية يطلق عليها صهيون أو بني صهيون أو الصهيونية أو الصهاينة.

سادسًا: الموسون:

نسبة إلى موسى عليه السلام[(1)]، وتنقسم إلى ثلاثة أقسام: كما يقول محررو قاموس الكتاب المقدس- كل منها أربعون سنة ولد موسى في الوقت الذي فيه كان فرعون قد شدد الأمر بقتل صبيان العبرانيين، وكان موسى أصغر أولاد بيه وثالث ثلاثة: مريم البكر وهارون الثاني، وقصته في سفر الخروج مفصلة، وهي قريبة كثيرًا مما قصه القرآن في سورة، والمائدة، والأعراف، ويونس، وطه، والشعراء، والنمل، والقصص، وغافر.

ويهمنا في هذا الشأن أن نقرر الحقائق التالية:

- إن تاريخ اليهود الحقيقي يبدأ مع موسى عليه السلام فهم أمته، وهو رسولهم، واليهود تدعي أن الشريعة لا تكون إلا وحدة وهي ابتدأت بموسي وتمت به[(2)].
- إن ما اعتادوه مؤرخو الأديان عامة في كتابة التاريخ اليهودي بدعاء من

---

(1) اسم مصري معناه «ولد» وفي العبرية معناه: «متنشل» جاء في سفر الخروج «٢: ١٠»: «ولما كبر الصبي جاءت به ابنة فرعون فاتخذته ابنًا لها وسمته موسى، لأني انتشلته من الماء».

(2) املل والنحل للشهرستاني ٣/ ٤٢.

إبراهيم عليه السلام لا تقوم به حجة لأسباب كثيرة منها:

- أن إبراهيم لم يكن يهوديًا، وأنه أبو الأنبياء جميعًا من بعده، وأن اليهود أنفسهم لا يفضلون اسم العبريين بل يفضلون اسم الإسرائيليين كما سبق ذكره.
- إن موسى هو الشخصية الأساسية في الفكر اليهودي، فهو الذي قاد شعبه، وهو الذي أنقذهم من فرعون، وهو الذي كلمة الله، وهو الذي أعطاه الله الناموس، ولخص لهم تاريخ رحلاتهم ومعاملة الله لهم في البرية وإنذارهم من الارتداد، وأوصاهم بما يجب عمله، ثم بارك الأسباط حتى قصة وفاته التي تختمها التوراة التي بين أيدي اليهود بما يلي: «ولم يقم من بني في إسرائيل كموسى الذي عرفه الرب وجهًا إلى وجه. وفي جميع الآيات والمعجزات التي بعثة الرب ليصنعها في أرض مصر بفرعون، وجميع عبيده وجميع أرضه، وفي كل يد قديرة وكل مخافة عظيمة صنعها موسى على عيون جميع بني إسرائيل»(1).

وإذا كانت التوراة تشتمل على خمسة أسفار:

التكوين والخروج والأحبار والعدد وتثنية الاقتراع، فإنها جميعًا - عدا التكوين - تغطي سيرة موسى عليه السلام، فلنبدأ تاريخ اليهود بموسى عليه السلام، وما قبله لا يكون إلا لحاجة تقدر بقدرها.

وقبل أن نودع هذه النقطة لنشرع في بيان التاريخ اليهودي نود أن نقول إنه من الطريف أن اليهود المعاصرين لا يزالون مختلفين في تحديد ماهية من هو اليهودي الذي من حقه حمل جنسية إسرائيل؟(2).

---

(1) سفر تثنية الاقتراع ٣٤: ١٠- ١٢.

(2) صحيفة الأهرام بتاريخ ٧/ ٤ ١٩٩٧.

ولنترك الآن الجدال الدائر في الأوساط اليهودية في تصريف اليهودي، لنتعرف على تاريخهم.

التاريخ اليهودي:

التاريخ اليهودي العام من القضايا الإنسانية الشائكة والمغولة في الغموض ذلك لأن هذا التاريخ قد اختلطت فيه وارتبطت عوامل التاريخ الاجتماعي والسياسي مع معطيات العقيدة الدينية واتجاهات الأخلاق وإفرازات الأدب والفن[1] أضف إلى هذا أن اليهود يكادون يكونون الأمة الوحيدة التي كتبت تاريخها بيدها ووضعته في إطاره الإنساني حسب هواها بل وضعته في إطار من المقدسات والغيبيات وجعلته كله وحيًا من السماء نازلًا بإرادة الله وبألفاظ فمه بحيث يعلو فوق الجدل والنقاش[2]:

لقد مر هذا التاريخ كما يرى بعض الباحثين بخمسة أدوار[3]:

الدور الأول:

من عهد إبراهيم عليه السلام أبي الأنبياء وخليل الرحمن إلى خروج اليهود من مصر «١٩٦٦ق. م- ١٦٤٥ق.م». حيث عبر إبراهيم نهر الفرات إلى أرض كنعان[4] وقد رزق الله يعقوب اثني عشر ولدًا منهم يوسف عليه السلام الذي صار ذا مكانة عظيمة في مصر

---

(١) التاريخ اليهودي العام: د. صابر طعيمة ص(ز) من المقدمة ج١ دار الجيل بيروت ١٩٧٥م.

(٢) الصهيونية العالمية وإسرائيل: د. حسن ظاظا وآخرين ص٩ جامعة عين شمس ١٩٧٢م.

(٣) دائرة معارف في القرن العشرين محمد فريد وجدي م١ دار المعرفة بيروت ط(٣) ١٩٧١م.
بنو إسرائيل في القرآن والسنة د.محمد طنطاوي ج١ ص ١٠- ١٩ ط(١) ١٣٨٨هـ- ١٩٦٨م.

(٤) كنعان «فلسطين» انظر أطلس الكتاب المقدس حرره الأستاذ هـ.هـ رولي ص٢٢ دار النشر المعمودية بيروت ١٩٨٣م.

ولما عاني أهله المجاعة في أرض كنعان جاءوا مصر وعاشوا فيها حتى اضطروا للخروج منها على يد موسى عليه السلام **«فرارًا من اضطهاد الفراعنة لهم»**.

الدور الثاني:

من خروج اليهود من مصر إلى تأسيسهم الملكية «١٦٤٥ق.م- ١٠٨٠ق.م»، وفيه حصل التيه لبني إسرائيل وتلقي الألواح ووفاته وتولية يوشع بن نون **«وصيه وفتاه والقائم بالأمر بعده»** قيادة اليهود بعده، انتصاره على أعداءه، واحتلاله أرض كنعان وتقسيمها علي اثني عشر سبطًا ثم كانت بعده حكومة القضاء التي دامت أربعة قرون.

الدور الثالث:

من تأسيسهم الملكية إلى بابل «١٠٨٠ق.م- ٥٣٦ق.م» أظهر بنو إسرائيل تعبهم من حكم القضاة فطلبوا إلى النبي صموائيل أن يقيم لهم ملكًا فعارضهم في ذلك فلم يسمعوا لقوله عزله وأقام داود ملكًا، ودام ملكه أربعين سنة، ثم تولى الملك بعد وفاته ابنه سليمان عليه السلام، فبني مدينة أورشليم، ولما مات انقسم ملكه إلى قسمين: يهوذا وإسرائيل، فكان الانقسام شرًا عليهم وسبب الحرب الطاحنه بينهما. وفي هذا الدور خرب بختصر «بنوخذ مصر» أورشليم، وقاد أكثر أهلها أسرى «٥٨٧ق.م».

الدور الرابع:

من أسر بابل إلى خراب بيت المقدس «٥٣٦ق.م-١٣٥م» لما استولى قيروش «كورش» الفارسي على بابل تخلص اليهود من أسر البابلين وعادوا إلى فلسطين «٥٣٦» وعاشوا في أمان بان حكم فارس لكنه تبدل إلى خوف إبان الرومان حيث عسف الرومانيون باليهود وساموهم سوء العذاب، ولما ثاروا اضطروا الرومانيون لأخذ

أورشليم سنة ٧٠م، وأمر ملكهم تيطس «تيتوس –طيطش» بإحراق معبدهم وذبح معظم أهلها، وبيع من يبقى منهم فلم يمض غير قليل حتى عمرت أورشليم مرة ثانية، ولكن ثورة أخرى جعلت الإمبراطور الروماني أدريان سنة ١٣٥م يأمر بهدم المدينة من أساسها وتشريد أهلها في جميع أرجاء المملكة، ولكن هذا التشريد الهائل لم يزد اليهود إلا تمسكًا بدينهم وتقاليدهم.

الدور الخامس:

«من عهد تفرقهم في الأرض إلى اليوم»: لما تمزق شمل اليهود كل ممزق وانشقت عصا وحدتهم الاجتماعية، هاجرت طائفة منهم ونزلت بشواطئ نهر الفرات وقصدت أخرى بلاد الأفغان وهبط بعضها الهند والصين. «ويؤكد المؤرخون على أن كثيرين من يهود فلسطين قد وصلوا منذ ما قبل المسيح بقرون عديدة إلى شواطئ روسيا وانتشروا عبر منطقه القوقاز... وقد كان أكبرهم هجرة مؤشرة على تاريخ اليهود تلك التي حدثت في اتجاه شرق أوربا اتجاه الغرب ألمانيا بالذات»[(1)].

اليهود اليوم:

ينقسم اليهود اليوم إلى طائفتين رئيسيتين:

الأشكناز: **Ashk enaz im**

وهم اليهود الذين استقروا في شمال أوربا وشرقها وكلمة أشكناز كانت تدل في الفكر اليهودي في العصور الوسطي على الأراضي الأوربية التي يسكنها الجنس الجرماني ثم

(١) الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية: د. رشاد عبد الله الشامي ص١٠ سلسلة عالم المعرفة «١٠٢» رمضان ١٤٠٦هـ- يونيو ١٩٨٦ الكويت.

أصبحت تعني ألمانيا باختصار، ومع ذلك فإن جزاءً كبيرًا منهم انتشروا في النمسا وشمال شرق فرنسا وبولونيا وسائر دول أوربا الشرقية وروسيا والجمهوريات المحيطة بها [1]. وهؤلاء جميعًا يؤلفون حوالي تسعة أعشار يهود العالم أي حوالي ٩٠٪ منهم.

ويتضح لنا بعد دراسة الأسانيد التاريخية والعلمية أن يهود الأشكناز هم المتهودون الذين لم يتسن لهم أو لأجدادهم أن يروا فلسطين بل ولم يكن لهم أية صلة بها في أي وقت من الأوقات [2]. حيث شرعت العروق غير السامية والتركية والفنلندية في التوافد إلى أوروبا قادمة من آسيا منذ القرن الأول الميلادي عبر الممر الأرضي الواقع شمالي بحر قزوين ويطلق التاريخ هذه الشعوب الوثنية اسم «الخزر» [3]. وهم في الأصل شعب تركي تمتزج حياته وتاريخه بالبداية الأولي لتاريخ يهود روسيا أكرهته القبائل البدوية في السهول من جهة ودفعه توقه إلى السلب والانتقام من جهة أخري علي توطيد أسس مملكة الخزر في معظم أجزاء روسيا الجنوبية [4] في حوالي سنة ٧٢٠م أصبحت مملكة الخزر الوثنية تشكل شعب من يزعمون أنفسهم يهودا كما أضحي الملك بولان bulan أول ملك للخزر في السنة ذاتها يدعي يهوديًا بالتحول والاعتناق وأصبح دين الملك بولان الجديد بعد ذلك دينًا رسميًا لمملكة الخزر [5]، وقد عاشت مملكة الخزر اليهودية ما يقارب الخمسمائة عام حتى

---

(١) الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه د. حسن ظاظا ص ٢٤٣- ٢٤٤ بتصرف. قسم البحوث والدراسات الفلسطينية ١٩٧٥م.

(٢) النشاط الصهيوني الماسوني في العالم العربي ص١٦.

(٣) أحجار علي رقعة الشطرنج: وليم غاي كار ٤٩ دار لنفائس بيروت. ط(٥) ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

(٤) يهود اليهود ليسوا يهودا بنيامين فريد مان. إعداد: زهدي الفاتح ص١٩ دار النفائس بيروت ط(٢) «١٤٠٣هـ-١٩٨٣م».

(٥) المرجع السابق ص١٥.

سقطت في نهاية القرن الثالث عشر في أيدي الروس الذين هاجموهم من الشمال، وقد انتقلت لروح الثورية من الخزر اليهودية إلى الإمبراطورية الروسية، واستمرت حتى ثورة تشرين الأول «أكتوبر» الحمراء ١٩١٧م[١].

ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى أن الاشكيناز هم أقطاب الصهيونية الحديثة[٢] وعلى رأسهم هرتزل.

يقول المشترق «د. م دنلوب ((D.M. Dunlop في طبعة الموسوعة اليهودية عام ١٩٧٣ تحت موضوع «الخزر» إن ليهودي في أى مكان له علاقة بالخزريين ذلك ما أثبتته البراهين الفولكورية «التراث الشعبي» والانثروبولوجيا «علم الأجناس» واللغة إضافة إلى الأدلة الكثيرة التي تؤكد وتثبت على أن يهود اليوم في أوربا هم من نسل الخزر[٣].

السفرد: **Sephard im**

وهؤلاء هم اليهود الذين استقروا في البحر الأبيض المتوسط وكلمة سفرد كانت تدل في الفكر اليهودي في العصور الوسطي على شبة جزيرة أيبيريا التي تضم أسبانيا والبرتغال ثم أصبحت أسبانيا باختصار ويهود العالم هم بطبيعة الحال من السفرد[٤].

(١) أحجار علي رقعة الشطرنج ٤٩.

(٢) الفكر الديني الإسرائيلي ص٢٤٤.

(٣) النشاط الصهيوني في الماسوني في العالم العربي ص٢٥.

(٤) الفكر الديني الإسرائيلي ص٢٤٥- ٢٤٦ بتصرف.

وتمثل هذه الطائفة عشر يهود العالم أي حوالي ١٠٪ من يهود عالم اليوم[(١)]، ومن الباحثين من يقسم اليهود حاليًا إلى قسمين[(٢)]: سامين وينسبهم إلى إبراهيم ﷺ، بينما يذهب مؤرخون آخرون أن اليهود خليط متنوع من الناس جميعهم الحرمان وسوء السلوك، وكانوا يغيرون على المدن الكنعانية فيعلموت بها سرقًا ونهبًا وحرقًا وهؤلاء يمثلون نسبة ضئيلة من يهود العالم اليوم. أما غير الساميين فإنهم يشكلون غالبية اليهود كما سبق بيانه.

الخلاصة: إن اليهود عبارة عن طائفة دينية اجتماعية انضم إليها في جميع العصور أفراد من شتي الأجناس، وقد جاء المتهودون من جميع الآفاق، ومن المستحيل أن نتصور أن اليهود ذوي الشعر الأشقر أو الكستنائي والعيون الصافية الذين تلقاهم كثيرًا في أوربا يتمون بصلة القرابة- قرابة الدم- إلى أولئك الإسرائيليين القدماء.

والواقع التاريخي يشهد بأن تاريخ العالم هو تاريخ الهجران واختلاط الأجناس، وإذا ما تحدثنا عن الدين فإنه يستحيل علينا أن نربط بين الدين والعنصر أو الجنس فهناك أناس من أجناس متعددة اعتنقت اليهودية بالإضافة إلى أن اليهود اختلطوا بكافة شعوب الأرض خاصة، وأنهم تعرضوا مرات عديدة إلى الطرد أو التهجير الجماعي ومؤدى هذه الحقيقة هو أنه لا توجد لليهود أية خاصية عنصرية أو عرقية متميزة.

وبالإضافة إلى عدم توافر الوحدة العنصرية ووحدة الإقامة ووحدة التاريخ بين يهود العالم المشتتين في أرجائه المختلفة، نجد أن يهود العالم لا يتحدثون لغة واحدة على

(١) النشاط الصهيوني الماسوني ص١٦.

(٢) حكومة العالم الخفية: شيريب سبيريد وفيتش. ترجمة: مأمون سعيد. ص ١٥- ١٧ بتصرف. دار النفائس بيروت ص. ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

الرغم من الجهود المضنية التي بذلها ويبذلها حاخاماتهم وزعماؤهم السياسيون لجعل اللغة العبرية هي لغة يهود العالم، ولا شكَّ أن ظروف كل جماعة يهودية داخل مجتمع معين تفرض على أبناء هذه الجماعة إجادة لغة ذلك المجتمع الذي يتعامل مع أعضائه بصفة مستمرة ويومية الإضافة إلى رفض بعض المتهودين التخلي عن لغاتهم الأصلية، وهكذا نجد أن الحديث عن أمة أو عين قومية يهودية محض خرافة اختلقها زعماء الصهيونية من أجل تجمع يهود العالم[(١)].

إن اليهود ليسوا هم سكان كنعان الأصليين إنما وضعهم الطارئ فيها دائمًا محتلين كوضعهم اليوم[(٢)] أما الشعب الفلسطيني فلقد كان قوامة من الساميين العرب والكنعانيين الذين نزحوا من جنوب الجزيرة العربية في العصور السابقة للتاريخ والأدوميين الذين كانوا فرعًا من الدوحة السامية ينتمون إلى الجزء الشمالي من بلاد العرب والمدينين الذين انطلقوا من شمال الحجاز وذلك قبل أن يعرف العالم شيئا عن العبريين «اليهود» بل قبل أن يعرف العبريون الحياة في هذه المنطقة بزمن طويل[(٣)].

إن اليهود اليوم ليسوا يهود الأمس، وأن من يزعمون أنفسهم يهودًا من ذوي الأرومة الشريقة في كل مكان من عالم اليوم ليسوا من الوجهة التاريخية الصحيحة من سلالة الذين عرفوا بـ «يهود الأرض المقدسة» أو الشعب المختار للأرض المقدسة في تاريخ العهد القديم، وإنما هم يهود بالتحول والاعتناق[(٤)].

---

(١) الصهيونية دراسة تاريخية وفكرية. د. زينب عصمت راشد وآخرين. ص٦١- ٦٥ بتصرف.

(٢) حكومة العالم الخفية ص١٩.

(٣) الصهيونية العالمية وإسرائيل ص٢٤.

(٤) يهود اليوم ليسو يهودا ص١١.

من كتب اليهود التوراة:

أولاً: التعريف:

على تقدير عربية اللفظ [1]:

١- اختلف في اشتقاق التوراة فقيل: من روى الزناد إذا قدح فظهر منه النار لأنها ضياء ونور- بالنسبة لما أعد القرآن- تجلو ظلمة الظلال. أو من روى في كلام إذا عرض لأن فيها رموزًا كثيرة وتلميحات جليلة.

٢- ووزنها عند الخليل وسيبويه فوعلة كصومعة وعند الفرأء تفعله كتوصية ولا يخفى أن أمر الاشتقاق والوزن على تقدير عربية اللفظ ظاهر، وأما على تقدير أعجميته وهو الظاهر فلا معنى له على الحقيقة لأن الاشتقاق من ألفاظ آخر أعجمية مما لامجال لإثباته فلم يبق إلا أنه بعد التعريب أجروه مجرى أبنيتهم في الزيادة والأصالة وفرضوا له أصلًا.

على تقدير أعجمية اللفظ:

التوراة لفظ عبراني معناه القانون[2]. والمراد منه: الشريعة، أو الناموس، أو كتب موسى، أو العهد القديم وذلك باعتبار تسمية الله، أو باعتبار الموضوع، أو باعتبار الرسول أو باعتبار الميثاق الذي أخذه الله على عبادة ليلتزموا بما عاهدهم عليه، ووضعه

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألويس البغدادي «ت١٢٧٠هـ» م ١ جـ٣ ص٧٦- ٧٧ بتصرف- دار الفكر بيروت ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

(٢) بين اليهود والمسيحية د. محمد شامة ص٨٧ مكتبة وهبة ط٢ ١٩٧٥م.

بالقديم باعتبار بعثة عيسى عليه السلام فيما كان قبله يعرف بالقديم وما جاء به يعرف بالجديد[1].

وإطلاق التوراة على العهد القديم:

مجاز مرسل من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل. فيه بيان لأهمية التوراة ونسبتها إلى موسى عليه السلام لأنه أبرز أنبياء بني إسرائيل وعنده يبدأ تاريخهم الحقيقي[2].

وتتألف التوراة بنصها العبري من ثلاثة أجزاء رئيسية[3] تضم تسعة وثلاثين سفرًا ويشار إليها بالعبرية بكلمة «تاناخ TANAKH» أي الأحرف الأولى من الأجزاء الرئيسية ويكتوبنها بالعبرية «ت. ن. ك» وهي حروف اختصار من الألفاظ وهي: «التاء» وترمز إلى التوراة وتتألف من الأسفار الخمسة الأولي لمعرفة أسم pentateoue بتاتوك باللغات اللاتينية وغيرها ومعناها الكتاب ذو الأسفار الخمسة وهذا القسم أساس التعليم والحياة في بنى إسرائيل إذ منه ينبع التدين وتؤخذ صور العبادات والطقوس اليهودية وأسفار الخمسة هي:

١- التكوين: «Genesis» في اللاتينية وسمي بذلك لأن موضوعه خلق العالم وتكوينه ورمزه «تك»، ويشتمل على خمسين «٥٠» فصلًا أو إصحاحًا.

(١) اليهودية د. أحمد شلبي ص٢٣٨. اليهودية د. أحمد غلوش ص١٨- ٢٠ بتصرف ط١ ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

(٢) اليهودية د. أحمد شلبي ص٢٣٨.

(٣) قسم بعض الباحثين أسفار التوراة أو العهد القديم تفسيرات أخرى تشتمل على أسفار موسى الخمسة، الكتب التاريخية، الكتب النبوية، كتب الشعر أو الحكمة.

٢- الخروج: «Exadus»: وسمي بذلك موضوعه خروج اليهود من مصر على يد موسى عليه السلام. ويشتمل على أربعين «٤٠» فصلًا أو إصحاحًا ورمزه «خر».

٣- اللاويين أو الأحبار: «Devitcus»: ويحتوي على طقوس الكهنة أولاد «لاوي» أحد أبناء يعقوب عليه السلام. ويشتمل على سبعة وعشرين «٢٧» فصلًا أو إصحاحًا ورمزه «لا».

٤- العدد «Numeri»: ويهتم بالإحصاء والعدد في موضوعه سواء فيما يتعلق بالأشخاص أم بالنظام والتوراث ويشتمل على ستة وثلاثين «٣٦» فصلًا ورمزه «عد».

٥- التثنية «Deuteron omium»: وفيه ثني أي «أعاد» موسى عليه السلام ذكر بعض ما كلمه الله به مرة ثانية لبني إسرائيل ويشتمل على أربعة وثلاثين «٣٤» فصلًا ورمزه «تث»[(١)].

وخلاصة القول:

أن هذه الأسفار الخمسة تغطي فترة من التاريخ تبدأمن بدء الخليقة وأصل الكون كما هو واضح في أول فقرة من بدايتها «في البدء خلق الله السماوات والأرض..» وتنتهي بوفاة موسى على جبل «بنيو» إلى جبل بنيو... فمات هناك موسى عب الرب في أرض مؤاب.

(١) الفكر الديني الإسرائيلي ص١٣- ١٦، ٧٣ بتصرف، دراسة المتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة: موري بوكاي ص٢٦ دار المعارف لبنان ط٤ سبتمبر ١٩٧٧- التوراة بين الوثنية والتوحيد: سهل ديب من ١٠- ١١ دار النفائس ط٢ سنة ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م. اليهودية: د. أحمد غلوش ص٢٠- ٢٤، اليهودية: د. أحمد شلبي ص٢٤١-٢٤٣.

النون وترمز إلى الأنبياء «نبيئيم»[1].

يتضمن هذا الجزء استمرارًا لما وقع من الأحداث بعد موت موسى منذ دخولهم أرض فلسطين مع يوشع بن نون خادم موسى وخلفيته إلى أن خرجوا منها في البر البابلي على يد الإمبراطور الكلداني «بختنصر» وهو مشطور شطرين: الأنبياء الأول والأنبياء الآخر وهذا التقسيم لا يتبع خطة تاريخية وإنها كانت تحتمه طبيعة محتواه إذ أن شطره الأول ينجح نحو التاريخ العسكري والسياسي والإداري البحت ولا تبدو النبوة فيه إلا من خلال الأحداث مرتبطة بها ومتعمدة عليها بينها الشطر الثاني نبوات صرفة تبدو الأحداث من خلالها في المقام الثاني.

وهذه عجالة حول محتوى هذين الشطرين:

الأنبياء الأول ويتألف من أربعة أسفار:

١- يوشع بن نون: وهو أربعة عشرون إصحاحًا تروي اقتحام العبريين أرض فلسطين بزعامة خليفة موسى هذا وقد اعتبر عمله مكملًا لعمل موسى ورمزه «يش».

٢- القضاة: وهو واحد وعشرون إصحاحًا تستمر في سرد أحداث عملية الاغتصاب التي قام بها العبريون في فلسطين والقضاة هم سلسلة من الزعماء العسكرين والدينيين حاولوا على مدى أكثر من قرنين من الزمان أن يمنعوا المجتمع العبري من الانزلاق في الفجور والكفر وأن يواصلوا إعداده إعدادًا قتاليًا للاستقرار بالقوة في هذه الأرض ورمزه «قض».

(١) الفكر الديني الإسرائيلي ص٣٦- ٤٣، ٥٠ بتصرف، اليهودية: د. أحمد غلوش ص٣٣ -٣٤ قاموس الكتاب المقدس: مجموعة مؤلفين ص٦٤٤ منشورات مكتبة المشعل بيروت ط٦ - ١٩٨١م.

٣- صمويل: وينقسم إلى جزأين أولهما يروي انتقال صمويل من صفة القاضي إلى صفة النبي ونضاله من أجل وحدة العبريين تحت تاج واحد ثم اختيار شاؤل ليكون ملكًا وهلاكه بعد موقعة حربية فاشلة ضد الفلسطينيين. وأما الجزء الثاني فإنه يروي جهود هذا للنبي في تولية داود العرش وملك هذا هو الذي حوله اليهود أخيرًا إلى مثل أعلى، قالوا بوجوب استمراره مؤبدًا إلى يوم القيامة، وجلبه بقلعته التي سميت أيضًا «صهيون» أصبح شعارًا سياسيًا للمطالبين بإقامة دولة إسرائيل إذ سموا حركتهم هذه «الصهيونية»، وينتهي سفر صمويل الثاني بالحديث عن شيخوخة داود وتفكيره في تعين ابنه سليمان ملكًا من بعده. وسفر صمويل في جزئه الأول يحتوي على واحد وثلاثين إصحاحًا ورمزه «صم» وفي جزئه الثاني على أربعة وعشرين إصحاحًا ورمزه «٢ صم».

٤- الملوك: وهو مكون أيضًا من جزأين: الملوك الأول: ويحتوي على اثنين وعشرين إصحاحًا تناولت مملكة سليمان حتى وفاته وتصدعها بعد موته وانقسامها إلى قسمين: مملكة يهوذا في الجنوب وعاصمتها أورشليم ويجلس على عرشها رحبعام بن سليمان. مملكة إسرائيل في الشمال وعاصمتها السامرة ويجلس على عرشها ضابط يهودي متمرد «يربعام بن نباط». أما الملوك الثاني فيستمر في ذكر المملكتين وسقوط المملكة الشمالية واستمرار المملكة الجنوبية في أورشليم إلى تدميرها على يد بختنصر ورمزها «١، ٢مل».

٥- الأنبياء الآخر: ويحتوي على تراث القادة الروحين الذين حاولوا- بطرق شتى- الأخذ بيد اليهود نحو بر السلامة في ظروف سياسية وعسكرية واجتماعية حالكة أحاط بهم الأعداء من كل جانب وهو يشكل مصدر وأمل وخلاص بوجه عام بل

أمل في السيطرة النهائية على الإنسانية كلها لدى جماعات ممن يحملونها ما شاء لهم الخيال. وهذا القسم يحتوي على أربعة أقسام هي: أشعيا «اش» وأرميا «ار» وحزقيال «حز» والاثنى عشر نبيًا. كما يقسم البعض إلى قسمين: الأنبياء الكبار: وهو أشيعا وأرميا وحزقيال «٦٦»، «٥٢»، «٤٨» إصحاحًا على الترتيب. الأنبياء الصغار: وهم: هوشع «هو١٤»، يوئيل «يؤ٣»، عاموس «عا٩»، عويديا «عو١»، يونان «يون٤»، ميخا «مي٧»، ناحوم «نا٣»، حبقوق «حب٣»، صفينا «صف٣»، حجي «حج٢»، زكريا «زك١٤»، ملاخي «ملا٤».

وترتيب الأسفار لا يتبع منهجًا يغطي فترة زمنية تمتد بين حوالي سنة ١٣٠٠ق.م وسنة ٣٠٠ق.م أى قرابة ألف عام.

الكاف العبرية وترمز إلى الكتب «Khetuvim» كتوبيم[(١)].

وهي مجموعة أسفار يغلب عليها الطابع الأدبي شعرًا ونثرًا وبعضها يتضمن تراثًا من القصص والحكم تواتر عبر الأجيال كما أن بعضها يتصل بالكيان السياسي والاجتماعي والديني لليهود ويحتوي كثير منها على تمجيد لبطولتهم في الاستقرار في فلسطين أو الرجوع إليها بعد السبي البابلي على الإمبراطورية الفارسية وتحت سيادتها.

وتتألف الكتب من اثني عشر سفرًا وهي:

١- مزامير داود: ويحتوي على مجموعة من الأغاني تنشد بمصاحبة المزامير ونظير ذلك في العربية التواشيح وبعض وبعش المزامير طقوس دينية وبعضها يتصل بالأعياد لإسرائيلية أكثر المزامير ترجع لداود وبعضها لابنه سليمان ولآساف

(١) اليهودية د. أحمد شلبي ص٢٤٦- ٢٥٣ بتصرف. الفكر الديني الإسرائيلي ص٥٣- ٥٥ بتصرف.

رئيس المغنين في عهد داود وتنسب المزامير لموسى ومجموع المزامير ١٥٠ مزمورًا أو فصلًا أو إصحاحًا ورمزه «مز».

٢- أمثال سليمان: ويحتوي مجموعة من الأمثال لا تربط بينها رابطة وليس في أسلوبها وحدة أو تناسق وتحتوي كل واحد وثلاثين «٣١» فصلًا ورمز السفر «أم» فالسفر- كما نعتقد- ليس من فعل شخص واحد ولا نتاج عضو واحد وإنما هو من الآداب الشعبية التي تتناقلها الأجيال وتدخل عليها كثيرًا من الزيادة والنقصان.

٣- سفر أيوب: ويتناول قصة سيدنا أيوب عليه السلام في أسلوب فلسفي أدبي وهناك أدلة كثيرة على نصه الأصلي عربيًا. ويحوي اثنين وأربعين «٤٢» فصلًا ورمزه «أي».

٤- المراثي: وهي مجموعة قصائد تنسب لأرميا في البكاء على أورشليم بعد تخريبها ويحتوي هذا السفر على خمسة إصحاحات ورمزه «مرا».

٥- نشيد الأنشاد: وأصله مسرحية غنائية من الفولكلور اليهودي الخاص بحفلات الزواج ويحتوي على ثمان «٨» إصحاحات ورمزه «نش».

٦- الجامعة: وينسب إلى أحد أبناء سليمان وهو خواطر فلسفية ويطلق عليه شعر الحكمة ويحتوي على إثنى عشر «١٢» إصحاحًا ورمزه «جا».

٧- استير: وهي- في اعتقاد اليهود- نبية حصلت على وعد من امبراطور فارس بالقضاء على أعداء اليهود في مملكته. وليست استير قصة تاريخية وإنما هي أسطورة يرسم بها مؤلفها الطريق للنساء الإسرائيليات أن يتخذن من جمالهن

وسيلة لخدمة إسرائيل وخدمة أغراضهم [1] وهو سفر واحد ورمزه «اس».

٨- دانيال: ويتضمن قصة مغامرات هذا النبي وكراماته أثناء حكم بختنصر ويحتوي هذا السفر على اثني عشر إصحاحًا ورمزه «دا».

٩- راعوث «روت»: وهي قصةبطلة ترجع إلى عهد القضاة ويحتوي هذا السفر على أربع إصحاحات ورمزه «را».

١٠- عزرا: ينسب إليه جمع نصوص العهد القديم ولذا يسمى عزرا الكاتب ولكن شهرته قامت على قيادته لليهود في العودة من السبي لإقامة دولة صهيونية في فلسطين يعاونه في ذلك زرابابل. ويحتوي سفره على إصحاح واحد ورمزه «عز».

١١- نحميا: وهو نبي انضم إلى صهيونية عزرا وسفره يحتوي على معلومات هامة عن التنظيم العسكري للدفاع اليهودي والتنظيم السياسي في المناطق المحيطة بفلسطين في ذلك العصر. ويحتوي سفرة على ثلاثة عشر إصحاحًا ورمزه «نح».

١٢- أخبار الأيام: وهو تلخيص للوقائع التاريخية الواردة في الكتاب المقدس عند اليهود- منذ بدء الخليقة إلى عودة اليهود من السبي في أيام كورش ملك فارس وهو ينقسم إلى قسمين:

١- ينتهي بتولي سليمان الملك ويحتوي على تسعة وثلاثين إصحاحًا ورمزه «أخبار».

٢- يتناول بقية هذا التلخيص إلى عهد كورش ويحتوي على ستة وعشرين إصحاحًا ورمزه «٢أخبار».

(١) اليهودية د. أحمد شلبي ص٢٤٨.

هذه هي الأسفار المعتمدة لدي اليهود ولدي المسيحين البروتستانت، أما المسيحيون الكاثوليك فقد أضافوا إليها أسفار عند غيرهم بالأيوكرفيا.

وهي كلمة يونانية الأصل معناها: المخفي المستور وتسمي الكتب المخفية لأن الآباء الأقدمين أمروا بعزلها ولإيداعها في مخازن تخفيها عن أعين الجمهور ثم تطور معناها إلى باطل ومزيف وأصبح يراد بها:

تلك الكتب الدينية المشكوك في صحتها والتي لا تشكل جزء من الشريعة اليهودية ولو كانت مقبولة للقراءة من الناحية التاريخية كما يطلق عليها اسم: **المنسوبة**؛ أي المنسوبة خطًا إلى مؤلفين توراتيين. ويسميها البعض الكتابات الخارجة ويعنون بذلك أنها نصوص مروية على أنها مقدسة ولكنها لم تقبل عندما تقرر وتسجل أسفار العهد القديم وقد حاول علماء اليهود أن يحددوا الأسس لرفضها، فذكروا من ذلك:

١- أنها تناقض التوراة في بعض الأحيان وكتب الأنبياء المعتبرين في أحيان أخرى.

٢- أمر الآباء الأقدمون بعزلها وإخفائها وحرموا قراءتها.

٣- انفرد بروايتها وكتابتها طوائف منشقة على اليهودية الرسمية.

وهذه الأسفار هي: طوبيا ويهوديت ويشوع بن سيراخ وباروك والمكايين الأول والمكايين الثاني[١].

(١) التراث الإسرائيلي في العهد القديم وموقف القرآن الكريم منه د. صابر طعيمة ص٢٦٨ –دار الجيل بيروت ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م. التوراة بين الوثنية والتوحيد ص١١- ١٢ بتصريف.

٢- التاريخ:

أولاً: يسود الاعتقاد أن موسى عليه السلام لم يكتب التوراة المتداولة، وأنه كان هناك ازدياد تدريجي في الشرائع الموسوية سببته مناسبات العصور التالية الاجتماعية والدينية، ويظهر ذلك في التضارب الواضح في الروايات التاريخية[(١)].

والواقع أننا لا نجد من بينهم كتبة إلى ما بعد موسى بأكثر من أربعة قرون، ولا نعرفهم على أيامه وأيام القضاة من بعده إلا بدوًا رحلًا[(٢)]. ففي الإصحاح الأخير من توراته نفسها يقص الرواية قصة موته وكأنها حادث قديم جدًا لا يكاد يتذكره إنسان.

أما ضياع التوراة من بين أيديهم فإنه يبدو واضحًا في سفر الملوك الثاني في القصة التي تروي العثور على هذه التوراة في عهد الملك يوشيا أرسل من ملوك اليهود في أورشليم «٦٤١- ٦١١ق.م» أي بعد وفاة موسى بأكثر من سبعة قرون. فذات مرة في السنة الثامنة عشرة من حكم يوشيا أرسل هذا الملك أحد موظفي قصره واسمه شافان بن أصليا بن مشلم- إلى معبد أورشليم لمقابلة حلقيا كاهن الهيكل ليحسب معه النقود التي دخلت للهيكل من الزوار حتى تصرف على الترميم، فقال حلقيا الكاهن السفر إلى شافان فقرأه وأتى شافان الكاتب إلى الملك وردَّ على الملك جوابًا، وقال: قد أفرغ

بروتوكلات حكماء صهيون: عجاج نويهض جـ٣ م٢ ص٢٤- ٢٦ بتصرف- منشورات فلسطين المحتلة ط٢ ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م. الفكر الديني الإسرائيلي ص٧٢- ٧٦، قاموس الكتاب المقدس ص٦٤٤.

(١) الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية. د. عبد المنعم الحفني ص٨١ دار المسيرة ببيروت ط١ سنة ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.

(٢) الصهيونية العالمية وإسرائيل ص١٩.

عبيدك الفضة الموجودة في المعبد ودفعوها إلى أيدي الموكلين بالعمل القائمين ببيت الرب، وأخبر شافان الكاتب الملك، وقال: قد دفع حلقيا سفرًا، وقرأه شافان أمام الملك، فلما سمع الملك كلام سفر التوراة مزق ثيابه، وأمر الملك حلقيا الكاهن وأحقيام بن شافان وعكبور بن ميكا وشافان الكاتب وعسايا عبد الملك، وقال: اذهبوا فسألوا الرب لي وللشعب ولجميع يهوذا من جهته كلام هذا السفر الذي وجد، لأنه عظيم غضب الرب الذي اشتعل علينا لأجل أن آباءنا لم يسمعوا الكلام هذا السفر ليعلموا بكل ما كتب علينا».

ويؤكد ما كان من نسيان بني إسرائيل لموسى والتوراة قرونًا طويلة بعده أنه يندر ذكرهما في كتب الأنبياء إلى عهد الملك يوشيا هذا [1].

ثانيًا: لم يظهر النص الرسمي للتوراة باللغة العبرية إلا اعتبارًا من أواخر القرن الأول للميلاد لكنه لم ينته إلى شكله النهائي المعروف اليوم إلا في أواخر القرن الثامن الميلادي [2]. وجرى أول تحرير معروف لها في القرن الثالث قبل الميلاد باللغة المعروفة بالسبعينية، ويوجد منها أجزاء اليوم تبلغ ٢٠٠ مخطوطة في مختلف متاحف العالم، وقد أطلق عليها اسم السبعينية أو الرمز «lxx» أي رقم «٧٠» بالأرقام اليونانية. إذ يقال إن سبعين أو اثنين وسبعين عالمًا من اليهود قاموا بهذا العمل الذي دام- على ما يقال- مائة عام تقريبًا [3] وذلك حسب الحاجات

(١) المرجع السابق ص٢٠- ٢١.

(٢) التوراة بين الوثنية والتوحيد ص٢٣.

(٣) المرجع السابق ص٢٣.

الطقسية لدى الجماعات التي اعتنقت اليهودية من غير المتكلمين بالعبرية[1]، ومع تقدم الأيام جرت ترجمة العهد القديم إلى معظم اللغات المعروفة ومنها العربية. وأول ترجمة إلى اللغة العربية جرت بعد انتشار الإسلام في العصر العباسي الأول أو عند منصرم الفترة الأموية حيث قام عالم يهودي اسمه سعديه بن يوسف «٨٩٢- ٩٤٢» بترجمة العهد القديم إلى العربية ولكن بإحرف عبرية، ثم قام بعده بافث بن علي وهو سهودي من القرائيين بترجمته إلى العربية في القرن العاشر للميلاد، وبعدها قام أبو سعيد أبو البركات بترجمته إلى العربية في القرن الثالث عشر الميلادي إلا أن هذه الترجمات العربية المتقدمة كانت تختلف كثيرًا فيما بينهما وذلك بحسب الأصل المترجمة منه، وقد قام رجال كاثوليك وبروتستانت بتراجم حديثة إلى العربية في القرن التاسع عشر والعشرين[2].

وخلاصة القول:

- أن اليهود أضاعوا التوراة وصاحبها موسى عليه السلام.
- أن هناك تعددًا في الأصول وتفاوتًا في شكل التوراة واختلافًا في الترجمات.

(١) المرجع السابق ص٢٤.

(٢) المرجع السابق ص٢٦- ٢٧ بتصرف.

تعاليم التوراة:

أهمل اليهود تعاليم التوراة التي أنزلها الله سبحانه وتعالي على سيدنا موسى عليه السلام، وأعملوا فيها التحريف والتبديل والزيادة والنقصان متأثرين بالأمم الوثنية التي عاشوا فيها، فجاءت تعاليم توراتهم التي حرفوها على النحو التالي:

أولاً: قضية الألوهية ويعتقد أصحابها:

١- ويعتقد أصحابها أن الله ليس لجميع الناس بل لليهود فقط الذين اصطفاهم إلههم على من سواهم، ومما ورد في ذلك- على سبيل المثال- ما جاء في سفر التثنية [١]: **«لأنك شعب مقدس للرب إلهك وإياك اصطفي الرب إلهك أن تكون له أمة خاصة من جميع الأمم التي على وجه الأرض، لا لأنكم أكثر من جميع الشعوب لزمكم الرب واصطفاكم فإنما أنتم أثل من جميع الشعوب لكن لمحبة الرب لكم...»**.

٢- اعتبار الله- تعالى- كسائر المخلوقات في صفاتها يمشي معهم ويجالسهم وينظم نشاطه اليومي مثلهم وهكذا... كما يعتريه التعب والعجز. ومما ورد في ذلك، وهو كثير ما جاء سفر التكوين في الفصل أو الإصحاح الثاني بعد أن أكمل الله خلق السماوات والأرض يقول النص [٢]. **«وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل واستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل...»**.

٣- الزعم بأن الله ليس معصومًا، فكثيرًا ما يقع منه الخطأ ثم يندم على فعله، ومما ورد

(١) تث ٧: ٦- ٨.

(٢) تك ٢: ٢.

في ذلك ما جاء في سفر صمويل الأول: أن الرب يقول لصمويل ما نصه [(١)]: «إني قد ندمت على إقامتي شاول ملكًا، لأنه مال عن إتباعي ولم يقم كلامي».

٤- أنه حاشاه يأمر بالرزائل كالسرقة والوحشية والقوة بل ويتخلق بها، ففي سفر الخروج يأمر الله موسى أن يمضي ويجمع شيوخ إسرائيل ليخرجوا من مذلة المصريين إلى أرض تدر لبنًا وعسلًا، وقد أمرهم الله بقوته حتى يتمكنوا من مصر وملكها لكن العجيب أن يوصيهم بسلب المصريين ونهبهم: «وأهب الشعب حظوة في عيون المصريين فإذا انصرفتم فلا ينصرفوا فارغين بل تطلب المرأى من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وذهب وثيابًا تجعلونها على بينكم وبناتكم وتسلبون المصريين» [(٢)].

ويتضح من دراسة النصوص المتعلقة بقضية الألوهية ما يلي:

أن مسألة الألوهية كلها سواء اتجهت للوحدانية أم للتعدد لم تكن نفعي في الحياة من أكثر ما يشغلهم «حتى لقد كان نساكهم وسدنة الهياكل عندهم، وقد فاتهم العمل على كسب المال من أبوابه الدينوية- يجمعون المال من نذور الهياكل والقرابين التي يتقرب بها الناس ويحرصون على ذلك أشد الحرص فكانوا يأخذون القرابين من أشد الناس حاجة» [(٣)].

لم يستطع بنو إسرائيل في أي فترات تاريخهم أن يستقروا على عبادة الله الواحد

---

(١) صم ١٥: ١٠- ١١.

(٢) خر ٣: ٢١- ٢٢.

(٣) محاضرات في النصرانية الشيخ محمد أبو زهرة ص٢٧ دار الفكر العربي ط٣ سنة ١٩٦٦.

الذي دعا إليه الأنبياء وكان اتجاههم إلى التجسيم والتعدد والنفعية واضحًا في جميع مراحل حياتهم. وكثرة أنبيائهم دليل على تجدد الشرك فيهم وبالتالي تجدد الحاجة إلى أنبياء يجددون الدعوة إلى التوحيد، كانت هذه الدعوة قليلة الجدوى على أي حال[1].

ثانيًا: قضية النبوة:

لم تسلم النبوة من التحريف في توراة بني إسرائيل التي بدلوا فيها الكلم عن مواضعه فجاءت قضية في توراتهم على النحو التالي: لنبي لفظ عام مشترك يشمل الصادق والكاذب والمعصوم والمجنون والحقيقي والمحترف والكبير والصغير، وذلك أمر يدعو للدهشة حتى بالنسبة لإلههم نفسه.

ومما نقرأ عن ذلك ما جاء في نبوة أرميا ما نصه[2]: «**قد حدث في الأرض أمر مدهش فظيع. الأنبياء يتنبأون زورًا والكهنة يتسلطون بأيديهم وشعبي يحب مثل هذه الأمور فماذا تصنعون في آخرتها**». الإساءة إلى الأنبياء الذين يعترفون بمكانتهم وتوجيه العيب لهم ورميهم بأقبح الجرائم وانتهاك المحارم.

فعلى سبيل المثال لا الحصر نقرأ في سفر التكوين عن سيدنا نوح[3]: وابتدأ نوح بحرث الأرض وغرس كرمًا. وشرب من الخمر فسكر وانكشف داخل خبائه. فرأى حام أبو كنعان سوءة أبيه فأخبر أخويه وهما خارجًا فأخذ سام ويافث رداء وجعلاه على منكبيهما ومشيا مستدبرين فغطيا سوءة أبيهما وأوجههما إلى الوراء وسوءة أبيهما لم

(١) المسيحية د. احمد شلبي ص ٢٨٨ مكتبة المصرية ط٦ سنة ١٩٧٨.
(٢) أر ٥: ٣٠- ٣١.
(٣) تك ٩: ٢٠- ٢٦.

يرياها. فلما أفاق نوح من خمره علم ما صنع به ابنه الصغير، فقال: ملعون كنعان عبدًا يكون عبيدًا إخواته.وعلى مثل هذه الشاكلة رموا لوطا وغيره بالزنا والاعتقاد بأن الله صارع يعقوب وانتصر عليه يعقوب[1].

بلغ الأنبياء من الكثرة حدًّا لايمكن معه حصرهم وإحصاءهم وعلى سبيل المثال نقرأ في سفر الملوك الأول أن ملك إسرائيل آخاب بن عمرى جمع نحو أربعمائة نبي ليشاورهم في استرداد «راموت جلعاد»[2] وهل يمضي للقتال أو يمتنع؟[3].

ثالثًا: قضية اليوم الآخر:

خلقت التوراة من ذكر اليوم الآخر ونعيمه أو جحيمه[4] لكن الملاحظ أن أنبياء أسفار العهد القديم كانوا يركزون اهتمامهم على مسألتين كبريتين:

الأولى: أن الرب- أخيرًا- سيكون له مع الدنيا يوم عظيم.

الثانية: وفاء الله بوعده لشعبه المختار في ذلك اليوم.

ويختلف اليهود في ذلك اليوم «يوم الرب» هل يعني الوعيد والانتقام من العصاة وفي مقدمتهم الشعب الإسرائيلي نفسه؟ أو يعني انتصار شعب الله المختار على الأمم الأخرى التي ستكون دانت بالخضوع؟ الواقع أن المراد- الذي يعتقده اليهود- هو

---

(١) تك ٩: ٣٠- ٣٨، تك ٣٢: ٢٤- ٣١.

(٢) تقع في شرق الأردن، وقد خسر آخاب ملك اليهود حياته في معركة مع الآراميين «السوريين» لاسترداد هذه المدينة المحصنة لكن ابنه يورام وفق في استردادها لكن أصيب بجراح. «القاموس الموجز للكتاب المقدس ص٣٩ بتصرف».

(٣) امل ٢٢: ٦.

(٤) محاضرات في النصرانية ص١٦.

الثاني لا الأول حيث كان المعني الأول موضع تهكم وسخرية من الكثيرين وكانوا يرونه بعيدًا جدًا، وأطلقوا عليه لتأكيد هذا البعد لاسم العبري «آخريت هياميم» التي معناها آخرة والأيام أو الآخرة أو اليوم الآخر، وهو يوم لم يتذكر التوراة عنه شيئًا على موسى ولا عهد القضاة على الأقل في النص الموجود أيدينا (١).

رابعًا: قضية المسيح المنتظر:

لقد أخذت فكرة المسيح المنتظر- في عقلية اليهود بحسب العصور والظروف التي عاشوا فيها- أشكالًا مختلفة جدًا، وكان كل جيل من اليهود يصنع مسيحه حسب هواه وطبقًا للصورة الخيالية الوجدانية التي يعلم بأن المسيح يكون عليها (٢).

ويمكن لنا أن نبين ذلك فيما يلي:

بدأت كلمة مسيح بالعبرية «ماشيح» حياتها اللغوية بمدلول مادي عادي، فالفعل مسح كان يستعمل لمبايعة الملوك إذ يأتي الكاهن الأكبر الذي يقوم بطقوس التتويج ويأخذ على كفه بعضًا من الزيت المقدس فيمسح به مقدم رأس الملك ثم يضع التاج، وهكذا كل ملك من العبريين يسمي في القديم مسيحًا، أي: أنه متوج بطريقة شرعية وممسوح بالزيت المقدس (٣).

مع الحوادث الجسام التي تعرض لها اليهود في إبان السب البابلي، وما كان قد تبعه من فساد ملوك بني إسرائيل ويهوذا أصبح حلم الأغنياء والمصلحين والكثرة الكثيرة

(١) الفكر الديني الإسرائيلي ص١٠٩- ١١ بتصرف.

(٢) المرجع السابق ١٣٠- ١٥١ بتصرف.

(٣) المرجع السابق ص١٢٧، «الله» عباس محمود العقاد ص١١١- ١١٢ دار المعارف ط٨.

من اليهود أن يأتي ملك فذ من نوعه مخلص معه القوة والبركة معجز يعيد الأمجاد السالفة فيكون هو الملك بحق وهو المسيح[1].

وكما أن فكرة الآخرة لا ذكر لها في التوراة فإننا لا نكاد نجد شيئًا يشعر بفكرة انتظار المسيح فقرتين في كل التوراة مع كثير من التكليف والتعسف:

الأولى: في سفر التكوين وهي[2]: «لا يزول صولجان من يهوذا ومتشرع من صلبه حتى يأتي «شيلو» وتعطيه الشعوب».

والثانية: في سفر العهد وهي[3]: «أراه وليس حاضرًا أبصره وليس بقريب يسعى كوكب من يعقوب ويقوم صولجان من إسرائيل فيحطم طرفي يؤب ويربح جميع بني شيث»[4].

قضية التشريع والأخلاق:

وتتميز تلك القضية بين دراسة نصوص التوراة بعدة سمات منها: تنظيم الشعب اليهودي تنظيمًا قتاليًا يجعلهم أهلًا للسيطرة على أعدائهم من الغوييم، والتركيز على الحقد الأبدي الذي يجب على اليهود تربيته في نفوسهم ضد أعدائهم التقلدين أي: الغوييم[5].

وعلى سبيل المثال نقرأ في سفر الخروج[6]: وأرسل هيبتي أمامك، واكسر جميع

(١) المرجع السابق ص١٢٧.

(٢) تك ٤٩: ١٠.

(٣) عد ٢٤: ٢٧.

(٤) الفكر الديني الإسرائيلي ص١١٣- ١١٥ بتصرف.

(٥) التوراة تاريخها وغايتها. ترجمة وتعليق: سهيل ديب ص٣٣. دار النفائس ط٥ سنة ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

(٦) خر ٢٣: ٢٧- ٣٧.

الأمم الذين تصير إليهم، وأجعل جميع أعدائك بين يديك مدبرين. وأبعث الزنابير أمامك فتطرد الحويين والكنعانيين والحيثيين من وجهك. لا أطردهم من وجهك في سنة واحدة كيلا تصير الأرض قفرًا فتكثر عليك وحوش الصحراء. لكنني أطردهم قليلًا قليلًا من أمامك إلى أن تنمي فترث الأرض واجعل تخمك من بحر القلزم إلى بحر فلسطين ومن البرية إلى النهر فإني أسلم إلى أيديكم سكان الأرض فتطردهم من أمام وجهك لا تقطع لهم ولا لآلهتهم عهدًا ولا يقيموا في أرضك كي يجعلونك تخطأ بأن تعبد آلهتهم فيكون ذلك وهقًا.

إباحة الاسترقاق بطريق الشراء أو بسبب الحروب وللإنسان أن يبيع نفسه أو ابنته ونحو ذلك إذا افتقر، وفي سفر الخروج الإصحاح الحادي والعشرون جانبًا كبيرًا من أمثال التشريعات. الحرص على النكاح وإباحة التعدد والحط من شأن المرآة، وقد جاء في سفر التكوين في غير إصحاح ما يؤيد ذلك وعلى سبيل المقال: فقد ورد فيه أن يعقوب عليه السلام جمع بين امرأتين هما ليئة وراحيل [1] وهذا يدل على أن التعدد [2] كان مباحًا.

أما الحط من شأن المرآة ففي سفر الجامعة [3] «أن داود ملك أورشليم»: وهو يحاول أن يتلمس الحكمة وحقيقة الأمور ويعلم نفاق الجهال وجنون الحمقى يقول: «فوجدت أن ما هو أمر الموت المرأى قلبها أحبولة وشكبة ويداها قيود من كان صالحًا أمام الله منها، وأما الخاطئ فيقتنص بها».

(١) تك ٢٩: ٣٠.

(٢) بين الأسلام والمسيحية ص٩٤.

(٣) جا ٧: ٢٧.

خلاصة الوحدة

نخلص من دراسة هذه الوحدة إلى ما يلي:

(١) الألقاب العامة لأتباع الملة اليهودية هي: العبرانيون- الإسرائيليون- اليهود- أهل الكتاب- بني صهيون «الصهاينة».

(٢) التاريخ اليهودي مَرّ بخمسة أدوار:

- من عهد إبراهيم عليه السلام إلى خروج اليهود من مصر «١٩٦٦ق.م-١٦٤٥ق.م».
- من خروج اليهود من مصر إلى تأسيسهم الملكية «١٦٤٥ق.م- ١٠٨٠ق.م».
- من تأسيسهم الملكية إلى أسر بابل «١٠٨٠ق.م-.٥٣٦ق.م».
- من أسر بابل إلى خراب بيت المقدس «٥٣٦ق.م ١٣٥».
- من عهد تفرقهم إلى اليوم.

ينقسم اليهود اليوم إلى طائفتين رئيسيتين:

- الأشكناز «يهود ألمانيا وشرق أوربا وروسيا» ٩٠٪.
- السفرد «أسبانيا والبرتغال والعالم العربي» ١٠٪.

(٣) اليهود عبارة عن طائفة دينية اجتماعية انضم إليها في جميع العصور أفراد من شتي الأجناس وأن وضعهم في فلسطين وضع طارئ فهم محتلون وليس أصحاب أرض.

(٤) أهم كتب اليهود التوراة وهي شريعة موسى، وتتألف التوراة باللغة العبرية من ثلاثة أجزاء رئيسية تضم تسعة وثلاثين سفرًا: الأسفار الخمسة، وكتب الأنبياء، والكتب الأدبية.

(٥) يود الاعتقاد أن موسى لم يكتب التوراة المتداولـة، وأن اليهـود أضـاعوا التـوراة وصاحبها وأن هناك تعدد في نسخ التوراة وتفاوتًا بينها شكلًا ومضمونا.

(٦) أهل اليهود تعاليم التوراة الصحيحة فجاءت توراتهم طافحة بالأباطيل في قضايا الألوهية والنبوة واليوم الآخر والمسيح المنتظر والتشريع والأخلاق.

أسئلة التقويم الذاتي

أولاً: أسئلة المقال:

س١: ما أشهر الألقاب التي تطلق على أتباع الملة اليهودية؟

س٢: اذكر مراحل التاريخ اليهودي.

س٣: ما أبرز الطوائف اليهودية المعاصرة؟

س٤: ما تعليقك على ادعاء اليهود بأنهم شعب الله المختار وأنهم متميزون من الناحية العنصرية؟

س٥: ماذا تعني كلمة التوراة؟

س٦: ما الأسفار الخمسة؟ وماذا تحتوي؟

س٧: اشرح كتب الأنبياء.

س٨: ما أسفار الكتب التوراتية؟ وماذا تحتوي؟

س٩: تحدث عن تاريخ كتابة التوراة.

س١٠: ما أبرز تعاليم التوراة في قضية الألوهية؟

ثانياً: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة «✓» أمام العبارة الصحيحة، وعلامة «✗» أمام العبارة الخاطئة:

١- من ألقاب أتباع الملة اليهودية «الصهيونية». ( )

٢- وصلت إلينا التوراة كما أنزلت على سيدنا موسى عليه السلام. ( )

٣- اليهود طائفة دينية بالنقاء العنصري. ( )

ثالثاً: أسئلة الاختيار من متعدد:

اختر الإجابة الصحيحة مما بين القوسين:

١- من الأسفار الخمسة (سفر التكوين- سفر الجامعة).

٢- اليهود نسبة إلى يهوذا رابع أولاد (إبراهيم- يعقوب).

٣- السفرد هم الذين استقروا في حوض البحر المتوسط ويمثلون (١٠٪ من يهودي العالم اليوم- ٩٠٪ من اليهود).

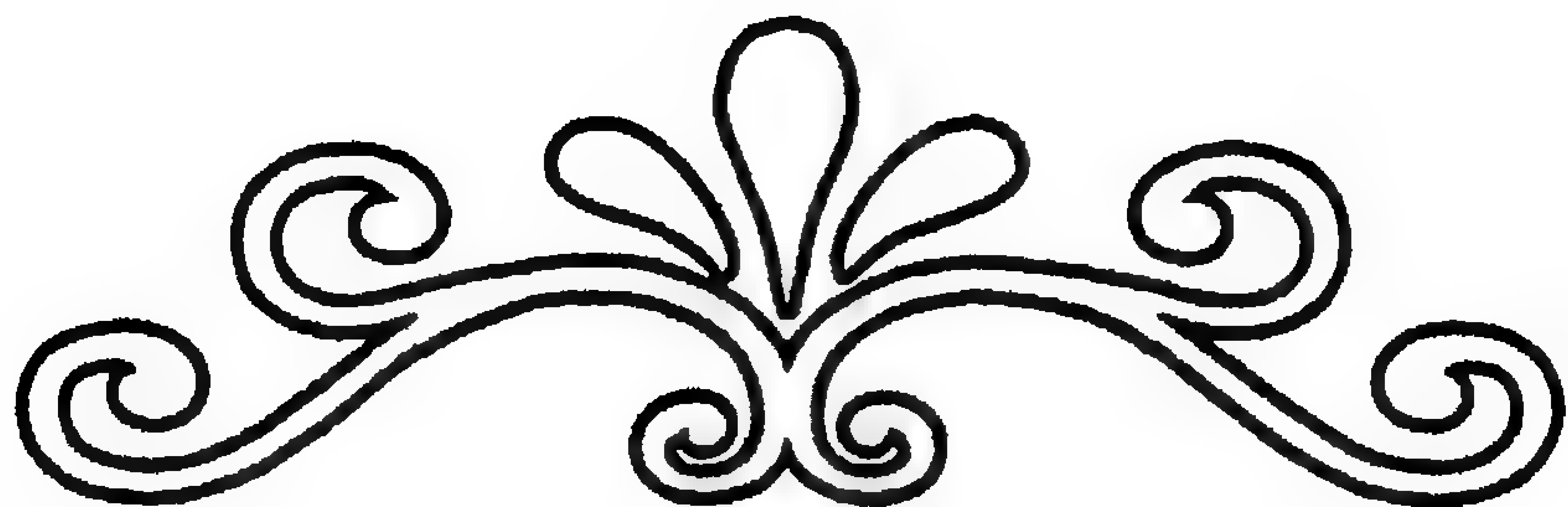
النشاط التعليمي للوحدة الحادية عشرة

عزيزي الدارس:

حتى تكتسب المزيد من المعلومات حول الموضوعات الواردة في هذه الوحدة عليك أن تقوم بإنجاز النشاط التعليمي التالي:

اكتب بحثًا في:

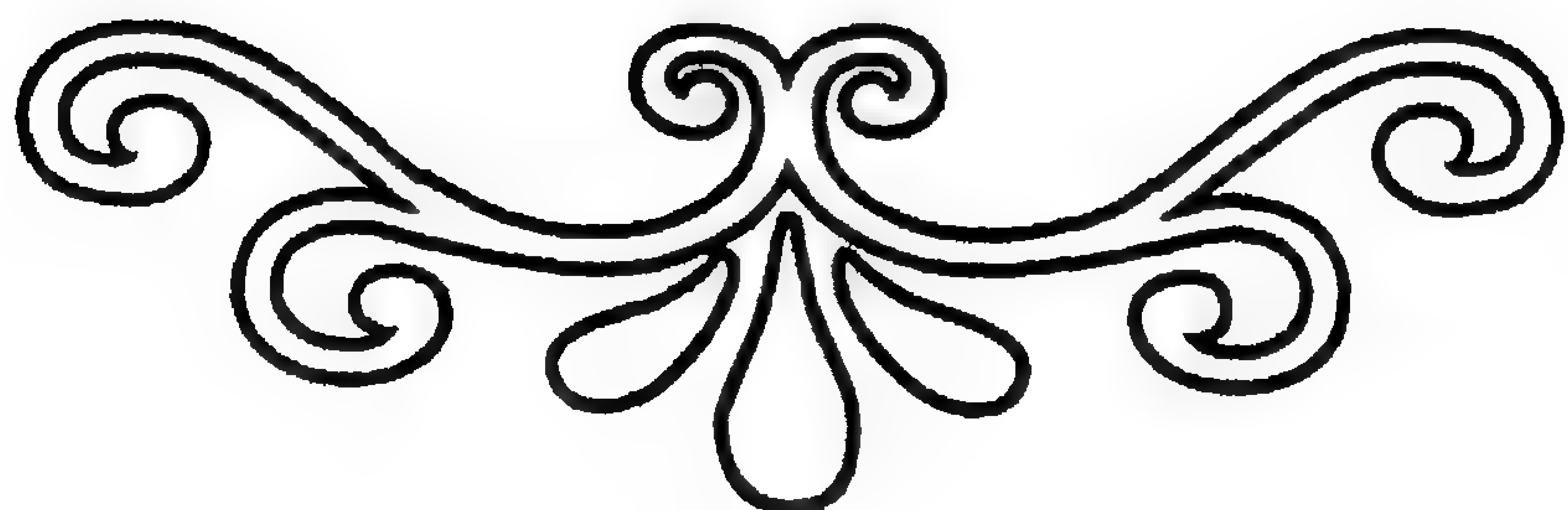
- التلمود.



الوحدة الثانية عشر

الأديان السماوية قبل الإسلام

المسيحية



محتويات الوحدة الثانية عشرة

- التعريف بالنصرانية
- مصادر النصرانية في زمن المسيح وبعده.

نظرات في نسب المسيح عند النصارى وتشمل:

- مختارات من أقوال العلماء تعليقا على نسب المسيح في الأناجيل.
- بشرية المسيح بدلالة ما ذكر حول النسب.
- بشرية المسيح بنصوص كتبهم.
- المسيح رسول الله من كتبهم.
- أشهر فرق النصارى وأقوالهم في طبيعة المسيح.
- وقفة مع النصارى في علة دعواهم ألوهية المسيح.
- عقائد النصارى على ضوء دراسة نسب المسيح.
- المسيح وأمه في القرآن الكريم.



أهمية دراسة الوحدة:

عزيزي الدارس: النصرانية من الأديان السماوية باعتبار أصلها، ومن الديانات الرئيسة في العالم باعتبار أعداد معتنقيها، وخطرة عمل رجالاتها باسم التنصير – التبشير – مما لا ينكر خطره، كل ذلك يعكس أهمية دراسة الوحدة في نقطة محورية لهذه الديانة.

الأهداف التعليمية:



عزيزي الدارس: يُرجى منك بعد دراستك لهذه الوحدة أن تكون قادرًا على معرفة:

١- بشرية المسيح ﷺ ونفى كونه إلها أو ابن إله

٢- أشهر فرق النصارى وأقولهم في طبيعة المسيح.

٣- عقائد النصارى على ضوء دراسة نسب المسيح.

النصرانية

النصرانية: علم بالغلبة على الديانة التي جاء بها عيسى عبد الله ورسوله والكتاب المنزل عليه من الإنجيل، وهي كلمة مفردة جمعها النصارى.

النصارى: هم أمة المسيح بن مريم رسول الله وكلمته عليه السلام وهو المبعوث حقًا بعد موسى عليه السلام والمبشر به في التوراة.

ويطلق على أتباعه: النصارى: نسبة إلى الناصرة- قرية بالشام- أو من قوله عليه السلام «من أنصاري إلى الله».

أو يطلق عليهم المسيحيون نسبة إلى المسيح أو بنو إسرائيل أو أهل الكتاب ويشاركهم في هذه التسمية اليهود.

مصادر النصرانية:

أولاً: في زمن المسيح عليه السلام:

الإنجيل: ذكر الإمام أبو زهرة نقلًا عن نارتن قوله «قال أكهارن في كتابه- إنه كان في ابتداء الملة المسيحية في بيان أحوال المسيحية رسالة مختصرة يجوز أن يقال فيها أنها الإنجيل الأصلي، والغالب أن هذا الإنجيل كان للمريدين الذين كانوا لم يسمعوا أقوال المسيح بأذانهم ولم يروا أحواله بأعينهم وكان هذا الإنجيل بمنزلة القلب، وما كانت الأحوال المسيحية مكتوبة على الترتيب»[(١)].

ثانيًا: مصادر النصرانية بعد المسيح عليه السلام:

النصارى يؤمنون بالعهد القديم- شريعة موسى أو ما يعتقده اليهود- بالإضافة إلى

---

(١) محاضرات في النصرانية- الإمام محمد أبو زهرة ص٦٥.

ما يعرف عنهم بالعهد الجديد.

محتويات العهد الجديد [1]:

١- الأسفار التاريخية وتشمل:

«إنجيل متى- إنجيل وقسي- إنجيل لوفا- إنجيل يوحنا- وكذلك سو أعمال الرسل الذي كتبه لوفا» وسميت بالأسفار التاريخية لأنها احتوت قصة حياة عيسى عليه السلام وتاريخية ومعجزاته وكذا معلمي المسيحية وبخاصة بولي.

٢- الأسفار التعليمي وتشمل:

رسائل بولس الأربعة عشر وهي:

رسالته إلى أهل رومية- رسالته إلى أهل كورفشوس الأولى- رسالته إلى أهل كورفشوس الثانية

رسالته إلى أهل غلاطية- رسالته إلى أهل أفسس- رسالته إلى أهل كولوس- رسالته إلى أهل فيلبى- رسالته الأولى إلى أهل تسالونيكى- رسالته الثانية إلى أهل تسلونيكي- رسالته الأولي إلى تيموناوس- رسالته الثانية إلى تميوناوس- رسالته إلى تيطس- رسالته إلى فليمون- رسالته إلى العبرانييه.

٣- الرسائل الكاثوليكيكة العامة:

وهي سبعة: رسالتين لبطرس- ثلاث رسائل ليوحنا- رسالة يعقوب- رسالة

(١) المسيحية د. أحمد شلبي ص ٢٠٢،٢٠٣، المسيح في مصادر العقائد المسيحية أحمد عبد الوهاب،ص ١٧ وما بعدها.

يهوذا وسميت كذلك لأنها موجهة لكل الكنائس لا إلى كنيسة خاصة كما هوا الحال في رسائل بولس والبعض يضمها إلى الأسفار التعليمية.

٤- السفر النبوي:

وهي رؤيا يوحنا وهي تخالف ما سبقها من الرسائل وسميت بالرؤيا لأنها أشبه بالأحلام ولكن يوحنا رآها في اليقظة.

وأية كان في العهد القديم ما نسبة اليهود إلى موسى عليه السلام فليس في العهد الجديد ما نسبة النصارى إلى عيسى عليه السلام وإنما ينسبونه إلى بعض تلامذته أومن ينتمي إليهم.

والسمة العامة في الإنجيل هي عدم انتظامها واحد:

فمجموعات الحكم لم تكن تلتزم في دقة دقيقة بالظروف والأحداث التي أُنطقت المسيح بها، واختلف سررها- الذي لم يقم على أي أساس طبيعي- من كتاب إلى آخر، وكذلك كان الأمر فيما يتعلق بالروايات الخاصة بالسيرة نفسها، فهي لا تحكي سوي فصول ومقتطفات من حياة المسيح لا رابط بينها، وتختلف تفاصيلها باختلاف الرواة فكان على محرري الإنجيل أن يغربلوا ثم ينسقوا سيرة متكاملة من هذه المتناثرات المشوشة [(١)].

ولم تعرف الإنجيل الأربعة المعترف بها كنسيا قبل آخر القرن الثالث، وأول من ذكر هذه الأناجيل الأربعة أرمينوس سنه ٢٠٩م، ثم جاء من بعده كلميتس اسكندريانوس سنه٢١٦ وأظهر أن هذه الأناجيل الأربعة واجبة التسليم [(٢)].

(١) محاضرات في النصرانية- محمد أبو زهرة ص٤٧.

(٢) المرجع السابق ص٦٥.

أناجيل غير معترف بها كنيساً

يضاف إلى ما سبق الإشارة إليهم: إنجيل عيسي، إنجيل برنابا وهذا الإنجيل أنكرته الكنيسة ولم تقره أو تعترف به، ومن ثم فهو ليس مصدرًا دينيا معتبرًا عند النصارى شأن ما يعرف بالأبوكريفا- الأسفار المشكوك في صحتها- ولكنه متداول بين علماء الأمم الأوربية.

وبرنابا قديس من قديس المسيحية باتفاقهم ورسول من رسلهم وركن من الأركان التي قامت عليها الدعوة والدعاية للمسيحية الأولي، ووجود إنجيل باسمه يدل على أنه من الحواريين الذين اختصهم المسيح بالزلف إليهم والتقرب منه وملازمته في سرائه وضرائه، ولكن كتب المسيحيين غير هذا الإنجيل لا تعده من هؤلاء الحواريين وإن كانت تعده من الرسل الذين يبلغون مكانة لحواريين في هذا الدين بعد المسيح [١].

ولما كانت النصرانية تعتمد في الأساس التشريع اليهودي صارت عقائدها هوا الأساس لدراستها وتقدم عقائد النصرانية على أساس هو الله أو أنة أبن الله تعالى الله عما يقولون- لذلك أحج نسب المسيح عند القوم في مصادرهم هو محور الارتكاز لدراسة النصرانية بأن ثبت من خلاله بشرية المسيح وأنه رسول الله وليس إلهًا أو ابن إله بطلت كل عقائدهم فلا توارث للخطية ولا كفارة ولا صلب ولا قيامة ولا غير ذلك.

وعليه فستتناول مسألة نسب المسيح وما يترتب عليها بالتوضيح وبقية العقائد بالإشارة والتدريب العملي والتطبيق العلمي للدراسة مما يدع فرصة طيبة للدراسة مع أستاذة للحياة العلمية الهادفة والهادئة مع تلك العقائد وبالله التوفيق.

---

(١) المرجع السابق ص٦٩.

نسب المسيح عند النصارى:

أن نسب المسيح عليه السلام في الإنجيل الأربعة ومقارنته ما ذكر عن الآباء في العهد القديم يعكس حقيقة مجردة وتتمثل في النقاط التالية:

- بشرية المسيح عليه السلام منفي كونه إلهًا أو ابن إله.
- بطلان عقائد القوم التي ترتبت على دعواهم.
- ثبوت التحريف في كتابهم والله المستعان.

ونتناول هنا:

أولاً: مختارات من أقوال العلماء تعليقًا على نسب المسيح في الإنجيل:

يقول الإمام بن حزم في الفصل بعد أن ذكر أمثلة على التناقض والاختلاف في الأسماء: «فأعجبوا لهذه المصيبة الحالة بهم ما أفحشها وأوحشها وأقذرها وأضرها وأنذلها متى الكذب بنسب المسيح إلى يوسف النجار ثم ينسبون يوسف إلى الملوك من سليمان بن داود عليهما السلام أبا أبًا، ولوقا ينسب يوسف النجار إلى آباء غير الذي ذكر متي حتى يخرجه إلى ناثان بن داود أخي سليمان بن داود ولابد ضرورة من أن يكون كلا النسبين كذبًا فيكذب الملعونان جميعًا لا يمكن البتة أن يكون كلا النسبين حقا، ولوقا عندهم لوق الله صورهم وألاق وجوهم ولقاهم البلاء وألقي عليهم الدمار واللعنة في الجلالة عمق جميع الأنبياء عليهم السلام فهذه صفة أناجيلهم فاحمدوا الله تعالى أيها المؤمنون على السلامة والعصمة. وقال بعض أكابر من سلفمنهم من مضليهم أحد هذين النسبين هو نسب الولادة والنسب الآخر نسب إلى إنسان تبناه على ما كان في قديم زمن بني إسرائيل من أن مات ولا ولد له وتزوج آخر امرأته نسب إلى الميت

من ولدت من هذا الحي، فقلنا لمن عارضنا منهم بهذا الهوس من لك بهذا، وأين وجدته للوقا أو لمتي، والدعوى لا يعجز عنها أحد وهي باطلة إلا أن يعضدها برهان؟ وبعد هذا فأي النسبين هو نسب الولادة وأيهما هو نسب الإضافة لا الحقيقة فأيهما قال قلب عليه قول وقيل له هذه دعوى بلا برهان. فإن قال إن لوقا لم يقل إن فلانا ولد فلانا كما قاله متي لكن قال المنسوب إلى هالي قلنا وهكذا قال في آبا فأبا إلى داود ثم إلى إبراهيم ثم إلى نوح ثم إلى آدم سواءً بسواء في اسم بعد اسم وفي أب بعد أب ولا فرق أفتري نسب داود إلى إبراهيم وإبراهيم إلى نوح ونوح إلى آدم أيضًا على الإضافة لا على الحقيقة كما قلت في نسب يوسف إلى على هذا عجب!

فإذا لا سبيل إلى تصحيح هذه الدعوى فهي كذب ووضح الكذب في أحد النسبين ضرورة عيانا والحمد لله رب العالمين [1].

وعلى النسب يعلق أحمد سامي عبد الله بقوله ما ملخصه:

- أن المسيح عليه السلام لأصلة له مطلقًا بتلك الأنساب إلا كالرابطة والصلة التي توجد بين نسب رجل من استراليا وآخر من الهند!!!!
- هذا النسب يجعل المسيح ابن زنا حيث جعل في أجداده فارص وزارح ولدا يهوذا من ثاماركنته «ولد زنا» فهل هذا معقول ومقبول لديكم معشر المسيحيين؟ ما ملخصه «في نسب المسيح صفة يهودية بأن المسيح بن يوسف من غير نكاح».

مريم البتول عذراء لا يجوز نسبتها لرجل على الإطلاق فهي لم تنسب لرجل على

(١) الفصل لابن حزم حـ٢ ص١٦، ١٥.

الإطلاق و لا نقبل أي بشر بها لنا فيه من حد لاصطفائها و تكريمها [1].

و يقول د. أحمد حجازي السقا... و لو قرأت نسب المسيح في انجيل متي وحده لوجدت:

أ - من إبراهيم إلى داود عليهما السلام و أربعة عشر جيلًا، ومن سليمان ولد يكنيا أربعة عشر جيلًا، و من شألتيئل إلى يوسف النجم ثلاثة عشر جيلًا. في حين أن متي يذكر أربعة عشر

ب - يقول متي و يوشيا ولد يكنيا، و إخوته عند سبي بابل و يعلم من ولادة يكنيا و إخوته من يوشيا انه كان حيًا في السبي و هو غلط بأربعة أدلة:

الأول : أن يوشيا مات قبل هذا الجلاء بإثنى عشر عامًا [2]. و لأنه جلس بعد موته «هو آحاز» ابنه على سرير الملك ثلاثة أشهر [3]. ثم جلس «يهوياقيم» احدي عشرة سنة [4]. ثم جلس «يهوياقيم» ثلاثة أشهر فأسرة «بنوخذ نصر» وأجلاه مع بني إسرائيل الآخرين إلى بابل [5].

---

(١) لماذا و كيف أسلمت أحمد سامي عبد الله ص ٦٥ – ٦٨ نقلًا عن دراسات في الكتاب المقدس د. محمود حماية ص ٨٢، ٨٣.

(٢) ٢ مل ٢٣ / ٢٩ و نصه: «فصعد الملك يوشيا للقائه فقتله في مجدو حين رآه».

(٣) ٢ مل ٢٣ / ٣١ و نصه: «كان يهو أحز ابن ثلاث و عشرين سنة حين ملك و ملك ثلاثة اشهر في أورشليم».

(٤) ٢ مل ٢٣ / ٣٦ و نصه: ط كان يهوياقيم ابن خمس و عشرين سنة حين ملك و ملك إحدى عشرة سنة في أورشليم.

(٥) ٢ مل ٢٤ / ٨ ونصه: «كان يهوياكين ابن ثماني عشرة سنة حين ملك وملك ثلاثة أشهر أورشليم».

الثاني: أن «يكنيا» هو ابن «يوشيا» لابنة. وهو المسمي «يهوياكاكين»

الثالث: أن يكنيا كان في الجلاء ابن ثمان عشرة سنة، فما معني ولادته في السبي البابلي.

الرابع: أن يكنيا ما كان له إخوة. «الملوك الثاني ٢٣/ ٢٥».

ج- الأجيال في القسم الثاني من الأقسام الثلاثة التي ذكرها هي ثمانية عشر، لا أربعة عشر. كما هوا واضح من الإصحاح الثالث من سفر أخبار الأيام وهو: أخزيا، ويوآش، وأمصيا، ويهوياقيم بن يوشيا.

د- «يورام ولد عزيا» وهذا غلط من متي، لأنه يُعلم منة أنه ابن «يورام» وليس كذلك لأنه ابن أمصيا ابن يوآش بن أخزيا بن يورام، فثلاثة أجيال ساقطة من هنا «الأخبار الثاني ٢٣، ٢٤، ٢٥».

هـ- في متي: أن إن زربايل بن شألتيئل، وهو غلط لأنة ابن فدايا وهو ابن الأخ لشألتيئل «الأخبار الأول ٣».

و- في متي: أن أبيهود بن زربايل هو غلط أيضًا. لأن زربابل كان له خمسة بنين، وليس فيهم أحد مسمي بهذا الاسم «الأخبار الأول ٢/ ١٩» [1].

ويعلق موريس بوكاى على الفترة من آدم إلى إبراهيم بقوله:

«بما أن متي يبدأ شجرة نسب المسيح بإبراهيم، فالأمر هنا لا يخصه. أن لوقا فقط هو الذي يُعطي معلومات عن أسلاف إبراهيم حتى آدم: وهو يعطي عشرين اسما يوجد منها- كما قلنا- تسعة عشر اسمًا بسفر التكوين «الإصحاحات ٤، ٥، ١١».

---

(١) نقد التوراة د. أحمد حجازي السقا ص ٢٠٦.

أيمكن تصوير انه لم يكن هناك إلا ١٩ أو ٢٠ جيلًا من الكائنات البشرية قبل إبراهيم، لقد درست المشكلة فيما يختص بالعهد القديم [١]. وإذا رجع القارئ إلى جدول أنسال آدم حسب سفر التكوين والذي يحتوي على الإحداثيات الحسابية الزمنية التي يمكن استنتاجها من نص التوراة، فسنجد أنه قد مر حوالي ١٩ قرنًا فيما بين ظهور الإنسان على الأرض وميلاد إبراهيم. ولكن، لما كان المتخصصون يقدرون حاليا أن إبراهيم كان يعيش في عام ١٨٥٠ ق.م تقريبًا، فإننا نستنتج أن الإحداثيات التي يعطيها سفر التكوين تحدد ظهور الإنسان على الأرض بحوالي ٣٨ قرنًا قبل المسيح. وبالطبع فقد إستلهم لوقا هذه المعطيات ليحرر إنجيله ولأنه نقل المعطيات فقد وهم. ولقد رأى القارئ أعلاه الحجج التاريخية القاطعة التي أدت إلى هذه الدعوى.

وعلى هذا فإن تكوين معطيات العهد القديم غير مقبولة في عصرنا. فذلك أمر يمكن تبريره: حيث إن هذه المعطيات تقع في ميدان «البطلان» الذي تحدث عنه مجمع الفاتيكان الثاني. أما أن يأخذ المبشرون على عاتقهم بنفس هذه المعطيات التي لا تتواءم مع العلم فذلك تقرير بالغ الجسامة يتعارض مع الذين يدافعون عن الصحة التاريخية للنصوص الإنجيلية.

لقد أدرك المعلقون جيدًا خطورة هذا التقرير. وهم يحاولون تجنب هذه الصعوبة بقولهم إنه ليس المقصود هو شجرة نسب المسيح بتمامها وإن المبشرين قد أسقطوا أسماء عن عمد وإن ما يجب أن يدخل في الحسبان هو فقط «نية وضع الخطوط العريضة أو العناصر الجوهرية لنسب المسيح بالاعتماد على الواقع التاريخي» [٢].

---

(١) راجع دراسة الكتب المقدسة موريس بوكاى ص ٤٨-٥١.

(٢) دراسة الكتب المقدسة- موريس بوكاى ص١١٢، ١١٣.

وليس النصوص ما يسمح بإقامة مثل هذا الفرض. فنصوص الأنساب تعين بالتحديد أن فلانًا قد ولد فلانًا وأن هذا ابن ذلك. وزيادة على ذلك بالنسبة لما سبق إبراهيم على وجه خاص، فقد نهل المبشر من العهد القديم الذي يعرض الأنساب على الوجه التالي:

س.. في سن كذا أنجب ص.. وعاش ص كمًا من الأعوام وأنجب ع.. إذًا ليس هناك انقطاع في التسلسل.

وعلى هذا فالجزء السابق على إبراهيم من نسب المسيح حسب إنجيل لوقا يصبح غير مقبول في ضوء المعارف الحديثة.(1) وأما تعليقه على الفترة من إبراهيم إلى داود ومن داود

إلى المسيح فخلاصته:

- أن التاريخ يحدد عصر داود حول عام ١٠٠٠ ق.م وعصر إبراهيم تقريبًا حوالي ١٨٥٠-١٨٠٠ ق.م أي ١٤ أو ١٦ جيلًا لثمانية قرون تقريبًا.. هل هذا معقول؟ لنقل إذًا إن النصوص الإنجيلية فيما يختص بتلك الفترة، تقع على حدود الأمور المقبولة.
- متى لم يوفق في الوفاء بعهده ١٤ جيلًا في كل مرحلة ففي الثالثة ذكر ١٣ اسمًا فقط.
- تصرف متى في النسب كما يحلو له حتى يجعل في كل مرحلة ١٤ جيلًا ومع ذلك أخفق في المرحلة الثالثة فأسقط أجيالًا ونسب أخري لغير أصلها، وبهذا يثبت أنه قد عدل في النسب لكي يقدم مجموعة مصطنعة من ١٤ اسما بين داود والنفي إلى بابل.

(١) دراسة الكتب المقدسة- موريس بوكاي ص١١٢، ١١٣.

- وعند لوقا عديد من النقاط المختلفة يسقط الأسماء ويضيف أسماء أخرى بحيث إن أية قائمة تتكون عنده من ٧٧ اسمًا هي قائمة مصطنعة، حتى أن تمتعت بقابلية الدخول في هذه الألعاب الحسابية.

ويختم نقده بقوله: لا شك أن نسب المسيح في الأناجيل موضوع قد دفع المعلقين المسيحيين إلى بهلوانات جدلية متميزة صارخة تكافئ الوهم والهوى عند كل من لوقا ومتى.[1] أ.هـ

ولم يغفل علماء الأديان المسلمين قضية النسب هذه ودحضها والاستدلال بها وبغيرها على انقطاع سند كتبهم وفساد متنها وبطلان نسبتها إلى الوحي الصادق ومن هؤلاء إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، والإمام أبو عبيدة الخزرجي[2]، والإمام رحمت الله الهندي[3]، والإمام محمد أبو زهرة[4]، وغيرهم.

ثانيًا: بشرية المسيح بدلالة ما ذكر حول النسب:

وبعد.. فهذه الأقوال التي تعلقت بالنسب- المزعوم- للمسيح، عند النصارى من كتبهم المقدسة عندهم أو على ألسنة علمائهم المعتبرين، وكذلك رد بعض علماء المسلمين عليها من القدامى والمحدثين، وهي تكفي لتحرير المسألة وبيان وجه الحق على مقدماتها تؤدي بنا إلى الحق الذي ننشده، فنستخلص مما ذكر ما يلي:

---

(١) انظر: إظهار الحق- بيان الاختلافات من ٤٦ إلى ٥١.

(٢) انظر: مقامع هامات الصلبان «بين الإسلام والمسيحية» تحقيق د. شامة ص١٨٠ وما بعدها.

(٣) انظر: إظهار الحق- بيان الاختلافات من ٤٦ إلى ٥١.

(٤) انظر: محاضرات في النصرانية ص٧٧، ٧٨.

أولاً : ذكر سلسة النسب عند كل من متى ولوقا واختلافهما وتناقضهما دليل على عدم صحة السند وعلى فساد المتن لكتابهم.

ثانيًا: اعتمادهم للمسيح نسبا إقرار منهم ببشرية المسيح عليه السلام لا أكثر من ذلك.

ثالثًا: إن كان من الضروري نسبة المسيح عليه السلام للبشر فهو لأمه التي لم يمسسها بشر باتفاق ولا أكثر من ذلك.

رابعًا: التركيز على أنه ينسب لداود ثم لإبراهيم ثم لآدم لا تشهد له النصوص، وإنما نسبة ما ذكر قد تكون ليوسف أما أمه فهي إلى هارون من سبط لاوى تنسب وليست من نسل داود، فالمسيح على هذا ليس من نسل داود!! والدليل ما جاء في لوقا، «**كان في أيام هيرودس ملك إليهمودية كان اسمه زكريا من فرقة أبيا وامرأته من بنات هارون واسمها إليصابات**»[(١)]

وفية أيضًا: فقالت مريم للملاك كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلًا فأجاب الملك وقال لها الروح القدس يحل عليك وقوة العلى تظللك فلذلك أيضا القدوس المولود منك يدعي ابن الله. وهو ذا إليصابات نسيبتك هي أيضا حبلي بابن في شيخوختها وهذا هو الشهر السادس لتلك المرآة المدعوة عاقرًا[(٢)] وبناء على شريعتهم وأن كل سبط لا يتزوج إلا من سبطه وهم يبررون لهذا أمر النسب المزعوم كما سبق نقول.

أن مريم من بنات هارون فأليصابات نسبتها قريبتها وهذا أيضا يستلزم أن يكون يوسف النجار- خطيبها عندهم- من أبناء لاوى لا من أبناء يهوذا وهو على كل لا يكون من أبناء داود! فتأمل؟ وهذا هوا الحق الذي شهد به القرآن الكريم في قوله

---

(١) لو ١/ ٥.

(٢) لو ١/ ٣٤، ٣٥، ٤٦.

تعالى: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾[1] أي أنها من سبطه فنسبت إليهم. وهذه النسبة كما تقول للعربي يا أخا العرب، وللتميمي يا أخا تميم، وعن ابن عباس قال «أنها كانت من بني هارون» وقال السدى: كانت من بني هارون أخي موسى عليهما السلام، فنسبت إليهم لأنها من ولده، وعن هذه التسمية روى المغيرة أن رسول الله ﷺ أجاب بقوله: «ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بأسماء أنبيائهم والصالحين قبلهم»[2]. وإذا كنا لأنفهم من سياق هذا النسب المزعوم على غرض التسليم به جدلً- رغم إظهار تناقصه وكذبه بنصوصهم- إلا بشرية المسيح عليه السلام فإن نصوص كتبهم الأخرى تؤكد ذلك وتعضده وإليك بعضها.

ثالثًا: بشرية المسيح بنصوص كتبهم:

تقرر الأناجيل للمسيح صفات البشر من أكل وشرب ونوم وراحة وتعب وضعف وغضب وصخب وخوف وهرب وحزن وبكاء وصراع مع الشيطان وصلاة ودعاء وأنه ابن الإنسان.....[3] الخ.

وهذه بعض نصوصهم في ذا المقام:

١. **الأكل والشرب**: جاء عند متى: «وبينما هوا راجع إلى المدينة عند الفجر أحس بالجوع[4]، وكان يأكل مع تلاميذه ومن ذلك ما ورد عند متى ٢٦/ ٢٠: ٣٧.

---

(١) مريم: ٢٨.

(٢) انظر تفسير زاد المسير لابن الجوزي ٥/ ٢٢٧، الجواب الصحيح لابن تيمية جـ١ ص٧٠، إظهار الحق بتحقيق د. محمد ملكاوى جـ١ ص١٩٥، القرطبي م٦ ص١٠٠.

(٣) انظر: المسيح إنسان أم إله محمد مجدي مرجان ص ١٨٧، ٢١٠.

(٤) مت: ٢١/ ١٨، وانظر مر١١ / ١٣.

وفية قال «الذي يغمس يده معي في الصفحة هو يسلمني»[1] وعن احتياجه للشرب ورد عند يوحنا قوله «فجاءت امرأة من السامرة لتستقي ماءً. فقال لها يسوع أعطني لأشرب لأن تلاميذه كانوا قد مضوا إلى المدينة ليبتاعوا طعامًا»[2] وعند لوقا: «جاء ابن الإنسان يأكل ويشرب فتقولون هو ذا إنسان أكول وشريب خمر»[3].

٢. النوم والراحة: يقول يوحنا: «وكانت هناك بير يعقوب فإذ كان يسوع قد تعب من السفر جلس هكذا على البير»[4] وفي لوقا: «وفيما هم سائرون نام. فنزل نوء ريح في البحيرة وكانوا يمتلئون ماءً وصاروا في خطر فتقدموا وأيقظوه قائلين يا معلم يا معلم إننا نهلك»[5].

وعند مرقس: «فحدث نوء ريح عظيم فكانت الأمواج تضرب إلى السفينة حتى صارت تمتلئ وكان هو في المؤخرة على وسادة نائمًا فأيقظوه وقالوا يا معلم أما يهمك أننا نهلك»[6] وفي متى.. وكان هو نائمًا.

٣. الغضب والصخب: ومن ذلك ما ورد في يوحنا «وكان فصح ليهود قريبًا فصعد يسوع إلى أورشليم ووجد في الهيكل للذين كانوا يبيعون بقرًا وغنمًا وحمامًا والصيارف جلوسًا. فصنع سوطا من حبال وطرد الجميع من الهيكل. الغنم والبقر

---

(١) مت ٢٦/ ٢٣.

(٢) يو ٤/ ٧، ٨.

(٣) لو ٧/ ٣٤.

(٤) يو ٤/ ٦.

(٥) لو ٨/ ٢٣، ٢٤، مر ٤/ ٣٧، ٣٨، مت ٨/ ٢٣: ٢٥.

(٦) لو ٨/ ٢٣، ٢٤، مر ٤/ ٣٧، ٣٨، مت ٨/ ٢٣: ٢٥.

وكبّ دراهم الصيارف وقلب موائدهم»[1].

وغضبه هذا كرامة لهيكل اليهود على خلاف عادته التي كانت في عمومها تتسم بالهدوء والتسامح وتجنب المتاعب والمشاكل لكنها أطوار البشر وتقلباتهم.

٤. الخوف والهرب: كذلك ورد في كتابهم أنه كان يسارع بالهرب بمجرد شعوره بالخطر يقول محمد مرجان: «وبالغت الأناجيل في قدرة عيسى على التخفي والهرب فقررت أنه كان ينفلت من وسط الناس فلا يشعروا به، وكان يفر منهم إلى أبعد الأماكن فلا يستطيعون له إمساكًا ولا يملكون به لحاقًا»[2].

وعند متى: «فلما خرج الفرنسيون تشاوروا عليه لكي يهلكوه فعلم يسوع وانصرف من هناك»[3].

٥. الحزن والبكاء: تخبر الأناجيل أن المسيح بكي في صلاته، بكي لفراق أحبابه من الناس أو الأماكن، وهذا الضعف للبشري المتمثل في البكاء واضح تمامًا في النصوص كتبهم ومن ذلك ما جاء في انجيل لوقا: «وإذا كان في جهاد كان يصلي بأشد لجاجة وصار عرق كقطرات دم نازلة على الأرض»[4].

وفي انجيل يوحنا: «فلما رآها يسوع تبكي- أي مريم المجدلية- واليهود الذين جاءوا معها يبكون انزعج بالروح واضطرب وقال أين وضعتموه- شقيق مريم المجدليه المتوفى «إليعازر» - قالوا له يا سيد تعال وانظر وبكي يسوع فقال اليهود

(١) يوحنا ٢/ ١٣: ١٥، مر ١١/ ١٥، ١٦، مت ٢١/ ١٢، ١٣.

(٢) المسيح إنسان أم إله محمد مجدي مرجان ١٩١.

(٣) مت١٢/ ١٤، ١٥ وانظر يو٨/ ٥٩، ١٠/ ٣٩، لو ٤/ ٢٩، ٣٠.

(٤) لو ٢٢/ ٤٤.

وانظروا كيف يحبه»[1].

كما بكي على فراق مدينته يقول لوقا «وفيما هو يتقرب نظر إلى المدينة وبكـي عليهـا قائلا إنك لو عملت أنت أيضا حتى في يومك هذا ما هو لسلامك ولكن الآن قد أخفي عن عينيك فإنه ستأتي أيام ويحيط بك أعداءك بمترسة ويحدقون بك ويحاصرونـك مـن كل جهة ويهدمونك وبنيك ولا يتركون فيك حجرًا على حجر»[2].

٦. تعرض الشيطان له: يجري الشيطان من ابن آدم مجري الدم في العـروق، يـزين لهـم السوء ويوسوس في صدورهم ويعمل جاهدًا على إغوائهم وإضلالهم.

لكن الشيطان لا يفلح معا كل بني الإنسان فسلطانه على الذين يتولونـه فنسـوا الله فأنساهم أنفسهم بينما الذين آمنوا بربهم وعليه يتوكلون فليس لـه عليهـم سـلطان وإن كانت محاولاته مع الجميع لا تنقطع.

والأناجيل تخبر بأن الشيطان حاول مع المسيح وهذا دليل بشريته[3] ولا ريب فقد جاءه وهو جائع وأمره أن يسأل ربه أن يحول الحجـارة إلى خبـز يسـد بـه جوعـه فقـال المسيح: «ليس بالخبز وحدة يحيا الإنسان»[4].

ويأتيه مرة أخرى وثالثة وها هو النص كاملًا فتأمله:

«ثم أصعد يسوع إلى من الروح ليَجرَّب من إبليس. فبعـد مـا صـام أربعـين نهـارًا وأربعين ليلة جاع أخيرًا فتقدم إليهم المجربُّ وقال له أن كنـت ابـن الله فقـل أن تصـير

(١) يو ١١/ ٣٣: ٣٦.

(٢) لو١٩/ ٤١: ٤٤.

(٣) مت ٤/ ١- ١١.

(٤) مت ٤/ ٤.

هذه الحجارة خبزًا فأجاب وقال مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله. ثم أخذه إبليس إلى المدينة المقدسة وأوقفه على جناح الهيكل وقال له إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل لأنه مكتوب أنه يوصي ملائكته بك فعلى أيديهم يحملونك لكي لا تصدم بحجر رجلك.

قال له يسوع مكتوب أيضًا لا تجرب الرب إلهك. ثم أخذه أيضًا إبليس إلى جبل عال جدًا وأراه جميع ممالك العالم ومجدها وقال له أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لي حينئذ قال له يسوع اذهب يا شيطان لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد ثم تركه إبليس...»(1).

فتأمل: «إن الشيطان لا يعرض إلا لبشر!»

- والشيطان لا يقوي أبدًا وما كان له أيتعرض لربه فضلًا عن إغرائه وإغوائه ببعض متاع الأرض الذي هو ملك للخالق الإله؟
- ثم تأمل ردود المسيح التي لا تدع مجالًا للشك أبدًا أنه إنسان يتقي ربه لا يجربه ولا يحيد عن شرعه ولا يعبد سواه، وحقًا ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾(2).

٧. عبادته لربه وخالقه: الرب لا يذل ولا يخضع ولا يعجزه شيء عن الأرض ولا في السماء، وإنما المخلوق هو الذي يخضع لخالقه والعبد يستقيم على ما شرع له سيده وكذلك المؤمن بالله لا يخرج عن منهج ربه في كل شئون حياته وبذلك نطقت أناجيلهم بالنسبة ليسوع فقد كان ﷺ دائم الصلاة والدعاء لخالقه وربه متضرعًا له

(١) مت٤/ ١- ١١، لو ٤- ١- ١٣.

(٢) الحج: ٤٦-.

في سجوده وركوعه ومن ذلك ما ورد في انجيل متى: «فقال للتلاميذ: اجلسوا ها هنا حتى أمضي وأصلّ هناك»[1] وفيه: «وبعد ما صرف الجموع صعد إلى الجبل منفردًا ليصلي ولما صار المساء كان هناك وحده»[2] وفيه: «وفي ذلك الوقت أجاب يسوع وقال: أحمدك أيها الأب رب السماء والأرض»[3].

وعند مرقس: «وفي الصباح باكرًا جدًا- عند الفجر- قام وخرج ومضى إلى موضع خلاء وكان يصلي هناك»[4] وفيه: «وبعد ودعهم مضى إلى الجبل ليصلي»[5] وفي لوقا: «وفي تلك الأيام خرج إلى الجبل ليصلي وقضى الليل كله في الصلاة لله»[6].

وهل يتعبد الله ذاته؟ إنه بشر يتعبد خالقه سبحانه وتعالى!

٨. ابن الإنسان: يقول الكاتب إميل لودفينج عن تصور عيسى لنفسه: «لم يفكر يسوع في أنه أكثر من نبي وليس بقليل أن يري نفسه في بعض الأحيان دون النبي. ولم يحدث أبدًا من يسوع ما يخيل به إلى السامع أن له خواطر وآمالًا فوق خواطر البشر وآمالهم. وما كان يسوع ليذهب إلى أبعد من ذلك فيدعي أنه المنقذ المنتظر فإذا ما قال الناس إنه أحد قدماء الأنبياء راقه ذلك موجهًا افكارهم إلى ملكوت

(١) مت٢٦/ ٣٦.
(٢) مت ١٤/ ٢٣.
(٣) مت ١١/ ٢٥.
(٤) مر ١/ ٣٥.
(٥) مر ٦/ ٤٦.
(٦) لو ٦/ ١٢.

السماورات، والآن يجد يسوع كلمة جديدة صالحة للتعبير عن تواضعه بقوله عن نفسه إنه «ابن الإنسان» وقديمًا أراد الأنبياء أن يلفتوا الأنظار إلى الهوة الواسعة التي تفصلهم عن الله، فكانوا يسمون أنفسهم بأبناء الإنسان. ومن هؤلاء دانيال وحزقيال اللذان أظهرا الرب مخاطبًا كل واحد منهما «بابن الإنسان» أي بآدمي ضعيف هالك ولد ليفني ولكن مع استعداد لنيل عفو الرب»[1].

وقد تكرر وصف المسيح «بابن الإنسان» في الأناجيل كثيرًا[2].

وهذه النصوص صريحة بتحقيق بشرية المسيح حيث اتصف من خلالها على مثله ثائر البشر.

وكل ما يمكن قوله أن المسيح بن مريم عبد الله ورسوله وكما أن النصوص في كتبهم كثيرة ومتعددة وتشهد ببشريته عليه السلام فكذلك في مصادرهم وكتبهم المقدسة نصوص أخري ليست بأقل من الأولي ناطقة بنبوته وشاهدة برسالته.

رابعًا: المسيح رسول الله بنصوص كتبهم:

وردت بذلك نصوص كثيرة نذكر منها:

جاء في انجيل يوحنا: «لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعلمون أعمال إبراهيم ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله. وهذا لم يعمله

---

(١) ابن الإنسان- أميل لودفيج ترجمة عادل زعيتر ص٩٥- نقلًا عن المسيح إنسان أم إله ص٢٠٤.

(٢) انظر مت: ٨/ ٢٠١١ /١٩، ١٢/ ٣٢، ٤٠، ٢٠/ ٢٨، ٢٤ / ٣٠، ٢٥/ ١٣، ٢٦ / ٢٤، ٦٤.

وانظر مر: ٢/ ٢٨، ٨/ ٣٨، ٩، ١٠ / ٤٥، ١٤/ ٢١، ٤١.

وانظر لو: ٩/ ٢٦، ٥٦، ١٠، ١٢٨، ١٧/ ٢٤، ١٨ / ٨.

وانظر يو: ٣/ ١٣، ٥/ ١٣، ٢٧/ ٣١، ٦/ ٢٧. وغير ذلك كثير جدًا انظر فهرست الكتاب المقدس د. جورج بوست مادة ابن الإنسان ص٤٢.

إبراهيم أنتم تعملون أعمال أبيكم فقالوا له إننا لم نولد من زنا. لنا أب واحد وهو الله. فقال لهم يسوع لو كان الله أباكم لكنتم تحبونني لأنني خرجت من قبل الله وأتيت لأني لم آتي من نفسي بل ذاك أرسلني»[1].

وفي نفس الإصحاح: «إن لي أشياء كثيرة أتكلم وأحكم بها من نحوكم. ولكن الذي أرسلني هو حق وأن ما سمعته منه فهذا أقوله للعالم»[2].

وفي الإصحاح الثاني عشر: «لأني لم أتكلم من نفسي لكن الأب الذي أرسلني هو أعطاني وصيّة ماذا أقول وماذا أتكلم. وأنا أعلم أن وصيته هي حياة أبدية فما أتكلم أنا به فكما قال الأب هكذا وفي صدر الإصحاح السابع عشر: «تكلم يسوع بهذا ورفع عينيه نحو السماء وقال أيها الأب قد أتت الساعة. مجّد ابنك ليمجدك ابنك أيضا إذ أعطيته سلطانا عي كل جسد ليعطي حياة أبدية لكل من أعطته. وهذه الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته»[3] وفيه: «... وليعلم العالم أنك أرسلتني» فقرة ٢٣.

وفيه: «أيها الأب البار إن العالم يعرفك. أما أنا فعرفتك وهؤلاء عرفوا أنك أنت أرسلتني» فقرة ٢٥.

وفي الإصحاح الحادي عشر قول المسيح بعد أحيائه العازر: «أيها الأب أشكرك لأنك سمعت لي وأنا عملت أنك في كل حين تسمع لي ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت. ليؤمنوا أنك أرسلتني»[4].

(١) يو ٨/ ٣٩-٤٢.

(٢) يو ٨/ ٢٦.

(٣) يو ١٧/ ١-٣١.

(٤) يو ١١/ ٤١٤٢.

وفي الإصحاح الخامس قوله: «الحق أقول لكم إن من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية ولا يأتي دينونة بل قد نقل من الموت إلى الحياة»(١).

وفي السابع: قوله: تعليمي ليس لي بل للذي أرسلني. إن شاء أحد أن يعمل مشيئته يعرف التعليم هل هو من الله أم أتكلم أنا من نفسي»(٢).

وفي صدر الصحاح الرابع عشر قوله: «لا تضطرب قلوبكم. أنتم تؤمنون بالله فآمنوا بي»(٣).

ي الخامس عشر قوله: «أنا الكرمة الحقيقة وأبي الكرام»(٤). وفي رسالة بوليس إلى العبرانيين: «من ثم أيها الإخوة القديسون شركاءُ الدعوة السماوية لاحظوا رسول اعترفنا ورئيس كهنته المسيح يسوع حال كونه أمينًا للذي أقامة كما كان موسى أيضا في كل بيته»(٥).

ومن النصوص السابقة يتضح بما لا يدع مجالًا للشك أن المسيح رسول كموسى عليهما السلام لا يتكلم من عند نفسه بل بما كلفه به الله تعالى الذي أرسله بذلك يقر و يعترف، وبه يعلم تلامذته، وبه يشهد حين أجراء الله تعالى للخوارق على يديه هكذا حتى يؤمنوا ويشهدوا بأنه رسول الله حقا وليس بعد الرسالة والعبودية لله تعالي شرف أو مطمع لذي لب. ولكن النصارى ضلوا سبيل الهدي فقالوا إن الله هو المسيح بن

(١) يو ٥/ ٢٤.

(٢) يو ١٤/ ١.

(٣) يو ١٤/ ١.

(٤) يو ١٥/ ١.

(٥) عب ٣/ ١٢.

مريم وما زاد المسيح على قوله كما ذكرنا من نصوصهم اعبدوا الله ربي وربكم، وقالوا: إن الله ثالث ثلاثة، وقالوا: المسيح ابن الله وما كان الله أن يتخذ من ولد سبحانه! كل ذلك عندهم متأولين نصوصًا من كتبهم ومحملين إياها ما لم تحتمل قد ضلوا وما كانوا مهتدين فيبقي بعد إثبات بشرية المسيح عليه السلام بدلالة ما ساقوه من نسب مزعوم أو ما صرحت به كتبهم دحض فريتهم هذه وبيان وجه الحق فيها ليهلك من هلك عن بينة ويحيي من حيّ عن بينة.

وسنذكر افتراءاتهم هذه موجزة متمثلة في موقف أشهر فرقهم من طبيعة المسيح ومتعمد قولهم ودحضه بالله التوفيق.

خامسًا: أشهر فرق النصارى وأقوالهم في طبيعة المسيح:

ما كان المسيح ابن مريم إلا رسول آمن وكفر به من كفر، واستقام أتباع المسيح على ذلك حتى فرضت عقيدة التثليث فرضًا بقوة الحكم والملك فكل «المصائب التي لحقت بالعقيدة المسيحية وحولتها من التوحيد إلى التثليث إلى تدخل الأباطرة والرومان»[1].

إن الاعتقاد ببشرية المسيح ورسالته والتي اشتهرت فيها بعد بالأريوسية ونسبت إليهم لم يكن أريوس هوا أول من دعا إليه فهي قديمة قدم المسيحية كما كان مرقس ينكر ألوهية المسيح، وفي عام ٣٥٩م عقد الامبراطور مجمعين أولهما في مدينة ريمني وخصه بالغربيين، والثاني بمدينة سلوقية بسوريا حضره بالشرقيين، فأيد كلاهما الأوريوسية كل التأييد. وهكذا باتت الكنيسة الغربية كلها أوريوسية»[2].

---

(١) طائفة الموحدين من المسيحين عبر القرون مهندس أحمد عبد الوهاب ص٣١.

(٢) انظر المرجع السابق ٢٨: ٣، المسيح في مصادر العقائد المسيحية/ مهندس أحمد عبد الوهاب، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح- شيخ الإسلام ابن تيمية- جـ٣ ص٢٠: ٣٢.

الذي حضر معهم مجمع خليقدونية والذي فيه تقررت عقيدتهم.

وخلاصة معتقدهم في طبيعة المسيح والذي تقرر في مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١م (١٤٦):

١- للمسيح طبيعتان ومشيئتان، فالمسيح أقنوم إلهي بحت ولكن لـه ذاتـان وكيانـان هما.. الإله والإنسان.

٢- مريم ولدت الاثنين جميعا، وأنهما معًا شيء واحد ابن الله- تعالى الله عن كفرهم- وإن اللاهوت اتحد بالناسوت في بطن مريم- قبل الولادة.

٣- الصلب والقتل وقعا على الإنسان منه بينما الإله منـه لم ينلـه شيء.. وهـذا القـول يتضح أنه متأثر بمذهب النساطرة كما سيتضح كـما عنـد ذكـر معتقـد أصـحاب نسطور.

النسطوريين:[1]

وهم أصحاب نسطور بطريك الإسكندرية سنة ٤٣١م والذي قال:

- للمسيح طبيعتان ومشيئتان كالقول السابق وبهذا يعد مذهب النساطرة هو الذي وضـع الأسـاس للقـول بـالطبيعتين للمسـيح فهـم أسـبق لكـن الكاثوليـك- الملكانية- يعود إليهمم الفضل في تقرير هذا القول.

والنساطرة يختلفون عن الكاثوليك في أن:

١- مريم لم تلد إلاّ الإنسان، فما ولد من الجسد ليس إلا جسدًا ولأن المخلوق لا يلـد الخالق أبدًا، لكن الإنسان هذا كان آله للاهوت.

(١) انظر الفصل جـ١، ٤٧، الموسوعة الميسرة ص٥٠٣، المسيحية / احمد شلبي ص١٩٢، تـاريخ الأقبـاط- زكي شنودة ص١٩٥، الإسفار المقدسة ص١٣٣.

٢- مريم على هذا أم الإنسان وليست أم الإله وتسمي والدة المسيح الإنسان.

٣- اتحد عيسى بعد الولادة بالأقنوم الثاني اتحادًا مجازيًا فمنحه الله المحبة ووهبه النعمة فصار بمنزلة الابن.

الأرثوذكس «اليعقوبيين»:[1]

مذهب الكنائس الشرقية أو الأرثوذكسية أو المرقسية هو الذي عرف قديمًا باليعقوبية.

واليعقوبيين نسبة إلى داعية قوي الحجة دافع عن هذا المعتقد.

١- الموحدون:

ويقول ابن حزم: «والنصارى فرق منهم أصحاب آريوس وكان قسيسا بالإسكندرية ومن قوله التوحيد المجرد، وأن عيسى عليه السلام عبد مخلوق وأنه كلمة الله تعالى التي بها خلق السماوات والأرض وكان في زمن قسطنطين الأول باني القسطنطينية وأول من تنصر من ملوك الروم وكان على مذهب آريوس هذا.

ومنهم أصحاب بولس الشمشاطي وكان بطريركا بأنطاكية قبل ظهور النصرانية وكان قوله التوحيد المجرد الصحيح وأن عيسى عبد الله ورسوله كأحد الأنبياء عليهم السلام خلقه الله تعالى في بطن مريم من غير ذكر وأنه إنسان لا إلهية فيه وكان يقول لا أدري ما الكلمة ولا روح القدس.

وكان منهم أصحاب مقدونيوس وكان بطريركا في القسطنطينية بعد ظهور

(١) انظر: الفصل جـ١ ص٤٧، الموسوعة الميسرة ص٥٣٠، المسيحية احمد شلبي ص١٩٤، تاريخ الأقباط ص١٦٠، ١٦١، الأسفار المقدسة/ علي عبد الواحد وافي ص١٣١، ١٣٢.

النصرانية أيام قسطنطين بن قسطنطين باني القسطنطينية وكان هذا المللك أوريوسيا كاتبه وكان من قول مقدونيوس هذا التوحيد المجرد وأن عيسى عبد مخلوق إنسان نبي رسول الله كسائر الأنبياء عليهم السلام وأن عيسى هو روح القدس وكلمة الله عز وجل وأن روح القدس والكلمة مخلوقان خلق الله كل ذلك.

ومنم البربرانية وهم يقولون إن عيسى وأمه إلهان من دون الله عز وجل وهذه الفرقة قد بادت وعمدتهم إليوم ثلاث فرق «الملكانية، والنسطورية، واليعقوبية»[1].

والملكانية تعرف إليوم بـ «الكاثوليك»، واليعقوبية تعرف بـ «الأورثوزكس» وملخص عقيدتهم في المسيح ما يلي:

٢- الكاثوليك الملكانية:

الكنيسة الغربية أو كنيسة روما أو الكنيسة الكاثوليكية أو البطرسية هي التي تعرف جماعتها باسم الملكانية قديمًا، والكاثوليك حديثًا. وسميت بالغربية لأن أكثر أتباعها ومركز سلطانها في الغرب في بلاد إيطاليا وفرنسا وبلجيكا وأسبانيا والبرتغال وأمريكا وبلاد أخري كثيرة...

وبالرومية لأن بابا روما رئيس دولة الفاتيكان هو رئيسها وبالبطرسية لاعتقادهم أن مؤسسها هو الرسول بطرس كبير الحواريين، وأن بابواتها خلفاؤه من بعده.

وبالكاثوليك: لا عتقادهم أنهم أرباب الكنيسة العامة أو العالمية.

وعرفت قديمًا بالملكانية نسبة إلى زوج الملكة أو إمبراطور روما يعرف باسم يعقوب البرادعي، وإن كان هذا المعتقد نشأ قبل ظهور يعقوب هذا بأمد طويل.

(١) الفصل لابن حزم جـ١ ص٤٨.

وانظر الأسفار المقدسة/ علي عبد الواحد وافي ص١٢٠: ١٢٥.

والكنيسة المرقسية: نسبة إلى الرسول مرقيس المنسوب إليهم الإنجيل ويعتبرون بطاركتها خلفاء هذا الرسول.

والأرثوذكسية لاعتقادهم أنهم أصحاب المذهب الحق أو المستقيم.

والكنائس الشرقية لأن سلطانها بالشرق في مصر وجميع النوبة وجميع الحبشة. ومذهب الأرثوذكس يعتبر رد فعل كذلك لعقيدة نسطور الذي سبق ذكره وإن كان أسبق في إعلانه من موقف الكاثوليك.

وقد أعلن هذا المذهب في مجمع أفسس بالأناضول سنة٤٣١م وأقر المجمع عقيدة البابا كيرلس بطريرك الإسكندرية والذي ينص على ما يلي:

- «إن لسيدنا يسوع المسيح أقنوم واحدًا إلهيًا اتحد بالطبيعة الإنسانية اتحادًا تامًا بلا اختلاط ولا امتزاج ولا استحالة، فالعذراء والحالة هذه هي بحق والدة الإله، فمريم لم تلد إنسانا عاديا، بل ابن الله المتجسد لذلك هي حقًا أم الله».
- إذا المسيح له طبيعة واحدة ومشيئة واحدة.
- وكذلك فالله هو المسيح بن مريم والدة الإله.

المارونية:(١)

والموارنة ينسبون لرجل اسمه يوحنا مارون دعا سنة ٦٦٧م إلى إن للمسيح طبيعتين ولكن له مشيئة واحدة وذلك لالتقاء الطبيعتين في أقنوم واحد إلهي وهو الابن أو الكلمة. وقد شايعه في هذا الرأي بعض مسيحي آسيا.

وبسبب هذا القول عقد مجمع القسطنطينية السادس سنة ٦٨٠م ولعنوا يوحنا

(١) انظر الموسوعة الميسرة ص٥٠٣، الأسفار المقدسة ص١٣٤، المسيحية ص١٩٥.

مارون هذا وحكموا بكفرة وطرده هو وكل من يقول بالمشيئة الواحدة.

وقرروا قولهم: «إننا نؤمن بان الواحد من الثالوث الابن الوحيد هو الكلمة الأزلية الدائم المستوي مع الأب الإله في أقنوم واحد ووجه واحد، يعرف تامًا بناسوتة تامًا بلا هوته في الجوهر الذي هو ربنا يسوع المسيح، بطبيعتين تامتين وفعلين ومشيئتين في أقنوم واحد.. فهو ما يشبه الإنسان أن يعلمه في طبيعته، وما يشبه الإله أن يعلمه في طبيعته... وكل واحدة من الطبيعتين تعمل مع شركة صاحبتها بمشيئتين غير متضادين».

وقد اضطهدت هذه الفرقة وأخيرًا سنة ١١٨٢ قرروا الطاعة للكاثوليك وبابا روما مع بقائهم على القول بالمشيئة الواحدة وهم موجدون بلبنان وأمريكا وغيرها.

البروتستانت:[١]

وتسمى كنيستهم الإنجيلية لأنهم لا يعتبرون سواه، ولا يخضعون في تفسيره لغيرهم.

وسموا بالبروتستانت: أي المحتجين أو المعترضين لمواقفهم من شئون الكنيسة الكاثوليكية ومناهجها وطقوس وهيمنة رجالاتها. ويعتبرون امتدًا للثورة على الفكر امتداد النصراني الموروث والقائل بالتثليث ومن أبرزهم لوثر كنج (١٨٤٢- ١٥٢٩م) وأهم مبادئ كنيستهم:

١- جعل الكتاب المقدس المصدر الوحيد للنصرانية، وينكرون كل حكم يتوارث عن البابوات أو رجالات الكنيسة.

٢- من حق كل نصراني قراءة الكتاب المقدس وفهمه وتفسيره.

---

(١) انظر الأسفار المقدسة/ علي عبد الواحد وافي ص١٤٠: ١٤٦، الموسوعة الميسرة ص٥٠٣، المسيحية د. احمد شلبي ص٢٤١، ٢٤٢، ٢٦٠

٣- لكل كنيسة من الكنائس البروتستانتية رئاستها وليس لها رئاسة عامة.

٤- ليس للكنيسة حق غفران السيئات والاعتراف للقس.

٥- تحريم الصور والتماثيل في الكنائس وتحريم السجود لها.

٦- إنكار صلة العشاء الرباني بجسد أو دم المسيح.

٧- ترجمة الكتاب المقدس إلى اللغات مختلفة ومنع الصلاة بلغة غير مفهومة.

٨- إباحة الزواج لرجال الدين وإنكار الرهبنة.

وهؤلاء لم يعملوا على إصلاح النصرانية- بدليل بقاء الأباطيل فيها ولم تتوجه جهود لإصلاحها مثل الصليب والتثليث والوقوف على إنجيل عيسى، ومدي سلطة المجامع في تقرير العقائد- وإنما عملوا على إصلاح الكنيسة والحد من هيمنة رجالتها.

والكاثوليك ينظرون إليهم على أنهم أرباب ضلال زاغوا عن الإيمان وأنهم مبتدعون[(١)].

وخلاصة القول:

أن فرق النصارى- اليوم- في جملتها تقول بألوهية المسيح أو ببنوته لله- تعالى عما يقولون- مقردين ذلك بسبب تدخل العقول في مولده الغريب بدون أب- وتحريف لمعني الكلمة والروح القديس.

- كما أشرنا في عرضهم لنسب المسيح- وكذلك- وكذلك تبريرًا للآيات والمعجزات التي جرت على يديه بم يتفق وأهوائهم التي غلبت عليهم فضلوا كثيرًا وأضلوا عن سواء السبيل.

(١) انظر شرح رسالة القديس بولس لأهل رومية- د. الخوري جرجس فرج ص٦٧ المسيحية د. احمد شلبي ص٢٦٢.

إن اتحاد اللاهوت بالناسوت قضية اجتمعت عليها النصرانية أخيرًا بعد أن خلعت ربقة التوحيد وبشرية المسيح، وإن اختلفت فرق النصارى ففي بيان الكيفية ولا تجد اثنين يتفقان على قول واحد!

ويلخص ذلك الشهر ستاني بقوله: «وإنما اختلافاتهم تعود إلى أمرين»:

أحدهما: كيفية نزوله واتصاله بأمه وتجسد الكلمة.

والثاني: كيفية صعوده واتصاله بالملائكة وتوحد الكلمة.

أما الأول: فقضوا بتجسد الكلمة ولهم في كيفية الاتحاد والتجسد كلام فمنهم من قال: أشرق على الجسد إشراق النور على الجسم المشف.

ومنهم من قال: انطبع فيه انطباع النقش في الشمعة.

ومنهم من قال: ظهر به ظهور الروحاني بالجسماني.

ومنهم من قال: تدرع اللاهوت بالناسوت.

ومنهم من قال: مازجت الكلمة جسد المسيح ممازجة اللبن الماء.

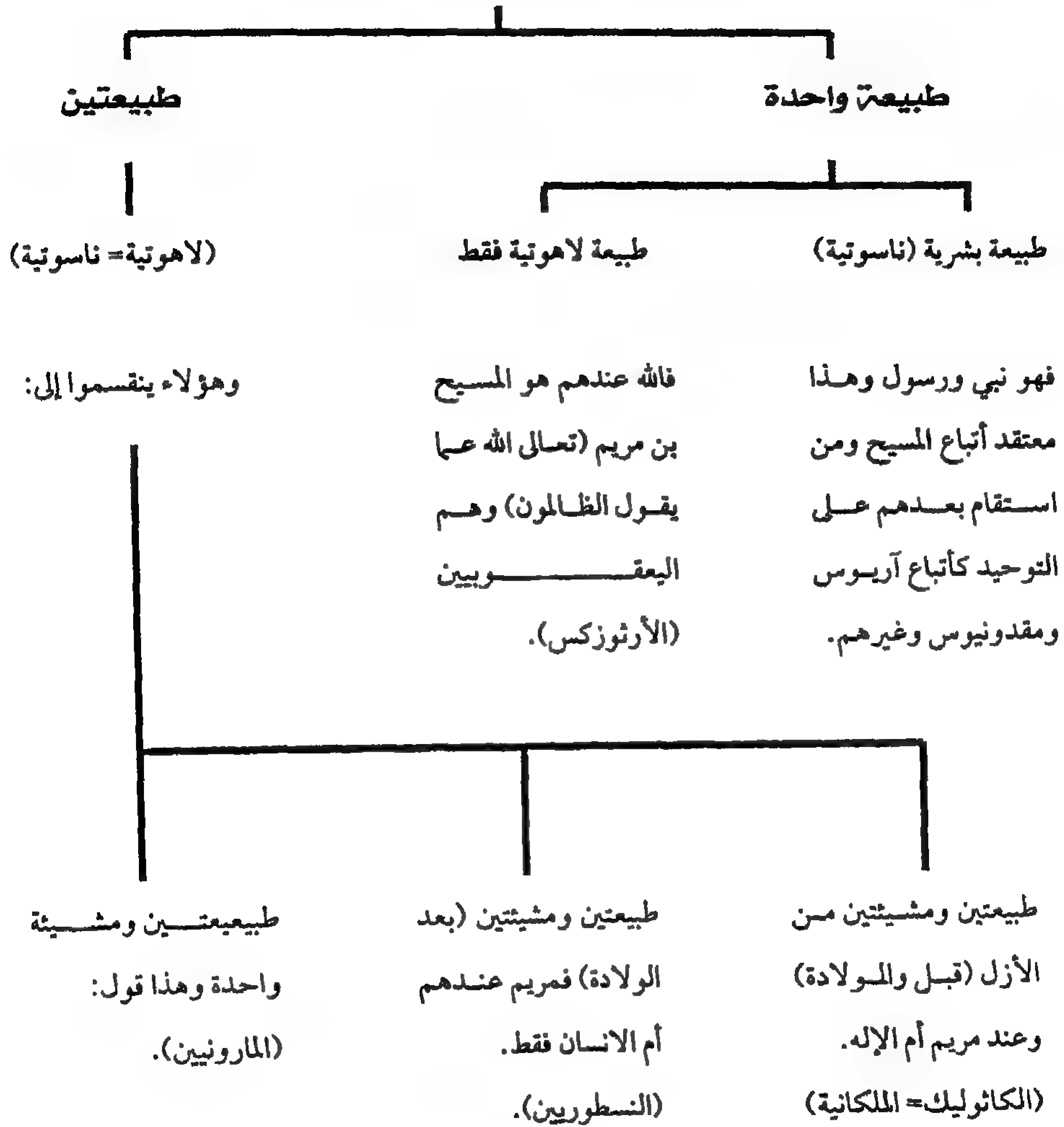
واثبتوا لله أقانيم ثلاثة: قالوا الباري تعالي جوهر واحد يعنون به القائم بالنفس لا التحيز والحجمية فهو واحد بالجوهرية ثلاثة بالأقنومية ويعنون بالأناقيم الصفات كالوجود والحياة والعلم والأب والابن وروح القدس.

وإنما العلم تدرع وتجسد دون سائر الأقانيم [1].

وهذا هو مخطط توضيحي لأقوال النصارى في طبيعة المسيح يجمل ما سبق وتعين على فهم المراد.

---

(١) املل والنحل للشهرستاني بهامش الفصل حـ٢ ص٦٠.


أقوالهم في طبيعة المسيح
طبيعة واحدة
طبيعتين
طبيعة بشرية (ناسوتية)
طبيعة لاهوتية فقط
(لاهوتية= ناسوتية)
فهو نبي ورسول وهذا معتقد أتباع المسيح ومن استقام بعدهم على التوحيد كأتباع آريوس ومقدونيوس وغيرهم.
فالله عندهم هو المسيح بن مريم (تعالى الله عما يقول الظالمون) وهم اليعقوبيين (الأرثوزكس).
وهؤلاء ينقسموا إلى:
طبيعتين ومشيئتين من الأزل (قبل المولادة) وعند مريم أم الإله. (الكاثوليك= الملكانية)
طبيعتين ومشيئتين (بعد الولادة) فمريم عندهم أم الانسان فقط. (النسطوريين).
طبيعتين ومشيئة واحدة وهذا قول: (المارونيين).

نقد وتعليق:

وجميع هذه الأقوال مردودة ماعدا القول الأول فقط وللذي يقول ببشرية المسيح عليه السلام فهو القول الذي يوافق المعقول والمنقول، وما عداه نافر العقل والحس ولم يشهد له نقل.

ورضي الله عنه ابن حزم حين قال[1]: «ولولا أن الله تعالى وصف قولهم في كتابه إذ يقول تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾[2].

وإذ يقول تعالى حاكيًا عنهم ﴿إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾[3].

وإذ يقول تعالى: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾[4]. لماذا انطلق لسان مؤمن بحكاية هذا القول العظيم الشنيع السمج السخيف وتالله لولا أننا شاهدنا النصارى ما صدقنا أن في العالم عقلا يسع هذا الجنون ونعوذ بالله من الخذلان».

وعلة تضارب النصارى في معتقدهم أن المسيح جاء بعقيدة «وجاء بوليس بعقائد أخري مختلفات لكن عقائد بولس هي التي كتب لها النصر، وصارت أقواله هي الأكثر حظوة بالترديد والاستشهاد في المواعظ والدراسات خلافًا لما عليه الحال مع أقوال المسيح التي تذكرها الأناجيل. أنها مسيحيتان ولاشك...»[5].

وقد فنّد علماء المسلمين هذه الترهات والافتراءات التي ادّعاها النصارى فلم يغفل

(١) الفصل جـ١ ص٤٩.

(٢) المائدة: ٧٢.

(٣) المائدة: ٧٣.

(٤) المائدة: ١١٦.

(٥) حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر- لواء احمد عبد الوهاب- ص٦١.

أحد منهم إبطال القول بالتثليث أو بالأولوهية أو البنوة لله على الحقيقة وأقاموا الأدلة العقلية والنقلية على فساد معتقدهم.

ومن ذلك ماردّ به أبو الوليد الباجي على رسالة راهب فرنسا:

قال الراهب: «من الراهب أحقر الرهبان الراغب في الإنابة والإيمان بالمسيح سيدنا يسوع ابن الله سيدنا»[1]. ويقال: «ويقررون عندك معرفة المسيح سيدنا الذي لا ينبغي لنا الإيمان بأحد سواه ولا نرتجي النجاة إلا به فهو الإله الذي اتخذ حجابًا على صورتنا لينقذنا بدمه الطاهر من هلكة إبليس»[2].

ويقول: «ونحن نضرع إلى سيدنا يسوع المسيح»[3].

ويقول: ونسأل الله الذي له القدرة والعظمة الذي (من اجله خلق كل شيء ومن دونه لم يخلق شيء... ويقول: ولما كانت الدنيا- من قبل- معمورة بالضلال، والعالم مدنسًا بعبادة الأوثان حسن عند الله القادر في آخر العهد أن يعيد الزمان جديدًا ويستدرك الصلاح الذي فات العالم في آدم الأول... ويقول: عهد من الله مؤكد قبل التوراة أن يكون الالتحام المقدس معلوما»[4].

ورد أبو وليد الباجي على هذه الأباطيل مبينًا أنه عبد الله ورسوله لأن الإله لاتعترية صفات الحدوث وعيسى اتصف بها فقال ﷺ: «وإنا لنربأ بمثلك ونرفع قدرك

(١) رسالة راهب فرنسا إلى حاكم سرقسطة ورد أبو الوليد الباجي عليها بتحقيق د. محمد الشرقاوي ص٤٩.

(٢) المرجع السابق ص٥٠.

(٣) المرجع السابق ص٥٤، ٥٥.

(٤) المرجع السابق ص٥٢.

عما استفتحت به كتابك من أن عيسى عليه السلام ابن الله تعالى، بل هوا بشر مخلوق وعبد مربوب لا يعدو دلائل الحدوث من الحركة والسكون، والزوال، والانتقال، والتغير من حال إلى حال، وأكل وطعام، والموت الذي كتب على جميع الأنام مما لا يصح على إله قديم ولا يمكن عند ذي رأى سليم»[1].

ويبين ﷺ أنه لو جوزنا كون عيسى مع ذلك إلها لجاز على جميع المخلوقات صفة الألوهية كذلك لمشاركته للجميع في صفة الحدوث فتعالي الله عما يصفون. كما يبين أن خلق آدم أعجب من خلق عيسى:

يقول الباجي: «وإن الله خلق عيسى عليه السلام من غير أب كما خلق آدم عليه السلام من تراب، وقد حملت بعيسى أم، ولم تحمل بآدم أنثي ولا ذكر، فإذا لم يكن آدم إلهًا وهو الأب الأول- بل هو مخلوق- فعيسى أولي ألا يكون إلهًا وهو من ذرية آدم وولده بل هو عبد مربوب، وإن هذا لواضح إلا لمن جهل معني الحدوث ولم يميز الخالق من المخلوق»[2].

ثم نفي شبهة كونه إلهًا- في زعمهم- للآيات الباهرات والمعجزات الواضحات التي الواضحات التي أيده الله بها لتواتر المعجزات فيمن سبقه وخلفه من المرسلين. ولو جازت ألوهيته لذلك لكان أولي بها من سبقه أو من أكمل الله الدين على يديه؟

وكذلك نفي ألوهيته ببيان ما في كتبهم أن عيسى «ابن الله» تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا- وأنه من ولد داود عليه السلام وأنه سيرث ملك أبيه داود...

يقول الباجي: فإذا كان عيسى من ولد داود، وداود عبد مخلوق أوجد بعد أن لم يكن، ومات بعد أ حيي، فكيف يكون عيسي الابن خالق داود- أبيه- وإلهه؟ وكيف

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق ص٦٦.

يكون ابنًا لداود المخلوق وابنًا لله الخالق؟ وعن تجربة الشيطان مع عيسى يقول الباجي:

«كيف تقولون إن إبليس اللعين يقدر أن يضل من شاء الله أن يهديه إلى الدين القويم؟

وكيف يخاف بعض خلقه أن يفتنه؟ أو كيف يقدر المخلوق على ذلك؟ وكيف يعاقبه في الآخرة بالنار والعذاب الأليم وهو لا يستطيع أن كقدرته في الدنيا»[1]. فأين قدرته مع قولنا وقولك في كتابك: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[2].

وعن اتحاد اللاهوت بالناسوت وتشبيه النصارى لهذا الاتحاد يعلق شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: **«كل شيئين اتحدا فإنهما يصيران جوهرًا ثالثًا وأقنوم ثالثًا وطبيعة ثالثة. فإن كان اللاهوت والناسوت قد اتحدا- كما زعموا- فقد استحالت صفة اللاهوت ولا الناسوت ناسوتًا، بل صار جوهرًا ثالثًا، لا هو لاهوت ولا ناسوت، وهم ينكرون هذا القول، وهو باطل.**

فإن رب العالمين لا يتبدل، ولا تستحيل صفاته بصفاته المحدثات ولا ينقلب القديم ولا شيء من صفاته محدثًا ولا يستحيل القديم الرب الخالق والمخلوق المحدث إلى شيء ثالث.

بل صفات الرب التي لم ينزل ولا يزال موصوفًا بها لا تتبدل، ولا تنقلب ولا تستحل، فضلًا عن أن تستحيل إلى أمر ثالث.

ثم هذا الثالث، إن كان قديمًا خالقًا، وصار هنا خالقان قديمان! وإن كان مخلوقًا حادثًا، كان الخالق قد صار مخلوقًا محدثًا، ومعلوم أن استحالة الخالق إلى خالق آخر، أو إلى مخلوق ممتنع ظاهر الامتناع. ومما يوضح هذا، أن ما مثلوا به من الحديدة المحماة بالنار

---

(١) المرجع السابق ٨٧- ٨٩.

(٢) الآية تكررت كثيرًا في القرآن الكريم منها البقرة: ٢٠، ١٠٦، ١٠٩، ١٤٨، والعنكبوت ٢٠، وفاطر ١٠.

هي جوهر ثالث يجري على نارها ما يجري على حديدها، وكذلك إذا مدت، وكذلك إذا بصق عليها، وكذلك إذا ألقيت في الماء.

فإن كان هذا التمثيل مطابقًا، لزم أن يكون ما حلّ بالناسوت قد حلّ باللاهوت.

فيكون رب العالمين، هو الذي يأكل ويشرب، ويبول ويتغوط، وهو الذي صُفع عندهم، وبُصق في وجهه، وجُعل الشوك على رأسه، وضُرب بالسياط وصُلب ومات، وتألم، وكما يحكى مثل هذا عن اليعقوبية.

وهذا لازم لكل من قال بالاتحاد، حتى النسطورية إن قالوا: أنهما متحدان بالمشيئة، بمعني أن مشيئة هذا.

بخلاف ما إذا موافقة لمشيئته وليست إياها[1].

وعن تبرير بعض علماء النصارى التثليث بأن الأقانيم هي صفات للرب ليس إلا يقول ابن حزم ما ملخصه:[2]

إن لله تعالى صفات أخري فلماذا اقتصروا على هذه الثلاثة..

فليضيفوا إلى هذه الثلاثة صفة رابعة وهي القدرة وأخري وهي السمع وأخري وهي البصر.. وهلم جرآ، وليقولوا بالتخميس والتسبيع إلى آخرة، بدل التثليث نعوذ بالله من هذا الخذلان وعلى من علل القول بالتثليث بأنه أتم الأعداد وأكملها لأنه يجمع الزوج والفرد ولله الكمال المطلق يقول ابن حزم ما ملخصه: إن كل عدد بعد الثلاثة فهو أتم من الثلاثة لأنه يجمع أيضًا الزوج والفرد. فالسبعة أتم من الثلاثة والحادي

(١) الجواب الصحيح حـ٣ ص٤١، ٤٢: انظر: المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل عبد الكريم الخطيب ص٣٥٦: ٣٦٤، والفصل حـ١ ص٤٩، ٥٠.

(٢) الفصل حـ١ ص ٥١.

والتسعون أتم وهلم جراً. ثم إن كل الأعداد محدثة وكل معدود يقع عليه العدد فهو محدث والله لا يوصف بعدد فهو المتفرد سبحانه والواحد ليس عددًا![1].

وعن تجسد الكلمة وإن الله كان الكلمة كما جاء في صدر إنجيل يوحنا يقول ابن حزم: يقال لهم الكلمة هي الأب أو الابن أو روح القدس أم شيء رابع فإن قالوا إنها أحد الثلاثة: سئلوا عن دليل على ذلك إذا الدعوى لا يعجز عنها أحد. ثم يقال لهم الأب هوا الابن أم هو غيره؟

فإن قالوا غيره: سئلوا أيضًا من الملتحم في مشيمة مريم المتحد مع طبيعة المسيح الأب أم الابن؟ فإن قالوا الابن: فقد بطل أن يكون هو الأب وخالفوا يوحنا إذ يقول في أول إنجيله إن الكلمة هي الله، فإذا كانت هي الله والكلمة التحمت في مشيمة مريم فالله تعالى هو نفسه التحم في مشيمة مريم، وفي أمانتهم أن الابن هو الذي التحم في مشيمة مريم وهذه وساوس لا نظير لها. ويقال لهم أيضًا: هل معني التحم إلا صار لحمًا وهذا غير قول النسطورية والملكية.

فإن قالوا بل الأب. فقد بطل أن يكون هو الابن وخالفوا يوحنا والأمانة.

وإن قالوا هو الأب وهو الابن: تركوا قولهم إن الابن يعقد عن يمين أبيه[2]، وأن الأب يعلم وقت القيامة والابن لا يعلمها[3].

---

(١) انظر الفصل حـ١ ص٥٢، ٥٣.

(٢) مت: ٢٦/ ٣٢ ونصه: «من الآن تبصرون ابن الإنسان جالسًا عن يمين القوة وآتيًا على سحاب السماء».

(٣) مر: ١٣/ ٣٢ ونصه: «وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بها أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن إلا الأب».

وقولهم في انجيل يوحنا الأب فوض الأمر إلى ابنه [1] والأب أكبر من الابن. فهذه نصوص على أن الابن غير الأب إذ لا يعقد المرء عن يمين نفسه، ولا يفوض الأمر إلى نفسه، ولا يجهل ما علم وهذا كله يبطل قولهم إن الابن هو العلم والقدرة أو غير ذلك لأن هذه الصفات لا تقعد عن يمين حاملها ولا يفوض إليهما شيء.

وإن قالوا لا هو هو ولا هو غيره دخل عليهم من الجنون ما يدخل على من ادعي أن الصفات لاهي الموصوف ولا غيره.

وإن قالوا الأب هو الابن وهو غيره لم يكن ذلك يبدع من سخافتهم وخروجهم عن المعقول ولزمهم أن الابن ابن لنفسه وأب لنفسه، وأن الأب أب لنفسه وابن لنفسه وليس في الحمق والهوس أكثر من هذا [2].

فتأمل- حفظني الله وإياك من الضلال- كيف الحجة الدامغة على أي وجه تأولوا معتقدهم وصدق فيهم قول القائل أعور أي عينيه شاء!

وإن اضطرابهم من تأويل هذه العقيدة إنما هو اعتراف منهم بعدم معقوليتها واستحالة استساغتها فذهبوا يلبسون باطلهم ثوب الحق ما استطاعوا إلى ذلك سبيلًا دون جدوى!

سادسًا: وقفة مع النصارى في علة دعواهم:

ذهب النصارى إلى قولهم أن الله هو المسيح بن مريم أو أنه ابن الله- تعالي الله عما يقولون- متوهمين أن هذا القول يرفع من شأن المسيح ﷺ، ويجعله فوق الجميع، وما فطنوا أن قولهم هذا ينتقص من قدره، ويقلل من شأنه، وقد اتخذوا من مولده بغير أب

---

(١) يو٥/ ٢٧ ونصه: «وأعطاه سلطانا أن يدين أيضًا لأنه ابن الإنسان».

(٢) الفصل حـ١ ص٥٥، ٥٦.

وكذلك معجزاته المذكورة في كتبهم دليلًا على ما ذهبوا إليهم.

وفي بساطة تامة وإيجاز يسير نبين بفضل الله تعالى أن علة دعواهم ودليلهم عليها لا يؤدي لما ذهبوا إليهم وإنما يؤدي إلى عكس مرادهم ونقيض قولهم ولا يثبت إلا بشرية المسيح عليه السلام وهاك البيان.

١ - مولده من غير أب:

خلق الله عامة الناس من ذكر وأنثي وهو أمر مشاهد معلوم وكل شيء يعود إلى أمرين في سبب وجوده فله احتمالات أربعة لا خامس لها ألبته.

١ - أن يوجد من الأمرين معًا: مثال وجودي ووجودك وعامة الناس.

٢- أن يوجد بدون الأمرين معًا: ومثاله آدم خلقه الله من تراب ثم قال له كن فكان آدم عليه السلام. فلم تحمله أنثي، ولم يضع ماءه رجل.

٣- أن يوجد من أحد الأمرين «الذكر مثلًا»: بمعني أنه لم تحمل به أنثى أي لا أم له، وإن كان له أصل ذكر نسب إليهم ومثاله حواء عليها السلام فقد خلقها الله من آدم عليه السلام.

٤- أن يوجد من الأمر الثاني «الأنثى»: بمعني له أم حملت به ووضعته وليدًا دون أن يمسها ذكر ومثاله عيسى عليه السلام.

وهذه الاحتمالات تبين أن الله تعالى خلق بالأسباب له مخلوقة يسيرها بإرادته ﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًاۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾[1].

(١) الشورى: ٤٩ -٥٠.

إن واقع الحياة خير شاهد ودليل فكم من ذكر اجتمع بأنثى وليس في أحدهما عيب يمنع من الإنجاب، ومصير هذه النطفة دورات المياه وما ذلك إلا لأن إرادة الله تعالى وهبته التي بدون مقابل هي التي تحدد قيام الأسباب بها خلقت له من عدمه.

وكم من ذكر وأنثى بدون جدوى، وآخران تمنيا الذكر دون فائدة فالله يهب لمن يشاء إناثًا ويهب من يشاء الذكور أو يعطيهم الذكور والإناث معًا أو يجعل من يشاء عقيما ولا ذكر ولا أنثى وهذا مشاهد معلوم.

ثم هذا الإله الخالق بالأسباب أوجد من غير ما سبب فكان آدم عليه السلام، وأوجد من أحد السببين دون وجود الآخر فكانت حواء ثم عيسى عليهما السلام فما ذلك إلا دلائل قدرته في الخلق.

وأوجد أحد السببين دون وجود الآخر فكانت حواء ثم عيسى عليهما السلام، نعم إن مولد عيسى عليه السلام عجيب لذلك أن يكون إلها أو ابن إله لكان ذلك لآدم من باب أولي فانتفت بذلك شبهة النصارى واستدلالهم بعجيب مولده من غير أب على ألوهيته وثبت أنه بشر أجرى لله في مولدة دلائل قدرته سبحانه مثله في ذلك مثل من سلف من البشر أعني آدم وحواء.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴾[1].

يقول صاحب المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل: «إذا كان الأمر في الخلق أمر عسر ويسر، أو مألوف وخارج عن المألوف، في صعود المولود إلى درجة الألوهية.

(١) آل عمران: ٥٩ – ٦٠.

- فآدم المولود من غير أب ولا أم أولي بهذا من المسيح، الذي ولد من أم، بل «حواء» أولي منه إذ ولدت من رجل - آدم- وليس لها أم كما تقول التوراة... ثم يرد على صاحب الإنجيل في القرآن: والذي يهذي بأن المسيح في القرآن كلمة الله التي تجسدت فصارت المسيح ابن الله.

فيقول: نعم كان المسيح بالكلمة ولم تكن الكلمة هي المسيح ثم ينكر عليه بقوله: إن المسيح عليه السلام كان «بالكلمة» يحيى الموتى وبالكلمة كان يبرئ الأكمه والأبرص.. فهل تجسدت كلماته فكانت شخوصًا بدل تلك الشخوص التي أبراها؟...

إن ميلاد المسيح- على ما فيه من خروج على مألوف الحياة- لا يجعل منه الإله.. رب العالمين[1].

٢- معجزات المسيح عليه السلام:

إن المسيح عليه السلام شأنه في إجراء الله المعجزات على يديه شأن سائر المرسلين الذين سبقوه أو من جاء بعده، فقد أيد الله رسله وأجرى على أيديهم الخوارق تأييدًا وتصديقًا لهم في دعواهم.

فليس ما كان للمسيح من معجزات بالذي يخرجه عن دائرة البشرية «إن هو إلا عبد أنعمنا عليه»[2].

(١) انظر الإنجيل في القرآن للحداد ص ١٧٩ وما بعدها، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل عبد الكريم الخطيب ص٢٨١، ٢٨٧.

(٢) المرجع السابق ص٢٨٨: ٢٩١، السيف الصقيل للشيخ أبو بكر عمر التميمى الداري ص١١٠.
ونص حزقيال: ٣٧/ ١: ١٤ وفيه: «أيتها العظام اليابسة اسمعي كلمة الرب... فتنبأت كما أُمرت وبينما أنا أتنبأ كان صوت وإذا رعش فتقاربت العظام علي عظم إلى عظمه ونظرت وإذا بالعظم واللحم كساها وبُسط الجلد عليها من فوق وليس فيها روح فقال لي تنبأ للروح تنبأ يا ابن آدم وقل للروح هكذا قال

يقول صاحب السيف الصقيل: «فلو كان إحياء الموتى موجبًا للألوهية لكان موسى عليه السلام أحق بها منه.. لأن عمله في قلب العصا حية أبلغ من عمله في إعادة الحياة إلى من كان حيا ثم مات. وكذلك «حزقيال» أحق بها منه لأنه أحيا ألوفا من الأموات وهي عظام بالية كما ومصرح بذلك في الإصحاح السابع والثلاثين من كتاب حزقيال..

وكذلك «إيليا» عليه السلام قد أحيا ميتًا كما هو مصرح في سفر الملوك الأول.

ومعجزات المسيح من جنس ما أجراه الله على أيدي سائر رسله وقد أشار إليهما كتابهم وهي: تكثير الطعام، والمشي على الماء، وشفاء المرضى كـا البرص والعمى والأشل المقعد «وإحياء الموتى، وتسكين العاصفة، وتحويل الماء خمرًا، وطرد الشياطين، ولعنة الطينة فيبست»[1].

ولك أن تقارن ذلك بمثال- وهناك غيره- ورد أيضا في الفهرست عن النبي إليشع فمن معجزاته: أنه أبرأ مياه النبع بوضع ملح فيه من طبق جديد، زيادة زيت الأرملة وتسديده لدينها وإنقاذ أولادها من المرابي، وإعادة الحياة لابن الشونمية، أطعم مئة رجل بعشرين رغيف شعير، جعل الدقيق من الطبق علاجا لما في القدر من سم، أبرأ نعمان السرياني من برصه إذ جعله يغطس في الأردن، جعل الغصن الأخضر يغطس في

السيد الرب هلم يا روح من الرياح الأربع وهبّ علي هؤلاء القتلى ليحيوا. فتنبأت كما أمرني فدخل فيهم الروح فيحيوا وقاموا علي أقدامهم جيش عظيم جدًا جدًا...»

ونص الملوك الأول: ١٧/ ١٧: ٢٤ وفيه: «... وصرخ إلى الرب وقال أيها الرب إلهي أيضًا إلى الأرملة التي أنا نازل عندها قد أسأت بإماتتك ابنها. فتمدد علي الولد ثلاث مرات وصرخ إلى الرب وقال يارب إلهي لترجع نفس هذا الولد إلى جوفه. فسمع الرب لصوت إيليا فرجعت نفس الولد إلى جوفه فعاش...».

(١) انظر القاموس الموجز للكتاب المقدس ص٤٤٨: ٤٥٠، دراسة الرهبانية فهرست رقم١ ص٨٣٥، ص٣٦.

الماء، والحديد الثقيل يطفو على الوجه، ملامسة جسده الميت جعل الميت يقوم، لعنة صبيان بيت ابل، ضربه غلامه بالبرص بسبب محبته للمال، موت الجندي الذي كان للملك يستند على يده....» (١)

فهل لذلك نقول موسى إله أو إيليا إله أو إليشع إله فضلًا عن غيرهم كإبراهيم ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين؟

وقد أشار إلى هاتين الشبهتين عبد الله الترجمان وهو يرد على راهب فرنسا بقوله: وإن الله خلق عيسى عليه السلام من غير أب كما خلق آدم عليه السلام من تراب، وقد حملت بعيسى أم، ولم تحمل بآدم أنثى ولا ذكر، فإذا لم يكن آدم إلها، وهو الأب الأول- بل مخلوق- فعيسى أولي أن لا يكون إلها، وهو من ذرية آدم وولده، بل هو عبد مربوب. وإن هذا لواضح إلا لمن جهل معني الحدوث ولم يميز الخالق من المخلوق، وأما من نظر في شيء من أبواب العلم وأيدّ باعتبار وفهم، فعلامات الحدوث أوضح، ودلائلها أصح من أن تخفي أو تشكل أو يمتري في أمرها من له من العلم أدني محل.

وقد ظهر على أيدي سائر الرسل- عليهم السلام- من الآيات الواضحة والمعجزات الباهرة. مثل ما ظهر على يدي عيسى عليه السلام وأكثر. فلو جاز أن يُدّعي لعيسى عليه السلام بشيء مما ظهر على يديه من إحياء ميت وإبراء أكمه أبرص بأنه ابن الله- تعالي-! لجاز أن يُدعي ذلك لإبراهيم، لما ظهر على يديه من سلامته من النار بعد أن قذف فيها، ولم ينج عيسى من عدد يسير من البشر رامو-

بزعمكم- صلبه وقتله و لجاز أن يُدّعى ذلك لموسى عليه السلام ما ظهر على يده من قلب

(١) القاموس الموجز للكتاب المقدس ص٦٢، ٦٣، انظر بشرية المسيح ونبوة محمد ﷺ في نصوص كتب العهدين د. محمد ملكاوي ص٧١: ٧٣.

العصا حية، وفلق البحر، و لجاز أن يُدّعى ذلك لمحمد ﷺ لما ظهر على يديه من انشقاق القمر ونبع الماء من بين أصابعه، وتسبيح الحصى في يده، وحنين الجذع إليهم، وغير ذلك من الآيات.

لكن الآيات لا تقتضي تجويز المحال وإحالة الجائز الممكن. وإذا كان ربنا تعالى- قديمًا- سبحانه أن يكون محدثًا أو مخلوقاً، وكان من وجدت فيه دلائل الحدوث من الأكل والشرب والزوال والانتقال، لا يكون إلا مخلوقًا مربوبا، ولم يدل إحياء الموتى على يديه أنه إله معبود، وإنما يدل ظهور ذلك على يد مدعي النبوة، وأنه نبي صادق، لأن ما فيه من صفات الحدوث لا تُحيل كونه نبيًا.

ولو جاز أن يقال إن عيسى عليه السلام هو الخالق لما ظهر من ذلك على يده والمنفرد بفعله، لجاز أن نقول إن آدم وإبراهيم وموسى ومحمدًا وسائر الأنبياء- عليهم السلام- انفردوا بخلق ما ظهر على أيديهم، وإن جميعها من خلقهم، وإنهم لذلك إله معبودون! وذلك محال فلا خالق إلا الله ولا معبود سواه! وهؤلاء أنبياء مكرمون ورسل مؤيدون، صدقهم الله- تعالي- بما ظهر على أيديهم من المعجزات التي لا يقدر عليها غيره ولا تصح أن يخلقها سواه[1].

وهكذا فكما كان مولده من غير أب لا يخرجه عن كونه بشر فكذلك المعجزات التي أجراها الله على يديه لا تخرجه كونه بشر وألا شاركه الأولية آدم وسائر المرسلين، وليس في هذا فض لعيسى ولا يقبل النصارى هذا ولا يقبله عاقل فالله واحد له ولي من الذل سبحانه وتعالي عما يصفون.

هذا عما اعتمدوه علة لقولهم ودليلًا على زعمهم أما هدفهم من ذلك وهو رفع

(١) رسالة أبي الوليد الباجي إلى راهب فرنسا ص٦٥: ٦٩.

شأن المسيح وتفرده في العالمين» فقد لزمهم عكس مرادهم بما قالوا فانتقصوا من قدره، ونالوا من مكانته، وافتروا على الله الكذب بقولهم وسوء معتقدهم. وهذا الدليل قائم سواء قالوا هو ابن الله أو قالوا الله- تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا.

٣- انتقاص قدره بزعمهم أنه ابن الله:

الحاجة إلى ناتجة غالبًا من أحد أمرين:

١- بقاء الذّكر.

٢- تحقيق الذات.

والله تعالى منزّه عنهما لأنهما من صفات الحوادث وهاك البيان:

أولاً بقاء الذّكر:

إن الإنسان منا إذا جعله الله عقيمًا سميّ بالأبتر أي مقطوع الذكر والسيرة والاسم بعد موته، ولما كان الموت أمرًا حتميًا وقضاء مقضيًا على كل نفس ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾[1] والواقع خير شاهد ودليل على ذلك، صارت كل نفس على يقين أنها يومًا ستموت فركنت إلى ما ركب فيها من حب البقاء فالتمست أسبابه في الولد والذرية. لأن في وجود الولد- ذكرًا كان أو أنثي- بقاء لذكر الوالد واسمه جيلًا بعد جيله وعمرًا بعد عمره.

وكل منا يدرك ذلك فكل منا وجوده يُحيي وجود أبيه وجده الأعلى أربعة أسماء على الأقل ولولا وجود الولد لضاعت الثلاثة جميعًا.

ولما كانت غريزة حب البقاء لا تقف عند حد ولا تقنع بالقليل وأنه مهما عاش

(١) الأنبياء: ٣٥.

الإنسان فهو ميت- وكذلك ولده- تطلع الإنسان إلى السبب الذي يبقي ذكره أجيالًا متعاقبة وسنين عددًا، ولما كانت النسبة للآباء وليست للأمهات، بمعني أن كل أنثي إن أبقت ذكر أبيها فلمدة محدودة لا تتعدي ذكرها هي وبقاءها هي، أما إذا تزوجت فأنجبت فمن يأتي منها فلأبيه ينتسب. بينما الذكر ببقائه وحياته يبقي ذكر أبيه وبإنجابه يطول الذكر جيلًا آخر وبولد ولده جيلًا ثالثًا وهلّم جراً. كانت غريزة حب الذكر أقوي من الأنثى وإن كانا في الحقوق والواجبات في ظل الإسلام سواء ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (1).

ولذلك ننظر إلى هذه الجزئية من جهة الأب ثم من جهة الابن.

أما من جهة الأب:

فإذا احتاج الله للولد- كما يقول النصارى- تعالي الله عن ذلك كان احتياجه هذا انقصًا في حقه وعجزًا لأنه احتاج إلى عضد يقويه أو لولد يبقي ذكره وهذا من صفات الحدوث وهذا لا يجوز في حقه تعالي ولا يَعْبُدُ إلهًا هذه صفاته إلا جاهل. أما الله تعالى قديم بذاته سبحانه لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا احد.

أما من جهة الابن.

فلو كان المسيح ابن الله حقًا فما وجه الغرابة أو الإعجاز لما كان مولده أو صاحب حياته ودعوته من معجزات، فلا محل للتقدير والتفرد حينئذ.

---

(1) البقرة: ٢٢٨.

إن أبناء المبرزين في دنيا الناس لتوافر إمكانياتهم لا يستوجبون التفرد والتمايز بين أقرانهم ممن هم دونهم في الإمكانيات فهل يتساوى ابن الأمير مع ابن الغفير والأجير؟

إن الأول لنسبته إلى أبيه ويقدر عظمة والده تتضاءل قيمة فعله لأنها في ظل هذه الإمكانيات تصير طبيعية وعادية.

فلو كان لابن الرئيس طائرة خاصة مثلًا، أو لو جاء بم عجز عنه أقرانه لقلنا إنه ابن الرئيس فأي فضل له في ذلك. ولكن إن فعل ابن الأجير شيئًا مما فعله ابن الأمير لقلنا من أين له ذلك وكيف أتم ذلك ولحسبت له وهذا في دنيا الناس معلوم بالمشاهدة ولا ينكره عاقل فأي فضل للمسيح إن كان ابن الله كما يقولون- تعالى الله عن ذلك- إن أتي بالمعجزات فليس بغريب حينئذ أليس ابن الله؟

أي فضل للمكيف إن لطّف جو الحجرة. أي فضل للطائرة إن حلقت في الجو أنهما لذلك وجدا وهكذا لو كان ابن الله فالفضل لأبيه وقدره ومنزلته.

أما أن يكون بشرٌ رسولًا وجاء مولده على هذا النحو فهو الاصطفاء والتكريم وتجسيد دلائل القدرة.

وإن جرت على يديه خوارق العادات وأنواع المعجزات فهو المؤيد من الله الذي أرسله بعد أن خلقه والذي هو على كل شيء قدير وأمر إذا أراده كان وفق إرادته ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[1].

وهكذا يبدو جليًا أن النصارى من حيث أرادوا رفع شأن المسيح أخفضوه بقولهم إنه ابن الله وما كان إلا بشرًا رسولًا.

(١) يس: ٨٢.

ثانيًا: تحقيق الذات:

لو تأملنا حالة عاقر أو عقيم لم يشأ الله يرزقها الولد وكيف يشعر المرء بنقصه وأنه أقل من غيره بل كيف يغدو ويروح في قلق واضطراب باذل كل ما يملك لعله يرزق الولد لا يعرف طعم الطمأنينة أو راحة البال إلا في ظل الإيمان مع وجود الأمل والطمع في رحمة الله وهذا هوا حال نبي الله زكريا يصفه القرآن الكريم:

﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾[1].

إن العقم عجز ومرض ونقص والله تعالى منزه عن ذلك فكيف يظن هذا في خالق السماء والأرض ومن أوجد من العدم ومن به حياة كل شيء ومن هو يحيي ويميت ومن إليهم يرجع الأمر كله لا يُعبد غيره ولا يُرجى سواه وليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

إن هذا النقص إن جاز في حقنا نحن البشر بنو البشر فهذا من لوازم صفات الحدوث فينا أما الله الذي لا ند له ولا شبيه ولا نظير تعالي عن ذلك كله فلم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد.

أما في حق الابن:

فإن كان النقص هو الدافع لتحقيق الذات مع الأب فهو أيضًا للابن لأنه منه وصفاته من صفات أبيه، فإن اتسم بالعجز- الولد- لعجز أبيه وحاجته فكيف يُعبد

(١) الأنبياء: ٨٩-٩٠.

ويُقصد إنه خلف!

ولكن الحق الذي لا مرية فيه أن المسيح بشر رسول واستحال أن يكون ابنًا لله المتعالي في كمالاته المتفرد في أسمائه وصفاته خالق كل شيء وهو الواحد القهار.

٤- انتقاص قدره بجعله إلها:

أما وصفهم بأنه ثالث ثلاثة أو أن المسيح هو الله- تعالى الله عن ذلك- فمردود وظاهر البطلان ولنا معهم وقفة بسيطة جدًا. هب أن رجلًا تزوج بامرأة وكلاهما قوى الشخصية متلسط الرأي يريد أن يثبت وجوده وأن ينفذ مراده، عاشا معًا وطبيعة حياة هذه الأسرة؟

إنه الشقاق والشقاء ولا ريب وهذا معلوم مشاهد!!

إذا كان هذا هو الحال مع أسرة لا تتعدى ثلاثة أفرادا فما بالك لو كان هذا حال الوجود.

الآلهة شتى وشركة ثلاثية؟

إن القول بتعدد الآلهة قول باطل ظاهر البطلان ولا يشفع للنصارى قولهم إله واحد بعد تقريرهم باسم الآب والابن والروح القدس إذ كيف يصير الثلاثة واحدًا؟

إن مثل هذا الافتراض في أقل صورة وهو أن يكون للكون إلهان فقط احتمال من أربعة ولا خامس لهم:

١- إما ألا ينفذ مرادهما معا وهذا باطل.

٢- إما أن ينفذ مرادهما معًا وهذا باطل أيضاً.

٣- وإما أن ينفذ مراد الأول ويتخلف مراد الثاني.

٤- أو يتفذ مراد الثاني ويتخلف مراد الأول.

وبيان ذلك:

١- الاحتمال الأول:

- ألا ينفذ مراد الله الآب ولا مراد الله الابن على زعمتهم- مثلًا وهذا يعني عدم وجود هذه الحياة ولا انتظام هذا لوجود فلكل موجود موجد ولكل مخلوق خالق ويستحيل عقلًا انتظام هذا الكون واتسجام هذا الوجود بدون موجد فبطل هذا الاحتمال لما هو معلوم مشاهد من حكمة الخالق الموجد بدلائل وجوده وخلقه.

٢- الاحتمال الثاني:

- وهو أن ينفذ مثلًا مراد الله الآب وكذلك مراد الله الابن معًا وهذا أيضاً مستحيل لأن معنى ذلك اجتماع النقيضين واجتماع النقيضين محال عقلًا وواقعًا. إن الأنا- تحقيق الذات- تستوجب أن ينفرد كل منهما بما يميزه عن صاحبه حتى لا يكون له تبع ومن ثم فإن كانا إلهين فقد تمايزا استحال وقوع أمرهما معًا.

لكن الكون بثبات سننه وانتظام صنعته وتدبيره المحكم ينفي مثل هذا الاحتمال لأنه لو كان الحال كذلك لاضطرب الكون واختل نظام الحياة لكن الكون ثابت بالمشاهدة فبطل أن يكون مدبره أكثر من إله ومن ثم استحال هذا الاحتمال وبطل تصوره.

٣- الاحتمال الثالث والرابع.

وهو أن ينفذ مراد أحدهما ويتخلف مراد الآخر، وهو أن ينفذ مراد لله الأب فيكون هو الإله، ويخلف مراد الله الابن فلا يستحق أن يكون إلها، أو العكس.

وتخلف مراد أحدهما إما أن يكون بالاتفاق مع الآخر أو رغمًا عنه وفي كلا الحالتين ضعف وعجز وهما من صفات الحدوث ولا يصح أن يوصف بهما الله تعالى لأنه منزه

عن صفات الحدوث فإذا تقرر ذلك لم يبق إلا أن يكون للكون إله واحد متفرد لا ولد له ولا صاحبة ولا وزير له ولا شريك ولا ند له ولا نظير سبحانه وتعالى عما يصفون.

إذا كان هذا في ظل تصور إلهين اثنين فمن باب أولى مع إدعاء آلهة ثلاثة فهل من قلب يعي؟

وصدق الله العظيم حين ضرب المثل: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[(١)].

وهكذا بات جليا أن ما ادعته النصارى في شأن المسيح عليه السلام نسبًا وطبيعة يجافي الواقع ويخالف ويتناقض مع صريح المنقول والذي قامت الأدلة وتواترت على صدقه.

فالمسيح ابن مريم رسول قد خلت من قبله الرسل، وبشر جرت عليه إرادة الله وقدرته شأنه شأن غيره سواء كان آدم وحواء أم سائر البشر فالله لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم.

ولن ينظر أحد في كتابهم المقدس لديهم نظرة إنصاف إلا ويثبت من خلاله للمسيح ما ثبت لغيره أو ينفي عنه ما انتفي عن غيره بروح النصفة وطلب الحق وتحقيقًا لأركان القياس الذي هو «حمل معلوم على معلوم أوصفة أو نفيها عنهما»[(٢)].

أو هو «رد فعل إلى أصله بعلة جامعة هي مناط الحكم».

لا ينظر أحدهم هكذا إلا يقرر روح الحق والعدل ولن يملك إلا أن يشهد أن عيسى عبد الله ورسوله.

---

(١) الزمر: ٢٩.

(٢) انظر: المحصول للفخر الرازي، الرد الجميل بتحقيق د. الشرقاوى ص ٩٣.

وليت يتأمل أحدهم بعقله حكمة الله ورحمته وعدله ومغفرته وما قال لمسيح عن نفسه- على نحو ما ذكرنا وغيره من نصوص- ألا ويقر ويشهد بأنه عبد الله ورسوله.

والواقع يشهد لقولي هذا وما أكثره مما كتب على أيدي من هداهم الله للإسلام أو حتى ممن لم يسلم من علماء اللاهوت أنفسهم ومن ذلك على سبيل المثال:

- ما اجتمعت عليه كلمة سبعة من الباحثين الجامعيين المتخصصين في علم اللاهوت في كتابهم «أسطورة تجسد الإله في السيد المسيح» يتضمن أن المسيح لم يكن في الحقيق إلهًا على الإطلاق!!!
- وهذا «روبرت. سى. آللي» رئيس قسم العقيدة بجامعة ريتشموند، وهو عالم اللاهوت الجنوبي المعمداني بأمريكا يقول: «المسيح لم يدّع قط في حقيقة الأمر أنه إله ولم يدّع كذلك أنه ينتمي إليه بالنبوة».
- وهنا «جاك بوهير» الدو مينيكاني في المعهد الكاثوليكي بباريس يصرح: «بأنه من الحماقة القول بأن الله قد حلّ بذاته في إنسان.. إن الله لا يمكن أن يكون شيئًا آخر غير كونه إلها».
- وفي أسبانيا صرّح «جوزيه رامون جيريسو» مؤلف كتاب «المسيح الآخر» عام ١٩٧٦م لمجلة «التايم»: أن المسيح إنسان اصطفاه الله وأرسله، وجعله الله ابنا له!![(١)].

وهذه دعوة صريحة لكل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد أن يتأمل ما

(١) انظر أسطورة تجسد الإله في السيد المسيح تعريب د. نبيل صبح، بحث الخلاف يحتدم من جديد حول الاعتقاد بألوهية المسيح ترجمة عادل المليجى ونشر بمجله تايم الأمريكية في ٢٧ فبراير سنة ١٩٧٨ ص ٣٦، ٣٧ نقلًا عن: المسيح في الإسلام- احمد ديدات- ترجمة مجدي عبد الرحمن ص٩: ١٦.

بين يديه وسيدرك أن الحق في أن المسيح عبد الله ورسوله أما من ظل على عناده ولم يشاء الله أن يجعله على صراط مستقيم فسيظل تارة هنا وأخري هناك متحيرًا بين الناسوت واللاهوت كما قل الإمام الغزالي: «عيسى عليه السلام صاحب شريعة وكل شريعة اختصت بأحكام، وحيث أطلق هذه النصوص، واعتذر عن توهم إرادة ظواهرها بضربه لهم المثل، دلّ على أنه أذن له بإطلاقها واستعمال المجاز المذكور، وكذلك إطلاق النبوة والأبوة- هذا على فرض أنهما كلامه-.. فليت شعري بأي عذر يعتذر المعائد، بعد تصريحه بالإنسانية والرسالة، وتقيده في أحكامه بما يؤمر به، وتأويله نفسه ما تقدم من ظواهر النصوص الدالة على الاتحاد، معتذرًا عن بعضها بضربه المثل المذكور لليهود، مصرحًا في بعضها بالرسالة، ووقوفه في بعضها سائلًا داعيًا لله عز وجل، موقف العبد الخاضع، مستمطرًا إحسان الإله لتلامذته..

ثم تجده إذا ألجأته المضايق «أبابراقش»[1]، إن وجد ما يدل على إنسانيته أعاد ذلك على ناسوته! وإن وجد ظاهرًا عجز عن تأويله رد ذلك إلى لاهوته! فانظر:

كيف أعمي الله بصيرة من يجعل إلهه تارة إنسان وتارة إلها، تعالي الله عما يقولن علوًا كبيرًا[2].

إن فساد النصرانية أفسد أهلها، ولكل فرد من أتباع الطائفة الواحدة معتقد ويعد حالة فريدة في فهمه ومعتقده حتى في أخص ما يعتقده المرء ألا وهو مفهوم الألوهية[3].

فالحمد لله رب العالمين الذي أرشدنا وهدانا إلى لحق وإلي صراط مستقيم ونسأله أن

(١) طائر زوده الخالق سبحانه بإمكانية تغير لونه حسب المقتضيات.

(٢) انظر الرد الجميل للغزالي بتحقيق د. محمد الشرقاوي ص١٢٤، ١٢٥.

(٣) المختار في الرد علي النصارى للجاحظ ظ ص٩٥.

يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة راجين ربنا ومدبر أمرنا ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾[1].

سابعًا: عقائد النصارى على ضوء دراسة نسب المسيح عليه السلام:

هناك عقائد مختلفة للنصارى غير اعتقادهم في النبوة والألوهية مثل التثليث والخطيئة والصلب والقيامة والدينونة وغيرها، وكلها تعتمد على ألوهية المسيح أو بنوته لله تعالى، فإذا ثبت بطلان اعتقادهم هذا وثبوت بشريته ونبوته ثبت بطلان سائر العقائد عندهم إجمالًا فما بني على باطل فهو باطل.

أما تفصيلًا فيجب إدراك ما اعتمده القوم من نصوص لديهم في كل معتقد وأقوال علمإوهم فيها ثم تحقيق النقد الداخلي والنقد الخارجي لهذه النصوص على ضوء المشار إليهم في التدريبات البحثية.

التدريبات البحثية:

للنتيجة نفسها يقوم الطالب مع أستاذ المادة بإجراء النقد الداخلي والنقد الخارجي للنص مسترشدا بالإشارات السريعة المذكورة بعد على أن يصل وهي بطلان هذه العقائد وإيقان أن عيسى بن مريم عبد الله ورسوله.

عقيدة التجسد عند النصارى:

يعتقد النصارى أن الله – سبحانه وتعالى عما يقولون – اتخذ جسدًا ظهر فيه للناس، والمقصود بالله عندهم هو يسوع المسيح ويرجع سبب تجسد الإله في نظرهم إلى أنه أراد أن يعلن عن ذاته، ثم يقدم نفسه للقتل، حتى تغفر الخطيئة التي ارتكبها آدم وباء بها ذرية آدم من بعده.

---

(١) آل عمران: ٨.

وعقيدة التجسد ضرورية عند النصارى، تستلزمها بقية العقائد المسيحية من موت وقيام وصعود إلى السماء.

وكل من لا يؤمن بعقيدة تجسد الإله هو إنسان مضل، وإيمانه مزيف، لا يجوز أن يقبل في البيوت، ولا يرد عليه هكذا يزعمون.

النصوص:

يوحنا ١: ١- ١٤، يوحنا ١٠: ٢٩- ٣٠، يوحنا ١٠: ٣٨، يوحنا ١٤: ٩- ١٢، الرسالة إلى أهل كولوسي ٢: ٩، الرسالة الأولى إلى تيماثوس ٣: ١٦.

عقيدة التثليث عند النصارى:

يعتقد النصارى أن الله عبارة عن ثلاثة أقانيم، أي عناصر أو أجزاء متساوية، وهي أقنوم الآب، وأقنوم الابن، وأقنوم الروح القدس.

وأن المسيح هو الابن الذي حل في مريم في صورة إنسان، وهذه العقيدة لم تكن موجودة مصاحبة للمسيحية الأولى، ولكنها جاءت على مراحل متعددة بعد رفع عيسى عليه السلام.

وقد استدل النصارى على عقيدتهم تلك بنصوص من الكتاب المقدس، وأقوال علمائهم مع بعض الأدلة العقلية، حتى يستطيع الناس فهم هذه العقيدة.

وقالوا: إن الإيمان بالثالوث هو أساس العقيدة النصرانية، وكل من لا يؤمن بها كافر مستحق أللعنة في الدنيا والآخرة.

النصوص:

متي ٢٨: ١٨- ١٩، رسالة يوحنا الأولى ٦:٥- ٧.

عقيدة الخطيئة عند النصارى:

تقوم هذه العقيدة على أن آدم أبا البشر ورّث أبناءه إثم معصيته الأولى، وهي أكله من الشجرة المحرمة في الجنة، ذلك عندما خلق الله آدم، وأسكنه الجنة، وأوصاه «من جميع الشجر الجنة تأكل أكلًا وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها لأنك تأكل منها موتًا تموت» تكوين ٢: ١٦- ١٧.

فوسوس له الشيطان عن طريق زوجته حواء، فأكل منها، فطرد من الجنة هو وزوجته بارتكاب هذه الخطيئة وظلت هذه الخطيئة عالقة في ذريته حتى جاء يسوع، وهو ابن الله، وابن مريم، فجمع بين الألوهية والبشرية، وصلب جسمه البشري ليمحو الخطيئة من أبناء آدم.

عقيدة الصلب والفداء عند النصارى:

يعتقد النصارى أن المسيح ابن مريم نزل متجسدا في بطن مريم، ثم صُلب على الصليب كفارة لخطيئة آدم، ومخالفته أمر ربه بعدم الأكل من شجرة بعينها، فأصبحت ذنبًا موروثًا لآدم وذريته من بعده.

وبتحقيق هذا الفداء محيت خطيئة أبناء آدم، وتحقق القصاص بمقتضي عدل الله ورحمته.

وعقيدة الصلب والفداء من أهم قضايا العقيدة المسيحية، بل هي الأساس الذي تدور حوله العقيدة، فمن لم يؤمن بها، فهو من الهالكين الخارجين عن الدين، وليس له الحق أن يطمع في المغفرة والفداء والخلاص من الخطيئة المتوارثة.

النصوص:

الصلب: متى ٢٦، ٢٧.

الفداء: يوحنا ٣: ١٧، مرقس ١٠: ٣، رومية ٥: ٨.

عقيدة القيامة والصعود:

يعتقد النصارى أنه صلب المسيح ودفنه قد قام من بين الأموات في اليوم الثالث من صلبه.

ويُعد الإيمان بهذه العقيدة أمرًا ضروريًا، وبدونها يُعد الإنسان كافرًا بالمسيحية، وقد سجلت الأناجيل الأربعة هذه الحادثة.

النصوص:

رسالة أفسوس ٨: ٤- ١٠، بطرس الأولى ٤: ٦، رسالة بطرس بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ١٥: ٣.

وقائع القيامة والظهور كما وردت في الأناجيل:

مرقس ١٦: ١- ٨، متي ٢٨: ١- ٨. لوقا ٢٤: ١- ١٠، يوحنا ٢٠: ١- ١٣.

روايات الظهور: مرقس ١٦: ٩- ١٤، متى ٢٨: ٩- ١٧.

عقيدة الدينونة عند النصارى:

يرى النصارى أن الآب أعطي سلطان الحساب للابن الذي نزل وتجسد ومات صلبًا كفارة عن البشر، فهو أولي بمحاسبة الإنسان على ما قدم في دنياه.

ويعتقد النصارى أن المسيح بعد قيامه من الموت مكث أربعين يومًا ثم ارتفع بعدها إلى السماء، حتى جلس عن يمين الآب على كرسي عرشه، استعداد لاستقبال الناس يوم الحشر، ليدينهم ويحاسبهم على ما فعلوا.

وقد استدلوا بأدلة سبق ذكرها، وكلها تهدف إلى أن الذي سيحاسب الناس على أعمالهم ويجازيهم على ما فعلوا إنما هو المسيح.

النصوص:

يوحنا ٥: ٢٥- ٣٠، رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس٥: ١٠، بولس الثانية إلى تسلوكني١: ٦- ١٠، بولس إلى أفسوس ١: ٢٠- ٢١، يوحنا ٥: ٢٢.

فصدق الله العظيم القائل: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾(١).

ثامنًا: المسيح وأمه في القرآن الكريم:

بعد إدراكنا الحقيقة المسيح عبد الله ورسوله من نصوص وتفنيد أباطيلهم ورد افتراءاتهم نقرر أنه ليس هناك مصدرًا يخبرنا عن المسيح بحق سوي القرآن الكريم كتاب الله الخالد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ذلك الكتاب الذي توفرت له دون غيره دلائل صحة سنده ودلائل سلامته متنه.

وسأضع بين يديك- أخي القارئ- خبره الصادق عن المسيح وأمه البتول عليهما السلام ولن أعقب على هذه النصوص بأقوال العلماء المفسرين لأمرين:

١- لوضوح خبره اليقيني في نفس كل قارئ له مهما كانت درجة علمه.

٢- لوفائه بإقناع وإشباع العاطفة وطمأنة القلب فهو الحجة البالغة والبيان الحكيم والقول الفصل وها هي الآيات:

آيات سورة آل عمران:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ (٣٣) ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٣٤) إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (٣٥) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ

(١) الإسراء: ٨١.

ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا
زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقًا ۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن
يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ
سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقًۢا
بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدۡ
بَلَغَنِيَ ٱلۡكِبَرُ وَٱمۡرَأَتِي عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةً ۖ
قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزًا ۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ
وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴿٤١﴾ وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ
ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ
ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ وَمَا كُنتَ
لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ
عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلًا
وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتۡ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا
يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ
وَٱلۡإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمۡ ۖ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم
مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ
وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَأٓيَةً لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم
بَعۡضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيۡكُمۡ ۚ وَجِئۡتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمۡ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ
رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسۡتَقِيمٌ ﴾[1].

(١) آل عمران ٣٣-٥١.

آيات سورة مريم:

قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا (١٦) فَٱتَّخَذَتۡ
مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا (١٧) قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ
مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا (١٨) قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا (١٩) قَالَتۡ أَنَّىٰ
يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا (٢٠) قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞۖ
وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا (٢١) ۞ فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ
مَكَانٗا قَصِيّٗا (٢٢) فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ
نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا (٢٣) فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا (٢٤) وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ
بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا (٢٥) فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا
فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا (٢٦) فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥۖ قَالُواْ
يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا (٢٧) يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ
بَغِيّٗا (٢٨) فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا (٢٩) قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ
ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا
دُمۡتُ حَيّٗا (٣١) وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا (٣٢) وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ
أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا (٣٣) ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ (٣٤) مَا
كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٖۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ (٣٥) وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ
فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ﴾[1].

(١) مريم: ١٦-٣٦.

مثل عيسى عند الله كمثل آدم:

قال سبحانه: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾[1].

وبمريم ضرب المثل للمؤمنين قال سبحانه: ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴾[2].

ابن مريم وأمه آية من آيات الله قال سبحانه:

﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾[3].

عيسى رسول الله يصدق من قبله ويبشر بالذي يأتي من بعده:

قال سبحانه: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾[4].

صفه أصحابه وأثر رهبانيتهم:

قال سبحانه: ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ

---

(١) آل عمران: ٥٩-٦٠.

(٢) التحريم: ١٢.

(٣) المؤمنون: ٥٠.

(٤) الصف: ٦.

وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾[1].

نهي النصارى عن الغلو في الدين وانحرافهم في المسيح:

قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾[2].

جدل المشركين بأمر عيسى عليه السلام:

قال سبحانه: ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾[3].

حكم الله على الظالمين الجاحدين مع لفت أنظارهم لواقع بشريته:

قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ

(١) الحديد: ٢٧.

(٢) النساء: ١٧١-١٧٢.

(٣) الزخرف: ٥٧-٦١.

وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًاۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (1).

قال سبحانه: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ (2).

سؤال عيسى يوم القيامة وجوابه:

قال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي

(١) المائدة: ١٧.

(٢) المائدة: ٧٢-٧٧.

بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرُۢ﴾[1].

وهكذا نطق القرآن بالحق والصدق، وارتقي بالمسيح وأمه وأعاذها وذريتها من الشيطان الرجيم وكذلك ذريتها حيث تقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها منبتًا حسنًا وطهّرها واصطفاها على نساء العالمين.

وحقيقة المسيح ابن مريم أنه كمثل آدم خلقه الله من تراب وعلمه الكتاب والحكمة وآتاه الإنجيل مصدقًا للتوراة ومبشرًا برسول يأتي من بعده اسمه احمد، وهو في أرفع الدرجات حيث صدق في عبوديته لربه واستقامته على نهجه وبره بأمه فلا إله ولا ابن إله بل هو بشر يأكل الطعام ولا زالت رحمات الله متوالية ولازال الأمر بالتوبة؟إليهم الاستغفار من التعدي على الله وعلى الحق في شأن المسيح قائمًا فمن تاب واستغفر فالله غفور رحيم، ومن أصرّ واسكتبر واستنكف أن يكون عبدًا لله فالعذاب مصيره والخزي نهايته يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنه ولهم سوء الدار، يوم ينفع الصادقين صدقهم وفوزهم بجنات النعيم.

تلك هي معطيات القرآن الكريم في نسب المسيح وطبيعته وحقيقة أمه فأين الثرى من الثريا!

وختامًا فما أروع الحق إن يشهد به الأعداء فقد أورد الشيخ ديدات جواب القسيس

(١) المائدة: ١١٦-١٢٠.

حين سأله أيهما تفضل لابنتك «القس دنكرز» الترجمة القرآنية عن مولد المسيح أم ترجمة الكتاب المقدس.

يقول: لقد أحنى رأسه في تواضع وقال: «الترجمة القرآنية»[1].

فالحمد لله وحده يحق الحق وحده ولو كره المجرمون

(١) المسيح في الإسلام: احمد ديدات- ترجمة مجدي عبد الرحمن ص٥٠.

خلاصة الوحدة

نخلص من دراسة هذه الوحدة إلى ما يلي:

(١) اعتراف رجال النصرانية ببشرية المسيح مع اعتقادهم أن الله حل فيه، وليست لهم كلمة متحدة في كيفية هذا الحلول ولا الاتحاد.

(٢) بطلان قولهم بالتثليث من نصوص كتبهم ظاهر ومتواتر.

(٣) كتابهم المقدس يثبت بشرية المسيح ورسالته وينفى أنه إله أو ابن إله.

(٤) سلسلة النسب خاصة في الفترة من آدم لإبراهيم تتعارض مع معطيات العلم الحديث.

(٥) القرآن الكريم هو المصدر الوحيد الذى أكرم المسيح وأمه وحفظ لهما مكانهما اللائق بهما.

(٦) خلق عيسى بهذه الصورة -بدون أب- من دلائل قدرة الله تعالى الذى يخلق بالأسباب وبدونها فسبحانه يخلق ما يشاء ويختار.

أسئلة التقويم الذاتي

أولاً: أسئلة المقال:

س١: اذكر تعريف النصرانية؟

س٢: اذكر مصادر النصرانية في زمن المسيح وبعده؟

س٣: اذكر مختارات من أقوال العلماء تعليقا على نسب المسيح في الأناجيل؟

س٤: اذكر ما تعرفه عن بشرية المسيح بدلالة ما ذكر حول النسب؟

س٥: ماذا تعرف عن بشرية المسيح بنصوص كتبهم المقدسة؟

س٦: ما هي أشهر فرق النصارى؟وما أقوالهم في طبيعة المسيح؟

س٧: اشرح عقائد النصارى على ضوء دراسة نسب المسيح؟

س٨: اكتب ملخصًا عن عقيدة الملكانية في المسيح؟

س٩: تقرر الأناجيل للمسيح صفات البشر من أكل وشرب وراحة، اشرح ذلك في ضوء ما درست؟

س١٠: اذكر أهم مبادىء البروتستانت؟

ثانياً: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة « ✓» أمام العبارة الصحيحة، وعلامة «✗ » أمام العبارة الخاطئة:

١- اعترف رجال النصرانية ببشرية المسيح عليه السلام ( )

٢- انفرد متى بذكر آباء إبراهيم إلى آدم ابن الله في زعمهم ( )

٣- الكتاب المقدس يثبت بشرية المسيح ورسالته وينفى كونه اله أو ابن اله ( )

ثالثاً: أسئلة الاختيار من متعدد:

اختر الإجابة الصحيحة مما بين القوسين:

١- قالوا أن للمسيح طبيعتين ومشئية واحدة لالتقاء الطبيعتين في أقنوم إلهى واحد (البروتستانت- الإنجيلية- المارونية)

٢- الذى سيحاسب الناس على أعمالهم ويجازيهم على ما فعلوا (الله- الإبن- الروح القدس)

٣- الأساس الذى تدور عليه عقيدة المسيحية (الصلب والفداء- القيامة والصعود- الدينوية)

النشاط التعليمي للوحدة الثانية عشرة

عزيزي الدارس:

حتى تكتسب المزيد من المعلومات حول الموضوعات الـواردة في هـذه الوحـدة عليـك أن تقـوم بإنجـاز النشاط التعليمي التالي:

اكتب بحثًا في:

- القرآن الكريم هو المصدر الوحيد الذى أكرم المسيح وأمه وحفظ لهما مكانتهما.



الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى.. وبعد،،

بعون من الله وبفضله علينا تم كتاب الأديان والمذاهب بما يتضمن من موضوعات تتعلق بإحاطة الدارس بحاجة البشر إلى الدين ونشأة علم الأديان، وكذا نظريتي التطور والمعرفة، كما تناولت الرسالات السماوية السابقة للإسلام وكذا الأديان الوضعية مما عساه أن تتوالى معه الدراسات بتوفيق الله تعالى.

أهم ما خرجت به هذه الدراسة من نتائج:

١- دراسة الأديان منهج من مناهج الدعوة إلى الله تعالى وسبيل من سبل معرفة البشر وأهلة الباطل وأهله لتتحقق البصيرة للداعية فيعرف كيف ينقذ من الضلالة ويعلم من الجهالة وليحذر من سنن المبطلين وليلتزم أمر الله سبحانه «ولتستبين سبيل المجرمين».

٢- الدين الحق ليس إلا وحيًا من الله تعالى، بلاغا للناس على ألسنة رسله صلوات الله عليهم أجمعين.

٣- الإسلام -هذا الدين الخاتم- ليس لغيره هذه الأدواء الخلقية والاجتماعية فهو الحل الدائم والأمثل لكل مشاكل الحياة.

٤- الكتاب الموحى به هو ذلك الكتاب الذي توفرت له شروط صحة السند ودلائل سلامة المتن.

٥- علم الأديان بمنهج الإسلام سبيل معرفة اليقين في نشأة الدين وحال الأقوام مع رسلهم، وكذلك هو المنهج القويم الذي يتفق والمنهج العلمي السليم، والمتكفل بتحقيق سعادة الناس في الدنيا والآخرة.

٦- علماء الأديان افتراضهم في نشأة الدين خاطئة وقياسهم للغائب على الشاهد أدى إلى نتائج مغلوطة، واعتمادهم على الآثار والحفريات أفرز نتائج ناقصة، وصبغهم دراسات الأديان بمنهج من مناهج العلوم النفسية أو الاجتماعية أدى إلى المصادرة على الواقع وتجنيب الدين باقي جوانب الحياة.

٧- علماء المسلمين السالكين في هذا الميدان بخسوا أنفسهم حقها ورفعوا الغربيين لمكانة لا يستحقونها- في هذا الجانب- فلا سبيل لهذا العلم بعيدًا عن الخبر الصادق والوعد المحقق والكتاب الذي لا يأتيه من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد.

٨- الأصل هو التوحيد، والتعدد طارئ بفعل عوامل ثلاث: طول الأمد، تدخل العقول في النصوص، إتباع الأهواء.

٩- التدين فطرة، والدين وحى صادق، وخصائص الإسلام تفى بضرورات الحياة، ولا نجاة للبشرية إذا ابتعدت عن الإسلام.

١٠- دراسة علم الأديان فرض كفاية يجب على الأمة الاهتمام به حتى يتمكن رواده من دعوة المخالفين للدخول في الإسلام، فضلا عن مجابهة المبطلين والمنتحلين والمغالين.

١١- العلاقة بين الملة والدين تتلخص في عبارة موجزة: «إذا اجتمعتا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا». أما النحلة فهي شبيه البدعة، غير أن البدعة تتعلق بآحاد المسائل

الشرعية، أما النحلة فتتعلق بمعظم تلك المسائل.

١٢- أصول نظرية المعرفة الإسلامية وأبعادها أبرزها القرآن الكريم والتزمها الرسول ﷺ والسلف الصالح لهذه الأمة.

١٣- المعرفة الحقة والكاملة ما كانت عن طريق المحكم من وحى الله الخالد، والمعرفة الظنية لا تفيد اليقين إلا في صحبة الوحي.

١٤- العلم والإيمان توأمان، والعلم سابق للقول والعمل.

١٥- الوحي لا يتعارض مع صحيح المعقولات ولا يسعه إلا إطلاق العقول والجهود العلمية وفق منهج علمي صحيح متزن كامل لإدراك الحق واليقين في النفس والحياة.

١٦- الدين السماوي ما كان وحى من الله لرسوله باعتبار أصله، وكان حق كامل شامل.

١٧- الدين الوضعي ما كان من صنع البشر، وكان باطل ناقص جزئي.

١٨- أهمل اليهود تعاليم التوراة الصحيحة فجاءت توارتهم طافحة بالأباطيل في قضايا الإلوهية والنبوة واليوم الآخر والمسيح المنتظر والتشريع والأخلاق.

١٩- الحنفاء هم الباحثون عن الحقيقة الذين اعتزلوا عبادة الأصنام، ورأوا أن قومهم أخطئوا دين إبراهيم.

٢٠- آمن العربي بوجود قوى روحية كائنة في بعض الموجودات وعبادة الأرواح برزت في أشكال متعددة منها: الكهانة، الطموطمية، الفتشية، عبادة الموتى، ومنهم من أسند الحوادث إلى الدهر وقالوا: ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر، وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون.

وبعد،،،

فهذه أهم ما خرجت به هذه الدراسة من نتائج، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

وأحمد الله على نعمة الإسلام والإيمان وأبرأ إليه من الشرك والكفر وأسأله سبحانه أن يجنبنا الزلل والهوى إنه سميع قريب وصلى الله على سيدنا وعلى آله وصحبه وسلم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العلمين

الفهرس

Printed In Egypt

البرامج

تقدم الجامعة مجموعة من البرامج الدراسية المتميزة فى التخصصات الآتية

شعبة الدراسات الإسلامية والعربية

بكالوريوس شعبة عـــامة
دراســات عليــا (ماجستير ودكتوراة)
تخصصات : شريعة - أصول دين - لغة عربية
كما تنفرد الجامعة بتقديم برنامج الدراسات الحرة دون اشتراط المؤهل الدراسي

شعبة الإعلام

دبلوم - ماجستير - دكتوراه

التخطيط والنشر - إذاعة وتليفزيون - علاقات عامة وإعلام

شعبة الاقتصاد

دبلوم - ماجستير - دكتوراه

تخصصات : اقتصاد إسلامى - المصارف و الأسواق المالية - اقتصاد دولي - اقتصاديات بيئة - تنمية وتخطيط

شعبة إدارة الأعمال

دبلوم - ماجستير - دكتوراه

تخصصات : تســويق - تمويل - إدارة موارد بشرية

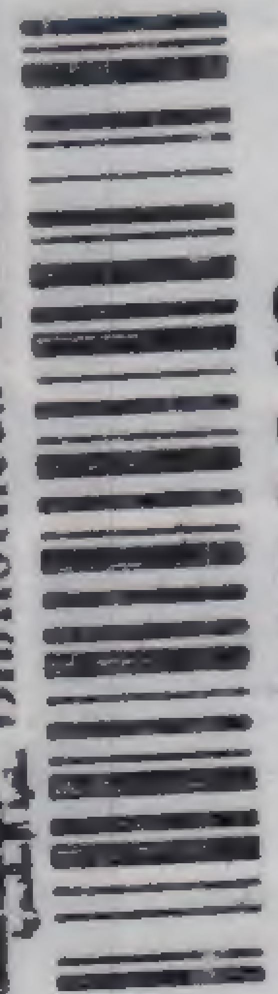
مزايا

بث جميع المحاضرات التعليمية عبر الشبكة العالمية الانترنت، ترسيخا لمعنى التلقي المباشر، وتوسيعا لرقعته بحيث يصل إلى الدارس في أي مكان.

للجامعة فروع للتلقي المباشر، ويستطيع الدارس أن يلتحق أو يستكمل دراسته في أيها شاء.

الالتحاق بالدراسات العليا عند اجتياز ٧٥ % من مقررات البكالوريوس.

تمكين الدارس من تغيير المسار الدراسي من خلال برامج الدراسات التكميلية أو المسارات السريعة..





التسجيل

مباشراً : من خلال إدارة شئون الطلاب
عبر الانترنت : من خلال الموقع الإلكتروني للجامعة

راسلنا

البريد الالكترونى : webmaster@uial.org
الموقع الإلكترونى : www.uial.org
مكتب القاهرة : هاتف : ٢٢٧٠١٠٦٩ (+٢٠٢) فاكس : ٢٢٧٥٤١٤٠ (+٢٠٢)

رئيس المجلس الأكاديمي للجامعة
أ.د/حسين حـــامد حسان

رئيس الجامعة
أ.د/صـــلاح الصـــاوي